

سَلَامٌ لِّلَّهِ الَّذِي أَصْبَلَ الْعَالَمَيْنِ

(١)

الَّذِي أَصْبَلَ الْعَالَمَيْنِ

تألِيف

أ.د. أحمد بن علي القرني

١٤٤١ هـ

لِلَّهِ مُرِشدُ طَالِبٍ يَهْدِي إِلَى  
نَهْجِ الصَّوَابِ، وَتُحْفَةُ لِلْعَالَمِ  
جَمِيعَتْ بِهِ غُرَرُ الْفُنُونِ بَهِيَّةً  
وَحُقُوقُهُ مَبْذُولَةُ لِلْعَالَمِ

## النشرة الأولى

شعبان ١٤٤١ هـ

الإبداع العلمي للنشر والتوزيع

لتواصل مع المؤلف  
على البريد الشّككي

[dal1388@gmail.com](mailto:dal1388@gmail.com)

الإهداء

إِلَى الَّذِينَ نَسْدُوا الْمَعْرِفَةَ طَلَبًا لِلْكَمَالِ .. وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِهَا الْكَثِيرَ مِنِ  
الْوَقْتِ وَالْمَالِ ..

إِلَى الَّذِينَ طَلَبُوا الْعِلْمَ؛ رَهْبَةً مِنَ الْجَهْلِ، وَهَرَبُوا مِنَ الْجَهْلِ؛ رَغْبَةً فِي  
الْعِلْمِ، فَهُم بَيْنَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وَخَوْفٍ وَرَجَاءٍ..  
إِلَى الَّذِينَ أَرَادُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يَعْرِفُوا الطَّرِيقَ..  
وَإِلَى الَّذِينَ عَرَفُوا الطَّرِيقَ وَلَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَسْلُكُونَهُ..  
وَإِلَى الَّذِينَ سَلَكُوا هُوَ فَتَرَرَّجَتْ بِهِمُ السُّبُلُ..  
إِلَى هُؤُلَاءِ جَمِيعًا..

أُهْدِي هَذَا الْكِتَابَ ..

تَبْصِرَةً، وَتَذْكِرَةً!

وَالْحُرُّ لَا يَكْتِفِي مِنْ نَيْلٍ مَكْرُمَةً  
هَتَّى يَرُومَ الَّتِي مِنْ دُونِهَا الْعَطَبُ  
إِنْ كَفَّهُ رَهْبٌ يَسْتَدْعِهِ رَغْبُ!  
يَسْعَى بِهِ أَمْلُ مِنْ دُونِهِ أَجَلٌ





## المُقَدّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، السَّمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَكْرَمِ الْمَرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَّخِبِينَ.  
أَمَّا بَعْدُ؛

- ١ -

«إِنَّ الْعِلْمَ أَنْفُسُ مَا طَلَبَهُ الطَّالِبُونَ، وَأَجْلُ شَيْءٍ رَغْبَ فِيهِ الرَّاغِبُونَ، وَأَفْضَلُ فَضْيَلَةٍ سَعَى لَهَا الْفَاضِلُونَ، بِاسْتِشْمَارِ سَعِدَ الصَّالِحُونَ، وَبِانْتِحَاءِ مَنَارِهِ فازَ الْفَائِزُونَ. اتَّفَقَتْ عَلَى شَرْفِهِ الْأَمْمُ وَتَطَابَقَتْ، وَتَظَاهَرَتِ الْأَدْلَةُ عَلَى تَفْضِيلِهِ وَتَنَاصِرَتْ. فَهُوَ سَاعِدُ السَّعَادَةِ، وَأَئْسُ السَّيَادَةِ، وَالْمِرْفَأُ إِلَى النِّجَادَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ مَطْمَحُ آمَالِ الْمُسْتَبِصِرِينَ، وَغَايَةُ مِضْمَارِ الْمَوْفَقِينَ»<sup>(١)</sup>.  
من هنا كان الحديثُ عن التَّأْصِيلِ لِقَضَايَا الْعِلْمِ، وَأَقْسَامِهِ، وَطَرَائِقِهِ، وَقَوَاعِدِهِ، ذَا أَهْمَيَّةِ بِالْغَيْرِ - لَا سِيمَّا فِي هَذَا العَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْمُلْهِيَاتُ، وَتَنَوَّعَتْ فِيهِ الصَّوَارِفُ، وَتَرَاحَتْ فِيهِ الْهِمَمُ! -؛ لِأَنَّ غِيَابَ الْمَنْهَاجِ الْوَاضِحِ، وَفُقدَانَ الْضَّوَابِطِ الْمُسَيَّرَةِ، يُؤَدِّي - لَا شَكَّ - إِلَى الْفَوْضِيِّ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ.

---

<sup>(١)</sup> خطبة كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول: لأبي شامة المقدسي (ص/٥٠).

يَتَجَلَّ ذَلِكُ فِي ضَيَاعِ الْمَقَايِسِ الصَّحِيحَةِ، وَغِيَابِ الرُّؤْيَةِ الشَّامِلَةِ، وَعَدَمِ فَقْهِ الْأُولَوَيَاتِ، وَكَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَالاجْتِرَارِ، وَتَضَيِيعِ الأَوْقَاتِ فِيمَا تَقْلُلُ جَدْوَاهُ أَوْ تَنَعِدُمُ.

**وَطَالُ الْعِلْمِ** أَحْوَجُ مَا يَكُونُ - الْيَوْمَ - إِلَى تَأْصِيلِ مَنْهَجِي، يُضَيِّعُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَيَرْسُمُ لَهُ الْمَعَالَمَ، وَيُوَضِّحُ لَهُ الْمَسَالِكَ؛ ذَلِكُ لِأَنَّ الْفِجَاجَ كَثُرَتْ، وَالْمَعَالَمَ خَفِيَّتْ، وَمَسَالِكَ الْعِلُومَ تَشَعَّبَتْ!

**وَلِلَّهِ دُرُّ عِلْمَائِنَا الْأَفْذَادِ؛** حِيثُ تَبَنَّهُوا لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَدِيمٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي أَرْجُوْزَةِ الْعَرْوَضِ<sup>(١)</sup>:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ: هُوَ الْمِنْهَاجُ  
قَدْ كَثُرَتْ مِنْ دُونِهِ الْفِجَاجُ!  
وَكُلُّ عِلْمٍ فَلَأَهُ فُنُونٌ  
وَكُلُّ فَنٍ فَلَأَهُ عُيُونٌ

**وَقَالَ الْفَيْرُوزُ آبَادِي:** «إِنَّ لِلْعِلْمِ رِيَاضًا وَحِيَاضًا، وَخَمَائِلَ وَغِيَاضًا، وَطَرَائِقَ وَشَعَابًا، وَشَوَاهِقَ وَهِضَابًا، يَتَفَرَّعُ عَنْ كُلِّ أَصْلٍ مِنْهُ أَفْنَانٌ وَفُنُونٌ، وَيَنْشَقُ عَنْ كُلِّ دَوْحَةٍ مِنْهُ خِيطَانٌ وَغُصُونٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظرها: في العقد الفريد (٥/٤٣٠).

(٢) القاموس المحيط (ص/٢٦).

**وَنَحُوُّ قَوْلُ عَلِيِّ الشَّاورِيِّ الْفَرْشَوْطِيِّ** في تقريره لكتاب «تاج العروس» للزبيدي: «إِنَّ للعلوم سُبْعاً وَطَرَائِقَ، وَهِضَاباً وَشَوَاهِقَ، يَتَفَرَّعُ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ مِنْهُ فُنُونٌ، وَمِنْ كُلِّ دَوْحَةٍ فُرُوعٌ وَغُصُونٌ». حِلْيَةُ الْبَشَرِ، فِي تَارِيخِ الْقَرْنِ الْثَالِثِ عَشَرَ: لِلبيطَارِ (ص/١٤٩٥).

-٢-

**إِنَّا فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى التَّأْصِيلِ الْعِلْمِيِّ الْمُنْضَبِطِ**، المبني على منهج واضح بيّن؛ لكي تستأنف الحياة العلمية على أصولٍ صحيحةٍ، وعلى أساسٍ خططيٍّ متينٍ؛ حيث لم يَعُدْ ثَمَّتَ مَجَالٌ للتَّخْبُطِ والاضطراب، كما لم تَعُدْ الفَوْضَى الْعِلْمِيَّةُ ذَاتَ قِيمَةٍ في بناءِ جيلٍ واعٍ، أو إخراجِ علماءٍ راسخين.

**إِنَّ مُشْكَلَةَ كَثِيرٍ** من طلابِ العلم وسُدَادِهِ اليوم، هي أنهم لا يَتَرَيَّثُونَ في اختيار: (الفنُّ، والمنهجُ، والأستاذُ، والكتابُ) الملائمة لأفهامِهم ومداركِهم، ومن ثمَّ تَضيِّعُ عليهم كثيرٌ من الأوقات والجهود فيما لا جدوى منه! أو فيما غيره أَجْدَى منه! ولو أَتَهُم تريّثوا وتأمّلوا وسائلوا لما حَصَّلَ لهم ذلك!

**يقولُ سَعْدِي الشَّيْرَازِي:**

<b>كالثوبِ مِنْ غَيْرِ قِيَاسٍ فُصَّلٌ</b>	<b>وَالْقَوْلُ لَمْ تُعْمَلْ بِهِ التَّأْمُلُ</b>
<b>أَفْضُلُ مِنْ طُولِ الْكَلَامِ فِي الْهَذْرِ</b>	<b>قَلِيلُهُ مِنْ بَعْدِ إِعْمَالِ الْفِكَرِ</b>
<b>وَارْمِ إِذَا تَعْقِلُ سَهْمًا صَائِبًا!</b>	<b>لَا تَرْمِمَآلَفَ السَّهَامِ خَائِبًا!</b>

-٣-

**كذلك**، فإنه لا بدّ من التخطيطِ الجيدِ منذ البداية، والتصرّرُ الصحيح للعلوم ومقاصدها؛ حتى يسهلَ بعد ذلك تحصيلُ العلوم، وفهمُ مسائلها.

**ولقد أحسنَ مَنْ قالَ:**

<b>وَكُلُّ عِلْمٍ غَامِضٌ رَفِيعٌ</b>	<b>فَإِنَّهُ بِالْمَوْضِعِ الْمَنْبِعِ</b>
---------------------------------------	--

لَا يُرْتَقِى إِلَيْهِ إِلَّا عَنْ دَرَجٍ  
 مِنْ دُونِهَا بَحْرٌ طَمُوحٌ وَلَبَحْجٌ  
 وَلَا يَنْسَأِلُ ذُرْوَةً الْغَابِيَاتِ  
 إِلَّا عَلِيمٌ بِالْمُقَدَّمَاتِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَالَ الْآخَرُ:

شَرْطُ النَّهَايَاتِ تَصْحِيحُ الْبِدَائِيَاتِ  
 وَفَاقِدُ الشَّرْطِ بِالْمُشْرُوطِ لَا يَاتِي  
 فَصَحِّحُ الْبَدْءَ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ  
 وَارْعَ النَّتِيْجَةَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي تَاتِي

- ٤ -

إِنَّ مَمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ، وَطَلَبُهُ الْعِلْمُ النَّابِهِينَ، مَمَّنْ لَهُمْ  
 سَابِقَةٌ فِي الْطَّلَبِ، أَنْ يَبِينُوا لِلْمُبْتَدَئِينَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْمَنْهَاجَ الصَّحِيحَ،  
 وَالْمَسْلَكَ الرَّشِيدَ، فِي الْطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ؛ حَتَّى لَا تَضِيَّعَ عَلَيْهِمُ الْأَوْقَاتُ،  
 وَتَكَثَّسَتْ مِنْهُمُ الْجَهُودُ، فِيمَا لَا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا مِنْ وَاجِبِ شُكْرِ نِعْمَةِ الْعِلْمِ عَلَيْهِمْ، قَالَ ابْنُ تِيمِيَةَ - رَوَاهُ اللَّهُ  
 رُوحَهُ، وَفَتَحَ لَنَا فُتُوحَهُ - : «أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ عَلَى الْأُمَّةِ الْكِتَابَ  
 وَالسَّنَةَ: صُورَةً وَمَعْنَىً، مَعَ أَنَّ حَفْظَ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ عَمومًا عَلَى  
 الْكَفَايَةِ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ مَا يَجِبُ عَلَى أَعْيَانِهِمْ، وَهُوَ عِلْمُ الْعَيْنِ، الَّذِي يَجِبُ عَلَى  
 الْمُسْلِمِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ؛ لَكِنَّ وَجْوَبَ ذَلِكَ عَيْنًا وَكَفَايَةً عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ

(١) جامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ (٧٨٥ / ١).

(٢) مَمَّا يُرَوَى عَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا أَكْثَرَ الشَّجَرَ! وَلَيْسَ كُلُّهَا بِمُثْمِرٍ، وَمَا أَكْثَرَ الشَّمَارَ!  
 وَلَيْسَ كُلُّهَا بِطَيِّبٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ! وَلَيْسَ كُلُّهَا بِنَافِعٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْعُلَمَاءَ! وَلَيْسَ كُلُّهُمْ  
 بِمُرْشِدٍ». رَبِيعُ الْأَبْرَارِ: لِلزَّمَخْشَرِي (٤٢ / ٤).

رأَسُوا فِيهِ، أَوْ رُزِقُوا عَلَيْهِ، أَعْظَمُ مِنْ وَجْوبِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُ واجِبٌ بِالشَّرْعِ عَمومًا. وَقَدْ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ؛ لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ وَعَجْزِ غَيْرِهِمْ.

وَيَدْخُلُ فِي الْقَدْرَةِ: اسْتِعْدَادُ الْعُقْلِ، وَسَابِقَةُ الْطَّلَبِ، وَمَعْرِفَةُ الْطُّرُقِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ، مِنَ الْكِتَبِ الْمُصَنَّفَةِ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَسَائِرِ الْأَدْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَالتَّفَرُّغُ لِهِ عَمَّا يُشْغِلُ بِهِ غَيْرُهُمْ.

وَلِهَذَا مَضَتِ السُّنَّةُ، بِأَنَّ الشُّرُوعَ فِي الْعِلْمِ وَالْجَهَادِ يَلْزَمُ، كَالشُّرُوعِ فِي الْحَجَّ. يَعْنِي أَنَّ مَا حَفِظَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وَعِلْمِ الْجَهَادِ لَيْسَ لَهُ إِضَاعَتُهُ<sup>(١)</sup>. كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْعَالَمُهُ ابْنُ بَدْرَانُ؛ حِيثُ قَالَ: «إِعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَقْصُوُنَ السَّنِينَ الطَّوَالَ فِي تَعْلِمِ الْعِلْمِ، بَلْ فِي عِلْمٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَحْصُلُونَ مِنْهُ عَلَى طَائِلٍ! وَرَبِّمَا قَضَوْا أَعْمَارَهُمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا عَنْ دَرْجَةِ الْمُبَدِّئِينَ! وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ أَمْرِينَ:

**أَحَدُهُمَا:** عَدْمُ الذِّكَاءِ الْفَطَرِيِّ، وَانْفَنَاءُ الْإِدْرَاكِ التَّصْوُرِيِّ، وَهَذَا لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ وَلَا فِي عَلاجِهِ<sup>(٢)</sup>.

**وَالثَّانِي:** الْجَهْلُ بِطُرُقِ الْتَّعْلِيمِ، وَهَذَا قَدْ وَقَعَ فِي غَالِبِ الْمُعَلَّمِينَ، فَتَرَاهُمْ يَأْتِي إِلَيْهِمُ الطَّالِبُ الْمُبَتَدِئُ لِيَتَعْلَمَ النَّحْوَ مُثَلًا، فَيَشْغَلُونَهُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْبَسْمَةِ،

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٦/٢٨).

(٢) ولذا قال الحافظ الزبيدي في ألفية السندي (ص/٢٨٩):

وَمَنْ يَكُنْ فِي فَهْمٍ بَلَادَهُ  
فَلْيَصْرِفِ الْوَقْتَ إِلَى الْعِبَادَةِ  
وَلَوْ بَحْسُنَ الْقُصْدِ فِي الْأَسْبَابِ  
أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُلِّ ذِي ثَوَابِ

ثم على الحمدلة، أيامًا بل شهورًا! لُيوهُمُوه سَعَةً مدارِكَهُمْ، وغزارَةً عِلْمِهِمْ.  
 ثم إذا قُدِرَ له الخلاصُ من ذلك، أخذوا يُلْقِنُونَهُ متنًا أو شرحاً بحواشيهِ،  
 وحواشي حواشيهِ! ويحشرون له خلافَ العلماءِ، ويُشغلوهُ بكلامَ مَنْ رَدَّ  
 على القائلِ، وما أَجَبَ به عن الرَّدِّ، ولا يزالون يَضْرِبونَ له على ذلك الْوَتَرِ؛  
 حتى يرتكز في ذهنه أنَّ نوالَ هذا الفنَّ من قبيل الصعب الذي لا يَصِلُّ إِلَيْهِ إِلَّا  
 مَنْ أُوقِيَ الْوِلَايَةَ! وحضر مجلسَ الْقُرْبَ والاختصاصِ!<sup>(١)</sup>.

هذا إذا كان الملقن يفهم ظاهراً من عباراتِ المصنَّفينِ، وأما إذا كان من  
 أهل الشَّغَفِ بالرُّسُومِ - أُشيرُ إليه بأنه عالِمٌ، فموهُ على الناسِ، وأنزلَ نفسهَ  
 منزلةَ العلماءِ المحققينِ، وجلسَ للتعليمِ - فـيأتيه الطالبُ بكتابٍ مطويٍّ أو  
 مختصرٍ، فيتلقاهُ منه سَرْدًا، لا يفتحُ له منه مُغْلَقاً، ولا يَحُلُّ له طِلَسْمًا، فإذا  
 سأله ذلك الطالبُ المسكينُ عن حلِّ مُشكِّلٍ، انتفعَ أَنْفُهُ وورِمَ، وقابلَهُ بالسبِّ  
 والشتَّمِ، ونسبَهُ إلى البهائمِ، ورمَاه بالزَّنْدقةِ، وأشاعَ عنه أنه يطلبُ الاجتهادَ!<sup>(٢)</sup>  
**ثم قال بعد ذلك:** «وطُرِقَ التعليمُ أمرٌ ذَوْقِيٌّ، وأمانةً موَدَعَةً عند الأئمَّةِ،  
 فمن أَدَّاهَا أُثْبِتَ على أدَائِهَا، ومن جحدَها كَانَ مطالبًا بها. وقد أَودَعَ ابنُ  
 خلدونَ في مقدمة تاريخِه نفائسَ من هذه المباحثِ كالمقالاتِ، ومطالعَتها

(١) لا شك أنَّ هذا من معوقاتِ الطَّلَبِ، لا سيَّما للمبتدئينِ، وقد جاءَ في ترجمةِ الفقيهِ المالكيِ عبد الله السُّوسيِ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ كان يُدرِّس «مختصر خليل» بجامعِ فاسِ، فكان يقتصرُ على شرحِ الْخُرْشِيِّ عليهِ، ويختتمُهُ في كُلِّ ستةِ أشهرٍ، فكان المبتدئونَ من طلبةِ العلمِ يَقصِدُونَهُ، ويَحْضُرُ مجلَّسَهُ منهم الجمُّ الغَيْرُ، لأجلِ الاختصارِ، والاقتصارِ على بيانِ كلامِ المؤلَّفِ دونِ تطويلِ. انظر: نشر المثنى لأهلِ القرنِ الحادي عشرِ والثاني: للقادري (٤/١٥٥).

(٢) المدخل إلى مذهب الإمامِ أحمدَ بنِ حنبل (ص/٤٨٥).

تُهدي التَّيْجَةَ لِصَادِقِ الْهَمَّةِ، مُطْلِقٌ مِّنْ قِيدِ التَّقْلِيدِ. وَاللَّهُ دَرُّ ابْنِ عِرْفَةَ الْمَالِكِيِّ  
حِيثُ قَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَعْلَمٍ الدَّرْسِ نُكْتَةٌ  
وَعَزَّزُ غَرِيبُ النَّقْلِ، أَوْ حَلُّ مُقْفَلٍ  
فَدُغْ سَعِيهَ، وَانْظُرْ لِنَفِسِكَ، وَاجْتَهِدْ  
أُوْشِكَالُ أَبْدُتُهُ تِيْجَةُ فِكْرَةٍ  
وَلَا تَرْكَنْ، فَالْتَّرْكُ أَقْبَحُ خَلَّةٍ»<sup>(١)</sup>

(١) المصدر نفسه (ص/٤٩١).

**لطيفة:** أجاب ابن عرفة على أبياته هذه تلميذه الفقيه النبی أبو عبد الله محمد بن خلفة الأنجی بقوله:

يَمِينًا بِمَنْ أَوْلَاكَ أَرْفَعَ رُتبَةً  
لِمَجَلْسِكَ الْأَعْلَى الْكَفِيلُ بِكُلِّهَا  
فَأَبْقَاكَ مَنْ رَقَّاكَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً  
وَزَانَ بِكَ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِ زِينَةٍ  
عَلَى حِينِ مَا عَنْهَا الْمَجَالُسُ وَلَّتِ  
وَلِلَّدِينِ سِيفًا قَاطِعًا كَلَّ بَدْعَةً  
وَقَالَ تَلْمِيذهُ الْبَسِيلِيَّ بَعْدَ أَنْ أُورِدَ هَذِهِ الْأَبِيَاتِ: وَقَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَ بَعْضُ مَنْ يَتَمَيَّزُ إِلَى  
الْعِلْمِ، وَوَصَفَّ الْجَهْلَ أَلْيَقَ بِهِ، فَذَمَّ هَذَا الْمَجَلْسَ بِشِعْرٍ سَخِيفٍ لَا يَلِيقُ كِتَبَهُ، وَلَمْ يَشْعُرْ  
بِقُلْبِ النُّكْتَةِ عَلَيْهِ، حَسْبَمَا قَرَرَهُ الْجَدَلُيُّونَ، وَقَالَ فِيهِ شِيَخُنَا:

وَمَا حَالَ مِنْ يَهْجُو أَخَاهُ بِلِفْظَةِ؟  
وَعِلْمُ أَصْوَلِ الْفَقِيهِ وَالْبَحْثِ وَالنَّظرِ  
فَبَاءَ بِفِسْقٍ قَالَهُ سِيدُ أَتَى  
رَوَى مُسْلِمٌ مَعْ شِيَخِهِ عَنْدَ قَوْلِهِ:  
بِصَغْرِي وَكَبْرِيٍّ يُتَجَانِ فُسْوَقَهُ  
كَذَا ذُكِرَ الْمَرْوِيُّ عَنْدَ الْأَئِمَّةِ  
سِوَى حَالِي مِنْ قَدْسَاءَهُ قَلْبُ نُكْتَةٍ  
بِذَكْرِ وَقْرَآنِ وَوَعْظٍ وَحِكْمَةٍ  
سِبَابُ لِذِي الْإِسْلَامِ فَسْقُ بَحْجَةٍ  
فِي الْمَلَكِ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَادْفَعَهُ بِالْمِنْيَ!

**انظر:** شرح حدود ابن عرفة: للرصاع (ص/٥٣٨)، ونكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد: للبسيلي (١/٨٢)، ونيل الابتهاج بتطریز الديباچ: للتبکتی (ص/٤٦٥)، وإضاءة الراموس: للفارسی (٢/٢٨٧).

**ولذا يقول العلامة السعدي:** «إِنْ يَسِّرَ اللَّهُ لِلطَّالِبِ مُعْلِمًا يُحْسِنُ طَرِيقَةَ التَّعْلِيمِ، وَمَسَالِكَ التَّفْهِيمِ؛ تَمَّ لِهِ السَّبُّ الْمَوْصِلُ إِلَى الْعِلْمِ»<sup>(١)</sup>.

- ٥ -

كما أنه يجب على طلبة العلم اليوم، أن يشكروا الله على النعم الكثيرة التي تهيأت لهم في هذا العصر، والتي لم تكن مُهيأةً لمن قبلهم في الزمن القريب. فالمدارس تملأ الأرجاء، والجامعات ومرافق العلم منتشرة في كل مكان، وحلق العلم ومحالس الذكر والدورات العلمية لا تكاد تنقطع طوال العام، والعلماء والمرشدون والموجّهون لا يكاد يخلو منهم بلد، وعشرات الآلاف من المحاضرات والدروس -مسموعةً ومرئيةً- مرفوعة على الشنكبوتية (الإنترنت)، ومناهج الطلب وطرائق التحصيل قد أصبحت اليوم - بحمد الله - كثيرةً متنوعةً، مما حفظ على الطلاب الكثير الكثير من الوقت والجهد أن يضيع سدى.

**يقول العلامة الطاهر بن عاشور:** «إِنِّي عَلَى يقينِ أَنِّي لَوْ أُتَيحُ لِي فِي فَجْرِ الشَّابِّ التَّشْبُّعُ مِنْ قَوَاعِدِ نَظَامِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ، لَا قَتَصَدْتُ كَثِيرًا مِنْ مَوَاهِبِي، وَلَا كَتَبْتُ جَمِّا مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَلَسِلِمْتُ مِنَ التَّطُّوحِ فِي طَرَائِقَ، تَبَيَّنَ لِي بَعْدَ حِينِ الْإِرْتِدَادِ عَنْهَا!!»<sup>(٢)</sup>.

**وقال العلامة ابن بدران** بعد أن ذكر بعض التوجيهات العلمية من شيخه

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص / ٥١) بتصرفٍ يسيراً.

(٢) أليس الصبح بقرب (ص / ٩).

محمد بن عثمان الحنفي المشهور بخطيب دُوماً: «ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول، لم أحتاج في القراءة على الأستاذة في العلوم والفنون إلى أكثر من ستّ سنين! فجزاه الله خيراً، وأسكنه فراديس جنانه»<sup>(١)</sup>.

-٦-

### لقد عني أسلفنا الأمثل بقواعد التأصيل ومناهج التحصيل أتم عناية.

تجد ذلك في وصاياتهم المبثوثة في كتب السير والتراث، أو في مؤلفاتهم المستقلة التي تناولوا فيها العلم. ولم يخلوا بهم ذكر أيٍ من ينفع طالب العلم. حتى لقد ذكروا الأدوية والأطعمة التي تزيد الفهم وتقوّي الحفظ، أو التي تُضعف الحفظ وتسبّب التسیان!<sup>(٢)</sup>.

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص/٤٨٨).

(٢) تكلّمت عن ذاك بتوسيع في كتابي «الإبداع العلمي» (ص/١٢٧ - ١٣٦) الطبعة الثانية من نشرة مكتبة دار المناهج، وفي (ص/١٢٨ - ١٣٨) من الطبعة الثالثة لدار المازري.  
تنويم: رحم الله علماءنا الأسلام فقد كان العلم شغلاً لهم الشاغل، وهم المائل؛ لأنهم عرّفوا مكانة العلم؛ فأنزلوه منزلته اللاقفَة به! وهذه بعض الشواهد على ذلك - وهي غيضٌ يسير، من فيضٍ كثير -

- جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إِنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبْوَهُرِيرَةَ وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزُمُ رَسُولَ اللَّهِ بِكَلَامِهِ بِشَيْءٍ بَطْنِي حَتَّى لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ وَلَا أَبْلُسُ الْحَبِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فُلَانٌ، وَكُنْتُ أَلْصُقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا سَتَرِيُ الرَّجُلُ الْآيَةُ، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقِلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقِلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرُجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَكَسْهُقَهَا فَنَلْعُقُ مَا فِيهَا». أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٥) برقم (٣٧٠٨).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا فُلَانْ هَلْمَ فَلَنْسَالْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ». فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس،

أترى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لِيَلْعُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَاتِّيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ، فَاتَّوَسَدَ رِدَائِيَ عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِّيكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَتِيكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَيَنِي، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَنَى أَعْقَلَ مِنِّي». أخرجه الدارمي في سننه (٤٦٧) رقم (٥٩٠) بسنده صحيح.

- **وقال عكرمة:** «كان ابن عباس يضع الكلب في رجليه في تعليم القرآن والسنة!!». وفي رواية: «يعلّمني القرآن والفرائض». تاريخ دمشق: لابن عساكر (٤١/٨٢).

- **وقال إبراهيم الجراح:** «دخلت على أبي يوسف رَجُلًا في مرضه الذي مات فيه، ففتح عينيه وقال: الرمي راكباً أفضل أم ماشياً؟ فقلت: ماشياً. فقال: أخطأت. قلت: راكباً. فقال: أخطأت. ثم قال: كل رمي كان بعده وقوف؛ فالرمي فيه ماشياً أفضل. وما ليس بعده وقوف فالرمي راكباً أفضل. فقمت من عنده فما انتهيت إلى باب الدار حتى سمعت الصراخ؛ لموته! فتعجبت من حرصه على العلم في مثل تلك الحالة». المبوسط: للسرخي (٤/٤).

- **وقال السبكي** عن أبي محمد الجوني والد إمام الحرمين: «كان لغزط الديانة مهميًّا لا يجري بين يديه إلا الجدد، والكلام إما في علم أو زهد وتحريض على التحصل.... ومن طريف ما يُحكى ما ذكره أبو عبد الله الفراوي قال: سمعت إمام الحرميَّن يقول كان والدي يقول في دعاء قوت الصبح: «اللَّهُمَّ لَا تَعْنُنا عَنِ الْعِلْمِ بِعَاقِبَةٍ، وَلَا تَمْنَعْنَا عَنْ بِمَانِعٍ»! طبقات الشافعية الكبرى (٥/٧٣).

- **وقال ابن القيم:** «حدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن عبد الحليم بن تيمية قال: كان الجدد (يعني المجد ابن تيمية) إذا دخل الخلة يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع !!

**قلت:** يشير بذلك إلى قوة حرصه على العلم وحصوله، وحفظه لأوقاته». ذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب (٤/٥). وسيأتي الخبر بتمامه.

- **وممَا يُحكى** عن محمود بن عبد الرحمن شمس الدين الأصبhani (ت ٧٩٤هـ) من حرصه على العلم وشحه بوقته أن يضيع، أن بعض أصحابه كان يروي أنه كان يمتنع كثيراً من الأكل؛ لثلا يحتاج إلى الشراب؛ فيحتاج إلى دخول الخلاء؛ فيضيع عليه الرمان!! البدر الطالع: للشوکاني (٢/٢٩٨).

كما أنهم قد وضعوا شروطاً لمن أراد أن يتقنَ العلم حفظاً وفهمًا، وهي مبسوطة في كتب أدب الطلب والترجم وغيرها نظماً<sup>(١)</sup> ونشرًا، فلتراجع فيها.

**- وقال ابن الجوزي:** «لقد كنتُ في حلاوة طبقي العلم؛ ألقى من الشدائِد ما هو عندي أحلاني من العسل! لأجل ما أطلب وأرجو. كنتُ في زمان الصّبا آخذُ معي أرغفةً يابسةً، فأخرجُ في طلب الحديث، وأقعدُ على نهر عيسى، فلا أقدرُ على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلتُ لقمةً، شربتُ عليها، وعينُ همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم!»

فأثر ذلك عندي أني عُرفتُ بكترة سماعي لحديث سير الرسول ﷺ وأحواله وأدابه، وأحوال أصحابه، وتابعיהם، فصرتُ في معرفة طريقه كابن أجود». صيد الخاطر (ص / ٣٩٥).

**قلتُ:** ابن أجود مصطلح يعني به أهل ذلك العصر: الدليل. ومنه قول ابن الجوزي في «المدهش» (ص / ١٤٢): «كان جبريل دليلاً البدية، فلما وصل إلى مفازة ليس فيها علم يعرِفُه، عَلِمَ ابن أجود أنَّ الصدقَ أجود، فقال: ها أنتَ وربك».

**لطيفة:** نقلتُ صاحبةُ كتاب: «آراء ابن الجوزي التربوية» - (من منشورات أمانة للنشر، ميريالند، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ) - هذا النص لابن الجوزي (ص / ٤٨١)، ثم قالت عن (ابن أجود): «بحثتُ ولم أصل بعد إلى معرفة هذا الرجُل» !!

**(١) نظم جماعة من العلماء هذه الشروط بحسب اجتهاداتهم:**  
فمن ذلك: قولُ الشِّيخِ مُحَمَّدٍ (تصحيفُ مُحَمَّدٍ!) فالبنْ مُتَالِي التَّنَانِي مرتبًا الطريقة الأجدى لتلقّي العلم وتحصيله:

كَتُبْ، إِجَازَةً، وَحْفَظَ الرَّسِّمِ  
قراءةً، تدرِيسُ، أَخْذُ الْعِلْمِ

وَمَنْ يُقْدِمْ رُتْبَةً عَنِ الْمَحَلِ  
من ذي المَرَاتِبِ، الْمَرَامِ لَمْ يَنْلِ

**وقال آخر:**

شُرُوطُ الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ:  
فَأَوْلُهَا التَّفَرْغُ لَهُ

سَمَ حَمْلَكَةً مِعَ الْحَمَّةَ

وَإِلَّا لِمَ يَنْكُلْ أَمْلَهَا!

لَنْ تُدْرِكَ الْعِلْمَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

وَلَا مَلْوُلُ، وَلَا مَنْ يَأْلُفُ الْبَشَرَا

قَدْ عَاهَدَ الدَّرْسَ، وَالْإِذْلَاجَ، وَالنَّظَرا

فَهَا كَهَا مَثَلَ تَاجِ زِينَ بِالْذَّهَبِ

ثُمَّ الْقِرَاءَةُ وَالتَّنْقِيَبُ فِي الْكُتُبِ

سَائِبَكَ عَنْ مَجْمُوعِهَا بِيَانِ

وَصُحْبَةُ أَسْتَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ

وَحِفْظٌ، وَفَهْمٌ ثَاقِبٌ فِي التَّعْلِيمِ

وَشَرْحٌ شَبَابٌ، وَاجْتِهادٌ مُعَلِّمٌ

فَأَوْلَهَا: هُوَ الْمَلَكَةُ

جُّ فَاسِلَّ رَبِّكَ الْبَرَكَةُ

وَدَرْسٌ، ثَسِمٌ حَفَاظٌ، ثُمَّ

شُرُوطٌ مِنْ تُكُنْ فِيهِ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

قَالَتْ مَسَائِلُ سَاحِنَ لَنَاظِرِهَا:

لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ بَطَّالٌ، وَلَا كَسِيلٌ

وَلَيْسَ يُدْرِكُهُ إِلَّا فَتَّىٰ فَطِينٌ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

الْعِلْمُ أَرْكَانُهُ يَا صَاحِبِ أَرْبَعَةٍ

حَفْظٌ، وَنَسْخٌ، وَشِيفٌ تَسْتَنِيرُهُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

الْأَكْنُونْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسَتَةٍ

ذَكَاءً، وَحَرَصًّ، وَاجْتِهادًّ، وَبُنْغَةً

وَقَالَ غَيْرُهُ:

بَعْشِرٌ تَنَالَ الْعِلْمَ: قُوَّةٌ، وَصِحَّةٌ

وَدَرْسٌ، وَحَرَصٌ، وَاغْتِرَابٌ، وَهَمَّةٌ

وَقُلْتُ أَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

شُرُوطُ الْعِلْمِ أَرْبَعَةٌ

وَثَانِيَهَا: هُوَ الْمَنْهَا

-٧-

وهذا هو السر في النبوغ المبكر لطلابهم، حتى إن بعضًا من توفي منهم وهو مازال بعد شاباً، قد نيقّت مؤلفاته على المئة! كما أنَّ كثيراً منهم قد باشرَ التأليفَ، أو تصدرَ للإفتاءِ، أو تولَّ القضاءَ، ولما يبلغ العشرين! <sup>(١)</sup>.

فهذا الإمام الشافعي يقول له شيخُه مسلم بن خالد الزنجي: أفت يا أبا عبد الله، فقد والله آنَ لك أنْ تُفتَّي. وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنةً! وقيل: وهو ابنُ ثمانِ عشرةَ سنةً <sup>(٢)</sup>.

وهذا ابنُ الجوزي ابتدأ التصنيفَ وله من العمر سبعَ عشرةَ سنةً! فلا غرابةَ أن يكون أكثرَ المُصنِّفين في الإسلام، حيث تجاوزَتْ مُصنفاتُه ألفَ مُصنَّفٍ! <sup>(٣)</sup>.

وحفَظُ الوقتِ ثالثُه  
ورابعُه ساهُو الحَرَكَةُ

شروطُ مَنْ تَكُونُ فِيهِ  
وإلا ظَلَلَ فِي الدَّرَكِ

(١) هُمْ كُثُرٌ، قد يتَجاوزُون المائةَ! ولعلَّي أجُدُّ نَسْطَةً فُوْفُرُدُهُمْ في كتابٍ مُستَقْلٍ.

(٢) الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم (٢٠٢ / ٧)، والثقات: لابن حبان (٩ / ٣١).

**عجبية: قال العلامة الكتاني:** «في (فوائح الرحموت شرح مسلم الثبوت) أنَّ الشافعيَّ حفظَ (الموطأً) وهو ابنُ خمسِ!. التراتيب الإدارية (٢٩٧ / ٢).

(٣) قال ابنُ رجب: «قال الإمامُ أبو العباس ابنُ تيمية في أوجوبه المصرية: كان الشيخُ أبو الفرج مُفتياً كثيرَ التصنيفِ والتأليفِ. وله مصنفاتٌ في أمورٍ كثيرةٍ، حتى عَدَّتها فرأيتُها أكثرَ من ألفِ مُصنَّفٍ، ورأيتُ بعدَ ذلكَ له مالِمَ أَرْهَ!». ذيل طبقاتِ المنازلة (٤٨٩ / ٢).

أمّا شيخ الإسلام ابنُ تيمية فقد تأهل للفتوى والتدرис، ولمّا يبلغ العشرين! ومثله تاج الدين السُّبْكِي! وشمس الدين السخاوي! وتوفي القاضي جلال الدين محمدُ ابن القاضي بدر الدين محمد بن مُزَهْر سنة (٨٣٣ هـ) ولم يبلغ العشرين سنة! <sup>(١)</sup>.

وكتب ابنُ الملْقَن بعض مصنفاته ولمّا يبلغ العشرين بعده! <sup>(٢)</sup>. وألف السيوطي ما يقارب ألف كتاب! بعضها في مجلدات كثيرة! <sup>(٣)</sup>، وأول كتاب ألهه كان في شرح الاستعاذه والبسملة، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة! <sup>(٤)</sup>.

وألف كتابه العجائب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» سنة (٨٦٨ هـ) وعمره تسع عشرة! وطالع عليه ما ينفي على ثلاث مئة مجلد! كما ذكر في مقدمته <sup>(٥)</sup>.

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٥/١٦٨).

(٢) ولذا كثُرت مصنفاته حتى قال السيوطي: «أربعة تعاصرها: السراج البُلقيني، والسراج ابنُ الملْقَن، والزین العراقي، والنور الهيثمي، أعلمُهم بالفقه ومداركه: البُلقيني، وأعلمُهم بالحديث ومتونه: العراقي، وأكثرُهم تصنيفاً: ابنُ الملْقَن، وأحفظُهم للمتون: الهيثمي». تدريب الراوي (٢/٩٤٣).

(٣) انظر: دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها: لخازندار الشيباني.

(٤) انظر: حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١١/٣٣٧ و ١١/٣٤٠).

(٥) وممن أله قبلاً العشرين أيضاً:

\* أَحمدُ بْنُ مُحَمَّدَ الْمَعْرُوفَ بْنَ الْمَقَارِ الْحَلَبِيِّ، الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الذَّكِيُّ الْبَارِعُ. أَلَّفَ قَبْلَ أَنْ يَلْعُجَ الْعِشْرِينَ رِسَالَةً فِي مِبَاحِثِ الْإِسْتِعَارَةِ وَبِيَانِ أَقْسَامِهَا وَتَحْقِيقِ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، وَعَرَضَهَا عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ فَقَبِلُوهَا.

**لطيفة:** جاء في ترجمة المذكور أنه رحل إلى الأستانة فاختلط بظرفائها واستعمل المكيفات (!!) فأصيب بعقله، فحمل إلى دمشق مطوقاً بالحديد، فأقام على حاله نحو ثلاثين سنة! وزاره البوريني (المؤرخ الأديب) فلما رأه ابن المنقار عرفه، وكان مقيداً بسلسلة، فأنشد:

إِذْ رَأَيْتَ عَارِضًا مُسْلِسًا  
فِي وَجْنَةٍ كَجِنَّةٍ يَا عَازِلِ  
فَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّا مِنْ أَمَّةٍ  
تُقَادُ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ!

**انظر:** نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (١٩٦/١)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: كلاماً للمحببي (٢٩٦/١)، والأعلام: للزركلي (٢٣٦/١).

\* **ومن المؤخرین:** أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الحضرمي، فقد ألف منظومة «ذرية الناهض إلى علم الفرائض» وعمره ١٨ عاماً! والعجيب أنه نظمها في ليلة واحدة! وقال فيها:

وَعُذْرُ مَنْ لَمْ يَلْغِ الْعِشْرِينَا  
يُقَبِّلُ عِنْدَ النَّاسِ أَجْمَعِينَا!

\* ومنهم محمد بن أحمد الشاطري، له منظومة «اليواقت من فن المواقت» في (٣٦٣) بيتاب.

نَظَمَهَا وَهُوَ فِي الثَّامِنَةِ عَشَرَةِ مِنْ عُمْرِهِ! وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِي خَتَامِ مِنْظُومَتِهِ بِقُولِهِ:  
وَاعْفُ عَنِ الْعُيُوبِ فِيهَا وَاصْفِحِ  
وَإِنْ رَأَيْتَ غَلَطًا فَاصْحِحِ  
فَالْجُبُرُ لِلْكُسْرِ مِنَ الْلَّوَازِمِ  
لَا نَهَا رَأِيكَ لِلْدَّعَائِمِ  
نَاظِمُهُمْ سَاقْصُرُ فِي الْآدَابِ  
لَا نَهَا فِي غَرَّةِ الشَّابِ!  
فَكُنْ لَهُ يَا نَاظِرًا ذَا عُذْرِ  
وَانْشِدْ مَقَالَ ابْنِ الشَّهَابِ الْفَخْرِ  
(وَعُذْرُ مَنْ لَمْ يَلْغِ الْعِشْرِينَا)  
يُقَبِّلُ عِنْدَ النَّاسِ أَجْمَعِينَا!

وَمَمَّا أَعْجَبَنِي مِنْهَا قُولُهُ فِي عَدِّ الشَّهُورِ الْمِيلَادِيَّةِ الْمُسِيحِيَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ:

وكان للإمام النووي في كل يوم اثنا عشر درساً في ثمانية فنون<sup>(١)</sup>.  
**وقال جمال الدين الطیماني** عن عز الدين بن جماعة: «إنه كان يقرأ عليه، ويسمع دروسه، وكان إذ ذاك نحو خمسين درساً في اليوم والليلة في دقائق العلوم!!»<sup>(٢)</sup>.

يَنَسَّاِيرُ، فِبْرَاِيرُ، فَمَارِتُ  
 إِبِرِيلُ، مَيُّ، جُونُ، فُجُولِي ثَابِتُ

أَكْتُوِيرُ، نُوْفَمْبَرُ، دِيَسْمَبْرُ  
 أَقْسِتُسُ، وَيَعْدَدُ سِبْتَمْبَرُ

فَهَذِهِ أَشْهُرُهُمْ إِثْنَا عَشَرُ  
 جَاءَتْ بِتَرتِيبٍ وَنَظَمٍ مُختَصَرٍ

\* **وَمِنْ عَجَبِ** أَنَّ شَهَابَ الدِّينِ الْأَلوَسِيَّ - صَاحِبِ التَّفْسِيرِ الشَّهِيرِ «رُوحُ الْمَعْانِي» - أَلْفَ حاشيةً عَلَى «شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى» وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشَرَةَ سَنَةً !!  
 كَمَا أَلْفَ «حَاشِيَّةً عَلَى ابْنِ عَصَامٍ» فِي الْاسْتِعَارَةِ سَمَاهَا «بِلُوغِ الْمَرَامِ» وَهُوَ ابْنُ سَتَّ عَشَرَةَ سَنَةً !!

وَشَرَحَ «سُلْطَمُ الْمَنْطَقِ» وَهُوَ ابْنُ تَسْعَ عَشَرَةَ سَنَةً ! انظر: الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ: لِمُحَمَّدِ شَكْرِي (ص/٧٦).

\* **وَأَعْجَبُ مِنْهُ بِمِقَاوِزِ** مَا جَاءَ فِي كِتَابِ التَّرَاتِيبِ الإِدارِيَّةِ (٢٩٧/٢) لِلْبَحَاثَةِ الْكَتَانِيِّ، قَالَ: «مِنْ الغَرِيبِ، مَا رَأَيْتُهُ فِي «حَاشِيَّةِ الصِّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْمَلَوِيِّ عَلَى السُّلْطَمِ» أَنَّ ابْنَ مَرْزُوقَ نَظَمَ جُمَلَ الْخُونِجِيَّ وَهُوَ ابْنُ سَتَّ سِنِينَ !! كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي نَظَمِهِ. وَبَعْضُهُمْ ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ الْحَاجِبِ».

**قَلْتُ:** يُشَيرُ إِلَى قَوْلِ النَّاظِمِ فِيهَا:

وَإِنْ تَرَئَ تَصْصِيرَهِ يُحَمِّلُ  
 فَلَابِنِ نَحْوِ السَّتَّ عَذْرٌ يَقْبَلُ !

(١) انظر: تذكرة الحفاظ: للذهبي (٤/١٧٤)، وطبقات الشافعيين: لابن كثير (ص/٩١٠)، وفوات الوفيات: للكتبي (٤/٢٦٥).

(٢) طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة (٤/٥٠).

**وقال ابنُ الأخضر الحافظُ:** «سمعتُ أباً محمدَ بنَ الخشَّابَ يقولُ: إني مُتقنٌ في ثمانية علومٍ، ما يسألني أحدٌ عن عِلْمٍ منها، ولا أجده لها أهلاً!»<sup>(١)</sup>. ولما وصلَ الشِّيخُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدِ المغربيِّ (ت ٦٦٩ هـ) بِغَدَادَ، ألقى عَلَيْهِ بعْضُ عَلَمَائِهَا مَسَأْلَةَ بَيْوَ الآجَالِ فَقَالَ: أَذْكُرُ فِيهَا ثَمَانِينَ أَلْفَ وَجَهٍ!! فَاسْتَغْرِبَ فَقَهَاءُ بِغَدَادَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَرَعَ يَسِرُّهُمْ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ انتَهِيَ إِلَى مَائِتَيْ وَجَهٍ، فَاسْتَطَالُوهَا، وَأَضْرَبُوا عَنْ سَمَاعِهَا، وَاعْتَرَفُوا بِفَضْلِ الشِّيخِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

**فَمَتَى طَلَبَ هُؤُلَاءِ الْعِلْمَ؟!** وكيف استطاعوا أن يحتווوا هذه العلوم والمعارف في زمِنٍ وجِيزٍ؟ حتى كانوا كما قال شِيخُ كَتَبَةِ الْعَصْرِ؛ الرافعِيُّ: «كَانُوا عُصِرَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنَ الْفُنُونِ عَصْرًا، وَكَانَ فِي الْوَاحِدِ مِنْهُمْ رُوحٌ مَكْتَبَةٌ كُبِرَى!»<sup>(٣)</sup>.

ثم ما هي تلك المنهاجُ التي أوصلتهم إلى هذه المكانة العلمية العالية؟

-٨-

**إِنِّي مِنْ خَلَلِ قِرَاءَاتِي** في كتبِ الْعُلَمَاءِ، وَتَتَبَعِي لِمَنَاهِجِهِمْ، وَأَنْمَاطِ حَيَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ<sup>(٤)</sup>، وَجَدْتُ أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ ثَلَاثَةِ أَنْمَاطٍ:

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٤٧).

(٢) الديباج المذهب: لابن فرنجون (١/٤٤٨).

(٣) تحت راية القرآن (ص/١٤).

(٤) وقد ساعدني على ذلك كثيراً، القراءةُ الواسعةُ في تراجمِ الْعُلَمَاءِ وَسِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ. وهذا مما أوصي الباحثينَ بالاهتمام به؛ فإنَّ تراجمَ الْعُلَمَاءِ تَمُدُّ القارئَ بِمَنَاهِجِ عِلْمِيَّةِ دَقِيقَةٍ،

١/ النَّمَطُ الْعِلْمِيُّ.

٢/ النَّمَطُ السُّلُوكِيُّ.

٣/ النَّمَطُ الْمَعِيشِيُّ.

فقد كانوا يهتمون بالزمان والمكان والحركة والغذاء ونحوها؛ ليساعدهم ذلك على حفظ العلم، وهضم مسائله.

وسوف أتناولُ في هذا الكتاب بشيءٍ من البساطِ: **النمط العلمي** فحسب<sup>(١)</sup>.

-٩-

**ولا يخفى على الليب الفطن**، أنَّ هذا الموضوع متشعبُ العناصر، مترامي الأطراف، كثُرُ الجُزئيات، مادُه متشربةً في بطون الكتب والأسفار. ومن ثمَّ صار

وأصولٍ وقواعدٍ عميقةٍ، قد لا يجدُها الباحثُ في كُتبِ العلمِ نفسه!

(١) أما النَّمَطُ السُّلُوكِيُّ فقد أشبع العلماءُ الكلامَ عليه في كتبِ أدبِ الطلبِ، مثل:

١- «أُخْلَاقُ الْعُلَمَاءِ»: للآجْرَيِّ.

٢- «الجامع لأُخْلَاقِ الرَّاوِيِّ وآدَابِ السَّامِعِ»: للخطيب البغدادي.

٣- «اقضاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلِ» له أيضًا.

٤- «جامع بيانِ الْعِلْمِ وفضله»: لابن عبد البر، وهو من أجمعها.

٥- «تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقُ التَّعْلِيمِ»: للزَّرْنُوْجي.

٦- «ذَمُّ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ»: لابن عساكر.

٧- «تذكرة السامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ في أدبِ العالمِ والمُتَعَلِّمِ»: لابن جماعة.

٨- «حلية طالبِ الْعِلْمِ»: لبكر أبو زيد.

وغيرُها كثيرٌ.

وسوف أعالجُ ذلك في كتبِ لاحقةٍ بحولِ اللهِ وقوَّتهِ.

وأما النَّمَطُ الْمَعِيشِيُّ فقد تحدَّثُ عنه بشيءٍ من التفصيل في كتابي «الإبداعُ العلمي» فَرَهْ إِن شئتَ غيرَ مأمورٍ.

الكلامُ في مثل هذا اللون من المواقف عَسِرَ المأخذ، بعيدَ المرام، كثيرَ الْكُلْفَة؛ لأنَّه يُحُوجُ إلى تفصيشهِ كثیرٌ، وتقميشهِ واسعٌ، وتأمُّلٌ طويلاً. لكنَّ طالبَ العلم جديرٌ بأنْ يُيذَّلَ في سبيلِ إفادتهِ الغالي والنفيسُ، ويُضْحَى من أجلِه بالوقت والجهد، مادامَ أنه طالبٌ علمٍ!

**من هنا رأيتُ أنْ أَدْلِي بِدَلْوِي في هذا الموضوع المهم<sup>(١)</sup>**، وذلك بتأليفِ هذا الكتابِ، الذي وَضَعْتُ بذرته الأولى قبلَ أكثرَ من رُبْعِ قَرْنٍ من الزمان! ثمَّ «لم أَزْلَ عَلَى فَارِطِ الْحَالِ، وَتَقَادُمِ الْوَقْتِ، مُلَا حِظًا لِهِ، عَاكِفًا لِفِكْرِهِ، مُنْجِذِبًا لِرَأِيِّ الرَّوِيَّةِ إِلَيْهِ، وَادَّاً أَنْ أَجِدَ مُهْمَالًا أَصِلُّهُ بِهِ، أوْ خَلَلًا أَرْتَقُهُ بِعَمَلِهِ، وَالْوَقْتُ يَزِدُّ بِنَوَادِيهِ ضِيقًا، وَلَا يَنْهُجُ لِي إِلَى الابتداءِ طرِيقًا. هذا مع إِعْظَامِي لِهِ، وَإِعْصَامِي بِالْأَسْبَابِ الْمُتَنَاهِّةِ بِهِ»<sup>(٢)</sup>، حتَّى مَنَّ اللَّهُ بِإِتَّمَامِهِ، وأَعْانَ عَلَى إِحْكَامِهِ. وَمَعَ هَذَا؛ فَإِنِّي لَا أَعُدُّهُ إِلَّا «عُلَالَةً مِنْ بُلَالَةٍ، وَسُلَالَةً مِنْ زُلَالَةٍ. وَنُغْبَةً مِنْ دَأْمَاءٍ، وَتُرْبَةً مِنْ يَهْمَاءً»<sup>(٣)</sup>.

**رجَّاً أَنْ يُسْهِمَ** - ولو بشيءٍ يُسِيرٍ - في إمدادِ الحركة العلمية بما ينفعُ، وأنْ يكون له حَظٌّ من قولِ الحافظ ابن حجر عن كتاب (علوم الحديث)

**(١) إِيقاظٌ:** يقولون: أَمْرٌ هَامٌ، وَلَا يَهْمُنَا هَذَا - بفتح ياء المضارع - وقد هَمَّهُ الْأَمْرُ! وكلُّ ذلك خطأً.

**والصوابُ:** أَمْرٌ مُهِمٌ، وقد أَهَمَّهُ الْأَمْرُ، وَلَا يَهْمُنَا - بضم ياء المضارع -. لجام الأقلام: لأبي تراب الظاهري (ص/٢١٨).

**(٢)** من كلام ابن جيني في مقدمة كتابه: الخصائص (١/١).

**(٣)** من كلام أبي حيان الأندلسي في مقدمة كتابه: التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (٩/١).

لابن الصَّلاح: «فاجتمعَ في كتابه ما تفرقَ في غيرِه، فلهذا عكفَ الناسُ عليه وساروا بسَيرِه»<sup>(١)</sup>.

وقد جعلته في ثلاثة فصولٍ:

- الفصلُ الأولُ: أقسامُ العلومِ.

- الفصلُ الثاني: طُرُقُ تحصيلِ العلمِ، وفيه ثلاثةٌ مباحثٌ:

المبحثُ الأولُ: طریقُ الحِفْظِ.

المبحثُ الثاني: طریقُ الفَهْمِ.

المبحثُ الثالث: طریقُ المطالعةِ.

- الفصلُ الثالثُ: أَخَائِرُ الذَّخَائِرِ، وَمَنَائِحُ النَّصَائِحِ.

وقد كنتُ همتُ أنْ أسمِيَه «التأصيل»، لقواعدِ التعلُّمِ وطرائقِ التحصيل»، لكنْ عدلتُ عن ذلك إلى: «التأصيل العلمي»؛ لأنَّه أَيْسَرُ وأَسَيْرُ.

وهذا الكتابُ هو حلقةٌ من سلسلةٍ سَمَّيْتها: (التأصيل العلمي)، هذا أولُها، وثانيها كتابُ (الإبداع العلمي)، وسوف يتلوهُما - إن شاء الله تعالى - كتبُ أخرى؛ أتَمْمُ فيها الكلامَ على قضايا العلم وقواعده.

- ١٠ -

**وختاماً:** فإنني أحمدُ اللهَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وأشكرُهُ، أولاً وآخرًا، ظاهراً وباطناً، على حُسْنِ توقيقه وتسديده.

ثم أشكرُ الشِّيخَ الدِّكتُورَ / أَحْمَدَ بْنَ عَلَيٍ الْحُذَيفِي - وَفَقَهَ اللهُ - على ملحوظاته القيمة التي أتحفني بها إبانَ قِراءَتِه مُسَوَّدةَ الكتابِ.

(١) نزهة النظر (ص / ٤٠).

راجياً ممّن وقف على خَلَلٍ أو زَلْلٍ في هذا الكتاب، أن يتمسّ لي العذر،  
وأن يتفضّل بتّنبيهِي على بَرِيدِي الشَّبَكِي، مُذكّراً إِيَاه بِقول الناظم:  
وَمَنْ رَأَى الْخَلَلَ أَصْلَحَ الْخَلَلَ فَقَلَّمَا يَنْجُو امْرُؤٌ مِّنَ الزَّلْلِ  
وللْجَوَادِ فِي الرِّهَانِ كَبُوَّةٌ وللْحُسَامِ فِي الْقِرَاعِ نَبْوَةٌ<sup>(١)</sup>  
لَا أَنْ يُفْوَقَ حَوْيِ سِهَامَ الْجَرْحِ، وَيُبَادِرَ إِلَى قَرْعِ أَجْرَاسِ الثَّلْبِ وَالْقَدْحِ!  
فَالنَّاسُ لَمْ يُصَنَّفُوا فِي الْعِلْمِ لَكَيْ يَصِيرُوا هَدْفًا لِلْذَّمِّ!  
مَا صَنَّفُوا إِلَّا رَجَاءَ الْأَجْرِ  
وَالدَّعَوَاتِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ  
لَكِنْ فَدَيْتُ جَسَداً بِلَا حَسْدٍ  
وَلَا يُضِيعُ اللَّهُ حَقّاً لِلْأَحَدِ  
وَاللَّهُ عِنْدَهُ قَوْلٌ كُلُّ قَائِلٍ  
وَآخِرُ دُعَوانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.<sup>(٢)</sup>

### كتاب وكتب

أَحْمَدُ بْنُ عَلَيٍّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَرْنَيِّ  
مِنْ مَأْرِزِ الإِيمَانِ طَابَة،  
فِي غُرَّةِ شَهْرِ جَمَادِيِّ الْآخِرِ مِنْ عَامِ ١٤٤٠ هـ  
[Dal1388@gmail.com](mailto:Dal1388@gmail.com)

(١) نظم مجده العوافي: لمحمد بن عبدالله العلواني (ص / ٣).

(٢) الألفية الوردية في علم تعبير الرؤى والمنام: لابن الوردي (ص / ١٤٧).

أَوْ سَامِعًا، فَالْعِلْمُ ثُوبٌ فَخَارِ  
فَالْحُرُّ مُطَلِّعٌ عَلَى الْأَسْرَارِ  
مُلْحُ الْفُنُونِ وَرِقَّةُ الْأَشْعَارِ  
لَمْ يَعْمَلُوا شَجَرٌ بِلَا أَثْمَارِ  
وَيَحْلُّ مُبِغْضُهُمْ بِدَارِ بَوَارِ  
فَضْلٍ، أَمِ الظَّلَمَاءُ كَالْأَنْوَارِ؟

كُنْ عَالَمًا فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّمًا  
مِنْ كُلِّ فَنٍّ حُذْ وَلَا تَجَهَّلْ بِهِ  
قِيمُ الْوَرَى مَا يُحِسِّنُونَ وَزَيَّنُهُمْ  
فَاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَ فَالْعُلَمَاءُ إِنْ  
قَدْ يَشْفَعُ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ لِأَهْلِهِ  
هَلْ يَسْتَوِي الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ فِي

ابن الوردي

الفصل الأول

أقسام العلوم

## الفصل الأول

### أقسام العلوم

من خلال النظر في العلوم وأنواعها، نجد أنَّ العلوم عند الأمة الإسلامية لا تخرج عن ثلاثة أقسام رئيسيةٍ:

١ - علوم المقاصد.

٢ - علوم الوسائل.

٣ - العلوم المساعدة.

**القسم الأول: علوم المقاصد أو (الغاية).**

وهذه تدور على ثلاثة علوم، لا رابع لها، هي:

١ - العقيدة: وتسمى الفقة الأكبر، وعلم أصول الدين، لأهميتها.

٢ - الفقه: ويُراد به - في اصطلاح المتأخرين - علم الأحكام العملية، من طهارةٍ وصلاوةٍ وزكاةٍ وشبيهها، ويُلحق به: المعاملاتُ، والأنكحةُ، والجناياتُ، ونحوها<sup>(١)</sup>.

**(١) إلماعة:** مَدحَ كثيرٌ من العلماء عِلْمَ الفقه، وأوصوا بالاستثمار منه، فمن ذلك قوله ابن الوردي:

يَقْصُرُ، فَابْدأْنَاهُ بِالْأَهْمَّ  
وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِ كُلِّ عِلْمٍ

مَا لَا غَنِيَّ فِي كُلِّ حَالٍ عَنْهُ  
وَذَلِكَ الْفَقَهُ؛ فَإِنَّ مِنْهُ

وقال غيره:

فِعْلَمُ الْفَقِيهِ أَوْلَى بِاعْتِزَازٍ  
إِذَا مَا اعْتَرَضَ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ  
وَكُمْ طِيرٌ يَطِيرُ وَلَا كَمْسِكٌ  
فَكُمْ طِيرٌ يَفْسُوحُ وَلَا كَمْسِكٌ

وقال غيره:

مَنْ يَدْرِسِ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَارِخُهُ  
الْفَقِيهُ أَنْفُسُ شَيْءٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ  
فَأَوْلُ الْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرُهُ  
فَاكْسِبْ لِنفْسَكَ مَا أَصْبَحَتْ تَجْهِيلُهُ

وقال غيره:

وَتَزَهَّوْ فِي الْمَحَافِلِ بِالْكَمَالِ  
تَفَقَّهُ، تَسْتَطِيلُ عَلَى الرِّجَالِ  
فَحَالُ الْفَقِيهِ يَعْلُو كُلَّ حَالٍ  
إِذَا وَقَعَ الْقِيَاسُ بِكُلِّ عِلْمٍ  
أَنَافَ بِرَأْسِهِ تَاجُ الْجَمَالِ  
وَمَنْ طَلَبَ التَّفَقُّهَ وَانْتَهَاهُ

وقال غيره:

إِنَّمَا الْعِلْمُ بِحُورٍ زَاخِرَةٍ  
غَايَةُ الْعِلْمِ بِعِيدُ دُغُورُهَا  
شَرْفَ الدُّنْيَا وَعِزَّ الْآخِرَةِ  
فَعَلَيْكَ الْفِقْهَ مِنْهُ يَحْتَوِي

انظر ما تقدم في: تعلم المتعلم طريق التعلم: للزرنوجي (ص/٦٥)، وخطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول: لأبي شامة (ص/٦٢)، ونشر طي التعريف، في فضل حملة العلم الشرييف، والرد على ما قيلهم السخيف: للوصابي (ص/١٩٩)، والمعيد في أدب المفيد والمستفيد: للعلموي (ص/٥٠)، ورحلة الشتاء والصيف: لكبريت الحسيني (ص/٩٣)، وردد المختار: لابن عابدين (٤٢/١).

**لطيفة: قالوا:** الفقيه زرعة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسقاها علقة، وخصده إبراهيم النخعي، وداسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجننه أبو يوسف، وخجزه محمد (بن الحسن)، فسائل الناس يأكلون من خجزه، وقد نظمه بعضهم فقال:

**٣- الآداب**: والمراد بها الآداب الشرعية. وتنقسم إلى قسمين:

**أ- آداب الظاهر**، وتنقسم إلى قسمين:

**١/ آداب العبادات**: كآداب قراءة القرآن، وآداب طلب العلم، وآداب

السلام، ونحو ذلك.

**٢/ آداب العادات**: كآداب الطعام، وآداب الزيارة، وآداب النوم، وآداب

المزاح، ونحو ذلك.

**ب- آداب الباطن**: وهي ما تُعرَفُ بأعمال القلوب. كالإخلاص، والخشية،

والحبّ، ونحوها.

وهذه العلوم الثلاثة جملتها ترجع إلى علمٍ واحدٍ هو الفقه في الدين،

وهو المراد بقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>؛

لأنَّ الفقه عند السلف يشمل ثلاثة أشياء، هي: فقه الاعتقاد، وفقه العباداتِ

والمعاملاتِ وما إليها، وفقه النفسِ وأعمالِ القلوب<sup>(٢)</sup>.

الفقهُ زَرْعُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وعلقمةٌ حَصَادُهُ، ثَمَ إِبْرَاهِيمُ دَوَاسُ

نَعْمَانُ طَاحِنُهُ، يَعْقُوبُ عَاجِنُهُ مُحَمَّدُ خَابُزُ، وَالْأَكْلُ النَّاسُ!

رد المحتار: لابن عابدين (٤٩/١).

وفي تفاوتٍ بين الشر والنظام!

(١) آخر جه البخاري في صحيحه (١/٢٥) برقم (٧١)، ومسلم في صحيحه (٢/٧١٨) برقم (١٠٣٧).

(٢) هذه هي العلوم على وجه التحقيق، وهي أفضل العلوم وأكملها وأعلاها شأنًا في الدنيا والآخرة، فهنيئًا لمن تعلمها وعمل بها وعلمها، فكم له في ذلك من الأجر والثواب. والله در

فإذا قالوا في ترجمة أحد السلف المتقدمين: كان فلان فقيهاً، فالمراد مجموع العناصر الثلاثة السابقة<sup>(١)</sup>، وليس الفقه بمفهومه عند المتأخرین<sup>(٢)</sup>. ولتسهيل حفظها، قلتُ:

الشهاب المنصوري حيث يقول:

لَا تَجْنَحْ لِعِلْمٍ لَا تَوَابَ لَهُ  
وَاجْنَحْ لِمَا فِيهِ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ  
إِنَّ الْعُلُومَ ثِمَارٌ فَاجْنِ أَحْسَنَهَا  
وَأَحْسَنُ الْعِلْمِ مَا يَهْدِي إِلَى الدِّينِ

نظم العقيان في أعيان الأعيان: للسيوطى (ص/٨٣).

(١) ومنه قول محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله فيما نسب إليه:

تَفَقَّهَ، فَإِنَّ الْفِقَهَ أَفْضُلُ قَائِدٍ  
إِلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَعْدُلُ قَاصِدٍ  
وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً  
مِنَ الْفِقَهِ، وَاسْبُحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ  
فَإِنَّ فَقِيهًَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا  
أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ  
هُوَ الْحَسْنُ يُنْجِي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ  
هُوَ الْعَلَمُ الْهَادِي إِلَى سُنَنِ الْهَدَى

وقال آخر:

وَخَيْرُ عِلَومِ عِلْمٍ فَقِيهٌ لَأَنَّهُ  
يَكُونُ إِلَى كُلِّ الْعِلَومِ تَوْسِلاً  
فَإِنَّ فَقِيهًَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا

**انظر:** تعليم المتعلم طريق التعلم: للزرنوجي (ص/٣١)، ونشر طي التعریف: للوصابي (ص/١٩٩)، والمعید في أدب المفید والمستفید: للعلموی (ص/٤٧)، والدر المختار: للحصافکی (ص/١١) ورد المختار: لابن عابدین (٤٢/١).

**(٢) وانظر:** شرح الحديث الحادی عشر من کتاب: «بهجة قلوب الأبرار» للشيخ: عبد الرحمن السعدي (ص/٤٦) طبعة مكتبة دار المناهج.

## مقاصد العلم لدى أهله: عقيدة، فقه، وأدب فشّم الساعَد في نَيْلِهَا فصَاحِبُ الْهَمَةِ وَثَابُ

**تنوير:** هناك طریقتان لمن أراد دراسة علوم المقاصد، هما:

- ١ - طریقة الدلائل.
- ٢ - طریقة المسائل.

**أما الطريقة الأولى** - طریقة الدلائل -: فهي أن يعمد الطالب إلى دراسة هذه العلوم عن طريق حفظ دراسة المتون التي جمعت أدلة ذلك العلم من الكتاب، أو من السنة، أو منها معاً، مع الأخذ في الحسبان مستوى الدارسين، إن كانوا من المبتدئين، أم من المتوسطين، أم من المتهرين؛ لأن لكل مستوى متوناً تتناسب به.

**ففي العقيدة:** هناك مثلاً كتاب التوحيد من صحيح البخاري مع شرحه للعلامة عبد الله الغنيمان.

و«كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب.  
وكتاب «بلغ السعادة من أدلة توحيد العبادة» للشيخ صلاح البدير، وهو متنٌ نفيسٌ.

وكتاب «جامع الأحاديث الصحيحة في العقيدة» للشيخ ممدوح الحربي.  
وغيرها.

**وفي الفقه:** هناك كتاب «عمدة الأحكام» للمقدسي. وكتاب «المحرر في الحديث» لابن عبد الهادي. وكتاب «بلغ المرام» لابن حجر. وكتاب

«منتقى الأخبار» لمجاد الدين ابن تيمية، وهو أحسنها وأجمعها.  
وغيرها.

**وفي الآداب:** هناك كتاب «رياض الصالحين» للنحوبي. وكتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري، وهو أعظم كتاب في هذا الباب.  
وغيرها.

**والطريقة الثانية** - طريقة المسائل - : وهي أن يدرس الطالب هذه العلوم عن طريق دراسة كتب مسائل كل علم، منظومة أو منتورةً، مع ملاحظة ما تقدم التنبية عليه في الطريقة الأولى من مراعاة مستوى الدارسين.

**ففي العقيدة:** هناك مثلاً: كتاب «العقيدة الطحاوية» للطحاوي. و«لمعة الاعتقاد» لابن قدامة. و«العقيدة الواسطية» لابن تيمية. و«القواعد المثلثة» للعثيمين.  
وغيرها.

**وفي الفقه:** هناك المختصرات الفقهية المعروفة.  
**وفي الآداب:** هناك بعض المتون المنظومة فيها، وستأتي في محلها.  
وانظر بقية الكلام على هذا في مبحث: «أشهر المنظومات في العلوم والفنون».

### القسم الثاني: علوم الوسائل أو (الألة).

هي العلوم أو الفنون التي يتوصل بها إلى علوم المقاصد والغاية، فهي وسيلة إليها. وذلك كعلم: النحو، والصرف، والتجويد، وأصول الفقه، وأصول التفسير، ومصطلح الحديث، والمعاني، والبيان.... ونحوها.

وهي كثيرة، لكنَّ أصولها ثلاثة: مصطلحُ الحديث، والنحو، وأصولُ الفقه. على هذا النَّسقِ.

ذلك لأنَّ أيَّ نصٍ أو خبرٍ يُحتاجُ فيه إلى هذه العلوم الثلاثة، فالمصطلحُ: لمعرفة صحة النصّ أولاً، والنحوُ: لضبط النصّ وفهمه ثانياً<sup>(١)</sup>، وأصولُ الفقه: لمعرفة كيفية الاستنباط من النصّ ثالثاً<sup>(٢)</sup>.

أمَّا مَا سوَى ذلك من علوم الآلة ف فهي علومٌ تكميليةٌ، ومنها ما له تعلُّق بجمال النصّ وتحسينه ليس إلَّا، كعلم: البيان، والبديع، وما شابه.

(١) **تبنيه:** قد يُحتاجُ لعلم (متن اللغة) لفهم مفردات النصّ إذا كانت من الغريب، وذلك يُسبِّبُ علم النحو الذي مهمته فهمُ مرَكَّباتِ الكلام، لكنَّ الحاجةَ لعلم (متن اللغة) ليست على وجه الدوام كما هو الحالُ في علم النحو.

ولذا قال ابنُ خلدون بعد أن ذكر أهمَّ علوم اللغة: «والذي يتحصلُّ أنَّ الأهمَّ المقدَّمَ منها هو النحو، إذ به يتبيَّنُ أصولُ المقاصد بالدلالة، فُيعرف الفاعلُ من المفعول والمبدأُ من الخبر، ولو لا جهلُ أصلِ الإفادةِ.

وكان من حقِّ علم اللغة التقدُّمُ، لو لا أنَّ أكثرَ الأوضاع باقيةً في موضوعاتها لم تتغيَّر، بخلاف الإعراب الدالُّ على الإسناد والمسند وإليه، فإنه تغَيَّر بالجملة ولم يبق له أثرٌ. فلذلك كان علمُ النحو أهمَّ من اللغة، إذ في جهله الإخلالُ بالتفاهم جملةً، ولن يست ذلك اللغة». المقدمة (ص / ٦٢٤).

(٢) قال العلامةُ المحدثُ أبو إسحاق الحويني عن عِلمِي أصولُ الحديث وأصولُ الفقه: «والله! لا أشططُ إذا قلتُ: إنِّي أبصرتُ بعد العمى لِمَا درَستُ هذينَ العلَمينِ الجليلينِ، وأقرُّ هنا أنَّ الجاهلَ بهذينِ العلَمينِ لا يكونُ عالماً مهما حفِظَ من كتب الفروع؛ لأنَّ تقريرَ الحقِّ في موارد النزاع لا يكونُ إلَّا بما، فعلُمُ الحديثُ يُصْحِّحُ لكَ الدليلَ، وعلُمُ أصولُ الفقه يُسَدِّدُ لكَ الفهمَ، فهما كجناحي الطائر». تبنيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأمجاد (١٣ / ١).

### القسم الثالث: العلوم المساعدة.

هذا القسم يدخل فيه بقية العلوم والفنون المنتشرة، التي يمكن أن يستفاد منها في مساندة القسمين السابقين، كالعروض، والحساب، والفلك، والهندسة، والطب.... وغيرها<sup>(١)</sup>.

#### (١) وهناك تقسيمات أخرى للعلوم باعتبار آخر:

- **قال الإمام الشافعي**: «إنما العلم علمان: علم الدين، وعلم الدنيا، فالعلم الذي للدين هو: الفقه، والعلم الذي للدنيا هو: الطب. وما سوى ذلك من الشعر ونحوه، فهو عناء وعث». وفي لفظ: «وما سوى ذلك فبلغة مجلس».

**آداب الشافعي ومناقبه**: للرازي (ص/٤٢٤)، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/١١٤) **وانظر** شرح مقوله الشافعي فيه.

- **وقال يحيى بن عمار السجستاني** (ت ٤٢٢ هـ): «العلوم خمسة: فعلم هو حياء الدين: وهو علم التوحيد. وعلم هو غذاء الدين: وهو علم التذكرة بمعانٍ القرآن والحديث. وعلم هو دواء الدين: وهو علم الفتوى، إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها، كما قال ابن مسعود.

وعلم هو داء الدين: وهو الكلام المحدث. وعلم هو هلاك الدين: وهو علم السحر ونحوه». أمراض القلوب وشفاؤها (ص/٣١) لابن تيمية، وهو في مجموع الفتاوى (١٠/١٤٥).

- **وقال الغزالى** (ت ٥٥٥ هـ): «العلوم ثلاثة:

**عقلٌ محض**: لا يحث الشرع عليه، ولا ينذر إليه، كالحساب والهندسة والنجوم وأمثاله من العلوم، فهي بين ظنون كاذبة لائقه؛ وإن بعض الظن إثم. وبين علوم صادقة لا منفعة لها، ونوعذ بالله من علم لا ينفع. ولديست المنفعة في الشهوات الحاضرة والنعم الفاخرة، فإنها فانية دائرة، بل النفع ثواب دار الآخرة.

**ونقلٌ محض**: كالاحاديث، والتفاسير، والخطب في أمثالها يسير؛ إذ يستوي في الاستقلال بها الصغير والكبير؛ لأن قوة الحفظ كافية في النقل، وليس فيها مجال للعقل.

**إيقاظ:** لِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ: فَأَيْنَ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ؟ أَلَيْسْ مِنْ عِلْمِ الْمَقَاصِدِ؟  
فَإِنَّا لَمْ نَرَ لَهَا ذِكْرًا فِي هَذَا التَّقْسِيمِ!

**والجواب:** الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ لَا تَدْخُلُ فِي هَذَا التَّقْسِيمِ؛ لَأَنَّهَا مَصَادِرٌ، فَهِيَ مَصَادِرٌ عِلْمِ الْمَقَاصِدِ كُلُّهَا، تُؤْخَذُ مِنْهَا تَلْكُ الْعِلْمُونَ، وَتَصْدُرُ عَنْهَا.

فَنَصْوَصُ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، إِمَّا أَنْ يُسْتَبَطَ مِنْهَا حُكْمٌ عَقْدِيٌّ، أَوْ حُكْمٌ فَقِيهِيٌّ، أَوْ أَدْبُ شَرْعِيٌّ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ.

وَلَهُذَا فَإِنَّكَ لَوْ نَظَرَتَ فِي أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ أَوْ شُرُوحِ الْأَحَادِيثِ، لَمْ تَجِدْهَا تَخْرُجُ غَالِبًا عَنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ.

**تفريع:** فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: تَحْتَ أَيِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ تَنْدَرِجُ السِّيرَةُ النَّبِيَّةُ؟

---

**وأشرف العلوم:** مَا ازدوج فِيهِ الْعُقْلُ وَالسَّمْعُ، وَاصْطَحَبَ فِيهِ الرَّأْيُ وَالشَّرْعُ. وَعِلْمُ الْفَقِهِ وَأَصْوَلُهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلَ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ صَفْوِ الشَّرْعِ وَالْعُقْلِ سَوَاءً السَّبِيلِ. فَلَا هُوَ تَصْرُفُ بِمَحْضِ الْعُقُولِ، بِحِيثُ لَا يَتَلَقَّاهُ الشَّرْعُ بِالْقَبُولِ. وَلَا هُوَ مَبْنَى عَلَى مَحْضِ التَّقْلِيدِ، الَّذِي لَا يَشَهِدُ لِهِ الْعُقْلُ بِالْتَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ». الْمُسْتَصْفِي (١/٣).

- **وقال بعض الحكماء:** «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: عِلْمٌ يَرْفَعُ، وَعِلْمٌ يَنْفَعُ، وَعِلْمٌ يُزَيِّنُ». الرَّافِعُ الْفَقِهُ، وَالنَّافِعُ الْطَّبُّ، وَالْمَزِينُ الْأَدْبُ». الْبَصَائرُ وَالذَّخَائِرُ: لِلتَّوْحِيدِي (٩/١٣٤).

- **وقيل:** الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: عِلْمٌ نَضْجٌ وَمَا احْتَرَقَ، وَهُوَ عِلْمُ النَّحْوِ وَالْأَصْوَلِ. وَعِلْمٌ لَا نَضْجٌ وَلَا احْتَرَقَ، وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ وَالْتَفْسِيرِ. وَعِلْمٌ نَضْجٌ وَاحْتَرَقَ، وَهُوَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَالْفَقِهِ.

حاشية رَدِّ الْمُحْتَارِ عَلَى الدَّرَرِ الْمُخْتَارِ: لَابْنِ عَابِدِينِ (١/٤٩).

- **وهناك** مَنْ يُقْسِمُهَا إِلَى: عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ، وَعِلْمٌ مُكْتَسَبٌ.

- وَمَنْ يُقْسِمُهَا إِلَى: عِلْمٌ نَافِعٌ، وَعِلْمٌ ضَارٌّ.

- وَمَنْ يُقْسِمُهَا إِلَى: عِلْمٌ إِنْسَانِيٌّ، وَعِلْمٌ كَوْنِيٌّ.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّقْسِيمَاتِ الاجْتِهادِيَّةِ، وَاخْتِلاَفِهِمْ فِي الْعِبَاراتِ لِإِخْتِلَافِ الاعتباراتِ.

وَقَدْ اسْقَصَيْتُ تَلْكُ التَّقْسِيمَاتِ فِي كِتَابِي: «رِياضُ النُّهُومِ فِي أَقْسَامِ الْعِلْمِ».

## فالجوابُ المُرتَضَى عندِي أَنَّ السِّيرَةَ تُنقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١ - قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْجَانِبِ الشَّخْصِيِّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَهَذَا الْقِسْمُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ السَّنَّةِ النَّبُوَّيَّةِ بِلَا رَيْبٍ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ عَرَفُوا السَّنَّةَ بِأَنَّهَا أَقْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالُهُ وَتَقْرِيرَاتُهُ... إِلَخُ، وَهَذَا مِنْ أَفْعَالِهِ.

فَعَلَى هَذَا يُشَرَّطُ فِي هَذَا الْقِسْمِ مَا يُشَرَّطُ فِي نُصُوصِ السَّنَّةِ النَّبُوَّيَّةِ مِنْ حِثْ صِحَّةِ الْإِسْنَادِ وَالْمُتَنَّ.

٢ - وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْجَانِبِ التَّارِيْخِيِّ، مُثُلُّ وَصَفِّ الْأَماْكِنِ الَّتِي مَرَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي أَسْفَارِهِ، أَوْ وَصَفُّ أَحْوَالِ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاصَّهَا، وَمَكَانِهَا، وَزَمَانِهَا، وَعَدَدِ الْجَيْشِ وَعَتَادِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا الْقِسْمُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ عِلْمِ التَّارِيْخِ، وَيُسَامِحُ فِي رُوَايَاتِهِ وَرُوَايَاتِهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَتَرَبَّ عَلَى بَعْضِ ذَلِكَ أَحْكَامٍ شَرِيعِيَّةٍ، فَتُلْحَقُ حِينَئِذٍ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ.

وَلَذَا قَبْلَ الْعُلَمَاءِ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ فِي السَّيِّرِ وَالْمَغَازِيِّ، مَعَ أَنَّهُ مَتَرَوْكٌ فِي الْحَدِيثِ!<sup>(١)</sup>.

(١) قال عنه الخطيب البغدادي: «هو ممّن طّبَ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا ذِكْرُهُ، ولم يَخْفَ عَلَى أَحَدٍ عِرْفَ أَخْبَارِ النَّاسِ أَمْرُهُ، وسارت الرُّكُبَانُ بِكُتُبِهِ فِي فَنُونِ الْعِلْمِ؛ مِنَ الْمَغَازِيِّ، وَالسَّيِّرِ، وَالْطَّبَقَاتِ، وَأَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَقْتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتَهُ ﷺ، وَكُتُبِ الْفَقَهِ، وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ، وَغَيْرِ ذَلِك». تاريخ بغداد (٤/٥).

وقال الذهبي: «صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم على ضعفه... كان إلى حفظه المتهَّى في الأخبار والسيِّر والمغازي والحوادث وأيام الناس والفقه وغير ذلك». ميزان الاعتدال (٦/٢٧٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «متروكٌ مع سَعَةِ عِلْمِهِ». تقرير التهذيب (ص/٤٩٨).

وقد أشار إلى هذا الحافظ العراقي بقوله في ألفية السيرة<sup>(١)</sup>:

فَلَيَعْلَمِ الطَّالِبُ أَنَّ السَّيِّرَا  
تَجْمَعُ مَا صَحَّ وَمَا قَدْ أَنْكِرَ  
وَالْقَصْدُ ذِكْرُ مَا أَتَى أَهْلُ السَّيِّرَا  
بِهِ، وَإِنْ إِسْنَادُهُ لَمْ يُعْتَبِرْ  
ذَكْرُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاسْتُطِرْ  
فَإِنْ يَكُنْ قَدْ صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرْ



**قال تقى الدين السبكي:** «قد يقول قائل: كيف يحتاج بهذه القصص التي يذكرها أهل السير - مثل الواقدي وغيره - ولم يردها حديث صحيح؟» فاعلم أن المقصود تأكيد الأدلة، وقد ذكرنا الحديث الصحيح أولاً، وبانضمام هذه الأمور إليه يزداد تأكيداً، بل الأمور التي ينفرد بها أهل السير إذا اشتهرت وعرفت في بعض الأوقات تكون أقوى من الحديث الذي ينفرد به ثقة، والواقدي إمام أهل السير بلا مدافعة، منه تستفاد، وإن كان فيه كلام كثير، ربما حمل عليه كونه يجمع الأسانيد الكثيرة وروياتها في لفظ واحد يقصد به الجمع والاختصار، فكثير الكلام فيه لذلك، وأما علمه فلا منازعة فيه، وإذا ذكر قصة وشرحها تقوى بها ورودها من جهة غيره، وتبيّن الحال فيها، والأحاديث الضعيفة إذا اجتمعت قربت من رتبة الاحتجاج، أو وصلت، فكيف إذا كان معها صحيح؟! فكيف إذا اتفقت السير عليها؟!». السيف المسؤول على من سبّ الرسول (ص/٣٥٢).

**وانظر** عيون الأثر: لابن سيد الناس (٦٧ / ١ - ٧٢)، وقاعدة في المؤرخين: للسبكي (ص/٦٩)، والإعلان بالتوريق: للسخاوي (ص/٨٢).

(١) الدرر السننية في نظم السيرة الزكية (ص/١٧).

العلم زين وتشريف لصاحبه  
العلم كنز وذخر لأنفادله  
قد يجمع المرء مالا ثم يحرمه  
وجامع العلم مغبوط به أبدا  
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعة

فاطلب هديت فنون العلم والأدب  
نعم القرین إذا ما صاحب صاحبا  
عما قليل فيلقى الذل والحربا  
ولا يحاذر منه الفوت والسلبا  
لا تعذلن به درا ولا ذهبا

أبو الأسود الدؤلي

الفَصْلُ الثَّانِي

طُرُقُ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

## الفَصْلُ الثَّانِي

# طُرُقُ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

**الطُّرُقُ الأَشْهُرُ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ؛ ثَلَاثَةٌ:**

- ١ - طَرِيقُ الْحِفْظِ.
- ٢ - وَطَرِيقُ الْفَهْمِ <sup>(١)</sup>.

**(١) إِضَاءَة:** خاصَ النَّاسُ كثِيرًا في جَدَلِيَةِ الْحَفْظِ وَالْفَهْمِ، هُلْ هُم مَتَلَازِمُونَ؟ وَأَيُّهُمَا يُقْدَمُ؟ وَأَيُّهُمَا الأَجْدَى؟

لِكُنْتِي أَرَى أَنَّ لَا تَلَازَمَ بَيْنَهُمَا؛ فَقَدْ يَكُونُ الشَّخْصُ الْوَاحِدُ مُبِرَّزًا في جَانِبِ الْحَفْظِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ في جَانِبِ الْفَهْمِ وَالتَّيْقِنِ، وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ.

**- وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى ذَلِكَ، أَنَّ الْإِمَامَ الْحَرِيرِيَّ (ت ٥٦١ هـ) صَاحِبَ الْمَقَامَاتِ الْمُشْهُورَةِ،**  
صَنَعَ فِي مَقَامَتِهِ (ص ٤٩٨) بِيَتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ وَوَصَفَهُمَا بِأَنَّهُمَا: «أَسْكَنَتَا كُلَّ نَافِثٍ. وَأَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَ زَبَالِثُهُ!» وَهُمَا قَوْلُهُ:

سِمْ سِمَةً تَحْسُنُ آثارُهَا  
وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلُوْسِمِسِمَةً

الْمَكْرُمُهُمَا اسْطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ  
لَتَقْتَنَّ يِ السُّوَدَ وَالْمَكْرُمَةُ

حيثُ جَعَلَ أَوَّلَ الْبَيْتِ وَآخِرَهُ سَوَاءً! لَكِنْ هَذَا فِي كَلِمَتَيْنِ وَذَلِكَ فِي كَلِمَةٍ.

فَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّرْجِيَ الْيَمَانِيَ الْمُعْرُوفُ بِابْنِ الْمَقْرَى (ت ٨٣٧ هـ) فَنَظَمَ خَمْسِينَ بِيَتًا عَلَى مِنْوَالِ بَيْتَيِّنِ الْحَرِيرِيِّ !!

لِكُنْهِ مَعَ هَذَا الْذِكَاءِ الْمُفْرِطِ كَانَ مِنْ أَنْسَى حَلْقَ اللَّهِ!! فَقَدْ قَالَ عَنْهُ الشَّوَّكَانِيُّ: مُتَفَرِّدٌ بِالذِكَاءِ وَقُوَّةِ الْفَهْمِ وَجُودَةِ الْفَكْرِ، وَلَهُ فِي هَذَا الشَّأنِ عَجَائِبُ وَغَرَائِبُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ. وَلَمْ يَلْغِ رَتْبَتَهُ فِي الْذِكَاءِ وَاسْتَخْرَاجِ الدِّقَائِقِ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ عَصْرِهِ، بَلْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ.

سمع بعض الناس يذكر بيته الحريري في المقامات اللذين قال: «إنه قد أمن أن يعزّزا بثالث»... فقال: إن تعزيزهما بثالث غير ممتنع! فجحد ذلك البعض، وطال بينهما النزاع، فرجع إلى بيته وعمل على هذا النمط توفيقاً خمسين بيتاً! وأرسل بها إلى من جادله وقال: قد صارا خمسين!! وأول أبياته:

**مَنْ كَلَّ مَهْدِيٌ وَدُعَا أَحْمَداً أَجِيبَ، مَا أَسْعَدَ مَنْ كَلَّهُ!**

ومع كونه بهذه المنزلة من الذكاء كان غايةً في النسيان! حتى قيل: إنه لا يذكر ما كان في أول يومه !!

ومن أعجب ما يُحكى في نسيانه أنه نسي مِرَّةً ألف دينار، ثم وقع عليها بعد مدةٍ اتفاقاً فتذكّر ذلك، مع عدم توسيعه في الدنيا، بل مع مزيد حاجته إلى ما هو أقل من ذلك! انتهى من البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١٤٢/١) بتصرّف.

**- وقال السخاوي** في الضوء اللامع (٤١/٧) عن الجلال المحلي - مؤلف «تفسير العجلانين» المشهور مع الحافظ السيوطي -: «كان إماماً، علاماً، محققاً، نظاراً، مفترطاً الذكاء، صحيح الذهن، بحيث كان يقول بعض المعترفين: إن ذهنه يتقدّب الماس! وكان هو يقول عن نفسه: إن فهمي لا يتقدّب الخطأ! حاد القرحة، قوي المباحثة».

ومع ذلك فقد قال عنه ابن العماد في شذرات الذهب (٣٠٢/٧): «لم يكُن يقدر على الحفظ! وحفظَ كُرّاساً من بعض الكتب، فامتلاً بدنُه حرارةً!!».

أما عكس ذلك فهم كثُر، منهم:

**- هشام بن محمد بن السائب الكلبي**، فقد قال عن نفسه: حفظتُ ما لم يحفظ أحد، ونسى ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعتابني على حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام!! - وفي رواية في ستة أيام أو سبعة، ونظرت يوماً في المرأة فقبضت على لحيتي لأخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة!!

**وقال يزيد بن هارون:** قال لي الكلبي: ما حفظت شيئاً فسيته، وحضر الحجاج فقبضت قبضةً فأردت أن أقول خذ من هاهنا، فقلت: خذ من هاهنا، فأخذ من فوق القبضة!!

**انظر:** الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي (٢٧٥/٧)، والأساب: للسعاني (١١/١٣٥)، ونזהه الألباء في طبقات الأدباء: للأبناري (ص/٧٦)، وتاريخ الإسلام: للذهبي (٩/٢٦٧).

**- وقال حماد بن الزبرقان:** حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسى ما لم ينس أحد. كنت لا أحفظ القرآن، فأنفقت أن أجيء بمن يعلموني، فحفظته من المصحف في شهر واحد! ثم

### ٣ - وطريق المطالعة.

ولكل واحدةٍ منها وسائلٌ ومناهجٌ وأساليبٌ، سيأتي الحديث عنها - إن شاء الله تعالى - بالتفصيل.

لكن ينبغي أن يعلم أنَّ من الفنون ما يحتاج إلى الحفظ، ومنها ما يحتاج إلى الفهم، ومنها ما يحتاجهما معاً، ومنها ما تكفي فيه المطالعة.




---

قبضت يوماً على لحيتي لأقصى ما فضلَ عن قبضتي فنسيَتْ أني أحتاج أن أقصَّ ما دون القبضة فقصَّتْ أعلاهَا، فاحتاجتُ أن أجلس في البيت سنةً إلى أن استوتْ !! نشر الدرر في المحاضرات: للرازي (٢١٥ / ٧)، والتذكرة الحمدونية: لابن حمدون (٩ / ٣٣٩).

- **وقال الحافظ السيوطي عن نفسه:** «أما علم الحساب فهو أعرُّ شيءٍ على وأبعده عن ذهني؛ وإذا نظرتُ في مسألةٍ تتعلق به فكأنما أحارُ جباراً أحمله!!». حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١ / ٣٣٩).

- **وقال السخاوي عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التيني:** «حضر عندي في بعض دروس الألفية، وحافظه أحسن من فاهمه!» الضوء اللامع (١ / ١٢١).

ففي هذا دلالة ظاهرةٌ على أن لا تلازم - كما أسلفت - بين الحفظ والفهم، والله أعلم.

وَأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ مَا أَجْمَعُ  
لَقِيلٌ: هُوَ الْعَالَمُ السَّقْنَعُ  
مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزَعُ  
وَلَا أَنَا مِنْ جَمِيعِهِ أَشْبَعُ  
يُكْنِي دَهْرَةَ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ  
فَجَمِيعُكَ لِلْكُتُبِ لَا يَنْفَعُ

أَمَالُو أَعِي كُلَّ مَا أَسْمَعُ  
وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ  
وَلِكِنَّ نَفْسِي إِلَى كُلِّ فَنٍ  
فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ  
وَمَنْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا  
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا

محمد بن بشير

المبحث الأول  
طريق الحفظ

## المبحث الأول

### طريق الحفظ

طريق الحفظ هو أعظم الطرق في تحصيل الفنون، وعليه قوام جلّ العلوم<sup>(١)</sup>، لا سيما العلوم الشرعية والعربية والتاريخية. وبمقدار الحفظ تكون الإمامة، كما سيأتي بعد.

**وقد بدأت بالحفظ أولاً؛ لأنّه أسباب مهمّة:**

**أولاً:** أنَّ الطالب في أول سنِّ الطلب تكون حافظته أقوى من فاهمته - وهذا أمرٌ معلومٌ ومُشاهدٌ - وأنَّ الفهم لديه لا يكون قويًا كما هو الحال عند المُتقدّمين في السّنِّ.

(١) ولذا قال الشّيخ العلامُ عبدُ الله بنُ محمد (سفيان) الحَكْمي في منظومته الماتعة: عُدَّةُ الطلب (ص/٥٤):

فَادَّبْ عَلَيْهِ فِي الْضُّحَى وَالْغَلَسِ	وَالْحِفْظُ أَوْلَى مَا مَضَى مِنْ أُسُّسِ
عَلَيْهِ، وَاسْأَلْ الْمَلِكَ الْمُقْتَدِرَ	وَكُلُّ حِينٍ مَا حَيَّتْ، وَاضْطَرَّ
عَلَى الْهُدَى وَالرُّشْدِ مَا حَيَّتَا	سَبَحَانَهُ، التَّوْفِيقُ وَالتَّبَيَّنَا
ثُمَّ طَرَّ طَلَابَ الْعِلُومِ الدُّرَّا	وَأَنْ تَكُونَ حَافِظًا مُسْتَخْضِرًا
وَعَاشَ فِي أَوْهَامِهِ مَنْ ضَيَّعَا	مَنْ مُنِعَ الْحِفْظَ - رُزْقَهُ - وَعَنِ
وَحْظَ مَنْ يَتَرُكُهُ الإِفْلَاسُ!	لَاَنَّهُ لَفَهْمَنَا اَلْأَسَاسُ

ولهذا بَرَّ عُمُرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوَّةً فَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ رُغْمَ صِغْرِ سَنَّةٍ بِقَوْلِهِ: «ذَلِكُمْ فَتَنَ الْكُهُولِ؛ فَإِنَّ لَهُ لِسَانًا سُؤُولًا، وَقَلْبًا عَقُولًا»<sup>(١)</sup>.

**ثانيًا:** أنَّ بعض مناهج التَّعْلِيم المُعاصرة تُرْهِدُ - مَعَ أَسْفٍ - في الحفظ، مع أَنَّهُ أَصْلٌ لَا بُدٌّ مِنْهُ في طلب العلم وتحصيله، لَا سيَّما علوم الشريعة الإسلامية ووسائلها التي تُوصل إِلَيْها كَمَا أَسْلَفْتُ<sup>(٢)</sup>.

وهذا أَمْرٌ يَكَادُ يَكُونُ مُجْمَعًا عَلَيْهِ عِنْدَ السَّلْفِ، وَلَذَا كَانَ مِنْ عَبَارَاتِهِمْ: «الْعِلْمُ مَا دَخَلَ مَعَكَ الْحَمَامُ»! وَقَوْلُهُمْ: «كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعَكَ الْحَمَامِ فَلَا تَعْدُهُ»! أي كُلُّ مَا لَا تَحْفَظُهُ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا يُعْتَدُ بِهِ!

بل إنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. قال ابنُ الجوزي: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَمْتَنَا بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، وَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَنَا يَقْرَئُونَ كِتَابَهُمْ مِنَ الصُّحُفِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىِ الْحِفْظِ، فَلَمَّا جَاءَ عُزِيزٌ فَقَرَأَ التُّورَةَ مِنْ حِفْظِهِ، قَالُوا: هَذَا ابْنُ اللَّهِ !!

فَكِيفَ نَقُومُ بِشَكْرِ مَنْ خَوَّلَنَا أَنْ ابْنَ سَبْعَ سَنِينَ مَنًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَنْ ظَهَيرِ

(١) أخرجه عمر بن راشد في جامعه (مع المصنف) (١١/٢٤١) رقم (٢٠٤٢٨)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢/٨٤٤) رقم (١٥٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٦٥) رقم (١٠٦٢٠) وغيرهم، بسنده صحيح.

(٢) قال ابنُ الجوزي: «تَأَمَّلْتُ حَالَةً تَدْخُلُ عَلَى طَلَابِ الْعِلْمِ تُوجِبُ الغَفَلَةَ عَنِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ حَرْصُهُمْ عَلَىِ الْكِتَابَةِ، خَصْوَصًا الْمُحَدِّثَيْنَ، فَيَسْتَغْرِقُ ذَلِكَ زَمَانُهُمْ عَنْ أَنْ يَحْفَظُوا وَيَفْهَمُوا، فَيَذَهِبُ الْعُمُرُ وَقَدْ عَرَوْا عَنِ الْعِلْمِ إِلَيْسِيرَ. فَمَنْ وُقِقَ، جَعَلَ مُعَظَّمَ الزَّرْمَانِ مَصْرُوفًا فِي الإِعَادَةِ وَالْحِفْظِ، وَجَعَلَ وَقْتَ التَّعَبِ مِنَ التَّكْرَارِ لِلنَّسْخِ، فَيَحْصُلُ لَهُ الْمَرَادُ». صيد الخاطر (ص/٦٠٤).

قلبٌ!.... وهذه المنحة العظيمةُ نفتقر إلى حفظها بدوام الدراسة؛ ليبقى المحفوظ<sup>(١)</sup>.

**ثالثاً:** ما يصعبه كثير من الناس من أمر الحفظ، والسبب في ذلك - والله أعلم - هو أنهم لا يعرفون كيفية طرق الحفظ، ووسائله، وأساليبه. فعدم معرفة الطريقة الصحيحة للحفظ مما يهدى الطلاب في الحفظ وتعاطيه. وإن كانت الطريقة في النهاية أمراً نسبياً يختلف من شخص إلى آخر، فقد يحفظ زيد بطريقة، ويحفظ عمرو بطريقة أخرى، لكن المهم هو أن يحفظ كل واحد بالطريقة التي تناسبه، وسيأتي الكلام عن بعض الطرق الميسرة للحفظ إن شاء الله تعالى.

**رابعاً:** العُرفُ السائدُ من أنَّ وقتَ الحفظ قد مضى، وأنَّه مقصورٌ على فترة الصِّغرِ فحسب.

وهذا غير صحيح؛ لأنَّ عنصرَ الحفظ باقٍ ما بقيَ الإنسانُ. وقد قال **الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي**: «أكملُ ما يكونُ الإنسانُ عقلاً وذهناً عند الأربعين»<sup>(٢)</sup>.

لكنَّ الشأنَ هنا هو في الصُّعوبة من عدمها؛ إذ لا جدال في أنَّ الحفظَ عند الكبير أصعبُ منه عند الصغير، وهذا أمرٌ معروفٌ<sup>(٣)</sup>. لكنَ إذا كرر الصغير

(١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ (ص/ ٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي (٤٣١/ ٧).

(٣) لفتة: لا شكَ أنَّ فترة الصبا هي الفترة الذهبية للحفظ، لكنه ليس مقصوراً عليها كما أبنتُ في الأعلى.

المحفوظ عشرين مرّة مثلاً وَحَفِظَهُ، فلماذا لا يُكرر الكبير أربعين مرّة مثلاً حتى يحفظ؟

ثم إنَّ كثيراً من الذين طلبوا العلم لم يكن طلبهم له في الصغر فحسب، بل إنَّ بعضهم لم يطلب إلا في الكبير! إما لأنَّه بدأ الطلب بآخرة. وإنما لأنَّه اشتغل بفنٍ مَا، ثم اشتغل في آخر حياته بفنٍ آخر وبرز فيه. وإنما لغير ذلك من الأسباب.

**ومن أولئك: الكسائي**، حيث بدأ طلب العلم وعمره أربعون سنةً، وكان يحفظ في كل يوم خمس مسائل فحسب! ومع ذلك صار إمام الكوفيين في

**ولذا ينبغي** للوالدين والمدرسين والمربيين أن يستغلوا هذه الفترة في تشجيع الأولاد على الاستكثار من المحفوظ، كما قال ابن الجوزي: «ينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث، ولتحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات؛ لأنَّ زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة، فإذا بلغ، تشتت همته، فليُضرب تارة، ويرشى أخرى؛ ليبلغ وقد حصل محفوظات سنية».

**وأول ما ينبغي** أن يُكلَّف حفظ القرآن مُتقناً؛ فإنه يُبْتُ ويختلط باللحم والدم، ثم مقدمة من النحو؛ يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهبًا وخلافاً، وما أمكن بعد هذا من العلوم، فحفظه حسنٌ.

**وليحذر من** عادات أصحاب الحديث؛ فإنهم يُفْنُون الزمان في سماع الأجزاء التي تتكرر فيها الأحاديث، فيذهب العمر وما حصلوا بهم شيء! فإذا بلغوا سِنَّاً، طلبوا جواز فتوى أو قراءة جزءٍ من القرآن، فعادوا القهقري؛ لأنهم يحفظون بعد كبير السن، فلا يحصل مقصودهم. فالحفظ في الصبا للمهم من العلم أصلٌ عظيم.

وقد رأينا كثيراً ممّن تشغل بالمسموعات، وكتابة الأجزاء، ورأى الحفظ صعباً، فمال إلى الأسهل، فمضى عمره في ذلك؛ فلما احتاج إلى نفسه، قعد يتحفظ على كبير، فلم يحصل مقصوده!

فالقيقة لفهم ما ذكرت، وانظر في الإخلاص، مما ينفع شيء دونه» صيد الخاطر (ص / ٤٠٨).

النحو، كما أنه أحد القراء السبعة المعتبرين.

**ومنهم:** أحمد بن عبد القادر بن أحمد القيسي الحنفي النحوي، فقد اشتغل بعلوم العربية دهراً، ثم أقبل على سماع الحديث ونسخ الأجزاء وكتابة الطلاق بأخرَة، فعاب عليه ذلك بعض الناس، فقال يُجيبهم:

<b>وعاب سمعاني للأحاديث</b> بعدها <b>وقالوا: إمام في علوم</b> كثيرة	<b>كَبِرْتُ أَنَا سُمْعِي لِلْأَحَادِيثِ</b> بعدها <b>يَرْوُحُ وَيَغْدُو سَامِعًا يَنْتَطَّلِبُ</b> <b>فَقَلْتُ مُجِيبًا</b> عن مقالتهم وقد <b>إِذَا اسْتَدْرَكَ الْإِنْسَانُ مَا فَاتَ مِنْ عُلَّا</b> <b>فِلَلْحَزْمِ يُعَزِّي لَا إِلَى الْجَهَلِ يُنْسِبُ!</b> <sup>(١)</sup>
--	---

وأعرف بعض كبار أساتذة الجامعات رجعوا يحفظون المتنون والمنظومات العلمية؛ لأنهم أدركوا أنه مهما بلغ شأن الإنسان في القراءة والاطلاع والبحث، فإن ذلك كلَّه لا يعني شيئاً ماله يكن لديه أصل ثابت محفوظ.

هذا مع مراعاة أنَّ الناس يختلفون في موهبة الحفظ، فقد يحفظ إنسان من مرَّة (مع أنَّ كلمة: مرَّة غير مستقرة)، وقد يحفظ إنسان من مئة مرَّة! فالذي

(١) الدرر الكامنة: لابن حجر (٢٠٤/١).

**ضمية:** حدثت عن رجل في المسجد النبوي طاعن في السن! جاء إلى أحد مدرسي تحفيظ القرآن، وقال: أريد أن أحفظ القرآن، فقال له المدرس: وأنت في هذه السن؟ قال: نعم، فقال له: أقرأ - ليختبر قراءته -، فقال: لا أعرف القراءة! فقال المدرس: فكيف تُريد أن تحفظ القرآن وأنت لا تعرف القراءة؟ فقال الرجل: هبْ أنني أعمى، فكيف تعلم الأعمى؟ فأقام عليه الحجَّة! وبدأ الرجل يحفظ ويحفظ، ولم تمر عليه خمس سنوات حتى أتمَ حفظ القرآن!

يحفظ من مرّة ينبغي عليه أن يحفظ، والذي يحفظ من مئة مرّة ينبغي عليه أن يُكرر حتى يحفظ!

**ولا رَيْبَ أَنْ قوَّةَ الحفظ وسرعته هُبُّةٌ منَ اللهِ تَعَالَى، يَهُبُّهَا مَنْ يشاءُ مِنْ عباده، كما نُقلَ ذلك عن جماعةٍ منَ الْحَفَاظ.**

فقد جاء عن زِبَابَعَ بْنِ الْحَارِثِ الْقُرْطَبِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ فِي سَاعَةٍ - وَهِيَ الْبُرْهَةُ مِنَ الزَّمْنِ - عَشْرِينَ حَدِيثًا سِنَدًا وَمَتَنًا!<sup>(١)</sup>

ومثُلُه خَالِدُ بْنُ سَعْدِ الْقُرْطَبِيِّ؛ فَقَدْ حَفَظَ عَشْرِينَ حَدِيثًا مِنْ سَمْعَةٍ وَاحِدَةٍ!<sup>(٢)</sup>.

وكان اليونيني يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثاً!

(١) جاء في تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضي (١٨٨/١): «قال أَحْمَدُ: كَانَ زِبَابَعَ بْنَ الْحَارِثَ يَقِنَّاً. سَمِعَ: مَنْ يَقِنِي بْنَ مَخْلِدٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ وَضَاحٍ. وَكَانَ يَحْفَظُ عَشْرِينَ حَدِيثًا فِي سَاعَةٍ!».

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَفَاعَةَ، قَالَ: نَاهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، قَالَ: نَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمَ، قَالَ: شَهَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَضَاحٍ وَعِنْهُ زِبَابَعَ، وَقَدْ أَمْلَى ابْنُ وَضَاحٍ أَحَادِيثَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ عِنْهُ، وَزِبَابَعَ يَتَشَاغَلُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَحَدَّثُ مَعَ مَنْ كَانَ يَجَاوِرُهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنَ الْحَدِيثِ، وَتَشَاغَلَ عَمَّا كَانَ يَمْلِيَهُ الشَّيْخُ، قَالَ لَهُ ابْنُ وَضَاحٍ: يَا مَشَاوِمَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ (غَضِبَ عَلَيْهِ)، تَدْعُ أَنْ تَكْتُبْ سُنَّتَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَشَتَّلُ بِالْحَدِيثِ؟! فَقَالَ لَهُ أَصْلَحُكَ اللَّهُ: لَمْ أَشْتَغِلْ عَمَّا أَمْلَيْتَهُ، وَقَدْ حَفَظْتُهُ! وَكَانَ ابْنُ وَضَاحٍ أَمْلَى اثْنَيْ عَشَرَ حَدِيثًا فَحَفَظَهَا زِبَابَعَ وَنَصَّهَا كَمَا أَمْلَاهَا ابْنُ وَضَاحٍ!! فَعَجَبَ مِنْهُ، وَكَانَ يُدْنِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ».

(٢) حتَّى إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصَرَ بِاللهِ كَانَ يَقُولُ: إِذَا فَاخَرَنَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ بِيَحِيَيِّ بْنِ مَعِينٍ؛ فَاخَرْنَا هُمْ بِخَالِدَ بْنِ سَعْدٍ.

انظر: تاريخ علماء الأندلس (١٥٤/١)، وتاريخ الإسلام: للذهبي (٤٥/٨).

**وقال ولده قطب الدين:** حفظ «الجمعَ بينَ الصَّحِيحَيْنِ»، وأكثَرَ «المسند» – يعني مسند الإمام أحمد – وحفظ «صَحِيحَ مُسلم» في أربعة أشهر! وحفظ سورة الأنعام في يومٍ واحدٍ! وحفظ ثلَاثَ مقاماتٍ من الحريرية في بعضِ يومٍ!<sup>(١)</sup> . وقيل لهشيم بن بشير الواسطي: كم كنت تحفظ يا أبا معاوية؟ قال: كنت أحفظ في المجلس مئةً حديثاً! ولو سئلت عنها بعدَ شهرين لأجبت!<sup>(٢)</sup> .

**وعن وكيع قال:** «ما كان أحدٌ من أصحابنا أحفظَ للحديث من يحيى بن يمان؛ كان يحفظ في المجلس خمسَ مئةً حديثاً!!»<sup>(٣)</sup> .

وحضر الدارقطنيُّ في حادثته مجلس إسماعيل الصفار، فجعل ينسخ جُزءاً كان معه، وإسماعيل يُملي، فقال له بعضُ الحاضرين: لا يصحُّ سماعُك وأنت تنسخ. فقال الدارقطنيُّ: فهمي لِإِمْلَاءِ غَيْرِ فهمك! ثم قال: تحفظُ كم أملأَ الشيخ من حديثٍ إلى الآن؟ قال: لا، فقال: أملأَ ثمانية عشر حديثاً، فعددتُ الأحاديث، فكانت كما قال! ثم قال: الحديث الأول: عن فلان عن فلان، ومتنه كذا. والحديث الثاني: عن فلان عن فلان، ومتنه كذا. ولم يزل يذكر أسانيد الأحاديث، ومتونها، على ترتيبها في الإملاء، حتى أتى على آخرها! فتعجب الناس منه.<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر: تذكرة الحفاظ: للذهبي (٤/١٥٥)، وذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب (٤/٦٥)، والمقصد الأرشد: لابن مفلح (٢/٣٥٧).

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي (١/١٨١)، وتاريخ بغداد: للخطيب (١٦/١٣٠)، وتهذيب الأسماء واللغات: للنووي (٢/١٣٨).

(٣) تاريخ الإسلام: للذهبي (٤/١٠٠٥).

(٤) انظر: تاريخ بغداد: للخطيب (١٢/٤٨٧)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٤٣/٩٨)،

وكان بندارُ بْنُ عبدِ الْحَمِيدِ الأَصْبَهَانِي يحفظ سبعَ مائةً قصيدةً، أَوْلُ كُلِّ قصيدةٍ: (بانتْ سعاد)! فما بالكَ بغيرها؟! <sup>(١)</sup>.

**وقال السخاويُّ عن أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَنَانِيِّ الْمَجْدَلِيِّ:** «كان غايةً في الذكاء وسرعة الحفظ، بحيث سمعته يحكى أنه حفظ نحو خمسين سطراً من «صحاح» الجوهرى بحضور السقطى من مرتين أو ثلاثة!» <sup>(٢)</sup>.

وجاء عن أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ الرَّازِيِّ الْحَنْفِيِّ أَنَّهُ كان يحفظ في كل يومٍ ثلاثَ مائةٍ سطراً! <sup>(٣)</sup> أي ما يعادل خمسَ عشرَةَ صفحةً تقريباً!.

**وقال ابنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيِّ:** «كنتُ أحفظ بالعراق في كل يومٍ سبعَ عشرَةَ ورقَةً!» <sup>(٤)</sup>.

وعن أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْقَنَائِيِّ أَنَّهُ كان يحفظ في كل يومٍ أربعَ مائةٍ سطراً!

والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي (١٤/٣٧٩)، ومعرفة أنواع علوم الحديث: لابن الصلاح (ص/١٤٥).

**(١) انظر:** طبقات النحوين واللغويين: للزبيدي (ص/٢٠٨)، ومعجم الأدباء: للحموى (٧٦٦/٢)، وبغية الوعاة: للسيوطى (٤٧٦/١).

**لكنْ قال ياقوتُ الْحَمْوَىُ:** «بلغني عن الشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: أَنْعَمْتُ التفتيش والتتقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدةً أو لُوها (بانتْ سعاد). قال: وحدّث أبو بكر ابن الأنباري في «أماليه» ببغداد قال: سمعت أمبا العباس الأموى يقول: كان بندارُ بْنُ لُرَه الأَصْبَهَانِيُّ أَحْفَظَ أَهْلَ زَمَانَهُ لِلشِّعْرِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ، أَنْشَدَنِي مِنْ حَفْظِهِ ثَمَانِينَ قصيدةً أَوْلُ كُلِّ قصيدةٍ مِنْهَا (بانتْ سعاد)!».

**(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١/٣٦٤).**

**(٣) انظر:** الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر (١٣٦/١).

**(٤) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:** للضبي (ص/٩٣).

أي ما يُعادل عشرينَ صفحةً تقريباً!!<sup>(١)</sup>.

**وقال السخاوي عن الحافظ العراقي:** «حفظاً «الإمام» لابن دقيق العيد، وكان ربما حفظ منه في اليوم أربع مئة سطر! إلى غير ذلك من المحافظ»<sup>(٢)</sup>.

**وقال عنه ابن قاضي شهبة:** «وكان مع ذكائه سريع الحفظ جداً، أخبرني أنه حفظ من «الإمام» في يوم واحد أربع مئة سطر! وأنه حفظ نصف «الحاوي» في الفقه في خمسة عشر يوماً، أو اثنين عشر! الشكُّ مني»<sup>(٣)</sup>.

وجاء أنَّ محمد بن علي بن أبي العشائر الحلبي حفظ سورة الأنعام في شبابه من مرَّة واحدة!!<sup>(٤)</sup>، مع أنَّ سورة الأنعام من أصعب السور حفظاً.

وذكروا أنَّ صدر الدين محمد بن عمر بن المرحَّل حفظ كُتبًا؛ يُقال: إنه كان إذا وضع بعضها على بعضٍ كانت طول قامته! وحفظ «المفصل» للزمخشري في مئة يوم! و«مقامات الحريري» في خمسين يوماً! و«ديوان المتنبي» في جُمْعَةٍ واحدة!! وكان لا يَمْرُّ بشاهدٍ من كلام العرب إلا حفظ القصيدة التي ذلك البيتُ منها!!<sup>(٥)</sup>.

(١) الدرر الكامنة (١/٩٥).

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/١٧١).

**وانظر:** التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة له (٢/١٦٢).

(٣) طبقات الشافعية (٤/٣٣).

**وانظر:** لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ: لابن فهد المكي (ص/١٤٨).

(٤) الدرر الكامنة: لابن حجر (٥/٣٤١).

(٥) **انظر:** الواقي بالوفيات (٤/١٨٦)، وأعيان العصر وأعوان النصر: للصفدي (٥/٥)، وفواث الوفيات: للكتبي (٤/١٤)، وطبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة (٢/٢٣٣)، وشذرات

**ومن العجائب أنَّ عَلَيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ، بْنَ عَلَيِّ بْنَ مُحَمَّدٍ، بْنَ عَلَيِّ بْنَ مُحَمَّدٍ - ثَلَاثَةُ عَلَى نَسِقٍ! - ابْنِ الْعَطَّارِ الْحَرَانِيِّ حَفِظَ الْفَيْهَةَ الْعَرَاقِيَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ!!!(١). وَقَيلَ: بَلْ حَفِظَ رُبْعَ الْأَلْفِيَّةَ(٢) أَيْ (٢٥٠) بَيْتًا!(٣).**

الذهب: لابن العماد (٨/٧٤).

(١) انظر: الدرر الكامنة: لابن حجر (٤/١٥١).

(٢) انظر: إنباء الغمر بأبناء العُمر: لابن حجر (١١/٤٦٢)، وشذرات الذهب: لابن العماد (٨/٥٨٢).

**عَجِيْبَةُ: قَالَ الصَّفْدِيُّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ:** «كَانَ عَجَبًا فِي الذَّكَاءِ الْمُفْرَطِ وَالْحَافِظَةِ، قَالَ أَبُو سَعْدِ السَّمْعَانِيَّ فِي كِتَابِ «النَّسْبِ» ذَكَرَ تَلْمِيذَهُ أَبُو زَكْرَيَا التَّبَرِيزِيَّ أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا فِي مَسْجِدِهِ بِمَعْرَةِ النَّعْمَانِ بَيْنَ يَدِيْ أَبِي الْعَلَاءِ يَقْرَأُ شَيْئًا مِنْ تَصَانِيفِهِ، قَالَ: وَكُنْتُ قَدْ أَقْمَتُ عَنْهُ سَنِينَ وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَلْدِيِّ. فَدَخَلَ الْمَسْجَدَ مَغَافِصَةً (مَفَاجَأَةً) بَعْضُ جِيرَانِنَا لِلصَّلَاةِ، فَرَأَيْتُهُ وَعَرَفْتُهُ، فَتَغَيَّرَتْ مِنَ الْفَرَحِ، فَقَالَ لِي أَبُو الْعَلَاءِ: إِيْشُ أَصَابَكَ؟ فَحَكِيَّتُ لَهُ أَنِّي رَأَيْتُ جَارًا لِي بَعْدَ أَنْ لَمْ أَقْرَأْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَلْدِي سَنِينَ. فَقَالَ لِي: قُمْ فَكِلْمُهُ، فَقُلْتُ: حَتَّى أَتَمِّمَ السَّبَقَ. فَقَالَ لِي: قُمْ أَنَا أَتَظَرُ لَكَ.

فَقَمَتُ وَكَلَمْتُهُ بِلِسَانِ الْأَذْرِيَّةِ شَيْئًا كَثِيرًا إِلَى أَنْ سَأَلْتُهُ عَنْ كُلِّ مَا أَرَدْتُ، فَلَمَّا رَجَعَتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدِيهِ، قَالَ لِي: أَيُّ لِسَانٌ هَذَا؟ قُلْتُ: هَذَا لِسَانُ أَذْرِيَّجَانَ. فَقَالَ لِي: مَا عَرَفْتُ الْلِسَانَ وَلَا فَهَمْتُهُ؛ غَيْرُ أَنِّي حَفِظْتُ مَا قُلْتَمَا!

ثُمَّ أَعْادَ عَلَيَّ الْلَّفْظَ بِعِينِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقَصَ مِنْهُ أَوْ يَزِيدَ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا قُلْتُ! وَقَالَ جَارِيَ:

فَتَعَجَّبَتْ غَايَةَ التَّعَجُّبِ؛ كَيْفَ حَفِظَ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ؟!!

**قُلْتُ:** وَهَذَا مَعْجُزٌ؛ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا عَنْ جَمَاعَةِ مِنَ الْحَفَاظِ، وَمَا يُحَكَّى عَنِ الْبَدِيعِ الْهَمْذَانِيِّ وَالْأَبَارِيِّ وَغَيْرِهِ هُؤُلَاءِ، وَهُوَ أَمْرٌ قَرِيبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ؛ لَأَنَّ حَفِظَ مَا يَفْهَمُهُ الْإِنْسَانُ وَيَعْرِفُ تَرَاكِيَّهُ أَوْ مَفْرَدَاتِهِ سَهْلٌ، وَأَمَّا أَنَّهُ يَحْفَظُ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ وَلَا يَعْلَمُ لَهُ مَفْرَدًا وَلَا مَرْكَبًا، وَهُوَ أَقْلُّ مَا يَكُونُ أَرْبَعَ مِائَةَ سَطْرٍ، مِنْ سُؤَالِ غَائِبٍ عَنْ أَهْلِ بَلْدِهِ سَنِينَ وَجَوَابِهِ!!». الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ (٧/٦٣)، وَنَكْتُ الْهَمِيَّانِ فِي نَكْتَ الْعُمَيَّانِ (ص/٧٨).

(٣) انظر المزيد من النماذج في كتابي **«نَكْتُ الْحُفَاظِ»**.

لكنْ لا ينبغي أن تَقْعُدَ بكَ - أيها الحريصُ - قَصَصُ هَؤُلَاءِ الْأَفْذَادِ عن حفظِ العلم، حتى ولو عَسْرَ عَلَيْكَ الحفظُ؛ لأنَّ حفظَ العلم عبادةٌ، والقاعدةُ في العبادات: أنَّ الأَجْرَ عَلَى قَدْرِ الْمَشْقَةِ<sup>(١)</sup>.

**وَأَحَبُّ أَنْ أُلْفَتَ النَّظرَ هُنَا إِلَى أَنَّ مَمَّا يُصْعِبُ الْحَفْظَ، وَيُوَعِّزُ مَسَالَكَهُ، عَدْمُ مُرَاعَاةِ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي الْحَفْظِ!** فإنَّ الإِنْسَانَ رَبِّما غَفَلَ عَنْ هَذَا الْجَانِبِ، وَهُوَ مُهِمٌ جَدًا.

ولهذا راعى العُلَمَاءُ هَذَا الْجَانِبَ - الَّذِي قَلَّمَا يُلْتَفِتُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ - في طريقةِ الْحَفْظِ؛ أَلَا وَهُوَ أَنْ يُسَجِّلَ الْحَافِظُ الْمَقْدَارَ الَّذِي يَرِيدُ حَفْظَهُ وَيَنْسَبُ قَدْرَتَهُ، فِي وَرْقَةٍ، أَوْ بَطَاقَةٍ، أَوْ دَفْتَرٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ يَكْرَرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَحْفَظَهُ. وَلَا يَكْتُبُ شَيْئًا جَدِيدًا حَتَّى يَسْتَتِمَ حَفْظًا مَا قَبْلَهُ وَيَتَقَنَّهُ جَيْدًا؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَحْفَظُ مُبَاشِرًا مِنَ الْكِتَابِ، أَوْ يُسَجِّلُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَحْفُوظِ؛ غَالِبًا مَا يَقْعُدُ فِيمَا يَلِيهِ، أَوْ فِي بَعْضِهِ:

**أَوْلًا:** أَنَّهُ رَبِّما مَلَّ مِبْكَرًا - لَا سِيمَّا إِذَا كَانَ الْمَتنُ طَويَّا -؛ نَظَرًا لِاستِقالَةِ طُولِ الْمَحْفُوظِ، مَا يُؤْذِي إِلَى انْقِطَاعِهِ وَعَدْمِ اسْتِمْرَارِهِ.

فَإِنَّ الْحَافِظَ عِنْدَمَا يَحْفَظُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ هَذَا الْمَتنِ مُبَاشِرًا، سُوفَ يَسْتَشْقُلُ طُولَ الطَّرِيقِ، وَتَصِبُّ نَفْسُهُ عَرْثَى غَيْرَ مُنْشَرِحةٍ لِهَذَا الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ سَيَشْعُرُ كَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَحْفَظَ أَنَّ الْمَسَافَةَ مَا زَالَتْ شَاسِعَةً؛ وَأَنَّهُ مَا زَالَ أَمَامَهُ أَرْتَالُ مِنَ الصَّفَحَاتِ! فَيَدِبُّ الْيَأسُ إِلَى نَفْسِهِ، وَرَبِّما انْقَطَعَ، وَأَبُو مُرَّةَ حَرِيَصُ!

(١) انظر ضوابط هذه القاعدة وتفصيلاتها في: مجموع الفتاوى: لابن تيمية (١٠/٦٢٠)، و(١٠٦/٢٤١)، ومدارج السالكين: لابن القيم (١/٢٨١).

**ثانية:** عدم جودة المحفوظ.

فمن طبق هذه الطريقة، فإن حفظه لا يكون قوياً في الغالب.

**ثالثاً:** تراكم المحفوظ عليه.

إذ من المعلوم أن مراجعة بعض صفحات قليلة أسهل من مراجعة كم

كبير من الصفحات.

**رابعاً:** أنه عندما يُسجل في أوراق ونحوها؛ فإنه يسهل عليه اصطحابها معه في أي مكان، لاسيما إذا كان المتن كبيراً. كما أنه سيكون في جديد كل يوم.

**خامساً:** أن هذه الطريقة موافقة لما عليه العلماء الراسخون - وهذه أهم نقطة -؛ فإن العلماء في الغالب ما كانوا يأخذون العلم - كما يُقال اليوم - بالметр المكعب! وإنما كانوا يأخذونه مسألة مسألة، وشيئاً فشيئاً.

**فمثلاً:** إذا أخذنا مجالس الأمالي عند المحدثين، نجد أن الشيخ يعقد المجلس في مللي الحديث والحديثين والثلاثة، وربما تصل العشرون أو تزيد قليلاً، فيكتبها الطلاب، ثم يأتون من الغد وهي محفوظة. ثم يأخذون غيرها، وهكذا دواليك... حتى حفظوا مع مرور الوقت مئات الآلاف من الأحاديث!<sup>(١)</sup>.

(١) قال الإمام البخاري<sup>رض</sup>: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح!»  
الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي (١٣١/١)، وتاريخ بغداد: للخطيب (٣٤٦/٢)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٥٢/٦٤).

- وكان أبو زرعة الرازي يحفظ ست مئة ألف حديث! وكان يُقال: كُلُّ حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. وروي عن أحمد بن حنبل أنه قال: «صَحَّ مِنَ الْحَدِيثِ سَبْعَ مِائَةً أَلْفَ حَدِيثٍ، وَهَذَا الْفَتْنَى - يَعْنِي أَبَا زَرْعَةَ - يَحْفَظُ سَتَّ مِائَةً أَلْفَ حَدِيثٍ»!! ولذا كان =

**وقال شعبة بن الحجاج:** «اختلقت إلى عمرو بن دينار خمس مئة مرة، وما سمعت منه إلا مئة حديث!»<sup>(١)</sup>.

**وبلغني أن** بعض العلماء المعاصرين في المسجد النبوي كان يحفظ كـل يوم شطر بيـت من ألفية ابن مالك (الخلاصة)! واستمر في حفظها ما يقارب ثمان سنوات! فكان حفظه بعدها في غاية الاتقان.

أحمدُ يعظُّمُه، وإذا جالسه تركَ أحمـدُ نوافـلـه واشتغل عنها بمذكرة أبي زرعة! **انظر**: المدخل إلى كتاب الإكليل: للحاكم (ص/٣٥)، وتاريخ بغداد: للخطيب (١٢/٣٣)، وطبقات الحنابلة: لابن أبي يعلى (١/٢٠١).

**وقال إسحاق بن راهويه:** «أحفظُ سبعين ألفَ حديث! وكـأني أـنـظـرـ إلى مـوـضـعـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ!» **انظر**: تاريخ بغداد: للخطيب (٧/٣٦٢)، وسير السلف الصالحين: للأصبـهـاني (ص/١٠٧٥)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٨/١٣٨).

**وقال أبو عبد الله بن مخلد:** «كان أبو داود سليمان بن الأشعث يفي بمذكرة مئة ألف حديث!» سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٣/٢١٢)، وتهذيب التهذيب: لابن حجر (٤/١٧٢).

**وقال الصـبـيـغـيـ عنـ أـبـيـ عـمـرـوـ أـحـمـدـ بـنـ نـصـرـ الـخـفـافـ الزـاهـدـ:** «كـناـ نـقـولـ إنـ أـبـاـ عـمـرـ الـخـفـافـ يـفـيـ بـمـذـكـرـةـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ!» تـذـكـرـةـ الـحـفـاظـ (٢/١٦٧)، وتـارـيـخـ الـإـسـلاـمـ: للـذـهـبـيـ (٦/٨٩٩)، وـشـدـرـاتـ الـذـهـبـ: لـابـنـ العـمـادـ (٢/٢٣٠).

**وقال أبو العباس بن عقدة:** «أـحـفـظـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ بـالـإـسـنـادـ وـالـمـتنـ، وـأـذـاكـرـ بـلـاثـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ!!» تاريخ بغداد: للخطيب (٦/١٤٧).

**وقال محمد بن عمر القاضي البغدادي المعروف بابن الجعابي:** «أـحـفـظـ أـرـبـعـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ، وـأـذـاكـرـ بـسـتـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ!!» تاريخ بغداد: للخطيب (٤/٤٢)، وتـارـيـخـ دـمـشـقـ: لـابـنـ عـسـاـكـرـ (٥٤/٤٢٤). وغيرهم كثير.

(١) سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٥).

فهذه الطريقة هي الطريقة المُثلَى عند الحفاظ، ولذا قالوا:  
«السَّبِقُ حَرْفٌ، وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ!».

وقالوا: «حِفْظُ حَرْفَيْنِ، خَيْرٌ مِنْ سَمَاعٍ وَقَرْيْنَ!».  
وقالوا: «رَأْسُ الْمَالِ مَقْدَمٌ عَلَى الرِّبْحِ!»<sup>(١)</sup>.

ويُشَبِّهُ هذا، الحفظ فيما يُسمَّى (المَحْضَرَة) حيث يأتي الطالب ومعه لوحٌ خشبيٌّ، فيكتبُ له شيخه، أو يكتبُ هو سطرين أو ثلاثةً، أو بيتاً أو بيتين، أو نحوها من المحفوظات، فيحفظُها، فإذا ما انتهى منها مَحَاها ثم حفظ غيرها، إلى أنْ يَسْتَتِمَ حفظَ المتن كاماً.

وما زالت هذه الطريقة معمولاً بها حتى اليوم في بلاد سنديط، ودول المغرب، وإفريقيا، فلا يحفظون القرآن والحديث والشعر ونحوها إلا بهذه الطريقة.

فبهذه الطريقة يستطيع الحافظ أنْ يَسْتَمِرَ، وأنْ يُتقنَ المحفوظ.  
أمَّا بالنِّسبة لِمَا يُشَيِّعُه بَعْضُ النَّاسِ، وبعضاً مناهج التعليم الحديثة، من عدم جدوئ الحفظ، - لا سيما في هذا الزَّمن -، وعُمْدُهُمْ في ذلك ما اشتهر عن الأستاذ: محمد عبد المِصْرِيِّ، المفسِّر، حيث قيل له: إنَّ فلاناً يحفظ صحيح البخاري. فقال: زادت نُسخَةٌ في البلد!!<sup>(٢)</sup>.

(١) لطيفة: قال ابن هبيرة: «قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أنَّ في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى». فتح الباري: لابن حجر (٣٠١ / ١٢).

(٢) انظر: أضواء على السنة المحمدية: لمحمود أبو رية (ص/ ٣٢٩)، ولحظ الألحاظ: للكوثري (ص/ ٣٣٥).

إضافةً إلى قولهم: إنَّ الحفظ يُعطل الفَهْمَ! أو أنَّ الفَهْمَ هو المطلوب لإيجاد قُدُرَاتٍ تُواكب العصر! ونحو ذلك من المقولاتِ التي تُزَهَّد في الحفظ! فهذا كُلُّهُ مردودٌ على أصحابه.

**وتقريراً للصواب في هذه المسألة فإنني أقول:** لعل السبب في هذا الإشكال، هو عدم التفريق بين أنواع العلوم من حيث الشَّابُتُ والتَّطْوُرُ.

فالعلوم بحسب ثباتِها وتطورِها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

**أولاً:** علوم متطورةٌ، وهي العلوم المتَجَدِّدةُ التي لا تَقْبِلُ الرُّكُودَ، بل تتَطَوَّر باستمرارٍ، كعلوم الميكانيكا، وعلوم الكاتُوب<sup>(١)</sup>، وعلوم الهندسة، وعلوم الطَّبِّ، ونحوها من علوم العصر.

فهذه لا يُحْفَظُ فيها متنٌ، بل إنَّ النَّظَمَ فيها ضَرْبٌ من ضُرُوبِ الْمُلَاحِ!<sup>(٢)</sup>

**(١) فائدة الكاتُوب:** هو التَّعرِيبُ الأَوْفَقُ - عندي - لاسم الجهاز المعروف بـ(الكومبيوتر). ولقد تدرَّجوا في تعرِيبِ اسمه أولَ ما صُنِعَ، فقيل: النَّظامَة، ثم الرَّتَابَة، ثم العقل الإلكتروني، ثم الحاسُون، ثم الحاسُوبُ الآلي، ثم الحاسُوبُ، وبه اشتَهَرَ! وأرى أنَّ ذلك مرجوحٌ؛ لأنَّ عُظُمَ فوائِدِه في الكتابة والصفَّ والرَّسْم وما إلى ذلك. أمّا الحسابُ وما شابَهُ؛ فهو جزءٌ يُسَيِّرُ من وظائفِه. بل لا يستخدَمُ لهذا الغرض إلَّا قلِيلٌ من الناس، كالمهندِسين، والرياضِيين، والفيزيائِين. وهذا هو رأيُ طائفةٍ من محققي اللغويَّين أيضًا؛ منهم العلَّامةُ عبدُ الله الطَّيِّب، والدكتورُ إبراهيم عوض، وغيرِهما. والله أعلم.

**(٢) بلغني أنَّ أحدَ الأطْبَاءِ في بلاد الشَّام نَظَمَ ما يتعلَّقُ بطبِّ النساء والولادة!!** وهو من أصعب التخصُّصات في علم الطَّبِّ؛ فلعلَّه نَظَمَه لأجلِ ذلك، وعلى كُلِّ فهِي كائنةٌ نادِرَةٌ!

أما ما وُجد من ذلك عند بعض المتقديّمين، فهو بحسب ما استقر عليه الأمرُ عندهم، لأنَّ العلوم الطبيعية، وعلم الطبِّ<sup>(١)</sup>، والهندسة،

### (١) من الأنظام البدعية في الطبِّ:

- «الأرجوزة في الطبِّ»: للحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، وهي مطبوعةٌ ضمن كتاب: «من مؤلفات ابن سينا الطبية» وتقع في (١٣٣٧) بيتاً، وهي منظومةٌ سلسلةٌ عذبةٌ بدعيةٌ.

قال في مستهلها:

الفصلُ بينَ الحيِّ والإنسانِ	بصنعةِ اليَدِينِ واللسانِ
صُنْعاً، وفي مقالةِ أَسْنُهمْ	فأشرُفُ النَّاسِ إِذْ أَحْسَنُهُمْ
كما الأطْبَاءُ ملوكُ الْبَدْنِ	والشُّعُرُاءُ أُمَرَاءُ الْأَلْسُونِ
وذا يَطِيبُ الْجَسَمَ بِالنَّصَاحَةِ	هذا يَسُنُّ النَّفْسَ بِالْفَصَاحَةِ
فيها جمِيعُ الطَّبِّ عِلْمًا وعِمْلًا	وهذه أَرْجُوزَةٌ قد اكتملَ

- منظومة: «حافظ المزاج، ولاظ الأمشاج بالعلاج»: لأبي القاسم بن أحمد بن عيسى الفشتالي المعروف بالغول (ت ٥٩٠ هـ). وهو عبارةٌ عن منظومةٍ رجزيةٍ تقع في نحو ألفٍ وخمس مئة بيتٍ، مرتبة على أربعة وعشرين باباً، فيها الحديث عن وجع الرأس والشققية وال Zukam وجَرَب الرأس وداء الشعلة....، وختم بالباب الرابع والعشرين الذي تحدث فيه عن أنواع الأشربة والمربيّات والأدّهان والمقادير والأوزان.

يقول في مقدمة المنظومة:

عِلْمُ شَرِيفٍ لِلخَيْرِ الطَّبِّ	وَبَعْدُ؛ فَاعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ الطَّبِّ
لِلْعَوْنَ في عِبَادَةِ الْمُدِيَانِ	لَا نَهُ مُنْعَشُ الْأَبَدَانِ
لَمْ يَحُوْهَا طَالُبُهَا بِقِيمَةِ	فُصُّنْتُ فِي هِدْرَرَأَيْتَمَ

والرياضيات<sup>(٤)</sup>، ونحوها، لم تكن متطورةً عندهم بهذه السرعة الهائلة التي

أدويةٌ وَجُودُهَا مَعْرُوفٌ	يُدْرِكُهَا الشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ
وَكُلُّهُ سَافِي قُطْرَنٌ مَيَّسٌ	إِلَيْسَ يَرِا أَصْرَلُهُ يُمَيَّزُ
سَمِيتُهُ بـ «حَافِظِ الْمَزَاجِ»	وَلَفْظِ الْأَمْشَاجِ بـ «الْعَلاجِ»

- **«المنظومة الشقرورية»:** للطبيب محمد عبد القادر بن العربي المعروف بابن شقرور المكناسي، كان حيًّا سنة (١٤٠ هـ).

وتقع هذه الأرجوزة في (٧٠٤) بيتاً، نظمها جواباً لسؤال من تلميذه الشيخ صالح بن المعطي. وهي مطبوعة ضمن «المجموع الكامل للمتون». وقد ضمنها شرح فوائد المآكل والمشارب المتداولة بين الناس. ومنها قوله فيما يتعلق بأكل اللحم:

**بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ**

(١) للتوسيع انظر: بحث «منظومات العلم الرياضي»، المنشور في (حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر) العدد السابع، ١٤٠٤ هـ للدكتور: جلال شوقي. ويبحث «من تراثنا المنظوم في الرياضيات» المنشور في (مجلة الدارة - دارة الملك عبد العزيز - بالرياض) السنة العاشرة، العدد الثالث، عام ١٤٠٥ هـ للباحث نفسه.

**لطيفة:** نظم الأستاذ أحمد عرابي الأحمد - من سوريا - ألفية في الرياضيات والجبر! تقع في (١٠٩٠) بيتابا! وقد نشرت عام (١٤٣٨هـ)، وهي منظومة سلسلة عذبة رغم وعورة العلم الذي نظمت فيه! فللله دره من ناظم متمكن. وقد قال في خاتمتها:

الْفَيْةُ كَانَتْ لِدِيْ حُلْمًا  
وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَتَمَّ  
أَبْيَاهَا تِسْعَوْنَ فَوْقَ الْأَلْفِ  
وَمَا حَوْثَ إِلَّا عَنْا وَيْنَ لَمَّا

يعيشها عصرنا!

**ثانيًا:** علوم ثابتة الأصول مُتجددة الفروع والجزئيات. كالفقه مثلاً؛ فإن الفقه أصوله ثابتة، لكنه حادث الجزئيات، كثير النوازل والمستجدات. ولذلك أنشئت المجامع الفقهية لمعالجة هذه النوازل المستجدة.

**وهذا القسم** إنما يحفظ منه مسائله الأصول وقواعد فحسب؛ لأنه لا يمكن أن يحفظ الإنسان جميع الجزئيات والمستجدات؛ إذ لو رام ذلك للزم حفظآآلاف الصفحات! وعشرات الآلاف من الأبيات!!

بابن عبد القوي له منظومة دالية في فقه الحنابلة، سماها: «عقد الفرائد وكنز الفوائد»، نظم فيها «المقعن»، طبعت في مجلدين، تقع في: ثلاثة عشر ألف وتسع مئة وستة وستين بيتاً! قال عنها الشيخ عبد الكريم الخضير - كما في شرحه لمختصر الخرقى - : «من أعظم ومن أبدع ما نظم في هذا الفن»<sup>(١)</sup>. ونظم ضياء الدين علي بن سليم الأذري «التنبيه» في فروع الشافعية في: ستة عشر ألف بيت<sup>(٢)</sup>.

ونظم ابن عرب شاه المسائل الخلافية في الفقه، وسمّاه «دلائل الإنصاف»، في: أزيد من خمسة وعشرين ألف بيت<sup>(٣)</sup>!!، وغيرها.

## عسى تكون أختهافي الهندسة أكثر إضاحاً لأهل المدرسة!

(١) وللشيخ العالمة عبد الرحمن السعدي شرح عليها يقع في ثلاثة عشر مجلداً سماه «تيسير الكريم الواحد»، وهو مطبوع ضمن مجموع مؤلفاته - طبعة دار الميمان.-

(٢) انظر: كشف الظنون: ل حاجي خليفة (٤٨٩/١).

(٣) انظر: كشف الظنون (٧٥٩/١)، وهدية العارفين: للبغدادي (٦٤٠/١).

وحفظُ هذا الكم في العادة شبه متعدّر؛ لما فيه من استنفاد وقٍ طويلاً،  
وانشغالٍ عن حفظ بقية العلوم والفنون، وحشو للحافظة بما غيره أولى منه؛  
إِنَّ الْحَافِظَةَ إِذَا حُشِّيَتْ بِهَذَا الْكَمِ الْكَبِيرِ فَمَا سَيْقَنَ فِيهَا لِبَقِيَّةِ الْفَنُونِ؟!

ولقد أشار ابن حزم إلى هذا المعنى بقوله:

مَنْ ظَلَّ يَبْغِي فَرُوعَ عَلِمٍ بَدْءًا، وَلَمْ يَذْرِ مِنْهُ أَصْلًا  
فَكَلَّمَا ازدادَ فِيهِ سَعْيًا زادَ لَعْمَرِي بِذَاكِ جَهَلًا!!<sup>(١)</sup>

**ثالثاً:** علوم ثابتة لا تتغير. مثل علوم الآلة: كالنحو، والصرف، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والبلاغة، ونحوها.

**فهذه العلوم** لا تتبدل ولا تتغير؛ لأنها قائمة على قواعد وقوانين ثابتة لا تتغير.

**فمثلاً:** الفاعل منذ امرئ القيس إلى الآن مرفوع، فلا يمكن أن يُثبت

**فاردة:** أحبَّ يحيى بن خالد البرمكي أن يحفظ كتاب «كليلة ودمنة» فاشتَدَ عليه ذلك، فقال له أباً بن عبد الحميد اللاحقي: أنا أجعلُه شِعراً؛ ليخفَ على الوزير حفظه. فنقله إلى قصيدة عَوْلَاهَا مُزْدَوَّجَةً، عدُّ أبياتها أربعة عشر ألفَ بيتٍ في ثلاثة أشهر!! فأعطاه يحيى عشرةَ آلَافِ دينارٍ! وأعطاه الفضلُ خمسةَ آلَافِ دينارٍ! وقال له جعفرُ بن يحيى: ألا ترضى أن تكون راوياً لك لها؟ ولم يُعْطِه شيئاً! قال: فتصدقَ بثلث المال الذي أخذته.

وقد ذكر حمدانُ ابنه: أنه كان يصلّي ولوحٌ موضوعٌ بين يديه، فإذا صلّى أخذ اللوح فملأه من الشعر الذي صنعه، ثم يعود إلى صلاته!

**انظر:** الأوراق: للصولي (٤٦/١) وقد أورد من منظومته هذه (٧٦) بيتاً، وتاريخ بغداد: للخطيب (٥١/٧)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي (٨٧/١٠).

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: للشنتریني (١٧١/١).

إِنْسَانٌ - مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمَ - أَنَّ الْفَاعِلَ مُجْرُورٌ مِثْلًا!

**وَالْقِيَاسُ عِنْدَ الْأَصْوَلِيِّينَ:** إِلَحْاقُ فَرْعَ بِأَصْلٍ؛ لِعِلْمٍ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا.

**وَالْحَدِيثُ الْمُعَلُّ عِنْدَ الْمَحْدُّثِينَ:** هُوَ مَا فِيهِ عِلْمٌ خَفِيَّةٌ قَادِحةٌ.

وَهَذَا دَوَالِيْكَ فِي جَمِيعِ مَصْطَلِحَاتِ عِلْمِ الْآلَةِ.

**وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْقَسْمِ مَا يُحْفَظُ:** النَّصْوَضُ مِنْ: الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسَّنَةِ النَّبُوَيَّةِ، وَالأشْعَارِ، وَالْحِكَمِ، وَالْأَمْثَالِ، وَنَحْوِهَا.

فَهَذَا الْقَسْمُ هُوَ الَّذِي نُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتٍ بِحَفْظِهِ وَإِتقَانِهِ<sup>(١)</sup>.

وَلَا يُمْكِن لِلرَّاغِبِ - إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ رَاسِخًا فِي الْعِلْمِ - إِلَّا أَنْ يُتَقْنَنَ عِلْمَ الْآلَةِ؛ لِأَنَّهَا بِمَثَابَةِ الْمَفَاتِيحِ لِعِلْمِ الْمَقَاصِدِ.

وَلَهُذَا يُلَاحِظُ أَنَّ كَبَارَ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ، كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ الْجَكَنِيِّ الشَّنَقِيَّطِيِّ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِيِّ رَحْمَهُمَا اللَّهُ وَغَيْرِهِمَا، مَا وَصَلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الرَّسُوخِ الْعَلْمِيِّ، وَقُوَّةِ الْإِسْتِبْلَاطِ، إِلَّا بِحَفْظِهِمْ وَإِتقَانِهِمْ عِلْمَ الْآلَةِ.

**ثُمَّ إِنِّي أَقُولُ لِلَّذِينَ يُنْفِرُونَ مِنَ الْحِفْظِ:** إِنَّ الْحِفْظَ سَابِقٌ عَلَى الْفَهْمِ، فَالْفَاهِمُ هُوَ حَافِظٌ بِالْمُضْرُورَةِ! إِذْ لَا يَوْجِدُ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا وَلَابِدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَحْفُوظَاتٌ سَابِقَةٌ، هِيَ رَكَائزُهُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يُنْطَلِقُ مِنْهَا.

(١) لِيُسَمِّيَ الْمَرَادُ هَذَا الْحِفْظَ لِأَجْلِ الْحِفْظِ؛ وَإِنَّمَا لِمَا يَتَرَبَّ عَلَى الْحِفْظِ مِنْ آثارٍ وَفَوَائِدٍ، مِنْهَا: حُسْنُ التَّصْرُفِ فِي الْعِلْمِ، وَسُرْعَةُ اسْتِحْضَارِ الْمَسَائِلِ، وَفَهْمُ الْعِلْمِ عَلَى نَحْوِ أَفْضَلِ، وَبَقَاءُ الْعِلْمِ فِي الصَّدْرِ طَوِيلًا، وَانْتِقَالُ الْعِلْمِ مَعَ حَافِظِهِ حِيثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا ذَهَبَ، وَلَذَّةُ عَظِيمَةٌ يَجُدُّهَا الْحَافِظُ لِحِفْظِهِ، وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ لَا تَعَدُّ لَهَا كَنْزُ الْأَرْضِ !!

فلو ضربنا مثلاً على ذلك لعلمٍ من أبعد العلوم عن الحفظ، وهو علم الرياضيات؛ فإنه لا بد أن تكون في ذهن الرياضي قوانين ثابتة، ومسلماً مقررةً من قبل، وإلا فكيف سيجري عملياته الحسابية؟ وهذا ضربٌ من ضروب الحفظ، وإن كانت العمليات الحسابية نفسها لا تحفظ!

وليس أمر العناية بالحفظ خاصاً بال المسلمين فحسب، بل هو موجود أيضاً عند علماء الغرب<sup>(١)</sup> من غير المسلمين، علماً بأن بعض المناهج التعليمية المعاصرة (التي زهدت في الحفظ) إنما أخذت من الغرب!! وأكتفي هنا بذكر مثالين:

فالمؤرخ الإنجليزي (لورد ماكولي)<sup>(٢)</sup> كان يُستظهر كثيراً من الكتب،

(١) قال العلامة المعلم في معرض دفاعه عن إمام المغازي ابن إسحاق: «فاما نقله عن اليهود والنصارى وتسميتهم إياهم أهل العلم الأول، فلا عيب فيه». آثار الشيخ العلام المعلمى (٢٣٦ / ٢٤).

(٢) توماس بابنجلتون ماكولي المعروف بـلورد ماكولي (١٨٥٩ - ١٨٠٠ م) سياسي ومؤرخ وشاعر بريطاني.

وهو صاحب الخطاب الشهير الخطير، الذي ألقاه في البرلمان الإنكليزي، في الثاني من شباط سنة (١٨٣٥ م)، وقد جاء فيه: «لقد سافرت في الهند طولاً وعرضاً ولم أر شخصاً واحداً يتسلّل أو يسرق! لقد وجدت هذا البلد ثرياً للدرجة كبيرة، ويتمتع أهله بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتى إنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة، إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي!!

ولذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم؛ لأنه لو بدأ الهند يعتقدون أن كل ما هو أجنبي وإنجليزي جيد، وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون - كما نريدهم أن يكونوا - أمّة تم الهيمنة عليها تماماً!!!».

وكان يهتم بالحفظ كثيراً<sup>(١)</sup>.

والأديب الروائي (أندريه فارنبو) كان يحفظ هو وأصدقاؤه رواية (إيميني)  
لجان ديتان عن ظهر قلب!<sup>(٢)</sup>.

**والحاصل**: أنه منذ أن قال محمد بن هبة الله المكي (المتوفى بعد سنة  
٥٧٠ هـ) في منظومته «حدائق الفصول»:

ومنه ماتنقسمُ الأجسامُ فاحفظْ فكُلْ حافظِ إمامٌ

أو عَصْرِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِ الرَّحِيْبيِ (ت ٥٧٧ هـ) في منظومته: «بُغية الباحث  
عن جُملِ الْمَوَارِثِ»:

والثُّلَاثَانِ وَهُمَا التَّمَامُ فاحفظْ فكُلْ حافظِ إمامٌ<sup>(٣)</sup>

وحتى اليوم، فإن الحافظ إمام بلا جدال<sup>(٤)</sup>.

وقد استطاع ماكولي تطبيق فلسفته، حيث تم في العام نفسه تحويل التعليم في المدارس  
الهندية إلى نظام إنكليزي خالص!! راجع: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(١) الفنون الصغرى: لابن عقيل الظاهري (ص/١٦٥).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) لا أدرى أيهما أسبق للشطر الثاني؟! لأنهما متعاصران! أم أنه ضربٌ من توارد الخواطير،  
ووقوع الحافر على الحافر!

(٤) قال أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: «القاعدة عند القدماء أن كلَّ حافظٍ إمامٌ. فلما  
جاءت التربيةُ الحديثةُ زهدتنا في الحفظ، فأضررتُ بنا إضراراً شديدةً» الفنون الصغرى -  
السفر الخامس - (ص/١٦٥).

**قلت**: بل أصبح لقب الحافظ مثلاً، بعد أن كان مقتبة!! والله المستعان.

ويقول ابن أبي الحَدِيد في نظمه «الفصيحة» لشعلب:

وَبَعْدُ: فَالْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْضَبِطْ      بِالْحِفْظِ لَمْ يَنْفَعْ، وَمَنْ مَارَى غَلِطْ

وَقَالَ ابْنُ الْجَزْرِيَّ فِي «طِبَّةِ النَّشْرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ»:

وَبَعْدُ: فَالإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرُفُ      إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدَ الْحَاكِمُ الْمُعْرُوفُ بِابْنِ دُوْسْتِ:

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ      فَإِنَّ لِلْكُتُبِ آفَاتٌ تُفَرِّقُهَا:  
الْمَاءُ يُغْرِقُهَا، وَالنَّارُ تَحْرُقُهَا      وَالْفَأْرُ يَخْرُقُهَا، وَاللَّصُّ يَسْرِقُهَا!

كَمَا ذَمُوا الَّذِي لَا يَحْفَظُ عِلْمَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ:

إِسْتَوْدَعَ الْعِلْمَ قِرْطَاسًا فَضِيَّةً      فَبَسَّ مُسْتَوْدَعَ الْعِلْمِ الْقَرَاطِيسُ

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب: لرزق الله شيخو (١٤١ / ٣).

(٢) **لَطِيفَة:** لعلَّ ما يُستلطفُ هنا ويؤكّد معنى هذا البيت، قصةُ الإمام الغزالى وهو راجعٌ من جُرْحَانٍ إلى طُوس، قال: «قُطِعَتْ عَلَيْنَا الطَّرِيقُ، وَأَخْذَ الْعَيَارُونَ (اللَّصُوصُ) جَمِيعَ مَا مَعَيْ وَمَضْوِعَاً، فَتَبَعَّثُمُ فَالْتَّفَتَ إِلَيَّ مُقْدَمُهُمْ وَقَالَ: ارْجِعْ وَيَحْكَ وَإِلَّا هَلْكَتْ. فَقَلَّتْ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي تَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْهُ أَنْ تَرَدَّ عَلَيَّ تَعْلِيقَتِي فَقَطْ فَمَا هِيَ بِشَيْءٍ تَتَفَعَّلُونَ بِهِ فَقَالَ لِي: وَمَا هِيَ تَعْلِيقُكَ؟! فَقَلَّتْ كَتْبُ فِي تِلْكَ الْمِخْلَةِ، هَاجَرْتُ لِسَمَاعِهَا وَكِتَابَتِهَا وَمَعْرِفَةِ عِلْمِهَا. فَضِحَّكَ، وَقَالَ: كَيْفَ تَدَعِي أَنَّكَ عَرَفْتَ عِلْمَهَا وَقَدْ أَخْذَنَاها مِنْكَ فَتَجَرَّدَتْ مِنْ مَعْرِفَتِهَا وَبَقِيَتْ بِلَا عِلْمٍ!! ثُمَّ أَمَرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَسَلَّمَ إِلَيَّ الْمِخْلَةَ!  
**قال الغَزاَلِيُّ: فَنَّلَتْ:** هذا مُسْتَنْطَقٌ أَنْطَقُهُ اللَّهُ؛ لِيُرْشِدَنِي بِهِ فِي أَمْرِي. فَلَمَّا وَافَيْتُ طُوسَ، أَفْبَلْتُ عَلَى الْأَشْتِغَالِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى حَفَظْتُ جَمِيعَ مَا عَلَقْتُهُ، وَصَرَّتُ بِحِيثُ لَوْ قُطِعَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ لَمْ أَتَجَرَّدْ مِنْ عِلْمِي !!» طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٦ / ١٩٥).

وقولهم:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك لكتاب لا ينفع

وقال أبو العتاهية:

مَنْ مُنِعَ الْحَفْظَ وَعَىٰ مَنْ ضَيَّعَ الْحَفْظَ وَهُمْ!

وكان لأبي بكر الصولي بيته مملوء كتبًا قد صفتها، وجلودها مختلفة الألوان، كل صنفٍ من الكتب لونٌ؛ فصنف أحمر، وصنف أخضر، وصنف أصفر، وغير ذلك. وكان يقول: هذه كلها سمعي، وإذا احتاج إلى مراجعة شيء منها قال: يا غلام هات الكتاب الفلاني! فقال فيه أبو سعيد العقيلي<sup>١</sup> يذمه: **لعدم حفظه ما فيها:**

إنما الصولي شيخ أعلم الناس خزانة!

إن تسأل عن مشكلات طلبًا منه إبانة

قال: يا غلام هاتوا رزمة العلم فلانة!!

فالحفظ إذن ضرورة لا بد منها في التأصيل العلمي، ولذا قال الشيخ

**محمد بن الدناء الأجودي:**

والعلم دون حفظه لا يدرك

(١) انظر: معجم الأدباء: لياقوت (٦/٢٦٧٧)، وإنباء الروايات على أنباء النحاة: للقططي (٣/٢٣٥)، ووفيات الأعيان: ابن خلkan (٤/٣٦٠).

فَالْقَلْبُ لَا يَفْقَهُ إِلَّا مَا اسْتَقَرَ  
 وَالْحِفْظُ لَازِمٌ لِمَنْ تَعَلَّمَ  
 وَمَنْ يَخْلُ عِلْمًا بِدُونِهِ حَصَلَ  
 فَالْعِلْمُ إِنْ حُفِظَ زَانَ وَنَفَعَ  
 مِنَ الْمَبَانيِ وَالْمَعَانِي وَالْعِبَرِ  
 فِي قَوْلِ كُلِّ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ  
 فَذَاكَ وَاهِمٌ؛ فَعَنْهُ لَا تَسْلُ!

وقال بدیع الزمان الهمذانی في (المقامات العلمیة)<sup>(١)</sup> عن العلم، منوّهاً بأهمیة حفظه: «وَجَدْتُهُ شَيْئاً لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ، وَلَا يُغَرِّسُ إِلَّا فِي النَّفْسِ. وَصَدِيداً لَا يَقْعُ إِلَّا فِي النَّدْرِ، وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي الصَّدْرِ. وَطَائِراً لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ الْلَّفْظِ،  
 وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا شَرَكُ الْحِفْظِ....» إلى آخر ما قال.

ومن عبارات العلماء في ذلك:

- «مَنْ حَفِظَ الْمُتُونَ، حَازَ الْفُنُونَ»!  
 - و«مَنْ حَفِظَ الْأُصُولَ، بَلَغَ الْوُصُولَ»!

**وَلَا يُعَكِّرْ عَلَى كَلامِي هَذَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ خَلْدُونَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «الْمُقْدِمَةِ»<sup>(٢)</sup>؛**

(١) مقامات بدیع الزمان الهمذانی (ص / ٢٤٢).

(٢) قال في الفصل السادس والثلاثين من الباب السادس (ص / ٦٠٩): «الفصل السادس والثلاثون: في أن كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مُخْلِفة بالتعليم. **ذهب كثيرون** من المتأخررين إلى اختصار الطرق والأ أنحاء في العلوم، يُولّعون بها، ويُدوّنون منها برنامجاً مختصراً في كل علم، يشتمل على حصر مسائله وأدلةها، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. فصار ذلك مُخاللاً بالبلاغة، وعسيراً على الفهم.

وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريرياً =

لأنَّ ابنَ خلدون إنما ذَمَّ المُختصراتِ المُغْرِقةَ في الإيجاز، التي تَضيِّعُ الأوقاتَ في تفكيكِ عباراتها، وتحليلِ ألفاظها! بدليل أنه قد ذُكر في ترجمته أنه حفظَ الكثيرَ من المنظومات العلمية، ومنها ألفية الشَّاطِبِي الصُّغرَى والكُبَرَى في القراءاتِ، وغيرها.

**نعم**، الشاعُرُ وحده هو مَنْ قد يتأثِّرُ - نوعاً مَا - بحفظِ المنظومات العلمية؛ لأنَّ النَّظمَ إذا تشبَّعَ به الذهنُ وكثُرَ تردادُه، أثَّرَ ذلك علىِ أسلوبِ الشاعِرِ وعلىِ شاعريةِ مُفرِّداته! ولذا قال القائلُ:

للحفظ، كما فعله ابنُ الحاجب في الفقه وأصولِ الفقه، وابنُ مالك في العربية، والخَوَنْجِي في المنطق وأمثالِهم.

وهو فسادٌ في التعليم، وفيه إخلالٌ بالتحصيل؛ وذلك لأنَّ فيه تخليطاً علىِ المبتدئِ بإلقاء الغaiات من العلم عليه، وهو لم يستعدّ لقبولها بعدُ، وهو من سوءِ التعليم كما سيأتي. ثم فيه مع ذلك شغلٌ كبيرٌ علىِ المتعلم بتبنيِ الفاظِ الاختصارِ العويسةِ للفهم، بتراحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل من بينها؛ لأنَّ ألفاظَ المختصرات نجدها لأجل ذلك صعبةً عويسةً، فينقطع في فهمها حظٌ صالحٌ من الوقت، ثم بعد ذلك كله فالملائكةُ الحاصلةُ من التعليم في تلك المختصرات - إذا تمَّ علىِ سداده، ولم تَعُبُّ آفةً - فهي ملائكةً قاصرةً عن الملائكتَيْن التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطلولة؛ لكثرَة ما يقع في تلك من التكرار والإحالَة المفیديَّن لحصولِ الملائكة التامة. وإذا اقْتُصرَ علىِ التكرارِ قصرَت الملائكة؛ لِقلَّته، كشأن هذه الموضوعات المختصرة. فَقَصَدُوا إلىِ تسهيلِ الحفظ علىِ المتعلمين، فأركبواهم صعباً يقطِّعُهم عن تحصيلِ الملائكتَيْن النافعة وتمكُّنها، ومن يهدِي اللهُ فلا مُضَلَّ له، ومن يُضلِّلَ اللهُ فلا هاديَ له. والله سبحانه وتعالى أعلم».

- وبنحو هذا قال الحَجْوِي الشَّاعِري في كتابِه *الفِكْرُ السَّامِي* (٣٩٨/٢) في فصلٍ سمِّاه: «غواصِي الاختصار وتاريخ ابتدائه»، فراجعه إن شئت. كما تقدَّم كلامُ العلَّامة ابنِ بدرانَ في المقدمة.

**إذا أنت لم تُحسِنْ سُوى النَّظَمِ وَحْدَهُ      فَقُلْ: أَنَا نَظَامٌ وَلَسْتُ بِشَاعِرٍ!**

كما أنّ تعاطي علمٍ مّا قد يؤثّر على متعاطيه، ففي مقدمة ابن خلدون<sup>(١)</sup> قال: «أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العالمة بالدولة المرinية، قال: ذكرتُ يوماً صاحبنا أبي العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده، فأشتدتُه مطلع قصيدة ابن النّحويّ ولم أنسّبها له، وهو هذا:

**لَمْ أَدْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ      مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالْبَالِي؟**

قال لي على البديهة: هذا شعرٌ فقيهٌ! فقلتُ له: ومن أين لك ذلك؟ فقال: من قوله: ما الفرق؟ إذ هي من عبارات الفقهاء وليس من أساليب الكلام العرب! فقلتُ له: لله أبوك! إنه ابن النّحوي<sup>(٢)</sup>.

(١) (ص/٦٥٧).

(٢) **ابن النّحوي**: هو يوسف بن محمد بن يوسف، أبو الفضل القميرواني (ت ١٣٥ هـ). روى عن أبي الحسن اللخمي صحيفَ البخاري، وعن أبي عبد الله المازري. وكان عارفاً بالفقه وأصول الدين، وله تصانيف، وكان لا يرى التقليد، روى عنه: القاضي موسى بن حمّاد، وغيره. وعاش ثمانين سنةً، وله رحلة إلى الأندلس. انظر تاريخ الإسلام: للذهبي (١١/٢١٣).

(٣) **قلتُ**: يُشبه هذا ما يُسمى عند أهل البلاغة (التوجيه) وهو: أن يَحتملَ الكلام وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً، من غير تقييد بمدحٍ أو غيره.

قال السيوطي في «عقود الجuman»:

**وَمِنْهُ تَوْجِيَّةٌ بِأَنَّ يُسَوَّافِي      مُحْتَمِلاً وَجْهَيْنِ بِسَاحِلَافِ**

**وبالمناسبة، فإنّ أفضَلَ وقِتٍ لِلحفظ** - بالتجربة - هو ما كان بعدَ نوم، سواءً أكان نوم ليل كوقت السَّحر وبعدَ الفَجر، أو نوم نهارٍ كبعدَ الظُّهُر أو العَصْر؟<sup>(١)</sup>، حيثُ يكون الذهنُ وقتَها يَقْظًا صافِيًّا نَشِيطًا.

**كَوْلٌ مَنْ قَالَ لِأَغْوَرَ: أَلَا يَالَّىْتَ عَيْنِيْ سَوَاءً جُعْلا**

**انظر:** مفتاح العلوم: للسَّكاكِي (ص/٤٢٧)، وتحرير التحرير في صناعة الشعر والنشر: للعدواني (ص/٢٦٨)، وعقود الجمان: للسيوطِي (ص/١٠٥)، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حِقائق الإعجاز: للحسيني (٧٤/٣).  
- ومن أمثلته قولُ ابن نصر الله المصري:

وَبَسْـيـطٌ وَوَافـرٌ وَطـويـلٌ! وَبـقـلـبي مـنـ الـهـمـومـ مـدـيـدـ

قـطـعـ الـقـلـبـ بـالـفـرـاقـ الـخـلـيلـ! لـمـ أـكـنـ عـالـمـ بـذـاكـ إـلـىـ أـنـ

فـهـذـهـ كـمـاـ هـوـ ظـاهـرـ - مـصـطـلـحـاتـ عـرـوـضـيـةـ!

- ومثله قولُ ابن العفيف التلمساني يصفُ ممدوحه:

كـماـ زـعـمـواـ مـشـلـ الأـرـامـلـ تـغـزـلـ؟ لـحـاظـكـ أـسـيـافـ ذـكـورـ فـمـ الـهـاـ

وـمـاـ بـأـلـ بـرـهـانـ العـاذـرـ مـسـلـماـ! وـمـاـ بـأـلـ

فـالـبـرـهـانـ، وـالـتـسـلـيمـ، وـالـدـوـرـ، وـالـتـسـلـسـلـ، كـلـهـاـ مـصـطـلـحـاتـ جـدـلـيـةـ!

**(١) قال ابن الجوزي:** (يُنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ جُلُّ هِمَتِه مَصْرُوفًا إِلَى الْحَفْظِ وَالإِعْادَةِ؛ فَلَوْ صَحَّ صِرْفُ الزَّمَانِ إِلَى ذَلِكَ، كَانَ الْأَوْلَى، غَيْرُ أَنَّ الْبَدْنَ مَطْيَّةً، وَإِجْهَادُ السَّيْرَ مَظِنَّةً الْانْقِطَاعِ. وَلَمَّا كَانَتِ الْقُوَى تَكُلُّ، فَتَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدٍ، وَكَانَ النَّسْخُ وَالْمَطَالِعَةُ وَالتَّصْنِيفُ لَا بَدْ مِنْهُ، مَعَ أَنَّ الْمَهَمَّ الْحَفْظُ، وَجَبَ تَقْسِيمُ الزَّمَانِ عَلَى الْأَمْرَيْنِ: فَيَكُونُ الْحَفْظُ فِي طَرَفِ النَّهَارِ، وَطَرَفِ الْلَّيْلِ، وَيُوزَعُ الْبَاقِي بَيْنَ عَمَلِ النَّسْخِ وَالْمَطَالِعَةِ، وَبَيْنَ رَاحَةِ الْبَدْنِ، وَأَخْذِ لَحْظَهِ).  
ولا يُنْبَغِي أَنْ يَقْعُدَ الْغَبَنُ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ؛ فَإِنَّهُ مَتَّ أَخْذَ أَحْدُهُمْ فَوْقَ حَقِّهِ، أَثْرَ الْغَبَنَ، وَبَيْانَ أَثْرِهِ!». صيد الخاطر (ص/٣٥٣).

وأفضلُها على الإطلاق وقت السَّحْر<sup>(١)</sup>، لاسيما في ليالي الشتاء الطويلة.  
وبعض المُتقَدِّمين كان يحفظ قبل النوم، ولكل وجهه هو مُولّيها.

(١) قال **الخليل بن أحمد الفراهيدي**: «أصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السَّحْر» وفيات الأعيان: ابن خلkan (٢٤٥ / ٢).

- وجاء في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنسا: للقلقشناي (٣٢٠ / ٢): «قال أبو تمام الطائي في وصيته لأبي عبادة البختري مُرشداً له للوقت المناسب لذلك: تخير الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من العموم، واعلم أن العادة في الأوقات إذا قَصَدَ الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السَّحْر؛ فإن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة، وقسّطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، وصفا الدماغ من أكثر الأبخرة والأدخنة، وسكنت الغماجم، ورقت النساء، وتغنت الحمام».

وخالف ابن أبي الأصبع في اختيار وقت السَّحْر، وجَنَح إلى اختيار وسط الليل؛ لأنَّه من قول أبي تمام في قصيده الباية:

### **خُذْهَا ابْنَةَ الْفِكْرِ الْمَهَذَبِ فِي الدُّجْنِيِّ      وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْحَلْبَابِ**

مفَسِّر اللَّدُجِي بوسط الليل، محتاجاً لذلك بأنه حينئذ تكون النفس قد أخذت حظها من الراحة، ونالت قسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، فيكون الذهن حينئذ صحيحاً، والصدر مُشرحاً، والبدن نشيطاً، والقلب ساكناً. بخلاف وقت السَّحْر فإنه وإن كان فيه يرقُ النسيم، وينهضُ الغذاء، إلا أنه يكون قد اتباه فيه أكثر الحيوانات، الناطق وغيره، ويرتفع معظم الأصوات، ويجري الكثير من الحركات، وينتشل بعض الظلماء بطلاع أوائل الضوء.

وربما انقضَّ عن بعض الناس الغِذاء فتحرَّكت الشهوة لِإِخْلَافِ ما انقضَّ منه وخرج من فضالاته، فكان ذلك داعياً إلى شُغُلِ الخاطر، وباعتُّ على انصرافَ الهم إلى تدبير الحادث الحاضر، فيتقسَّمُ الْفِكْرُ، ويتدبَّرُ القلبُ، ويترَقَّبُ جمِيعَ الْهَمِّ، بخلاف وسط الليل؛ فإنه خالٍ من جميع ذلك».

**وانظر** العمدة: ابن رشيق (٧٤٩ / ٢).

## أنواع المحفوظات

تنوّع المحفوظات العلّمية إلى أنواع كثيرة؛ لاعتبارات عديدة، لكنّها تعود في مجملها إلى نوعين:

**الأول: الشر.**

القرآن، والحديث، والمتون المتشورة، والنشر الأدبي: كالأمثال، والحكمة، والمقامات، ونحوها.

**الثاني: النّظم.**

وهذا يُحفظ منه شيئاً:

**١ - النّظم التعليميّ**، وهذا ينقسم إلى قسمين:

- المنظومات العلّمية في الفنون.

- الضوابط العلّمية الجزئية لبعض المسائل.

**٢ - الشّعر البديع**، سواءً أكان قصائد أم شواهد.

وسوف أذكر هنا - بشيء من البساط والإيضاح - بعض القواعد والفوائد المتعلقة بأهم أنواع السابقة.

**أولاً: القرآن الكريم:**

**ينبغي لطالب العلم** - سواءً أكان صغيراً أم كبيراً - أول ما يبدأ الطلب، لأن

يحفظ القرآن الكريم؛ لأنّه كلام الله، وحفظ كلام الله مقدّم على حفظ كلام غيره.

فليس سائغاً ولا مقبولاً عند صاحب الرأي الراجح والفهم الصحيح، أنْ يبدأ بحفظِ كلامِ الناسِ قبلَ حفظِ كلامِ اللهِ! لاسيما القرآنُ كتابُ العلمِ الأولُ، وهو أصلُ علومِ الدينِ كلهَا.

**قال الخطيبُ البغدادي:** «ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله ﷺ؛ إذ كان أجلَّ العلوم، وأولاها بالسبق والتقديم»<sup>(١)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «أما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثيرٍ مما تسميه الناس علمًا: وهو إما باطلٌ، أو قليلٌ النفع. وهو أيضاً مقدمٌ في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشرع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن؛ فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثيرٌ من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيءٍ من فضول العلم: من الكلام، أو الجدال والخلاف، أو الفروع النادرة والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينفع بها، وكثيرٌ من الرياضة التي لا تقوم عليها حجّة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهمُّ من ذلك كله»<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن جماعة الكناني في أنواع آداب طالب العلم في دروسه:** «النوع الأول: أن يتدبر أولًا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأهمها وأهمّها»<sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٠٦/١).

(٢) الفتواوى الكبرى (٢٣٥/٢).

(٣) تذكرة السامع والمتكلّم في أدب العالم والمتعلّم (ص/١٦٧).

**وقال ابن خلدون:** «القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعده من الملَّات. وسبب ذلك أنَّ تعليمَ الصَّغر أشدُّ رسوخًا، وهو أصلٌ لما بعده؛ لأنَّ السَّابقَ الأول للقلوب كالأساس للملَّات. وعلى حَسْب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبغي عليه»<sup>(١)</sup>.

**وعلى هذا دَرَجَ السَّلْفِ**، فقد كانوا يأمرُون أولادهم بحفظ القرآن أوَّلًا، فيختِّموه قبل العاشرة غالباً، ثم ينصرفون بعد ذلك لسماع الحديث وغيره من العلوم، كما نصَّ عليه غيرُ واحدٍ من العلماء<sup>(٢)</sup>.

(١) المقدمة (ص/٦١٤).

(٢) منهم: **الحافظ ابن عبد البر**، فقد قال: «طلبُ العلم درجاتٌ ومناقلٌ ورتبٌ، لا ينبغي تعلُّمها. ومن تعلَّمها جملةً فقد تعلَّم سبيلاً السلف رَحْمَةً لِلَّهِ، ومن تعلَّم سبيلاً عامداً ضللاً، ومن تعلَّم مجهداً زَللاً».

**فأول العلم:** حفظُ كتاب الله ﷺ وتفهُّمه، وكلُّ ما يُعِينُ على فهمه فواجِبٌ طلبه معه.... والقرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فَرَغَ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان ذلك له عوئاً كبيراً على مراده منه، ومن سُنن رسول الله ﷺ، ثم ينظر في ناسخ القرآن ومسوخيه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك، وهو أمرٌ قريبٌ على من قربه الله ﷺ عليه، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فبها يصل الطالب إلى مراد الله ﷺ في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً». جامع بيان العلم وفضله (١١٢٩/٢) فما بعد.

**وقال النووي:** «أولُ ما يَتَدَىءُ به حفظُ القرآن العزيز؛ فهو أَهْمُ العلوم، وكان السلفُ لا يعلمون الحديثَ والفقهَ إلَّا من حفظ القرآن» المجموع شرح المهدب (٣٨/١).

**وقال ابن خلدون:** «اعلم أنَّ تعليمَ الولدان للقرآن شِعْراً من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودَرَجُوا عليه في جميع أمصارهم؛ لما يسبق فيه إلى القلوب من رُسوخ الإيمان وعقائده من آياتِ القرآن وبعضِ متونِ الأحاديث» المقدمة (ص/٦١٤).

**قال حفص بن غياث:** أتيت الأعمش فقلت: حدثني، قال: أتحفظ القرآن؟  
قلت: لا، قال: اذهب فاحفظ القرآن، ثم هلم أحذثك. قال: فذهبت فحفظت  
القرآن، ثم جئتُه فاستقرأني (اختبرني)، فقرأته، فحدثني<sup>(١)</sup>.

**ونقل الميموني** أن رجلاً سأله الإمام أحمد: أيما أحب إليك: أبداً ابني  
بالقرآن أو بالحديث؟ قال: بالقرآن، قلت: أعلمك كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه  
منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعود القراءة ثم لزمه<sup>(٢)</sup>.

**وقال الإمام ابن خزيمة:** «استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة (يعني بن سعيد  
الثقفي مولاهم)، فقال: أقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظررت القرآن، فقال  
لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيدنا آذن لي، فخرجت إلى  
مرو، وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام، فنعي إلينا قتيبة!<sup>(٣)</sup>

**وقال أبو عبيد بن حربويه:** «معنى أبي من سماع الحديث قبل أن استظره  
القرآن حفظاً، فلما حفظه قال لي: خذ المحفظة، واذهب إلى فلان فاكتبه  
عنـه<sup>(٤)</sup>.

وبنحو هذا قال البقاعي في النكت الوفية بما في شرح الألفية (٢/٣٦٣)، والعلموي في  
المعيد في أدب المفيد والمستفيد (ص/١٥٦) وغيرهم.

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للرامهرمي (ص/٢٠٣).  
(٢) انظر: طبقات الحنابلة: ابن أبي يعلى (١/٢١٤)، والأداب الشرعية (٢/٣٣)، والفروع  
(٢/٣٨٠)، والمقصد الأرشد: ابن مفلح (٢/١٤٣)، ومعونة أولى النهى: ابن النجار  
(٢/٣٠٢).

(٣) تاريخ الإسلام: للذهبي (٢٣/٤٢٤)، وطبقات الشافعيين: ابن كثير (ص/٢٢٠).

(٤) فتح المغيث: للسخاوي (٢/١٤٢).

**وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي:** «لم يدعني أبي أشتغل بالحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان، ثم كتبت الحديث»<sup>(١)</sup>.  
**ولذا كان أصحاب كتب التراجم لا يكادون ينصّون في أثناء تراجمهم للعلماء على حفظهم للقرآن، لأنّ هذا هو الأصل عندهم، لكنهم يسمون في المقابل من لم يحفظ القرآن تعجبًا واستغرابًا!**<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر (٣٥/٣٦٠)، وطبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٣٢٥/٣).

- **وعلى هذا النهج** سار مفتى الديار السعودية سابقًا العالمة / محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ) رحمة الله، فقد ذكروا عنه أنه كان إذا جاءه الطالب لطلب العلم، سأله: هل حفظ القرآن؟ فإن كان حافظاً سمح له بالجلوس مع الطلاب، وإن لم يكن حافظاً قال: انطلق فاحفظ القرآن، ثم تعال فاجلس مع إخوانك.

- ومَشَى عليه أيضًا الإخوة في مشروع (حفظ الوحين) الذي يشرف عليه أخونا الشيخ الحافظ / يحيى بن عبد العزيز اليحيى، وفقه الله تعالى وجميع العاملين معه، فلا يبدأ الطالب لديهم بحفظ السنة، حتى يستتم حفظ القرآن الكريم.

(٢) **مَنْ ذَكَرَ وَأَنَّهُ كَانَ لَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ مِنَ الْعُلَمَاءِ:**

- العالمة محمد بن عمر الواقدي. **قال الخطيب البغدادي:** «كان الواقدي مع ما ذكرناه من سعة علمه وكثرة حفظه، لا يحفظ القرآن». تاريخ بغداد (٤/١١).

- الحافظ عثمان بن محمد بن أبي شيبة. انظر تاريخ الإسلام (١٧/٢٧١).

- الإمام أبو عمرو بن العلاء، رغم إمامته في العربية وغيرها. انظر سؤلات الأجرّي أبا داود (ص/١٦٥).

- السيد ركن الدين حسن بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي صاحب التصانيف. قال **الذهبى**: «كان لا يحفظ القرآن إلا بعضه». العبر في خبر من غير (٤١/٤).

- صفي الدين الهندي، الفقيه الشافعى الأصولي، الذى انتدب لمناظرةشيخ الإسلام ابن تيمية!! كان لا يحفظ القرآن. الدرر الكامنة (٥/٢٦٢).

**لكنْ هذا** لا يتعارض مع حفظ غيره معه، كالاشغال بحفظ المنظومات العلمية مثلاً، لا سيما لمن استطاع أن يوفق بينها، فيجعل للقرآن وقتاً، ولغيره وقتاً. أو لمن لم يستغل بطلب العلم إلا حال كبره. وإنما المذموم تقديم غيره عليه.

**وإليك بعض القواعد التي ينبغي مراعاتها لمن أراد حفظ القرآن الكريم:**

**أولاً:** لا بد من تخصيص وقت يومي معين لحفظ القرآن.

وهذا التخصيص يحفز الذاكرة لانتظار تلك الساعة التي يحفظ فيها ويراجع! وهذا أمر معروف مجرّب عند الحفاظ.

**ثانياً:** لا بد من الحفظ على رسم واحد للمصحف لا يتغير؛ لأن هذا

- إسماعيل بن خليفة الحسبي، الفقيه الشافعي، كان لا يحفظ القرآن مع تفرّده بالإفتاء في عصره! إنباء الغمر (١٣٨/١).

وغيرهم.

- بل إن العالمة والرحلة الشهير/ محمد بن ناصر العبودي - وهو من المعاصرين - قد قال في كتاب معجم أسر بريدة (٢٢٦/١٠) عن الشيخ عمر بن سليم (ت ١٣٦٢ هـ): «لا حاجة إلى القول بأن الشيخ عمر بن سليم يحفظ القرآن الكريم كلّه كما يحفظ غيره سورة الفاتحة!

فلا نعرف شيئاً وقاضياً ذا أهمية لا يحفظ القرآن الكريم، حتى أئمة المساجد قلّ منهم من لا يحفظ القرآن الكريم ويصلّي بالناس صلاة التراويح والقيام ويتلوا القرآن في الصلاة من حفظه.

**ولما بلغنا** أن إماماً معروفاً بقلة الحفظ كان يحمل معه في الصلاة مصحفاً يراجع فيه ما قد يكون غاب عن حفظه من الآيات التي يريد أن يتلوها، استفزع الناس ذلك، وتعجبوا منه تعجبهم من شيء غير مألف».

يُساعد الذاكرة التصويرية<sup>(١)</sup> على تصور مكان الآية من الصفحة.

**ثالثاً:** من المنشطات على الحفظ الطريقة التي ألمحت لها سابقاً، ألا وهي طريقة تجزئة المحفوظ.

ويوجَد - بحمد الله - في الأسواق مصاحف مقسّمة، إلى ثلاثة أقسام، وستة أقسام، وعشرة أقسام، وثلاثين قسماً.

**وهذا لا شك** أنه يساعد على الحفظ، فإذا ما حفظ الراغب قسماً، نشط لحفظ القسم الذي يليه... وهكذا، حتى يتم حفظ القرآن.

**رابعاً:** الأولى أن يحفظ القرآن على نسق ترتيبه المعروف، لكن لا مانع أن يتخيّر الحافظ من السور، فيحفظ مثلاً سورة طولية، ثم يحفظ بعدها سورة متواضعة أو قصيرة وهكذا؛ لأن هذا أنشط على الحفظ، وأروح للنفس؛ فإنه إذا تنوّعت الأساليب سهل على النفس تقبّلها؛ لأن القلوب ترتاح إلى التنوّع، وتتأمّل من الجمود على نمط واحد.

وكان الخليفة المأمون يتنقل كثيراً في داره من مكان إلى مكان وينشد

**قول أبي العناية:**

**لَا يُصلحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدَبَّرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ<sup>(٢)</sup>**

**(١) الذاكرة التصويرية:** هي القدرة التي يمتلكها الإنسان على تذكر الأسماء والأشياء والأحداث والصور، حيث تبقى هذه المعلومات في ذاكرته وإن طال به الزمن.

وهناك أيضاً القراءة التصويرية: وهي طريقة حديثة لتسريع القراءة، ومعالجة المعلومات، وتحفيز التفكير، والحصول على استيعاب عالٍ للمادة المقرؤة في وقت قياسي.

**(٢)** أدب الدنيا والدين: للماوردي (ص/١٣).

**خامسًا:** مِنَ المعلوم أَنَّ الطرقَ التي ذكرها أَصْحَابُ الْخِبْرَة لحفظِ القرآنِ – فِي الكتبِ وغَيرِهَا – كثِيرَةٌ، لِكُنِّي أَحَبُّ أَنْ أُرْشِدَ هُنَا إِلَى طَرِيقَتَيْنِ حَسَنَتِيْنِ، لعَلَّيْ لَمْ أُسْبِقْ إِلَيْهِمَا، أَلَا وَهُما:

### الطريقةُ الأولى: الحفظُ على مقاطعِ المعاني.

بِمَعْنَى أَنْ يَحْفَظَ عَدْدًا مِنَ الْآيَاتِ ذَاتِ الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ – وَقَدْ تَكُونُ ثَلَاثَ آيَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ – ثُمَّ يَتَقَلَّ لِلَّتِي بَعْدُهَا، وَهَذَا. وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ الَّتِي مَشَى عَلَيْهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ ﷺ؛ حَيْثُ يَفْسِرُونَ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِي مَعْنَى مُعِينٍ فِي مَسَاقٍ وَاحِدٍ.

وَحِفْظُ الْقُرْآنِ عَلَى المقاطعِ يُساعِدُ عَلَى الحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ مَعًا؛ لِأَنَّ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُعَتَادَةِ (بِالصَّفَحَاتِ)، قَدْ يُغْفِلُ آيَاتٍ فِي الصَّفَحةِ التَّالِيَةِ لَهَا ارْتِبَاطٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بِالصَّفَحةِ السَّابِقَةِ! بَلْ قَدْ لَا يَتَمَّ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا؛ كَأَنْ تَكُونَ جَوَابَ شَرِطٍ، أَوْ قَسْمٍ، أَوْ اسْتِفْهَامٍ، أَوْ مَا أُشْبِهَ ذَلِكَ. وَهَذَا وَاقْعٌ كثِيرٌ مِنْ طَبُّعَاتِ الْمَصَاحِفِ الْمَتَداوَلَةِ الْيَوْمَ<sup>(١)</sup>.

### والحفظُ على مقاطعِ المعاني نافعٌ لمن رَامَ حفظَ القرآن؛ لسبعين:

١ - أَنَّهُ يُسْرُ عَمَلِيَّةَ الْحِفْظِ وَالْمَرَاجِعَةِ وَالْفَهْمِ.

(١) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ فَأَعْدَتُ تَرِيَبَ الْمَصَاحِفِ كُلَّهُ عَلَى الْمَعْنَى، بِحِيثُ يَيْدُ أَكُلُّ مَعْنَىً جَدِيدًا مِنْ أَوْلِ السَّطْرِ، مَعْ شَرْحِ غَرِيبِ الْكَلْمَاتِ عَلَى هَامِشِ الصَّفَحةِ. وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تُبَيِّسُ عَلَى الْقَارئِ الْحِفْظَ الْمُتَقَنَّ، وَالْفَهْمَ الدَّفِيقَ، وَالتَّدْبِيرَ التَّامَّ لِمَا يَقْرَأُ. وَلَذَا سَمِّيَتْهُ «مُضَحَّفَ الْمَتَدَبِّرِينَ».

فَلَيْتَ بَعْضَ دُورِ النَّشْرِ تَبَنِّي طَبَاعَتَهُ وَإِخْرَاجَهُ لِلنَّاسِ؛ لِيُقْيِدُوكُمْ مِنْهُ. وَاللَّهُ الْمَوْفُقُ.

٢- أنه يُسْهِلُ عمليّة الاستشهاد فيما لو أراد أن يَسْتَشَهِدْ بآيَةٍ أو آيَاتٍ على معنًى من المعانِي.

### الطريقةُ الثانيةُ: تنجيزُ الحفظِ، وتأخيرُ المراجعةِ.

بمعنى أن يحفظ المقطع المراد حفظه، ويُكررَه كثيراً طوال اليوم، وفي النوافل، وفي أعقاب الصلوات الخمس.... حتى يثبت تماماً، ثم يتَّنقَّلُ في اليوم التالي للذِي يليه، وهكذا حتى يتم حفظ القرآن، بحيث يصرف جُهْدَه كله لحفظ دون المراجعة، وينبغي أن لا يزيد حفظه للقرآن عن سنة واحدةٍ ما أمكنَ.

ثم يعودُ بعد ذلك على المحفوظ بالمراجعة المتدرّجة، بحيث يراجع كل يوم ربع جُزءٍ حتى يتم المصحف، ثم نصف جُزءٍ حتى يتم المصحف... وهكذا يزيد شيئاً فشيئاً، حتى يصل به الحال إلى أن يختَم كل أسبوعٍ. فإنْ خشَيَ أن لا يَسْتَجِمَ المحفوظ، فليشتغل بمراجعة ما حفظَ كلما أتمَ خمسةَ أجزاءً أو عشرةً.

فهذه طريقةٌ وتلك طريقةٌ، فليتخيَّرُ الحافظُ ما يُناسبُه منهما.

ومن أهل الخبرة من يرى أنه لا بدّ من الرُّجُوع إلى «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي رَحْمَةُ اللهِ، أو إلى الكتب التي أُفتَّ في متشابه القرآن؛ لضبط الآيات المتشابهات وإتقان حفظها.

- **وأحبّ هنا** أن أدفع شبهة قد يُلْبِسُ بها إيلياس على طلاب العلم، إلا وهي أنه ربما زهد في حفظ القرآن، بحجّة أن الحافظاً قد ينساه بعد ذلك؛ فيقع في الإثم والحرج !!

ولَا أَدْرِي مَتى كَانَ الشَّيْطَانُ التَّيَّاهُ، ناصِحًا لِعَبْدَ اللَّهِ؟!  
وَهَذِهِ الشَّبَهَةُ مَا قَدْ يَصُدُّ عَنْ حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَيَدْعُ الْحَافِظَ حِفْظَ الْقُرْآنِ  
بِسَبِيلِهَا تَائِمًا!

وَهَذَا الْوَارِدُ الشَّيْطَانِيُّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرِدَ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَبْدًا؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
قَدْ وَضَعَ قَاعِدَةً مَهْمَةً هُنَا، أَلَا وَهِيَ قَوْلُهُ: «تَعَااهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ؛ فَوَالَّذِي  
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقُلِهَا»<sup>(١)</sup>.

فَتَعَااهَدُ الْقُرْآنَ إِذَا بَذَلَ الْإِنْسَانُ فِيهِ وُسْعَهُ ثُمَّ نُسِيَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ،  
وَلَا إِثَمَ عَلَيْهِ وَلَا حَرَجٌ؛ لَأَنَّ النَّسِيَانَ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ.

وَقَدْ كَانَ صَاحِبُ الْوَحْيِ ﷺ يَنْسِي، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ  
مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيْتُ فَذَكْرُونِي»<sup>(٢)</sup>.  
وَنَسِيَ ﷺ آيَةً فَسَمِعَهَا مِنْ رَجُلٍ فَتَذَكَّرَهَا<sup>(٣)</sup>.

أَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي تَوْعِيدِ مَنْ نَسِيَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَكُلُّهُ ضَعِيفٌ،  
مِثْلُ حَدِيثِ: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْدَمَ»<sup>(٤)</sup>.  
وَحَدِيثِ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي، فَلَمْ أَرَ ذَبِّاً أَعَظَمَ مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةً أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا»<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (٥٠٣٣)، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (١٧٩٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (٣٩٢)، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (١٢١١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (٤٧٥١)، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيفَةِ بِرَقْمِ (١٧٨٨).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السَّنْنَةِ (٥٩٩/٢)، وَغَيْرُهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السَّنْنَةِ (٣٤٦/١)، وَغَيْرُهُ.

## ثانيًا: السنة النبوية:

الاشتغال بحفظ السنة النبوية من أفضل الأعمال وأجل المطالب؛ لأنها شقيقة القرآن، والمصدر الثاني من مصادر التشريع. فينبغي لطالب العلم أن يستكثر من حفظ متونها، واستظهار أكبر قدر منها.

وفي اجتهادي أنه لا يوجد نص نُشَرَّ - بعد القرآن - أسهل حفظاً من الأحاديث النبوية؛ لأنَّ كلام النبي ﷺ في غاية الفصاحة والبلاغة والوضوح؛

فهو أفصح من نطق بـ(الضاد)، كما أنه ﷺ قد أُوقي جوامع الكلم<sup>(١)</sup>.

فأولى كلام يُطلق عليه أنه من السهل الممتنع؛ هو كلامه ﷺ. ولهذا كان العلماء يقولون إنَّ كلام الحسن البصري يُشبه كلام الأنبياء<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ كلام الأنبياء في مرتبة عالية لا يمكن أن يصل إليها أي أحدٍ مهما أُوقيَ من البلاغة والبيان.

أما من استصعب حفظ الحديث، فليس هذا لصعوبة الحديث نفسه، وإنما تأتي الصعوبة بسبب أمرٍ خارجين:

١ - الاشتغال بحفظ السندي.

٢ - الاشتغال بحفظ تخریج الحديث وعلمه.

**ولعل هذا هو السبب في قول الخطيب البغدادي: «علم الحديث لا يعلق**

(١) قال ابن قرقوق: «كَانَ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»، أي: بالموَجِزِ من القَوْلِ، وهو ما قَلَّتْ ألفاظه، وأَسَّعَتْ معانيه. مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٢/١٤٠).

(٢) كان الحسن إذا ذكر عند أبي جعفر الباقر قال: «ذَاكَ الَّذِي يُشَبِّهُ كَلَامُهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ». تاريخ الإسلام: للذهبي (٩/٥٦)، والبداية والنهاية: لابن كثير (٩/٢٩٦).

إلاًّا بمن وَقَفَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَضْمِمْ غَيْرَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>. يَقْصِدُ بِهَذَا الَّذِي يَشْتَغِلُ بِحَفْظِ الْحَدِيثِ سَنْدًا، وَمِنْهَا، وَعِلْلًا، وَرِجَالًا، وَطَبَقَاتٍ... وَنَحْوَ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

**ومثُلُهُ قُولُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيِّ** عَنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ: «هَذَا الشَّاءُ، شَاءُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَاءٌ إِلَّا هَذَا الشَّاءُ!»<sup>(٣)</sup>.

فَالاشْتَغَالُ بِحَفْظِ الْأَسَانِيدِ وَالْعِلَّلِ وَتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ وَنَحْوُ ذَلِكِ؛ إِضَافَةً إِلَى أَنَّ فِيهِ صُعُوبَةً؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْنِى مَعَ الشَّخْصِ دَائِمًا؛ لَا سيَمَا بَعْدِ الْاسْتِكْثَارِ مِنْ حَفْظِ الْأَحَادِيثِ، وَلَرَبِّما اخْتَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي مُقْبِلِ أَمْرِهِ، فَرَكَّبَ إِسْنَادَ حَدِيثٍ عَلَى حَدِيثٍ آخَرَ!

فَإِنْ كَانَ وَلَا بَدِّ فَلَيَحْفَظْ أَصْلَ السَّنَدِ وَهُوَ الصَّحَابِيُّ رَاوِيُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّهُ كَافٍ.

(١) الجامع لأخلاق الرّاوي وأدب السامع (٢/١٧٣).

(٢) خَرِيدَة: مَا يُؤكِّدُ هَذَا الْأَمْرُ، أَنَّ الْحَاكِمَ صَاحِبَ «الْمُسْتَدِرِكَ»، بِلَغَهِ أَنَّ الْهَمَدَانِيَّ صَاحِبَ «الْمَقَامَاتِ» لِمَا وَرَدَ نِيسَابُورَ، تَعَصَّبُوا لَهُ وَلِقَبُوهُ بِدِيْعَ الزَّمَانِ، فَأَعْجَبَ بِنَفْسِهِ؛ إِذَا كَانَ يَحْفَظُ الْمَئَةَ بَيْتٍ إِذَا أَنْشَدَتْ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ! وَيُنَشِّدُهَا مِنْ آخِرِهِ إِلَى أَوْلِهَا مَقْلُوبَةً! فَأَنْكِرَ عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ: فَلَانُ الْحَافِظُ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَ: وَهُلْ حَفْظُ الْحَدِيثِ مَمَّا يُذَكَّرُ؟! فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ جَزَءًا حَدِيثِيًّا، وَأَمْهَلَهُ أَسْبُوعًا لِيَحْفَظَهُ! فَرَدَ إِلَيْهِ الْجَزَءَ بَعْدَ أَسْبُوعٍ، وَقَالَ: مَنْ يَحْفَظُ هَذَا؟! مُحَمَّدُ بْنُ فَلَانَ، وَجَعْفَرُ بْنُ فَلَانَ، عَنْ فَلَانَ! أَسَامِي مُخْتَلِفَةً، وَالْفَاظُ مُتَبَايِنَةً! فَقَالَ لَهُ الْحَاكِمُ: فَاعْرُفْ نَفْسَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَفْظُ أَصْعَبُ مَمَّا أَنْتَ فِيهِ! سَيرَ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ: لِلْذَّهَبِيِّ (١٧/١٧٣) بِتَصْرِيفِهِ.

(٣) التقييد: لابن نقطة (٢/٦٨).

**ومن العجيب** صنيعٌ مَنْ يتشاغلُ بحفظِ أسانيدِ الصحيحينِ! فیستهلك وقتاً وجهداً كثیرین، مع أَنَّ فائدةَ حفظها قليلةٌ؛ نظراً لأنَّ أسانيدَ الصحيحين قد جازت القنطرة!

وقد يقضى الإنسانُ في حفظ الكتاب بأسانيدِه أربعَ سنواتٍ مثلاً! بينما لو حفِظَ الأصلَ مجرَّداً لحفظه في سنتَيْ أو أقلَّ. ولو أنه استغلَ الوقتَ الذي قضاه في حفظِ أسانيدِ ذلك الكتاب في حفظِ كتابٍ آخرَ، أو في شرحِ معاني ما حفظَ، لكان أمثل. **ولهذا قال أبو شامة المقدسي رحمة الله** : «عُلومُ الحديثِ الْآنَ ثلَاثَةٌ: أشرُفُها: حفظُ متنِه وعِرْفُهُ غريبُها وفقِهَا.

والثَّانِي: حفظُ أسانيدِها، ومعرفَةُ رجالها، وتمييزُ صحيحتها من سقيمها. وهذا كان مهماً وقد كُفيه المشتغلُ بالعلم بما صنَّفَ وألفَ من الكتب، فلا فائدةَ تدعُو إلى تَحصِيلِ ما هو حاصلٌ.

**والثالثُ**: جَمْعُهُ وكتابُهُ وسماعُهُ وتطريقةُ طلبِ الْعُلُوِّ فيهِ والرِّحلةُ إلى البلدانِ. والمشتغلُ بهذا مُشتغلٌ عمَّا هو الأهمُ من علومِ النافعة، فضلاً عن العمل به الذي هو المطلوبُ الأولُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجَنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ﴾ إِلَّا أَنَّ هذا لا بَأْسَ به للبطالين! لما فيهِ من إبقاء سلسلةِ العَنْعَنةِ المتصلةِ بأشرفِ البشر ﷺ، فهي من خصائص هذه الأمة. ومِمَّا يُزَهِّدُ في ذلك أَنَّ فيهِ يتشاركُ الصغيرُ والكبيرُ، والبلديُّ والفاهمُ، والجاهلُ والعالمُ»<sup>(١)</sup>.

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح: للزرκشي (٤١/١).

## - والطريقة المُثلَّى لحفظ الحديث الشريف في نظري هي:

**أولاً:** إدمان<sup>(١)</sup> قراءة الأحاديث المراد حفظها، بمعنى أن يكثُر من قراءتها والنظر في متونها.

وليس بالضرورة أن يكررها تكراراً متوايلاً، كما هو الحال في القرآن والشِّعر مثلاً؛ لأنَّ القرآن لا بد من إقامة الفاظه بنصها، والشِّعر إذا لم يحفظه الإنسان كما نظمه الشاعر أو الناظم فإنه يختل وزنه، ويفسد نظمُه.

فعلى الطالب أن يُدمن قراءة الأحاديث، بأن يأخذ مثلاً كتاباً كـ«صحيح البخاري»، أو «صحيح مسلم»، أو «رياض الصالحين»، أو «بلغ المaram»، أو غيرها، ويحدد باباً أو عدة أبواب منها، ويكررها على مدار الأسبوع، كلما انتهى منها كَرَّ عليها من جديد؛ حتى يستظهرها. ثم يميل على التي تليها وهكذا، حتى يتنهي من الكتاب، ثم يعود على الكتاب مراراً حتى يُحْكِمه، ثم يجعل له برنامجا سنوياً يعيد فيه قراءة الكتاب في العام مرة أو مرتين. وهذه الطريقة - في نظري - هي التي تُرسّخ الحِفْظ وتُمْتَنَّه.

**(١) المراد بكلمة الإدمان:** المداومة والتكرار. وهي كلمة مستعملة في كلام العلماء، فمن ذلك قول ابن الأثير الأديب (ت ٦٣٧ هـ) رَحْمَةُ اللَّهِ: «كنتُ حفظتُ من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرةً، ثم اقتصرتُ بعد ذلك على شعر الطَّائِيْنِ: حبيب بن أوس وأبي عبادة البُحْرَيِّ، وشعر أبي الطِّيب المتنبيِّ، فحفظتُ هذه الدواوين الثلاثة! و كنتُ أكرر عليها بالدرس مدة سنتين، حتى تمكنَتُ من صوغ المعاني، وصار الإدمان لي خُلُقاً وطبعاً». الوثُّي المرقوم في حَلَّ المنظوم (ص ١٨١) وسيأتي النصُّ بعد بطوله.

**وقال الذهبي رَحْمَةُ اللَّهِ:** «لا سبيل إلى أن يصير العارفُ الذي يُزَكِّي نَقلَةَ الأخبار ويُجَرِّّهم جِهْنَمَ إلا بإدمان الطلبِ، والشخص عن هذا الشَّأن» تذكرة الحفاظ (١٠ / ١).

**وهذه الطريقة مُسْتَوَّةٌ** من طريقة العلماء المُنتقَدِّمين، فقد كانوا يأخذون كتاباً أو كتبًا من كُتب الحديث، ويُكَرِّرونها قراءةً أو نسخًا مراتٍ كثيرةً: فهذا الإمام أبو الفضل بن طاهر القيسري نسخ «صحيح مسلم» سبع مراتٍ!

وكان الإمام أبو القاسم العيدروسي حافظُ المغرب ممَّن فتح عليه في حفظِ «صحيح البخاري» والقيام عليه نسخًا وفهمًا وقراءةً، وقد جاء عنه أنه نسخ من «صحيح البخاري» ثمانين نسخًا، وربما فعل أكثر، أكثرها في سفرٍ واحدٍ! ونسخ أيضًا من «صحيح مسلم» تسع نسخ! وأبو الحسن علي بن عبد الله العلوي قرأ «صحيح مسلم» في ستة مجالس! وكَرَرَه كثيرًا.

وبُرهان الدين الحلبي قرأ «صحيح البخاري» خمسين مرَّةً! و«صحيح مسلم» عشرين مرَّةً!

والفيروزآبادي قرأ «صحيح البخاري» خمسين مرَّةً! وقرأ «صحيح مسلم» مراتٍ كثيرةً!

والحسن السمرقندى قرأ «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسي أكثر من ثلاثين مرَّةً!

وأبو سعيد البَحِيرِي قرأ «صحيح مسلم» أكثر من عشرين مرَّةً! على عبد الغافر الفارسي أحد رواة الصحيح.

وابن حجر العسقلاني كَرَرَ «صحيح مسلم» ما لا يُحصى.

وعبدُ الكبير الكِتَّانيِّ - والدُ الشِّيخ العلَّامَة المِفْنَّ عبدُ الحيِّ الكِتَّانيِّ صاحبُ الْكِتَابِ الْعَجَابِ «فِهْرِسُ الْفَهَارِسِ وَالْأَثَابَاتِ» - قرأ كلاً من «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» خمسين مرّة!! وكان يَعْرُفُ أحاديثَ الْكُتُبِ الستة بِالْفَاظِهَا كَمَا يَعْرُفُ أَحَدُنَا رَاحَةً يَدِهِ! لِإِدْمَانِهِ قِرَاءَتَهَا.

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا قَرَأْتُ أَنَّ الْقُرْطَبِيَّ الْجَدَّ - جَدُّ الْقُرْطَبِيِّ الْمُفْسَرُ - قرأ «صحيح البخاري» سبعَ مائَةِ مرّة!!

وَمِثْلُهُ أَبُو بَكْرٍ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَطِيَّةِ الْمُحَارِبِيِّ الْغَرَنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ - والدُّ الْمُفْسَرُ - كَرَرَ «صحيح البخاري» سبعَ مائَةِ مرّة!!

**قال الكِتَّاني مُعَقِّباً:** «معَ أَنَّ غَالِبًاً الْمُذَكُورَ عَاشَ (٧٨) سَنَةً، خُذْ مِنْهَا مَا قَبْلَ بَلُوغِهِ إِلَى وَفَاتِهِ يَبْقَى عِنْدَكَ سَتِينَ سَنَةً، فَعَلَى هَذَا كَانَ يَقْرُؤُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَحْوَ عَشِيرِ مَرَاتٍ، فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَةً تَقْرِيبًا»<sup>(١)</sup>.

فِيهِذِهِ الطَّرِيقَةِ - وَهِيَ كُثُرَةُ الْقِرَاءَةِ وَالتَّكْرَارِ - تُرْسَخُ الْأَحَادِيثُ وَتُثْبَتُ. **ولَذَا رُوِيَ عَنْ أَبْنِ مَعِينٍ أَنَّهُ قَالَ:** «لَوْ لَمْ نَكْتُبِ الْحَدِيثَ مِنْ ثَلَاثِينَ وَجَهًا ما عَقَلْنَاهُ!».

**وقال أبو حاتم الرازبي:** «لَوْ لَمْ نَكْتُبِ الْحَدِيثَ مِنْ سَتِينَ وَجَهًا لَمَا عَقَلْنَاهُ!».

**وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري:** «كُلُّ حَدِيثٍ لَمْ يَكُنْ عَنِّي مِنْ مائَةِ وجَهٍ

(١) انظر هذه النماذج في: الصلة: لابن بشكوال (٤٥٧/٢)، والغنية في شيوخ القاضي عياض (ص/١٩٠)، وتذكرة الحفاظ (٤/٤٥)، وتاريخ الإسلام: للذهبي (١١/٢٩٥)، وفهرس الفهارس: للكتابي (٢/٤٤٠) فما بعد.

فأنا فيه يتيمٌ !!» يقصدون بذلك الطرق والمتابعتِ <sup>(١)</sup>.

**أمّا الأحاديثُ التي تُعبّدُنا بِالْفَاظِهَا** كصيغ التشهّد والأذكار ونحوها، فهذه لا بدّ من حفظها نصّاً. وأسهل طريقةٍ لحفظ أحاديث الأذكار ونحوها هو اللّهجُ بها كثيراً، سواءً أكانت مطلقةً، أم مقيّدةً بزمانٍ أو مكانٍ أو حالٍ.

**ثانيًا:** المذاكرة مع الأقران، وإعادة المحفوظ عليهم؛ فإنَّ حياة العلم مذاكرته.

**ولذا قال علقمة:** «تذاكروا الحديث؛ فإنَّ ذكره حياته» <sup>(٢)</sup>.

**وقال يزيدُ بنُ أبي زياد:** «التقى ابنُ أبي ليلى وعبدُ الله بن شداد بن الهاد فتذاكرا الحديث، فسمعتُ أحدهما يقول للآخر: يرحمك الله فربّ حديثِ أحبيته في صدرِي كان قد مات!» <sup>(٣)</sup>.

**وقال إبراهيمُ النخعي:** «من سرّه أن يحفظ الحديث فليحذّث به، ولو أنْ يحدّث به من لا يشتهيه! فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره» <sup>(٤)</sup>.

(١) انظر هذه الأقوال في: المجري وحسين: لابن حبان (١/٣٣)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢١٢)، وتاريخ بغداد: للخطيب (٦/٩٤)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٦/٤١) وتذكرة الحفاظ (ص/٤٣٠)، وميزان الاعتدال: للذهبي (١/٣٥)، وشرح التبصرة والتذكرة: للعرّافي (٢/٤٧)، والشذا الفيّاح: للأبناسي (١/٤٠٩)، وفتح المغيث: للسخاوي (٢/٣٢٧)، وتدريب الراوي: للسيوطى (٢/٥٩٤).

(٢) المحدث الفاصل: للراهنمرizi (ص/٥٤٦)، والجامع لأخلاق الراوي: للخطيب (٢/٢٦٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٧٣)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٣٦/٩٤).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٦٨)، ومعرفة أنواع علوم الحديث: لابن الصلاح (ص/٣٦٠)، والشذا الفيّاح: للأبناسي (١/٤١١).

**وقال أبو مُسْهِرٍ:** سمعتْ سعيدَ بْنَ عبدِ العزيزَ، يُعاتِبُ أصْحَابَ الْأَوْزَاعِيَّةِ

فقال: «ما لكم لا تجتمعون؟! ما لكم لا تتذاكرون؟!»<sup>(١)</sup>.

**وقال عَلَيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ:** «سِتَّةٌ كَادَتْ تَذَهَّبُ عَقُولُهُمْ عِنْدَ الْمَذَاكِرَةِ:

يَحْيَىٰ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَوَكِيعٌ، وَابْنُ عَيْنَةِ، وَأَبُو دَاوِدَ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ؛ مِنْ شَدَّةِ شَهْوَتِهِمْ لَهُ!»<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءَ يَجْمِعُ صِبَيَانَ الْكُتَّابِ وَيُحَدِّثُهُمْ؛ كَيْ لَا يَنْسَى حَدِيثَهُ!<sup>(٣)</sup>.

وَتَذَاكَرَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَاحِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيِّ لِيَلَةً فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَلَمْ يَزَالَا حَتَّى أَذْنَ الْمَؤْذِنَ أَذَانَ الصَّبْحِ!<sup>(٤)</sup>.

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٣/٢).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٤/٢).

(٣) مشاهير علماء الأمسكار (ص/٢٥٩)، والثقات: لابن حبان (٦/٢٩)، ورجال صحيح مسلم: لابن منجويه (١/٥٩).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٤/٢).

وللدكتور محمد إبراهيم العشماوي كتاب «فن المذاكر عند المحدثين معالمه وأعلامه».

**لَطِيفَةُ:** مِنْ عَجَابِ الْمَذَاكِرَاتِ مَا ذَكَرَهُ الْأَسْتَاذُ أَبْنُ الْعَمِيدِ، قَالَ: «مَا كَنْتُ أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا حَلَوةً أَلَّا مِنْ الرَّئَاسَةِ وَالوزَّارَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا؛ حَتَّى شَاهَدْتُ مَذَاكِرَةَ سَلِيمَانَ بْنَ أَحْمَدَ الطَّبَرَانيَّ وَأَبِي بَكْرِ الْجِعَانِيَّ بِحُضُورِيِّ، فَكَانَ الطَّبَرَانِيُّ يَغْلِبُ الْجِعَانِيَّ بِكُثْرَةِ حَفْظِهِ، وَكَانَ الْجِعَانِيُّ يَغْلِبُ الطَّبَرَانِيَّ بِفَطْنَتِهِ وَذَكَاءِ أَهْلِ بَغْدَادِ. حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، وَلَا يَكُادُ أَحَدُهُمَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ.

**فَقَالَ الْجِعَانِيُّ:** عَنِي حَدِيثٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عنِي، فَقَالَ: هَاتِهِ، فَقَالَ: حَدَثَنَا أَبُو خَلِيفَةَ، حَدَثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَيُوبَ.... وَحَدَّثَ بِالْحَدِيثِ. **فَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ:** أَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَيُوبُ، وَمَنِي سَمِعَ أَبُو خَلِيفَةَ، فَاسْمَعْ مَنِي؛ حَتَّى يَعْلُو إِسْنَادُكَ، فَإِنَّكَ تَرْوِيَ عَنِي أَبُو خَلِيفَةَ عَنِي!!

**ثالثاً:** أنْ يجمعَ إلى حفظ الأحاديث قراءةَ الشروح؛ لأنها مما يُرسّخُ  
الحفظَ ويثبتُه.

لَكِنْ يُفضّلُ أنْ لَا يَجمعَها معها في أسبوع القراءة، وإنما في الأسبوع الذي  
يليه إنْ كان برنامجه أسبوعياً.

### - كُتُبُ السُّنَّةِ التِي يُنصحُ الطَّالِبُ بِإِدْمَانِ مَطَالِعْتِهَا:

كتُبُ السُّنَّةِ كثِيرَةٌ، لكنني أقول: إنَّ المادَةَ المحفوظَةَ من الحديث تنقسمُ

إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ:

#### الأولُ: حِفْظُ أَصْلِ مِنَ الْأَصْوَلِ.

كَحْفَظُ «صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ»، أَوْ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ» مثلاً.

وَلَا شَكَّ أَنَّ حِفْظَ الْأَصْلِ هُوَ الْأَصْلُ؛ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَيْلاً.

فَصَحِيحُ الْبَخَارِيِّ مثلاً لِمَنْ حَفَظَهُ، وَأَدَمَ قِرَاءَتَهُ، وَضَمَّ إِلَيْهِ قِرَاءَةَ شِرْحِهِ  
الْعَظِيمِ «فَتْحُ الْبَارِيِّ» الَّذِي يُسَمِّي (قَامِوسُ السُّنَّةِ)، لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ بِغَنَائِمَ  
كَثِيرَةٍ، وَفَوَائِدَ غَزِيرَةٍ.

#### الثانيُّ: حِفْظُ مُختَصِّرٍ مِنَ الْمُختَصَّراتِ الْمُعَتمَدَةِ لِكِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ الْأَصْوَلِ.

فَخَجْلُ الْجِعَابِيِّ وَغَلَبَةُ الطَّبَرَانِيِّ.

**قال ابنُ العميد:** فوَدِدتُّ فِي مَكَانِي أَنَّ الْوِزَارَةَ وَالرَّئِاسَةَ لِيَتَهَا لَمْ تَكُنْ لِي، وَكُنْتُ الطَّبَرَانِيَّ  
وَفَرَحْتُ مثَلَّ الْفَرَحِ الَّذِي فَرَحَ بِهِ الطَّبَرَانِيُّ؛ لِأَجْلِ الْحَدِيثِ!». جَزءٌ فِيهِ ذِكْرُ أَبِي القَاسِمِ  
الْطَّبَرَانِيِّ: لَابْنِ مَنْدَهِ (ص/٣٤٤)، وَتَارِيخِ دَمْشِقٍ: لَابْنِ عَسَكِرِ (١٦٦/٢٢)، وَالتَّقِيِّيَّةِ:  
لَابْنِ نَقْطَةِ (ص/٢٨٥)، وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ: لِلْذَّهَبِيِّ (١٤٦/٨).

**تنبيه:** لا يُنْبَغِي أَنْ يُطْنَّ أَنَّ الْمَذَاكِرَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُحَدِّثِينَ، بل هي مِنَ الْمُشَتَّكِ فِي جَمِيعِ  
الْعُلُومِ وَالْفَنُونِ، لِكُنْهَا عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَظْهَرُ؛ لِشَدَّةِ عَنْيَاتِهِمْ بِالْحَفْظِ.

ك «مختصر صحيح البخاري» للزبيدي، أو «مختصر صحيح مسلم» للمنذري.

وهذا هو الجاري عليه العملُ بين الحفاظ اليومن.

**الثالث:** حفظُ كتاب جامعٍ لعدةٍ أصولٍ.

والذي أراه أفعى شيءٍ في هذا القسم - وهو الذي اختاره نخبُ المحدثين

- ثلاثة كتبٍ:

**١ - كتاب «جامع الأصول»** لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزارِي، الذي جمع فيه الكتبَ الستَّة، عدا «سنن ابن ماجه»، فإنه جعل «الموطأً» بدلاً منها.

وهذا الكتابُ هو أعظمُها وأفعىها، بل قال ياقوتُ الحمويُّ فيه: «أقطع قطعاً أنه لم يصنفْ مثله قطُّ، ولا يُصنفُ!»<sup>(١)</sup>.

فيُدِّمُ من الراغبِ قراءته، ويُكثُرُ النَّظرَ فيه، ويجعلُه سميرٌ وهجيراً، فإنه قد جمع عدَّةَ مزايا، منها:

**أولاً:** أنه رتبَ كتابه ترتيباً بديعاً أشبه بـ «المعجم المُفهرس» أو «معجم كُنوز السُّنة»، حيثُ رتبه على الأبواب، ورتب الأبواب على حروف المعجم.

**ثانياً:** أنه لم يجمعُ فيه الأحاديثَ فحسب، وإنما شرحَ الأحاديثَ، وبينَ غَرَبَيْها، وذكرَ شيئاً من فقهها.

**ثالثاً:** أنه يهتمُ بزيادات الأحاديث التي وردتُ في الروايات، فأحياناً يسرُدُ عشرَ صفحاتٍ أو أكثرَ وهو يقول: زاد فلان، وذكر فلان!

(١) معجم الأدباء (٥/٢٢٧١).

وهذا مما يفتقر إليه الذي يحفظ من الأصول مباشرةً؛ فإن الحديث قد يكون في «صحيح البخاري» وله زيادةً مثلاً في «سنن الترمذى» أو بالعكس، فابن الأثير قد كفانا مؤونة هذا الأمر؛ وذلك بجمعه جميع روایات الحديث في الكتب الستة في مكانٍ واحدٍ.

إلى غير ذلك من المزايا.

أو يحفظ مختصر هذا الكتاب وهو «تيسير الوصول» لابن الدّينَ الشِّيَّبَانِي، وهو أحسن المختصرات لهذا الكتاب.

٢- كتاب «مجمع الزوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي: وهذا الكتاب

جمع فيه مؤلفه زوائد ستة كتب من الكتب الأصول على الكتب الستة، هي:  
مسندُ أحمد، ومسندُ أبي يعلى، ومسندُ البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة.

فَمَنْ وُفِّقَ لِلجمع بَيْنَهُ وَبَيْنَ «جَامِعَ الْأَصْوَلِ» فَقَدْ أَتَى - تَقْرِيْبًا - عَلَى  
مَعْظَمِ السُّنْنَةِ؛ إِذْ لَا يَكَادُ يُوجَدُ حَدِيثٌ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ الْاثْنَيْ عَشْرَ،  
فَإِذَا مَا جَمِعَ الْحَافِظُ بَيْنَ «جَامِعَ الْأَصْوَلِ» وَ«مَجْمُوعَ الرُّوَايَةِ» فَكَأَنَّمَا حَوَى  
هَذِهِ الْكُتُبِ الْأَصْوَلِ بَيْنَهُ.

فإن تناصرت بالراغب همته، فعليه بكتاب: «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجموع الزوائد» لمحمد بن سليمان الروداني الفاسي المغربي، فإنه قد جمع بين الكتايبين وحذف الزيادات، وتكلّم على الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً.

**٣- كتاب «المطالب العالية بزوائد المسانيد الشامية» للحافظ ابن حجر**

العقلاني: وهذا الكتاب جمع فيه مؤلّفه زوائد المسانيد الثمانية بل العشرة على الكتب الستة، وهي: مسنّد الحميدي، والطیالسي، وابن أبي عمر العدنى، ومسنّد، وابن منيع، وأبى بكر بن أبى شيبة، وعبد بن حميد، والحارث بن أبى أسامة. ووقع له شطرٌ من مسنّد إسحاق بن راهويه، مع ذكر مافات

الهيثمي من مسندي أبي يعلى. فهو كالستمة لكتاب الهيثمي «مجمع الزوائد». فهذه الكتب الثلاثة قد جَمَعَتْ مُعظَّمَ السنة.

**وهناك كتب معاصرة جيدة**، مثل: كتاب «معالم السنة النبوية» لصالح الشامي، وكتاب «جامع السنة» لعبد العزيز المقدم.

**وهناك كتب جمعت بين الصحيحين**، ككتاب: «الجمع بين الصحيحين» للصَّاغاني، أو الحميدى، أو الإشبيلي، أو صالح الشامي، أو يحيى اليحيى. أو جمعت المتفق عليه، ككتاب: «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم» للجكنى، و«اللؤلؤ والمرجان» لمحمد فؤاد عبد الباقي، ونحوها، فإنَّ هذه الكتب مهمَّة وجَيِّدة لمن أَدْمَنَ النظر فيها.

**الرابع:** حفظُ كتاب جامع للأحاديث غير مُقيَّد بكتابٍ مثلُ أنْ يَحْفَظَ «الجامع الصغير» للسيوطى، أو «كنز العمال» للمتقى الهندي، أو «جامع الشَّمْل في حديث خاتم الرُّسُل» لأطفيش محمد بن يوسف، وغيرها من الكتب المشهورة في علم الحديث.

**الخامس:** حفظُ كتاب مختصرٍ في نوعٍ معينٍ من العلم، ككتاب «رياض الصالحين» للإمام لنوي في الآداب، أو كتاب «بلغ المرام» للحافظ ابن حجر في الأحكام<sup>(١)</sup>، أو كتاب «بلغ السعادة» للشيخ صلاح البدير في العقيدة، وما أشبه ذلك.

\*\*\*

---

(١) وهو أَشْهَرُ وَأَنْضَرُ كتب أحاديث الأحكام، ولذا قال القائل: حفظُ (زاد) وبُلغُ وغُ (بُلغ) كافيٌ في نُ (ن).

### ثالثاً: النَّظُمُ التَّعْلِيمِيُّ:

وينقسم إلى قسمين:

أ- المنظومات العلمية.

ب- الضوابط العلمية للمسائل الجزرية.

ونبدأ أولاً بالقسم الأول.

أ- المنظومات العلمية:

للمنظومات العلمية أهمية بالغة في حفظ العلم، لا سيما للمتفنن، وهو الذي يضرب في كل علم بسهمٍ.

ولذا جرى عمل الطلاب والأسياخ من قديم على حفظها والعناية بها، حتى ألفتآلاف المنظومات في شتى العلوم والفنون!

وهذا اللون من النظم يُسمى (النظم التعليمي)، وقد انتشر في العصر العباسي؛ نظراً لازدهار العلوم، واتساع المعرف، وزيادة الإقبال على العلم، مما جعل المتعلمين يشعرون بحاجتهم إلى المنظومات؛ ليسهل عليهم حفظ المعلومات<sup>(١)</sup>.

وذلك لأن حفظها يضبط القواعد العلمية، ويحفظها من النسيان؛ لأنَّ الإنسان مهما داوم على علم، ومهما حرر من مباحث، فإنه سينسى ولو بعد حين. لكن إذا اشتغل بحفظ المنظومات؛ فإنه يستطيع من خلال هذا النظم

(١) يُنظر كتاب: حول الشعر التعليمي: للدكتور صالح آدم بيلو (ص/٢٠٦)، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: للدكتور محمد مصطفى هدارة (ص/٣٥٤).

أن يتذكّر المسائل، بحيث إذا أجرى الآيات على لسانه استحضر المسألة التي يريدُها بسهولةٍ ويُسرِّ(١).

صحيحٌ أنَّ المنظومات لا تجمع جميع القواعد والفوائد في الفنِّ، لكنها تجمع الأصول والمسائل الأساسية التي إذا حفظها الإنسان كفته وأغنته.

**ويكاد يتفقُ العلماء على أن المتن المنظوم مقدمٌ على المتن المنشور؛**

**لاعتباراتٍ كثيرةٍ منها:**

أنَّ حِفْظ النظم أسهلٌ من حِفْظ التتر؛ لأنَّ حِفْظ التتر لا يخلو من نوع عُسْرٍ كما هو مُجَرَّبُ، فهو أسرعُ عُلُوقاً بالذهن من التتر.

**قال ابن عبد البر:** «مِن الناس مَن يُسْرِعُ إِلَيْهِ حِفْظُ المِنْظُوم وَيَتَعَدَّ عَلَيْهِ المِنْشُورُ»(٢).

**وقال السيوطيُّ:** «النظمُ أَيْسَرُ لِلحفظِ، وَأَسْيَرُ عَلَى الألسنة»(٣).

كما أنَّ للمتن المنظوم حلاوةً في السمع لا يجدُها مَنْ يحفظ المتن المنشورَ؛ لأنَّ النظمَ أَعْذَبُ من التتر(٤).

(١) يقول الشيخ محمد رجب الحولي: (يُعَدُ النظمُ العِلْمِيُّ من خصائص علماء المسلمين، وهو كالذاكرة الإلكترونية في عصرنا هذا؛ فإنه يُساعدُ على حفظ العلم وسرعة استرجاعه؛ بما يَمْيِزُه من إيقاع موسيقيٍّ، وتتابع في الألفاظ، وتكثيف للدلالة على معانٍ كثيرةً بألفاظٍ قليلةً). أرجوزة الكاشف المبين عن غلط المحققين (ص/٢٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٩٠).

(٣) الحاوي للفتاوى (١٤٥/١).

(٤) قال ابن رشيق التبرواني: «كلامُ العرب نوعان: منظومٌ ومتشورٌ. ولكلِّ منهما ثلاتُ طبقاتٍ: جيدةً، ومتوسطةً، ورديةً، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساويا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضلٌ على الأخرى، كان الحكمُ للشعر ظاهراً في التسمية؛ لأنَّ كُلَّ منظومٍ أحسنُ =

من كلّ مثُورٍ من جنسه في مُعْتَرَفِ العادة.

ألا ترى أنَّ الدُّرَّ - وهو أخو اللَّفظ وسَبِيلُه، وإليه يُقاسُ، وبه يُشَبَّهُ - إذا كان مثُورًا لم يُؤْمَنْ عليه، ولم يُتَفَعَّلْ به في الباب الذي له كُسْبٌ، ومن أجله انتُخب؛ وإن كان أعلى قدرًا، وأغلى ثمنًا. فإذا نظم كان أصونَّ له من الابتذال، وأظهرَ لحسنه مع كثرة الاستعمال.

وكذلك اللَّفظُ إذا كان مثُورًا تَبَدَّلَ في الأسماء، وتَدْرُجَ عن الطَّبَاع. ولم تستقرَّ منه إلا المُفْرِطُ في اللَّطْفِ، وإن كانت أجملَه. والواحدةُ من الألف، وعُسِيَ أن لا تكون أفضَلَه. فإن كانت هي اليتيمة المعروفة، والفريدة الموصوفة، فكم في سَقْطِ الشِّعرِ من أمثلها ونظرائهما لا يُعبَأُ به، ولا يُنظرُ إليه.

فإذا أخذَه سُلْكُ الوزنِ، وعَقَدَ القافية؛ تَأَلَّفتُ أشتاتُه، وازدوجَتْ فرائده وبناته. واتخذه الْلَّابِسُ جمالًا، والمَدَحِّرُ مالًا. فصار قِرَطَةً الآذان، وقلائدَ الأعناق. وأمانِيَ النُّفُوسِ، وأكاليلَ الرُّءُوسِ. يُقْلِبُ في الألسُنِ، ويُخْبِأُ في القلوب. مصوَّنًا باللُّبَّ، ممنوعًا من السُّرقةِ والغَضْبِ.

وقد اجتمع الناسُ على أنَّ المثُورَ في كلامِهم أكثرُ، وأقلُّ جيًّادًا محفوظًا. وأنَّ الشِّعرَ أقلُّ، وأكثرُ جيًّادًا محفوظًا؛ لأنَّ في أدناه من زينةِ الوزنِ والقافية ما يقاربُ به جيدَ المثُور....

وقيل: ما تكلَّمتُ به العربُ من جيد المثُور أكثرُ مما تكلَّمتُ به من جيد الموزون؛ فلم يحفظْ من المثُور عُشْرُه، ولا ضاع من الموزون عُشْرُه!» العمدة في محاسنِ الشِّعرِ وآدابِه (١٩/١).

- وقد دَنَدَنَ حَوْلَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ضِيَاءُ الدِّينِ ابنُ الأَتِيرِ في كتابِ الْوَشِيِّ المرقوم في حلِّ المنظوم (ص/ ١٧٢ - ١٧٤).

- وخالف في ذلك العلامة القلقشندي فضل في كتابه «صبح الأعشى في صناعة الإنسا» الشَّرِ على النظم!

**فردٌ عليه محقق الكتاب بقوله:** «لعل حماسةً للنشر واشتغاله فيه من خلال عمله في ديوان الإنشاء، جعله يتَعَصَّبُ له وينصِّله على الشعر، فهو يقول: «والنشر أرفع منه درجةً، وأعلى رتبةً، وأشرفُ مقاماً، وأحسنُ نظاماً؛ إذ الشعر محصورٌ في وزنٍ وقافيةٍ، يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ، والتَّقديم فيها والتأخير.... والكلامُ المثُورُ لا يحتاج إلى شيءٍ من ذلك، فتكونُ ألفاظه تابعةً لمعانيه، ويؤيدُ ذلك أنك إذا اعتبرت ما نُقلَ من معاني النشر إلى النظم وجدتَه قد انحطَّتْ رُتبَتُه...». ولعل القلقشندي في عمَّرة حماسه للنشر لم يلتفت إلى ما في الشعر من سحرٍ وجمالٍ، فحَجَبَ ذلك عمداً في بعض المواقف، ثم ما لبث جلَّلُ الشعرَ أنْ دفعَ به إلى الاعتراف به في صفحاتٍ كثيرةٍ من كتابه». **انظر:** صبح الأعشى (١/٢٠ و٨٩).

- وقد أَلْفَ المظفرُ بنُ الفضل بن يحيى، أبو علي، العلوى الحسيني العراقي (ت ٦٥٦هـ)

إضافةً إلى أنَّ النظمَ أسرعُ في الاستحضارِ.

كما أنه قلَّما يُنسى، بخلاف التشر. إلى غير ذلك من المرجحات<sup>(١)</sup>.

ولذا قال يحيى بن عبد المعطي الزواوي (ابن معطي) في «ألفية النحو

والصرف»:

لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ حِفْظَ النَّظْمِ  
وَفُقُّ الذَّكِيِّ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ  
لا سِيمَّا مَشْطُورُ بَحْرِ الرَّجَزِ  
إِذَا بُنِيَ عَلَى ازْدَوَاجِ مُوجِزِ

وقال ابن أبي الحَدِيد في نظمِه «الفصيح» لشعلب:

وَبَعْدُ: فَالْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْضَطِ  
بِالْحِفْظِ لَمْ يَنْفُعُ، وَمَنْ مَارَى غَلْطًا  
وَأَسْهَلُ الْمَحْفُوظِ نَظْمُ الشِّعْرِ  
لأنَّهُ أَحْضَرُ عِنْدَ الذِّكْرِ

وَقَالَ ابْنُ عَاصِمَ الْغَرْنَاطِيِّ فِي «مُرْتَقَى الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ»:  
وَالنَّظْمُ مُدْنِيْنَهُ كُلَّ مَا قَصَى  
مَذَلِّلٌ مِنْ مُمْتَاهَةٍ مَا اعْتَصَى

فَهُوَ مِنَ الشَّرِ لِفَهْمٍ أَسْبَقُ  
وَمُقْتَضَاهُ بِالنُّفُوسِ أَعْلَقُ

وقال الإمام الصناعي في «بغية الآمل» الذي نظم فيه «الكافل» في أصول

الفقه، للشيخ محمد يحيى بهران:

كتابه «نصرة الإغريض في نصرة القريض» وهو مطبوعٌ.

- ولناصر الدين شافع بن علي العسقلاني الكاتب المصري (ت ٧٣٠ هـ) كتاب: «الأحكام العادلة، فيما جرى بين المنظوم والمتشور من المفاضلة». كما في إيضاح المكنون للبغدادي (٣٥ / ٣).

(١) وقد تقدَّمتْ قصَّةُ يحيى بن خالد البرمكي حينما أراد حفظَ كتاب «كليلة ودمنة»، فشقَّ ذلك عليه، حتى نَظَمه له أباً بن عبد الحميد اللاحقي.

وَقَدْ نَظَمْتُ مَا حَوِيَ مَعْنَاهُ  
لِأَنَّ حَفْظَ النَّظَمِ فِي الْكَلَامِ

أَسْرَعُ مَا يَعْلَقُ بِالْأَفْهَامِ  
وَقَالَ فِي «مِنْظُومَةِ بلوغِ المَرَامِ»:

يَكَادُ أَنْ يَسْبَقَ قَبْلَ الْفَحْظِ  
وَقَالَ النَّابِغَةُ الْغَلَاؤِيُّ الْبَكْرِيُّ فِي مِنْظُومَتِهِ «بُو اطْلَيْحِيَّةُ» الَّتِي نَظَمَهَا فِي

الْمُعَتمَدِ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ:

لَأَنَّهُ أَحْظَى لِدَى الْمَرَامِ  
وَإِنَّمَا رَغَبْتُ فِي النَّظَامِ

وَسِيفُ مَنْ حَصَّلَهُ مَسْلُولُ!  
وَهُوَ الَّذِي تُصْغِي لَهُ الْعُقُولُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْمَامِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَخَارِيُّ فِي نَظَمِ «دَلَائِلِ الْخِيرَاتِ»:

لَا سِيمَا إِنْ كَانَ كَالْدَلَائِلِ  
وَالثُّرُوحَفَظُهُ مِنَ الْقَلَائِلِ

بِغَيْرِ إِذْنِ؛ لَانْفَتَاحِ الْبَابِ  
وَالنَّظَمُ قَهْرًا دَاخِلُ الْأَلْبَابِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْغَلَاؤِي فِي مُقدَّمَةِ مِنْظُومَتِهِ لِلْأَجْرَوْمِيَّةِ:

تَسْهِيلَ مَتْشُورِ بْنِ آجَرُوْمِ  
وَبَعْدَ: فَالْقَصْدُ بِذَا الْمَنْظُومِ

عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ مَا قَدْ نَثَرَ  
لِمَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ وَعَسْرًا

وَقَالَ السَّفَارِينِيُّ فِي مُقدَّمَةِ مِنْظُومَتِهِ «الدُّرَّةُ الْمُضَيَّةُ» فِي عَقْدِ أَهْلِ الْفَرَقَةِ  
الْمَرْضِيَّةِ:

أَنْ يَعْتَنُوا فِي سَبِّرِ ذَا الْنَّظَمِ  
وَصَارَ مِنْ عَادِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ

## لأنه يُسهل للحفظ كما يَروق للسمع، ويُشفي مِنْ ظمَاء

وقد يجدُ الذي يحفظ النَّظمَ صُعوبةً في بدءِ الحفظ، لا سيما إذا لم يكن له اهتمامٌ بالشِّعر. لكنْ إذا تمادى به الوقتُ في حِفْظ المنظومات مع الصبر والجلد والمثابرة؛ فإنَّ النَّظمَ يُصبح عليه أَسْهَلَ ما يكون، بل ربما ترقى به الحال حتى يَصِيرَ - فيما بعدُ - نَظَاماً!

**وَمَا يُسْهِلُ حِفْظَ النَّظمِ**، الحِفْظُ في مرحلة مبكرة من العُمرِ، كالحفظ في العشرينات وما قبلها؛ فإنَّ الحفظَ حينئذٍ يكون سهلاً، ويصيِرُ فيما بعد راسخاً؛ لأنَّ طالبَ العلم عندما يتمادى به العُمرُ، ويتقدّم في السنِّ، سيحتاج إلى حِفْظه، وحِفْظُ التَّشِير - إضافةً إلى صُعوبته - لا يَثُبتُ عند الكِبارِ. وإنما الذي يثبتُ - غالباً - هو النَّظمُ.

**ولابد أن يُراعي طالبُ العلم هنا عدّة أمورٍ:**

**١ -** أنْ يبدأ في الحفظ بالأهمِ فال مهمِّ.

فيُقدّمُ قبلَ كلِّ شيءٍ أصولَ علومِ الآلةِ الثلاثةِ، وهي: أصول الفقه، ومصطلح الحديث، والنحو.

ويينبغي أن يحفظَ في كلِّ فنٍّ من هذه الفنون الأساسية متَّا مطولاً، وُيُستحسنُ أن يكون ألفيّةً؛ لاسيما للمتخصصين في علوم الشريعة. ولو أنَّ الطالبَ حفظَ في كلِّ أسبوعٍ عشرين بيتاً - بمعدل ثلاثة أبياتٍ كلَّ يومٍ - فإنه سيحفظ في كلِّ سنةٍ ألفيّةً كاملةً؛ لأنَّ السنةَ فيها خمسون أسبوعاً. وهذا هو البرنامجُ الأنسبُ - في نظري - للمتوسطين في قوّةِ الحفظ.

ولا مانع - إذا كان قويًّا الحفظ سريعه - أن يدرج علوم الآلة الأخرى تحت الفنون الثلاثة السابقة في الحفظ، بمعنى أن يحفظ مع الألفية منظوماتٍ أخرى قصيرةً.

**فمثلاً:** يحفظُ (ألفيَّة السيوطي) في مصطلح الحديث، ويُدخل تحتها منظومة (سلم الوصول) للشيخ حافظ الحكمي في العقيدة. أو (منظومة الزمزمي) في أصول التفسير. أو (الجزرية) لابن الجزري في التجويد. أو (الجوهر المكُون) للأخضري في البلاغة... إلخ، ويُخصّص لكلٍ واحدةٍ منها عدَّة أسابيع على حسب طولها وقصرها، فيكون قد حفظ في السنة الواحدة ثلاثة أو أربع منظوماتٍ مع الألفية.

**٢ - ضبط المتن ضبطاً صحيحاً متقناً، إما بقراءته على شيخ، أو أن يحفظ من متن مضبوطٍ يرشده إليه شيخه.**

وهذه القاعدة مهمَّة جدًا؛ فإنَّ من المُضْحِكِ أنْ يُقدِّم إنسانٌ على حفظ قواعد ومسائل في فنٍ ما، وهو لا يُحسِن النطق الصحيح لألفاظه ومصطلحاته! وقد مرَّ علينا قولُ الشَّيخ مُحَمَّد فَالْبَنْدَغِي:

**كَتْبٌ، إِجَازَةٌ، وَحِفْظُ الرَّسْمِ  
قِرَاءَةٌ، تَدْرِيسٌ، أَخْذُ الْعِلْمِ  
وَمَنْ يُقْدِمْ رُتبَةً عَنِ الْمَحَلِّ  
مِنْ ذِي الْمَرَاتِبِ، الْمَرَامَ لَمْ يَنْلِ**

ومعنى قوله: (كتُب)، أي أن يضبط المتن ضبطاً صحيحاً.  
**٣ - أن يستظهر المتن كاملاً.**

لأنَّ حفظ المتن كاملاً يُوقِفُ الطالبَ على جميع المسائل في الفن، حتى

الأشياء التي قد تردد في غير أبوابها المتوقعة.

فلو أن أحداً مثلاً بحث عن معنى تسمية الترمذى الحديث المنسوخ معallaً، فسينصرف وله مباشرة إلى أن المسألة في باب النسخ، بينما هي في باب المعلم! كما قال الحافظ العراقي في ألفيته «التبصرة والتذكرة»<sup>(١)</sup>:

**والنَّسْخَ سَمِّيَ (الترْمِذِيُّ) عَلَّهُ فَإِنْ يُرِدُ فِي عَمَلٍ فَاجْنَحْ لَهُ**

لكن لأنه لم يستظهر المتن كاملاً، فلن يعرف أين ذكرت هذه المسألة؟ وقس على هذا بقية الفنون.

فإن عسر عليه حفظ المتن كله - لطوله أو غيره - فليحفظ من المتن - على الأقل - ثلاثة أشياء: التعريفات، والتقاسم، والأنواع، فإنها أهم شيء في كل فنٍ.

أما التعريفات فلديتها، وأما التقاسم والأنواع فلأنها قد تكون كثيرةً يصعب حفظها نمراً، وربما نسيها بعد حينٍ.

٤- أن ينسخ القدر المراد حفظه في بطاقاتٍ أو أوراق صغيرة، يصطحبها معه في حله وترحاله، وسفره وحضره، ويكرر البيت الواحد عشرات المرات؛ حتى يرسخ. ثم يأخذ الذي بعده، وهكذا.

أو يتّخذ دفترًا يكتب فيه المقدار الذي يريد حفظه فقط، حتى إذا ما حفظه، كتب ما بعده، وهكذا حتى ينتهي من حفظ المتن<sup>(٢)</sup>.

(١) (ص/ ١١٢) من طبعة مكتبة دار المناهج.

(٢) أحب أن أتبه هنا إلى أمر مهم، ألا وهو أن لا يكتب الطالب إلا ما يريد حفظه فقط، ولا يقل:

وهاتان الطريقتان شبيهتان بطريقة الألواح التي تُستخدم في (المَحْضَرَة) وقد تقدم الكلام عليها.

٥- أن لا يخلط المتن الذي يريد حفظه بشرح أول الأمر. خصوصاً علوم الآلة؛ لأن من خلط حفظ المتن بالشرح فإن حفظه سيكون مَعْنِوّيَاً وليس نصّياً؛ لأن الفاظ المتن ستختلط بألفاظ الشرح عند الاستحضار.

إضافة إلى أن المتن لن يتراوط في حافظته كما ينبغي؛ فإذا ما أراد أن يَسْتَشْهِد ببِيْتٍ؛ احتاج أن يتذكّر الشرح حتى يَصِل إلى البيت الذي يريد الاستشهاد به. وهذه عملية تطول، فـيُصْبِحُ الحفظ حينئذ واهناً!

ويزيد الأمر سوءاً إذا كان المشتغل بالحفظ شاعراً أو ناظماً؛ لأن الشاعر أو النَّاظِمَ إذا نسي كلمة فإنه سيأتي بكلمة أخرى ردِيفَةٍ لها على وزنها!

وقد كُنْتُ وما زلتُ مُقتنعاً بهذه الطريقة - وهي ألا يخلط المتن بشرح - حتى رأيت في كتاب: «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان»<sup>(١)</sup> الذي تحدّث فيه مؤلّفه عن طريقة الحفظ عند العلماء في القطر

إني غير مشغول الآن فسأكتب خمسين بيتاً - مثلًا - كلاماً، وإلا عاد الأمر كما كان، ولم يَسْتَفْدِ شيئاً!

ولذا نجد أنَّ الطالب إذا كتب بيتين فقط، فإنه يستطيع أن يحفظها في بُرْهَةٍ يسيرة، بينما لو كتب معها عشرة أبياتٍ مثلًا، فإنه لن يستطيع أن يحفظ الـبَيْتَين بسهولةٍ؛ لأنَّ النَّفْسَ تملُّ وتنقبضُ من العدد الكبير المسطور أمامها.

وقد تقدم الكلام عن هذا بالتفصيل عند كلامنا على أهمية مراعاة الناحية النفسيَّة في الحفظ.

<sup>(١)</sup> للشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس (ص/١٦ - ١٧).

الموّريتاني، فذكر ما حاصله أنهم يعتمدون في حفظهم على الكتابة في الألواح، وعلى عدم خلط المتن بشرح حتى يفرغ منه، وأنهم يأتون باللوح الخشبي<sup>(١)</sup>، فيكتب الواحد منهم قدراً يسيراً لا يزيد عليه، حتى ذكروا عن بعض الطلاب ممّن عرّفوا بالذكاء والقدرة على التحصيل أنه كان لا يزيد في حفظه «متن خليل» على سطرين فقط في اليوم! فقيل له في ذلك، فقال: لأنني عجلان لأعود إلى أهلي! فقالوا له: إن العجلان يزيد في حصته! فقال: أريد أن أتقن ما أقرأ حتى لا أحتاج إلى إعادة دراسته فأتأخر!

**وممّا ذكره صاحب هذا الكتاب أن الألفية الواحدة تُقسّم إلى أربع مقارئ، والمقرأة عندهم: ربع الألفية، فيبدأ الطالب بحفظ (٢٥٠) بيّنا، ولا يقرأ معها شرحاً، حتى إذا انتهى من حفظها، بدأ بقراءة شرحها على الشيوخ، فيشرح له الشيخ تفصيل ما حفظه، ثم يأخذ في المقرأة الثانية حتى يحفظها كاملةً، ثم يسمع شرحها، وهكذا دواليك حتى ينتهي من الألفية<sup>(٢)</sup>.**

(١) **من اللطائف:** أن أشهر الأجهزة الإلكترونية الذكية وأكثرها شيوعاً اليوم في أواسط الكبار والصغراء، ما يُسمى: الأجهزة اللوحية (تابلت)، كالآي باد، والجالكسي تاب، ونحوها، فهل اقتبس صناعتها فِكرَتها من ألواح الكتابة التي كان طلاب المسلمين يحفظون العلم فيها؟ ربّما!

(٢) **وقال الشيخ محمود بن محمد المختار الشنقيطي في مقاله الفاتح:** (لماذا الشناقطة يحفظون؟): تقسيم المتن إلى أجزاء، وهو ما يُعرف بلغة المحاضر (الأقفاف) مفرداتها: قُفْ. والمشهور في المحاضر أن متوسط درسٍ أو قُفْ المتن المنظوم خمسة أبياتٍ لا يزيد عليها إلا المبرّزون الأذكياء.

وأما المتن المشورة فيتعارف أهل المحاضر على تقسيم شائع بينهم، فمثلاً مختصر العلامة

**والخلاصة:** أنَّ مَنْ دَرَسَ عَلَى أَحَدِ أَهْلِ الْعِلْمِ مُنْظَوِمَةً مِنَ الْمُنْظَوِمَاتِ - كَأَلْفِيَّةِ الْعَرَبِيِّ وَشِرْحِهَا (فَتْحُ الْمُغِيْثِ) مَثَلًا - وَكَانَ يَحْفَظُ الْمُنْظَوِمَةَ مِنْ خَلَالِ الشِّرْحِ، فَإِنَّهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ إِنَّمَا يُخَادِعُ نَفْسَهُ إِذَا قَالَ: إِنَّهُ يَحْفَظُ الْأَلْفِيَّةَ! وَالصَّوَابُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَحْفَظُ مَعْنَىَ الْأَلْفِيَّةِ!

**فَلَا بُدَّ إِذْنٌ** مِنْ حَفْظِ الْمُتَنَّ كَامِلًا مُجَرَّدًا عَنِ الشِّرْحِ، أَوْ يَبْدُأُ عَلَى الأَقْلَلِ بِحَفْظِ الْمُنْظَوِمَةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَدٍّ مُعَيْنٍ كَالرَّبِيعِ أَوِ الْثَّلِثِ، ثُمَّ يَبْدُأُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقِرَاءَةِ شِرْحِ مَا حَفْظَ.

٦- التكرار الكثير للمراد حفظه حتى يرسخ، خصوصاً إذا كان نثريًا. ولا ينبغي أن يتكرر أحد عن الحفظ بحججه أنه ضعيف الحفظ ويحتاج إلى تكرار كثير! فقد وجد من أساطير العلماء من كان يكرر الدرس مراراً كثيرةً حتى يحفظ.

الشيخ خليل عندهم ثلاثة وستون قفأ، ولا تخفي فائدة هذا التقسيم للمراد حفظه، فيعرف الطالب مواضع الصعوبة من السهولة فيحتاط في المراجعة والتكرار، كما أن تخزين المادة في الذاكرة مرتبةً منتظمةً أيسر في استظهارها واسترجاعها.

ويرى الشناقطة - وهو مضرب المثل في قوة الذاكرة والذكاء - أنَّ (القف) الكثير لا يستطيع استيعابه مع الاحتفاظ به في الذاكرة إلا قلة من الحفاظ؛ ولذلك عمدوا إلى تجزئة كل متن. وسارط عندهم هذه العبارات مسار المثل:

(قف أَفْ) أي أنه بمثابة الريح. (أَفْ اسْم صوتٍ) يمرُّ عابراً فلا يستقرّ منه شيء في الذاكرة. (نص لَبُدَّ الْيَخْصُ) أي أنَّ النصف لا يمكن الاحتفاظ به جملةً، فلا بدَّ أن ينسى قارئه بعضه أو يعجز عن استيعابه أصلًا.

(الثُّلُثُ يُوَرَّثُ) أي أنَّ ثُلُثَ الْقُفَّ يَعْلُقُ بالذاكرة فلا ينساه قارئه حتى يموت كأنه يورث من بعده». مجلة البيان: العدد (١٣٥) (ص / ١٠٠).

**فهذا إلكيا الهراسي يقول:** كانت في مدرسة سرهاونك بنيسابور قناعاً لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناع وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول! قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظه! وفي بعض الكتب أنه كان يكرر الدرس على كل مرتقة من مراقي درج المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات، وأن المراقي كانت سبعين مرتقاً!<sup>(١)</sup> وكان الحافظ أحمد بن الفرات الصبي أبو مسعود الرazi يكرر كل حديث خمس مئة مرة!!<sup>(٢)</sup>

**وقال أبو إسحاق الشيرازي:** «كنت أعيد كل قياس ألف مرة! فإذا فرغت أخذت قياسا آخر على هذا، وكنت أعيد كل درس مئة مرة! وإذا كان في المسألة بيت يستشهد به حفظت القصيدة التي فيها البيت!»<sup>(٣)</sup>.

**وقال الحميدي:** «أخبرني القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال: لما رحلت إلى قرطبة؛ قرأت على الحافظ أبي بكر (ابن العربي) ولزمه، فسمعني ذات يوم أذكر الانصراف إلى وطني بالمرية، فقال لي:

(١) طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٧/٢٣٢).  
فعلى الرواية الثانية يكون تكراره للدرس الواحد (٤٩٠) مرة في الصعود! ومثلها في النزول!

(٢) قال رجل لأبي مسعود الرazi: إنما نسي الحديث، فقال: «أيكم يرجع في حفظ حديث واحد خمس مئة مرة؟! قالوا: ومن يقوى على هذا؟! فقال: لذاك لا تحفظون». طبقات المحدثين بأصحابهان: لأبي نعيم (٢/٢٥٦).

(٣) المتظم: لابن الجوزي (١٦/٢٢٩)، وتاريخ الإسلام: للذهبي (٣٢/١٥٥)، وطبقات الشافعيين: لابن كثير (ص/٤٢٧)، وطبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة (١/٢٣٩).

ما هذا القلق؟! أقْمْ حتى يكون لك في رحلتك عشرة أعوام كما كان لي!». ثم قال: «لم أرْحُل من الأندلس حتى أحكمت كتاب سيبويه، وكنت أحفظ بالعراق في كل يوم سبع عشرة ورقة!». وكان يقول: «عندِي مسائل ألفية، درَسْتُ في كل يوم مسألة ألف مرّة بعد أن حفظتها!!»<sup>(١)</sup>.

وهذا أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنباري - الذي كان يُقال له: أبو حنيفة الأصغر - سأله مرة عن مسألة غريبة، فقال: كَرَزْتُ عليها أربع مئة مرّة!!<sup>(٢)</sup>.

**وقال السبكي:** «في الرافعي، في القصاص، في مسألة المبادرة، حكى عن المسارجسي أنه قال: سمعت أبا بكر الصّبغى يقول: كَرَزْتُها على نفسي ألف مرّة حتى تحققها!!»<sup>(٣)</sup>.

وقد عاب ابن الجوزي على بعض متفقّه زمانه عدم اهتمامهم بتكرار المحفوظ، فقال وهو يتحدث عن نعمة العلم: «هذه المنحة العظيمة نفتقر إلى حفظها بدوام الدراسة؛ لبيقى المحفوظ». وقد كان خلق كثير من سلفنا يحفظون الكثير من الأمر، فالأمر إلى أقوام يفرون من الإعادة؛ ميلًا إلى الكسل، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه.

ولقد تأملت على المتفقّه أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثة، فإذا مر على أحدهم يومان نسي ذلك! وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: للضبي (ص / ٩٣) بتصريف.

(٢) سير أعلام النبلاء: للذهبي (٤١٥ / ١٩).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٣ / ١٨٤).

المناظرة لم يقدِّرْ على ذلك! فذهبَ الزمانُ الأوَّل ضائعاً، ويحتاجُ أن يبتدئَ الحفظَ لما فيه أولاً، والسببُ أنه لم يُحْكِمْه»<sup>(١)</sup>.

وقد تقدَّمَ معنا آنفَ الْكَلَامُ عَلَى طريقة حِفْظِ علماء القُطْر الموريتاني. فبهذا يكونُ الحفظُ راسخاً قوياً.

-٧- ينبغي أن يتخيَّرَ من خِلَانِه الجادِّينَ من يُشارِكُه الحفظَ؛ فإنَّ هذا أَنْشَطُ له؛ لأنَّه قد يتَّسَقُلُ وقد يتَّبَاطأً إذا حفظَ وحْده، وربما انقطعَ! فيتخيَّرَ واحداً أو اثنينَ - ولا يزيدُ - ويحفظُ معهما؛ فإنَّ ذلك أَنْشَطُ للنفسِ، وأَرْوَحُ للفؤادِ، وأَعْوَنُ على الحفظِ.

-٨- كثرةُ المراجعة للمحفوظ، فُيراجعُ ما حفظه باستمراَرٍ، لاسيما مع تقادمِ العَمَرِ، وإلا تفلَّت عليه المحفوظُ وعاد فيه من جديدٍ! وأنسبُ طريقةٍ عندي، هو أنه إذا انتهى من حفظ المقدار اليوميِّ فإنه يعود إليه بالتكرار في اليوم الذي يليه بعده أقلَّ من العدد الأوَّل، وفي اليوم الثالث بعدِّ أقلَّ من سابقه، وهكذا، ثم يكُرُّ عليه بعد ذلك إِمَّا كَلَّ أسبوعَ مِرَّةً، وإِمَّا كَلَّ شهِرٍ، ولا يزيدُ على الشهْر؛ حتى لا ينساه. وقد كان أحدُ أشياخِي في النحوُ يُراجِعُ ألفيةَ ابنِ مالِكٍ كَلَّ شهِرٍ مِرَّةً، فكانَ يسرُدُها من حفظه خالَّ خمسِ وسبعينَ دقيقةً فقط!

كما أنَّ الطالبَ إذا شرعَ في حِفْظِ ألفيَّةِ العرَاقِيِّ (التبصرة والتذكرة) مثلًا، فإنه يُراجِعُ محفوظَه السابقَ مع المحفوظِ الجديدِ، من أجلِ الضبطِ والربطِ،

(١) الحث على حفظ العلم (ص/٣١).

حتى يَصْلَ إِلَى عَدْدِ مُعَيْنٍ، وَلِيَكُنْ مِئَةً بَيْتٌ مَثَلًا، ثُمَّ يَبْدأ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، وَهَكُذا، حَتَّى يَتَهَيَّى مِنْ حَفْظِ الْأَلْفِيَّةِ.

وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ نَافِعَةٌ مُفَيِّدَةٌ، قَدْ جَرَبْتُهَا وَجَرَبَهَا غَيْرِي؛ فَحَمَدْنَا آثَارَهَا.  
وَقَدْ كَانَتْ كَثُرَةُ الْمَرَاجِعَةِ لِلْمَحْفُوظِ دِيدَنَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى مَرْعِ العَصُورِ،  
فَقَدْ كَانَ مَجْدُ الدِّينِ الرُّوْذَارِيُّ يُكَرِّرُ حِفْظًا مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ، وَخُطَبَ ابْنَ  
نَبَاتَةَ، وَدِيوَانَ الْمَتَنْبِيِّ! <sup>(١)</sup>

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيَّ يَرَاجِعُ «الْوَجِيزَ»  
لِلْغَزَالِيِّ إِلَى زَمْنِ الشِّيخِوَخَةِ! <sup>(٢)</sup>

**وقال العز بن عبد السلام:** «مضت لي ثلاثون سنة لا أنام حتى أمير أبواب الأحكام على خاطري!» <sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ هَبَةُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنَ مَعْلُوِّيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّرازِيَّ الْفَقِيهُ الْأَصْوَلِيُّ،  
دَائِمَ الْاِشْتِغَالِ وَالْكِتَابَةِ مَعَ كَبَرِ سَنَّةِ، وَغَزَارَةُ عِلْمِهِ، وَكَانَ يُكَرِّرُ مَحْفُوظَاتِهِ <sup>(٤)</sup>.  
وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيِّ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ غَانِمٍ قَدْ حَفَظَ الْقُرْآنَ، وَ«الْمَنَاهِجَ»،  
وَمُخْتَصِّرُ ابْنِ الْحَاجِبِ، وَالْحَاجِبِيَّةِ، وَكَانَ يُكَرِّرُ عَلَى مَحْفُوظَاتِهِ الْلَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ! <sup>(٥)</sup>.

(١) الْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ: لِلصَّفْدِي (١٩/٨٦).

(٢) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ: لِلذَّهَبِيِّ (١٥/٨٤٤)، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّينِ: لِابْنِ كَثِيرِ (ص/٩٤٥)،  
وَأَعْيَانِ الْعَصْرِ وَأَعْوَانِ النَّصْرِ (٤/٤١)، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ: لِلصَّفْدِيِّ (٢٤/٤٢).

(٣) رَفْعُ الْإِضْرَارِ عَنْ قَضَاهِ مِصْرٍ: لِابْنِ حَجْرِ (ص/٢٤١).

(٤) الْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ فِي طَبَقَاتِ الْحَنْفِيَّةِ: لِلقرْشِيِّ (٢/٢٠٤) بِتَصْرِفِ.

(٥) الْوَافِي بِالْوَفِيَاتِ: لِلصَّفْدِيِّ (٤/١٥٧)، وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ: لِابْنِ حَجْرِ (٥/٣٤٠).

**وقال السخاويُّ عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النَّبِيِّ:** «حضر عندي في بعض دروس الألْفِيَّة، وحافظتُه أحسنُ من فاهمته! ولم يزل يُكَرِّرُ على محافيظه!»<sup>(١)</sup>.

**وقال عن عبد الله بن محمد بن عمر العفيف اليماني:** «حِفْظ المنهاج، وكان يُكَرِّرُ عليه إلى أن مات»<sup>(٢)</sup>.

**وقال عن أحمد بن الطيب محمد بن أحمد الناشري:** «لم يزل يَدْأُبُ حتى أُشير إليه بالفضيلة والبراعة في الفقه وأصوله، وفي الفرائض والحساب والعربية والعروض والمعانٍ وغيرها مع الحرص على تكرير محافيظه»<sup>(٣)</sup>.

**٩ -** **أن لا يتشاغل بحفظ مقدمة المنظومة إذا كانت طويلة؛ حفظاً للوقت.**  
بل يبدأ مباشرةً بالأبواب والفصول، ويرجع حفظ المقدمة آخر شيء.

فمثلاً: «الدرة البهية نظم الآجرُوميَّة» للعمريطي يقع النظم في (٢٥٠) بيتاً، ومقدمة النظم في (٢٠) بيتاً! و«كفاية الغلام في إعراب الكلام» للأثاري تقع مقدمتها في (٣٠) بيتاً! و«الفرائد البهية» للأهدل تقع مقدمتها في (٣٥) بيتاً!

**فال الأولى -** عندي - ترك المقدمة، والبداية مباشرةً بحفظ المتن، ثم يعود إلى المقدمة بعد ذلك، أو يحفظها على التراخي.

**١٠ -** **إذا كان هناك متنان أو أكثر في فن واحد، وكلاهما مشهورٌ معتمدٌ،**

(١) الضوء الّامع (١٢١/١).

(٢) المصدر نفسه (٦٠/٥).

(٣) المصدر نفسه (٣٢٠/١).

وَلَا يَدْرِي أَيُّهَا يَحْفَظُ؟ فَإِنَّهُ يَسْتَخِرُ اللَّهَ، وَيَسْتَشِيرُ مَشَايخَهُ وَإِخْرَانَهُ مَمْنُ سَبَقُوهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ، فَيَأْخُذُ بِمَا يُرْشِدُونَهُ إِلَيْهِ.

فَإِنَّ بَعْضَ الطُّلَابِ يَبْدُأُ فِي حَفْظِ مَتِّنٍ مَا دُونَ دَرَاسَةٍ وَسُؤَالٍ، فَإِذَا مَا وَصَلَ فِيهِ إِلَى مَرْحَلَةٍ لَيْسَ بِالْيُسِيرَةِ، نَدِمَ، وَرَأَى أَنَّ غَيْرَهُ أَوْلَى، وَأَنَّ الْاسْتِمْرَارَ فِي حِفْظِهِ غَيْرُ مُجْدٍ!

وَالسَّبِبُ فِي هَذَا هُوَ عَدْمُ السُّؤَالِ، وَعَدْمُ التَّرْوِيِّ عَنِ الْاِخْتِيَارِ! **وَمَا أَحْسَنَ**

**قَوْلُ الشَّاعِرِ الْحَمَاسِيِّ<sup>(١)</sup> مُحَمَّدٌ بْنُ بَشِيرٍ:**

**قَدْرُ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَّرَ لَقًا عَنْ غَرَّةِ زَلْجَاهُ!<sup>(٢)</sup>**

**(١) الْحَمَاسِيُّ:** لقب يُطلق على الشعراء الذين ذكرهم أبو تمام في كتابه الجليل: «الحماسة». وهذا اللقب يُعدُّ مفخرةً لهم؛ نظراً لمكانة أبي تمام الأديبية، وللمكانة العُظمى التي تبوأها كتابه بين كتب الأدب العربي.

**وَإِنِّي أُوصِي طَلَابَ الْعِلْمِ** بالالتفات لهذا السُّفْرِ النَّفِيسِ، والاستكثار من القراءة فيه، وحفظ أكبر قدرٍ من أشعاره؛ فإنَّ ذاتَةَ أبي تمام في اختيار شعراء الحماسة واختيار أشعارهم؛ ذاتَةٌ عاليةٌ للغاية، حتى قيل: أبو تمام في اختياره أشعرُ منه في شعره! كما ذكر ذلك صاحبُ خزانة الأدب (٣٤٧/١)، ومن قرأً عرفَ.

**(٢) قَالَ التَّبَرِيزِيُّ** في شرح البيت: «الزَّلْقُ هُنَا: مَكَانُ الرَّلْقِ. وَالغَرَّةُ: الْغَفَلَةُ. وَرَلْجٌ: زَلٌّ. وَالْمَعْنَى: تَأْمُلُ مَوْضِعِ قَدْمَكَ قَبْلَ أَنْ تَنْتَصِعَهَا، فَمَنْ مَشَى فِي مَكَانِ الزَّلْقِ عَلَى غَفَلَةٍ مِنْهُ زَلٌّ». شرح ديوان الحماسة (٢/٣٤).

**لَطِيفَة:** قال علي بن القاسم طارمة: كنتُ مع المعتصم لما غزا الروم، فجاءه بعض سراياه فأخبره بخبر ساعده، فركب من فوره، وسار أحدَ سيرٍ، وأنا أسايرُه، فسمع مُنشداً يُشَدُّ في عسكره: **إِنَّ الْأَمْوَارَ إِذَا انسَدَّتْ مَسَالَكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كَلَّ مَا ارْتَجَ**

**لكنْ لا ينبغي أن يتحول ذلك عند الطالب إلى وسوسَةٍ! فيبقى متذمّداً في الاختيار فترةً طويلاً؛ حتى يذهب عليه الوقتُ!**

وما زلتُ أذكرُ ذلك الطالبَ الذي سألهي: أيُّهما يحفظُ في مصطلح الحديث: ألفيَّة العراقيِّ أم ألفيَّة السيوطيِّ؟ فأجبته، وبعد عامٍ جاءَ يسألُ السؤالَ نفسه!!

**لَا تَيَأسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبَهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَاهُ**

فسرَ بذلك، وطابت نفسه، ثم التفتَ إلَيَّ وقال: يا علَيْ أتروي هذا الشِّعرَ؟ قلتُ: نعم، قال: مَنْ يَقُولُهُ؟ قلتُ: محمدُ بْنُ بشيرٍ، فتفاءلَ باسمِه ونسبةِه، وقال: أَمْرُ محمودٌ وِبِشْرٌ سَرِيعٌ يَعْقُبُ هَذَا الْأَمْرَ! ثم قال: أَنْشَدْنِي الأَبِيَّاتَ بِرُمْتَهَا فَأَنْشَدْتُهُ:

**مَاذَا يَكْلُفُكَ الرُّوحَاتِ وَالدَّلَجَ؟ الْبَرَّ طَوْرَا، وَطَوْرَا تَرَكُ الْلَّجَاجَا**

**كُمْ مِنْ فَنِّي قُصْرُتْ فِي الرِّزْقِ حَطَوْنَهُ أَفْيَتُهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَاهَا**

**لَا تَيَأسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبَهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَاهُ**

**إِنَّ الْأَمْرُ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالَكُهَا أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ**

**فَاطَّلِبْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطُوِّ مَوْقِعَهَا فَلَا يَغْرِيْكَ صَفُّ أَنْتَ شَارِيُّهُ**

**لَا يُنْتَجُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ لَقَاحِهِمْ يَدُوِّلَقَاحُ الْفَتَنِي يَوْمًا إِذَا تُبَحَّا**

قال: وأصحاب من ذلك الوجه ما أحَبَّ، وزال ما كَرِهَ، وعاد غانِمًا مسروّراً.

**انظر: الأغانى: للأصفهانى (٤٢ / ١٤)، والهفوات النادرة: للصابى (ص / ٢٧٧).**

وي ينبغي أن تراعى في المفاضلة بين المتن إذا كانت في درجة واحدة عدّة

أمورٍ:

- ١- اختيار المتن الأكثر شهرةً وشروحًا في الفن.
- لا سيما في القطر الذي يقطنه الطالب، وفائدة ذلك تمرس المشايخ في ذلك القطر على تدريس ذلك المتن، مما يكون أعود بالنفع عليه.
- ٢- اختيار المتن الأجمع لمسائل الفن.
- ٣- اختيار المتن الأكثر سلاسةً ما أمكن.
- ٤- اختيار المتن الأوجز من حيث عدد الأبيات، أو الأسطر، أو الصفحات، مع وفائه بالمقصود.

فالسيوطى مثلاً لخُص في ألفيته النحوية المسماة: «الفريدة» ما في ألفية ابن مالك في (٦٠٠) بيت فقط! والباقي - (٤٠٠) بيت - ضمنها فنوناً أخرى. وابن الجزري له منظومة في مصطلح الحديث سمّاها «الهداية في علم الرواية» قال عنها الشمس البديري في «فيهرسته»: «ألف في مصطلح الحديث أرجوزة؛ خمس مئة بيت، أغزر علمًا من ألفية الحافظ العراقي»<sup>(١)</sup>.

- ٥- اختيار المتن المتأخر؛ لأن المتن المتأخر غالباً يحوي ما في المقدم ويزيد عليه. ولا حرج في كونه معاصرًا إذا كان مُتقناً.
- فين ينبغي أن تراعى هذه النقاط كلّها - ما أمكن - أو أكثرها عند المفاضلة بين المتن.**

(١) فهرس الفهارس والأثبتات: للكتاني (١ / ٣٠٤).

## - طريقة حفظ المنظومات:

**المنظومات تنقسم إلى قسمين:**

- ١ - تنقسم من حيث النوع، إلى: صعبة وسهلة.
- ٢ - وتنقسم من حيث الكم، إلى: طويلة وقصيرة.

**أما المنظومات الصعبة:** فكألفية ابن مالك، ولامية الأفعال، والشاطبية، والدّرّة، والأخيرة من أصعب المنظومات، ولا يحفظها إلا بارع<sup>(١)</sup>.

**وأما المنظومات السهلة:** فكألفية السيوطي في المصطلح، ومنظومة الورقات للعمريطي، و«سلّم الوصول إلى علم الأصول»: لحافظ الحكمي. ونحوها.

والصعوبة والسهولة تأتي أحياناً من الفن نفسه الذي يُنظم فيه، فمثلاً نجد السهولة في غالب منظومات السيوطي، لكنه لمّا نظم ألفيته في النحو (الفريدة) جاءت صعوبةً بسبب صعوبة الفن نفسه.

إذا كان النظم صعباً؛ فأحسن طريقة هي حفظ المنظومة بيتاً بيتاً، والتقليل قدر الإمكان من المقدار اليومي للحفظ؛ حتى يرسخ.

**وهناك طريقة حسنة لترسيخ الحفظ وربط الباب بعضه ببعض، وهي ربط**  
البيت الأول بالثاني، والثاني بالثالث... وهكذا.

(١) سيأتي الكلام عن هذه المنظومات بالتفصيل.

وبالمناسبة؛ فإن القراء هم أئمة الحفظ على التحقيق؛ لأن متونهم أصعب المتون على الإطلاق!

**ولذا** يَعْمَدُ بعْضُ النَّظَامِينَ لِمَا يُسَمَّى بالْتَضْمِينِ<sup>(١)</sup>؛ من أجل ربط الكلام

(١) التضمين عند علماء العروض هو: تعلق قافية البيت بصدر البيت الذي يليه.

قال العلوي في نظم مجدد العوافي من رسمني العروض والقوافي (ص/٤٦):

وَعِنْ دَنَّا التَّضْمِينُ أَنْ تَعْلَقَ قَافِيَةً بِمَا قَفَاهَا مُطْلَقاً

والتضمين في الأصل معدود من عيوب القافية، ولذا يصرّح بعض النظاميين بخلو منظومته منه! والتحقيق أنه على نوعين:

١- **قيبح**: وذلك إذا كان مما لا يتم الكلام إلا به، كالفاعل، والصلة، وجواب الشرط، وخبر المبتدأ، والتواصخ. مثاله قوله التابع الذبياني:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ

شَهِدْتُ لَهُمْ بِحُسْنِ الظُّنُّ مِنْيٍ

فجملة (شهدتُ خبرُ إنّ) في البيت الذي قبله.

٢- **مقبول**: إذا كان الكلام يتم بدونه، والتواصخ وما أشبهها من الفضلات. مثاله قوله امرئ القيس:

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا

سَمَاحَةً ذَا، وَبِرَّ ذَا، وَوَفَاءً ذَا

فـ(سماحة) وما بعدها بدل اشتتمالٍ من قوله (شمائل).

قال المرزباني: «ليس ذا بمعناه عندهم، وإن كان مضمناً؛ لأن التضمين لم يخلق قافية البيت الأول، مثل قوله: «إني شهدت لهم». وقد يجوز أن يُوقَّع على البيت الأول من بيته امرئ القيس؛ وهذا عند نقّاد الشعر يُسمى الاقتضاء: أن يكون في الأول اقتضاء للثاني، وفي الثاني افتقار إلى الأول».

انظر: الموسّح في مآخذ العلماء على الشعراء: للمرزباني (ص/٤١)، والكافي في علمي العروض والقوافي: للقنائي (ص/٢٠٠)، والإرشاد الشافي: للدمنهوري (ص/١٦٨).

بعضه بعض. وذلك مثل قول الحافظ العراقي في ألفيته «التبصرة والتذكرة»<sup>(١)</sup> في تعريف الحديث الحسن:

اَشْتَهَرْتُ بِرَجَالِهِ، بِذَاكَ حَدْ  
وَالْحَسَنُ: الْمَعْرُوفُ مَخْرَجًا، وَقَدْ  
مِنَ الشُّذُوذِ، مَعَ رَأْوِيْ مَا تَهِمْ  
(حَمْدُ). وَقَالَ (التَّرمِذِيُّ): مَا سَلِمَ  
بِكَذِيبٍ، وَلَمْ يَكُنْ فَرْدًا وَرَدْ  
قُلْتُ: وَقَدْ حَسَنَ بَعْضُ مَا انْفَرَدَ

**فلاحظ أن الناظم** جعل تتمة البيت الأول في الثاني، وتتمة البيت الثاني في الثالث وهكذا، فكل بيت يستدعي الذي يليه، وبذلك تصبح المنظومة مترابطةً متصلةً.

والمشتغل بحفظ المنظومات يرى أن وجود (التضمين) في المنظومات مما يسهل عملية حفظها؛ ولهذا فإن من أصعب المنظومات حفظاً «ألفية ابن مالك»! لأن كل بيت في الغالب مستقل عن الذي يليه.

**- أما انقسام المنظومات من حيث الكم، إلى:** طويلة وقصيرة، فإني أرى أن الإنسان يستطيع أن يحفظ في وقت واحد متينين: متناً مطولاً، ومتناً مختصراً. فيدرج المتن المختص تحت المتن المطول، لاسيما إذا كان من الفنون الوجيزة؛ كالصرف، والعرض، والقوافي، والفرائض، والتجويد، ونحوها. مالم يؤدّ ذلك إلى الاضطراب والتشتت لدى الحافظ، فإن أدى إلى ذلك فلا يخلط حينئذ بينهما.

(١) (ص/٩٧) من طبعة مكتبة دار المنهاج.

عِلْمًا بِأَنْ هُنَاكَ فِي كُلِّ فِنٌّ - طَالَ أَمْ قَصْرٌ - مِتَوْنَا مَطْوَلَةً، وَمِتَوْنَا مَخْتَصِرَةً.  
وَقَدْ تَقدَّمَ الْكَلَامُ قَرِيبًا عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَلَا نَسْتَرِسْلُ مَعْهَا.



## أشهر المنظومات في العلوم والفنون

**اهتمَّ العلماءُ غَايَةً الْاِهْتِمَام** بنظم العلوم والفنون؛ لتقريبها وتسخيرها على طلّاب العلم، فتعدّدت تبعًا لذلك المنظوماتُ، حتى بلغتُ العشراتِ وربما المئاتِ في كُلِّ فنٍّ!

وإليك - أخي الراغب - أسماءً بعض المنظومات المهمة<sup>(١)</sup> في جملة من العلوم والفنون المحتاج إليها، نبدأها بعلومِ المقاصدِ أولاً، ثم تُتبعُها بقية الفنون:

### ١- المنظوماتُ في العقيدة:

تنافسُ العلماءُ في نظم المُعتقد؛ لأنَّه أصلُ الأُصولِ، وأساسُ القَبُولِ.

(١) اقتصرتُ هنا على ذِكرِ المتون المنظومة دون المنشورة؛ لِمَا ذَكَرْتُ سابقاً من ترجيح النظم على التشر.

وقد كنتُ همتُ أنْ أذكرَ المتونَ المنشورةَ في الحاشية عند الكلام على منظوماتِ كُلِّ فنٍ من الفنون، لكنْ عزفْتُ عن ذلك أخيراً؛ لثلاط يطولُ الكتابُ بسردها، ولأنَّ المتونَ المنشورةَ في كُلِّ فنٍ كثيرةً معلومةً.

وقد استوعبَ ذِكرَ جُلُّها مع شروحها وحواشيهَا فضيلةُ الشِّيخِ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في كتابِه الفَدَّ العَجَابِ: «الدليلُ إلى المتونِ العلمية»، فليُراجعهَ من شاء، وبالله تعالى التوفيق.

ومن أشهر المنظومات في معتقد أهل السنة والجماعة - الفرق الناجية،  
والطائفة المنصورة - جعلنا الله منهم بمنه وكرمه:

**١- «الدّرّةُ المُضيَّةُ، فِي عِقِيدَةِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّةِ» الشهيرة بالعقيدة السفارينية:**

## للشيخ محمد بن أحمد السَّفارينيٌّ.

وتقع في (٢١٠) بيتاً.

وقد شرحها السَّفَارِينِيُّ نَفْسُهُ فِي «لَوَامِعَ الْأَنُورَ الْبَهِيَّةِ»، وَشَرَحَهَا ابْنُ مَانِع  
فِي «الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةِ»، وَشَرَحَهَا الْعُثْمَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

٢- «سلَّمَ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ»: للشيخ العالِم حافظ الحكمي.

وتقع في (٢٧٠) بيتاً.

وهي منظومةٌ رائعةٌ، شاملةٌ لأبواب التوحيد والعقيدة، سهلةُ الألفاظ والتراتيب، أوصي بحفظها كثيراً، لاسيما لصغار طلاب العلم والمتوسطين.

وقد شرحها المؤلف نفسه في كتاب سماه «معارج القبول»، وهو شرح

نفيس جداً<sup>(٦)</sup>، وله عدة مختصرات، أشهرها وأنصرها: مختصرُ الشِّيخ /

(١) إضاءة: ظهرَ لي من خلال تبعي لتراث النابغة العلّامة الشيخ حافظ الحكمي رحمة الله عليه أراد وَضْعَ منظومات في شتى العلوم والفنون مع وَضْعِ شرح لكُلّ واحدٍ منها.

وقد تحقق له القسم الأول - وهو النظم - حتى أخبر عن نفسه أنه ربما نظم في اليوم الواحد - إذا خلا مما يشغل البال - (٤٠٠) بيت!! وقد طبعت هذه المنظومات كلها والله الحمد.

أما القسم الثاني - وهو وضع الشروح - فقد احترمه المنيّة قبل تحقق الأمانة؛ لأنّه مات شاباً عام ١٣٧٧هـ) وهو ما زال بعده في الخامسة والثلاثين من العُمر. فلم يتمكّن إلا من شرح «سلم الوصول» في كتابه العظيم «معارج القبول» فرحمه الله رحمةً واسعةً، وعوّض

هشام بن عبد القادر آل عُقدة.

٣- «النظمُ الْحَاوِي لِعَقِيدَةِ الطَّحاوِي»<sup>(١)</sup>: للشيخ محمود بن نذير الطرازي التُركستاني (ت ١٤١١ هـ)، المدرس بالمسجد النبوى. وتقع في (٧٣١) بيتاً.

وهي منظومة جيدة، نظم فيها عقيدة الإمام الطحاوي المشهورة.

٤- «الكافية الشافية، في الانتصار للفرقة الناجية» المشتهرة باسم: (القصيدة النونية): لشيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى! وتقع في (٥٨٤٢) بيتاً!

وهي أوفى وأدق وأبلغ منظومة في بيان أصول عقيدة السلف الصالح، والرد على مخالفיהם من أهل الأهواء والبدع<sup>(٢)</sup>.

ال المسلمين فيه خيراً، فإنه لو عاش إلى زماننا هذا لكان عالماً عصراً بلا منازع، ووحيد دهره بلا مقارب.

فهو في الفقه شاعر لا يُبارى و هو في الشعر أو حُدُّ الفقهاء

لإلى هؤلاء إن نسبوا وجادوا، ولا إلى هؤلاء!

وقد هيأ الله - بمنه - بعض أهل العلم فشرحوا بعض تلك الأنظمة، وبقي منها بقية، فينبغي لأهل العلم أن يتدرّوا شرحاً؛ خدمةً للعلم وطلاّبه.

(١) نشره المؤسسة العربية للطباعة في جدة ط ٢ سنة (١٣٨٤ هـ).

وقد قمت بضبطها والتعليق عليها في كراسٍ لطيفة، يسر الله طبعها.

(٢) ولقد أصبحت - بحمد الله - شوكاً في حلوق المبتدعة؛ ولذا ألف تقي الدين السبكي في نقدها كتابه: «السيف الصقيل في الرد على ابن رفيل»!! وألف الكوثري تعليقةً عليها سماها: «تبديد الظلم المخيم على نونية ابن القمي»!! كمال ابن القمي فيها أنواع السبب والشتم، بل

فيما سعدَ مَنْ حَفِظَهَا كُلَّهَا إِنْ أَسْطَاعَ ذَلِكَ، أَوْ حَفِظَ أَكْثَرَهَا، أَوْ كَثِيرًا مِنْهَا<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ لَمْ يَتِيسِّرْ لَهُ ذَلِكَ، فَلِيُعْتَنِ بِشَرْوِحِهَا وَتَقْرِيرَاتِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهَا<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

## ٢- المنظومات في علم الفقه:

علمُ الفقه من أشرف العلوم وأعلاها قدرًا. والناسُ محتاجون إليه لتصحيح عباداتِهم ومعاملاتِهم أعظم من حاجتهم لباقيَ العلوم والفنون. ولذا قال الإمامُ ابنُ الجوزيَّ: «مَنْ كَانَ ذَا هِمَةً، وَنَصَحَّ نَفْسَهُ، تَشَاغَلَ بِالْمَهْمَمِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَجَعَلَ جُلُّ شُغْلِهِ الْفَقْهَ؛ فَهُوَ أَعْظَمُ الْعِلْمَوْنَ، وَأَهْمَمُهُ»<sup>(٣)</sup>. وقد سبقَ ذَكْرُنا أَنَّ الفقهَ يُحفظُ منه المسائلُ الأصولُ فحسبٌ؛ نظرًا

وَكَفَّرَهُ فِيهَا وَرَمَاهُ بِالزَّنْدَقَةِ!! مَمَّا يَدُلُّ عَلَى حَنَقَهُ الشَّدِيدِ عَلَى عِقِيدَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْمُتَسَبِّبِينَ لَهَا! عَامِلُهُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ.

ورحمَ اللَّهُ الْإِمَامُ أَبَا حَاتِمِ الرَّازِيِّ إِذْ يَقُولُ: «عَلَامَةُ أَهْلِ الْبَدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثْرِ»!  
(١) وَلِي انتخَابُ عَلَيْهَا بِمَقْدَارِ الْخُمُسِ.

(٢) مِنْ شَرْوِحَهَا: «تَوْضِيحُ الْمَقَاصِدِ وَتَصْحِيفُ الْقَوَاعِدِ» لِلْعَلَّامَةِ/أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَيْسَى. وَشَرْحُ الشَّيْخِ/مُحَمَّدٌ خَلِيلٌ هَرَّاسٌ. وَشَرْحُ الشَّيْخِ/ابْنِ عَيْمَينَ. وَكُلُّهُ بِفَضْلِ اللَّهِ مَطْبُوعَةٌ.

(٣) صيدُ الْخاطِرِ (ص/٤٤٣).

- **وقال القلقشندي**<sup>(٤)</sup> في رسالته «المفاخرة بين العلوم» على لسان الفقه: «أنا إمامُ العلوم الذي به يقتدَى، وعميدها الذي عليه يعتمدُ ونجُومُها الذي به يهتدَى؛ فلو لا إرشادي لضلَّ سعي المتكلَّفين، ولا مسوأ في دِيْجائِه مُدلهِمَّةٍ فأصبحوا عن ركائبِ الخير مخالفين.

وناهيكَ أَنَّ من جملةِ أفرادِي، وآحادِ أعدادِي: - «علمُ الفرائض» الذي حضَ الشارعُ على تعلِّمه وتعلِّيمِه، وأخبرَ بِأَنَّ نصفَ الْعِلْمِ مِنْهَا عَلَى تعظيمِ شأنِه وتفخيمِه، وبالغَ في إثباتِ قواعده وإحکامِ أُسْهِ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُلْ قِسْمَةً مَوَارِيثَكُمْ إِلَى مَلَكٍ مَقْرَبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ بَلْ تَوَلَّهَا فَقَسَمَهَا بِنَفْسِهِ». صَبَرَ الأَعْشَى (١٤/٢٢١).

لكثرَةِ جُرْئيَّتِهِ، وَتَشَعُّبِ تفريغاتِهِ، وَتَسْلِسِلِ نوازلِهِ وَمَسْتَجَدَاتِهِ.  
وَالوَاجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ الْمَتَوْنَ الْفَقَهِيَّةَ الَّتِي تُعْنِي بِالدَّلِيلِ  
وَالْأَثْرِ؛ فَإِنَّ هَذَا أَنْفَعُ لَهُ وَأَسْلَمُ<sup>(١)</sup>.

### وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْمَنْظُومَاتِ فِي ذَلِكَ:

١ - «السُّبُّلُ السَّوَيَّةُ لِفِقَهِ السُّنَّنِ الْمَرْوِيَّةِ»: لِلشِّيخِ حَافِظِ الْحَكْمِيِّ رَحْمَةُ اللهِ.  
وَهِيَ مَنْظُومَةٌ نَفِيسَةٌ جَدًا، أُوصِي طَلَابَ الْعِلْمِ بِحَفْظِهَا وَالعِنَايَةِ بِهَا.  
وَقَدْ بَنَاهَا النَّاظِمُ عَلَى القُولِ الرَّاجِحِ الْمَوْافِقِ لِلْدَّلِيلِ؛ وَلَذَا قَالَ فِي  
مَطْلُوعِهَا:

وَيَعْدُ فَالْأَدَلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ  
يَتَبُوَّعُهَا هُوَ الْكِتَابُ الْمُقْتَفَى  
وَهَذِهُ أَرْجُوْزَةُ يَسِيرَةٍ  
جَعَلْتُهُ إِشَارَةً إِلَيْهَا

فِي جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ  
وَسُنَّةِ الْهَادِي الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى

٢ - «مَنْظُومَةُ بَلوغِ الْمَرَامِ مِنْ أَدَلَّةِ الْأَحْكَامِ»: لِلإِمامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ  
الْأَمِيرِ الصُّنْعَانِيِّ، وَتَلَمِيذهِ الْحَسِينِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الصُّنْعَانِيِّ رَحْمَةُ اللهِ.

(١) قال محدثُ الديار الشامية في عصره العلامُ بدرُ الدين الحسني رحمة الله: «الحديثُ الصحيحُ أصلُ للأحكام الشرعية، فيجبُ أنْ يُبَنِيَ المذهبُ عليه، لا أنْ يَبْنَى الحديثُ الصحيحُ على المذهب». مقدمة محقق «زاد المعاد»: ابن القيم (١١/١).

وسيأتي مزيدُ بيانٍ لهذا عندَ الكلام على الطريقة المثلثيَّة لقراءة كتب الفقه، في نهاية الفصل الثالث: أصولُ في المطالعة المفيدة.

وهي نظم لمعاني كتاب «بلغ المرام من أدلة الأحكام» للحافظ ابن حجر العسقلاني، أشهر كتاب من كتب أحاديث الأحكام.

وقد بدأها الإمام محمد بن إسماعيل الأمير فنظم من أولها إلى أثناء باب العدة من كتاب الطلاق (١٩٤٠) بيّنا، ثم مات رحمه الله، فتممها تلميذه الحسين بن عبد القادر الصناعي من حيث وقف إلى آخر كتاب البلوغ بـ (٦٣٠) بيّنا، فصار مجموع أبياتها (٢٥٧٠) بيّنا.

وعليها حاشية نفيسة للشيخ العلام: محمد بن سالم البیحانی رحمه الله.

**٣- «الموثق من عمدة الموفق»:** للعلامة محمد سالم بن عبد الودود (عدود) الشنقيطي رحمه الله.

وتقع في (٣٧٢٢) بيّنا.

وهي منظومة جليلة لكتاب «عمدة الفقه» لموفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله، الذي تميز باقتران معظم مسائله بأدلتها من الأحاديث النبوية، ونقل الحكم عليها.

كما أضاف الناظم إليه فوائد كثيرة من شرحه «العدة» لبهاء الدين المقدسي،

وبعض ترجيحات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.  
**- ويلتحق بالفقه علم الفرائض (المواريث).**

وهو باب من أبواب الفقه، إلا أن العلماء أفردوه بالتصنيف؛ لأهميته.

**ومن أشهر المنظومات فيه:**

**١- «القلائد البرهانية»:** نسبة إلى ناظمها محمد بن حجازي بن محمد الحلبي، المعروف بابن البرهان.

وتقعُ في (١١٢) بيتاً.

وهي منظومة سلسة عذبة، حوت معظم أبواب الفرائض رغم وجازتها. ولها شرح لابن سلوم النجدي مطول ومختصر، وكذا لابن عثيمين. وكلّها مطبوعة.

**٢ - «بغية الباحث عن جمل الموارث»:** المعروفة بـ«الرحيبة»؛ نسبة إلى ناظمها محمد بن علي الرحبي الشافعي رحمه الله. وتقع في (١٧٦) بيتاً.

وهي من أفعع ما صنف في هذا العلم للمبتدئ كما قاله العلامة الشننوسي. وعليها شروح وحواشٍ كثيرة جداً.

إلا أن المؤلف رحمه الله لم يذكر في منظومته ما يتعلّق ببابي الرد وميراث ذوي الأرحام؛ تبعاً لمذهب الشافعي من عدم القول بالرد وعدم توريث ذوي الأرحام؛ لذا قام الشيخ عبد الله بن صالح الخيلفي (ت ١٣٨١هـ) رحمه الله بنظم ذلك في أحد عشر بيتاً، ذكرها وعلق عليها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في حاشيته على «الرحيبة»<sup>(١)</sup>.

وللمنظومة «الرحيبة» تلخيص جيد يقع في (٨١) بيتاً، للقاضي أحمد بن عبد اللطيف اليحيى، وهو مطبوعٌ.

**٣ - «عمدة كل فارض»:** للشيخ صالح بن حسن الأزهري الحنبلي. وهي من المطولات في علم الفرائض؛ إذ تقع في (١١٣٣) بيتاً.

(١) انظر الدليل إلى المتون العلمية (ص / ٤٧٠).

وعليها شرح نفيس مطول للشيخ إبراهيم بن عبد الله الحنبلي، سماه «العذب الفائض»، وهو مطبوعٌ.

\*\*\*

### ٣- المنظومات في الآداب الشرعية:

نالت الآداب الشرعية عنайه فائقةً من علماء الإسلام، فاستهدفوها بمؤلفاتٍ كثيرةٍ جليلةٍ، خاصةٍ: كآداب المُحتسِّينَ، وآداب العلماء، وآداب طلّاب العلم، وما يتعلّق بأعمال القلوب... ونحو ذلك. وعامّة، وهي ما تتعلّق بآداب الإسلام عموماً.

**ومن أشهر المنظومات في ذلك:**

**١- «منظومة الآداب الصغرى»:** لشمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي (ت ٦٩٩ هـ).

وتقع في (٢٦٠) بيتاً. وهي منظومة داليةٌ بديعةٌ، من بحر الطويل، ذكر فيها الناظم جملةً وافرةً من الآداب الشرعية.

وقد انتزع الناظم معظم أبياتها من منظومته «الآداب الكبرى»، وأضاف إليها بعض الأبيات.

وهي التي تولى شرحها العلامة السفاريني في كتابه «غذاء الألباب»، وهو مطبوعٌ في مجلدين كبيرين.

**٢- «منظومة الآداب الكبرى»:** للمرداوي أيضاً.

وتقع في (٩٨٤) بيتاً.

وهي كسابقتها داللية من بحر الطويل، وهي منظومة شاملة لآداب الشرعية، وقد اعتنى بها وصيّبَتها وأخرجها في حلقة قشيبة الشیخ محمد بن ناصر العجمي وفقه الله.

**٣- «عدّة الطلب بنظمٍ منهج التلقّي والأدب»:** للشيخ العلامـة عبد الله بن محمد (سفيان) الحـكمـي.

وتقع في (١١٤٥) بيتاً! ولعلـها أطـولـ منظـومـةـ في آدـابـ طـلبـ الـعـلـمـ وهي منظـومـةـ متـينـةـ فـرـيدـةـ جـامـعـةـ، عـقـدـهاـ النـاظـمـ في فـضـلـ الـعـلـمـ وـآدـابـ الـطـلبـ وـالـتـحـصـيلـ - كما هو ظـاهـرـ من عـنـوانـهاـ - .

وقد ذكر أنه اعتمد في جـلـ مـادـتهاـ علىـ كتابـ «تـذـكـرـةـ السـامـعـ وـالـمـتـكـلـمـ» لـابـنـ جـمـاعـةـ الـكـنـانـيـ، وـزـادـ عـلـيـهـ مـنـ المـصـادـرـ الـأـخـرىـ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

#### **٤- المنظومات في علوم القرآن وأصول التفسير:**

أغلـبـ المنـظـومـاتـ فيـ هـذـاـ اللـونـ منـ الـعـلـمـ تـجـنـحـ إـلـىـ نـظـمـ مـفـرـدـاتـ غـرـيبـ القرآنـ وـشـرـحـهاـ وـنـحـوـ ذـلـكـ؛ لـذـاـ تـطـولـ جـدـاـ حـتـىـ تـصلـ آلـافـ الـأـيـاتـ !ـ لكنـ هـنـاكـ منـظـومـاتـ عـنـيـتـ بـمـبـاحـثـ عـلـمـ الـقـرـآنـ وـأـصـولـ التـفـسـيرـ المعـرـوفـةـ، لـعـلـّـ مـنـ أـشـهـرـهاـ:

**١- «منظومة التفسير»:** لـعبدـ العـزـيزـ بنـ عـلـيـ المـكـيـ المعـرـوفـ بـالـزـمزـميـ<sup>(٢)</sup> (تـ٩٧٦ـهـ).

(١) صدرتْ طبعـتـهاـ الـأـولـىـ فيـ حلـقةـ فـاـخـرـةـ تـلـيقـ بـهـاـ عـامـ (١٤٣١ـهـ).

(٢) وسبـبـ النـسـبةـ أـنـ جـدـهـ الـأـعـلـىـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ اـشـتـغلـ بـخـدـمـةـ بـئـرـ زـمـزمـ، فـقـيلـ لـهـ: الـرـَّمـزـمـيـ.

وقد عقد بها ما في «النّقايَة» للسيوطى مما يتعلّق بالتفسير وعلومه، كما قال في مقدمتها:

أَفَرَدْتُهَا نَظِمًا مِّنْ «النّقايَةِ»  
مُهَذِّبًا نِظَامَهَا فِي غَایَةِ  
وهي منظومةٌ ليست بالطويلة، لكنها شهيرةٌ في الفنّ. وعليها عِدَّةٌ شروحٌ  
وحواشٍ<sup>(١)</sup>.

**٢- «المنظومة الرجبية في مهمّات العلوم القرآنية»:** للشيخ عبد الله رجب موسى، وهو معاصرٌ من علماء الأزهر.  
وعدد أبياتها (٣٣٠) بيتاً تقريباً.

وهي منظومةٌ تحتوي على مهمّات علوم القرآن وأصول التفسير، كتاب الوحي، والمكى والمدنى، وأول ما نزل وأخر ما نزل، وأسباب النزول، وغير ذلك من علوم القرآن.

**٣- «المفتاح للتفسیر»:** لعبد الله بن محمد فودي الصكتي النيجيري (ت ١٤٥ هـ).

وهي ألفيةٌ نظم فيها الناظم ما اشتمل عليه كتاب «النّقايَة» وكتاب «الإتقان» للسيوطى رحمه الله.  
وعليها شرح للترمسى.

\*\*\*

<sup>(١)</sup> انظر بقية الكلام عليها في كتاب الدليل إلى المتون العلمية: لعبد العزيز بن قاسم (ص ٨٩ - ٩٠).

## ٥- المنظومات في علم القراءات:

علم القراءات علم جليل، تميّزت به الأمة الإسلامية عن سائر الأمم. لكن منظوماتها تعد الأصعب على الإطلاق بين المنظومات؛ لكثره رموزها، ودقة لغوزها، لذا وصفه من وصفه من علماء الإسلام بأنه علم كثير التّعب، قليل الجدوى<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن فهيد الحسيني عن الحافظ العراقي: «انهـك في علم القراءات، حتى نـاه عن ذلك قاضي القضاة عـز الدين بن جماعة، فقال له: إنه علم كثـير التـعب، قليل الجـدوـي، وأنـت متـوقـد الـذهـن، فـينـبغـي صـرـفـ الـهمـةـ إـلـىـ غـيرـهـ. وأـشـارـ عـلـيـهـ بـالـاشـتـغالـ فـيـ عـلـمـ الـحـدـيـثـ، فـأـقـبـلـ حـيـنـئـذـ عـلـيـهـ، وـطـلـبـ بـنـفـسـهـ». لـحظـ الـأـلـاحـاظـ بـذـيلـ طـبـقـاتـ الـحـفـاظـ (ص/١٤٤). وـانـظـرـ: التـحـفـةـ الـلـطـيفـةـ فـيـ تـارـيـخـ الـمـدـيـنـةـ الشـرـيفـةـ (٢/١٦٢)، والـضـوءـ الـلامـعـ لـأـهـلـ الـقـرـنـ النـاسـعـ (٤/١٧٢).

- وقال الشمس البديري في «فهرسته» عن ابن الجوزي: «إن سبب اشتغاله بالحديث بعد أن كان موكلاً على علم القراءات، أن بعض أشياخه قال له ذات يوم: إن علم القراءات كثير التعب، قليل الجدوى، وأنـت ذهـنـك رائقـ، وفهمـك فائقـ، ومـنـ كان هـكـذا فـعلـيهـ بـعـلـمـ الـحـدـيـثـ، فـاجـتـهـدـ فـيـ حـفـظـ مـئـةـ أـلـفـ حـدـيـثـ بـأـسـانـيدـهـاـ! وـأـلـفـ فـيـ مـصـطـلـحـ الـحـدـيـثـ أـرجـوزـةـ؛ خـمـسـ مـئـةـ بـيـتـ، أـغـزـرـ عـلـمـاـ مـنـ أـلـفـيـةـ الـحـافـظـ الـعـراـقـيـ». فـهـرـسـ الـفـهـارـسـ وـالـأـثـبـاتـ لـلـكتـابـيـ (١/٤٠٣).

قلت: كلامهما له وجـهـ؛ فإنـ طـالـبـهاـ يـدـأـبـ وـيـتـعـبـ فـيـ تـحـصـيلـهاـ زـمـنـاـ طـوـيـلاـ، حتـىـ إـذـ ما حـصـلـلـهاـ وـأـتـقـنـهاـ - بـعـدـ لـأـيـ وـعـنـتـ - كـانـ النـتـيـجـةـ جـلوـسـ الـواـحـدـ بـعـدـ الـواـحـدـ بـيـنـ يـدـيهـ مـدـةـ مـدـيـدـةـ مـنـ الزـمـنـ؛ طـلـبـاـ لـلـإـجازـةـ فـيـهـاـ؟ـ عـلـىـ حـيـنـ أـنـنـاـ نـرـىـ الـفـنـونـ الـأـخـرـىـ تـحـصـلـ فـيـ زـمـنـ أـقـلـ، وـبـجـهـ أـيسـرـ، ثـمـ مـاـ إـنـ يـتـصـبـ مـحـصـلـهـاـ لـلـإـفـادـةـ، حتـىـ يـجـمـعـ فـيـ حـلـقـتـهـ مـئـاتـ الطـلـابـ، وـرـبـيـماـ الـآـلـافـ!

كـماـ أـنـ عـظـمـ فـائـدـهـاـ يـتـعـلـقـ بـالـأـلـفـاظـ وـاـخـتـلـافـ النـطـقـ وـالـأـدـاءـ، أـمـاـ الـمعـانـيـ وـالـأـحـكـامـ - وـهـيـ الـأـهـمـ - فـهـيـ قـلـيـلـةـ التـولـجـ فـيـهـاـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

## ومن أشهر منظوماتها:

١- «حِرْزُ الْأَمَانِي وَوَجْهُ التَّهَانِي» المعروفة بالشاطبية: للإمام الشاطبي.  
وعدد أبياتها (١١٧٣) بيتاً، على رووي اللام.  
نظم الشاطبي فيها القراءات السبع المتواترة عن الأئمة: نافع، وابن كثير،  
وابي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.  
والشاطبية من أوائل القصائد التي نظمت في علم القراءات، إن لم تكن  
أولها على الإطلاق.

وهي قوية السبك، محكمه البناء، رصينة العبارة. حتى قال عنها ابن الجوزي: «من وقف على قصيده (اللامية والرأيية)، علِم مقدار ما آتاه الله في ذلك. خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها.

ولقد رُزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلم له كاتبٌ غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن؛ فإني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به!»<sup>(١)</sup>.

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٢).

**طريقة:** ذكر بعضهم أن أحد أساتذة القراءات بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، كان يُراجع الشاطبية في المسجد النبوي، فمرّ به أحد جنود الأمن، فلما سمعه يُردد الأبيات؛ ظنه ساحراً يقوم بعمل سحرٍ للمسجد!! فقبض عليه وسلمه للشرطة! ولم يُنقذه إلا تدخل إدارة الجامعة!

ولها شروحٌ كثيرةٌ نُيَفِتْ عَلَى الستين!

٢- «الدُّرَّةُ الْمُضِيَّةُ»، في القراءات الثلاث المتممة للعشر المرضيّة:

للإمام ابن الجوزي.

وتقع في (٢٤١) بيتاً.

وهي كثيرةٌ الرموز، شديدةُ التعقيد، وعِرْةُ المُسْلِك! <sup>(١)</sup>.

(١) انظر مثلاً قوله في باب: الإذغام الصغير:

أَلَا حُرْزٌ وَعِنْدَ الشَّاءِ لِلتَّاءِ فُصَّلَ نَبْدُتُ وَكَاغْفِرْلِي يُرِدْ صَادَ حُوَّلَا هُمَّا وَادَّغَمْ مَعْ عُدْتُ أُبْ ذَا إِعْكِسْ حَلَا! مَ فُزْ يَلْهَثَ أَظْهِرْ أُدْ وَفِي اِرْكَبْ فَشَا أَلَا!	وَأَظْهَرَ إِذْ مَعْ قَدْ وَتَاءِ مُؤَنَّثٍ وَهَلْ بَلْ فَتَّى هَلْ مَعْ تَرَى وَلِيَا بِتَا أَخْدُتُ طُلُ أُورِثُتُمْ حَمَّى فِدْ لِبِسْتُ عَنْ وَيَاسِينَ نُونَ أَدْغِمْ فِدَا حُطْ وَسِينَ مِنْ
---	---

ولذا؛ فإنّ من لطيف ما يُستملح هنا أنّ ناظمها لـ **قال في آخرها:**

وَعَامَ (أَضَاحِي) فَأَحْسِنْ تَفْؤُلَا وَعُظْمُ اشْتِغَالِ الْبَالِ وَافِ وَكَيْفَ لَا؟ سَمَقَامَ الشَّرِيفَ الْمُصْطَفَى أَشَرَفَ الْمَلا فَمَا تَرْكُوا شَيْئاً، وَكَدْتُ لَا قُتَلَا عُنْيَزةَ حَتَّى جَاءَنِي مَنْ تَكَفَّلَا فَيَارَبِّ بَلْغُنِي مُرَادِي وَسَهَّلَا	وَتَمَّ نِظَامُ (الدُّرَّةِ) احْسِبْ بِعَدَّهَا غَرِيبَةَ أَوْطَانِ بِنْجِدِ نَظَمْتُهَا صُدِدْتُ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَزُورِي الْ وَطَوَّقَني الأَغْرَابُ بِاللَّيْلِ غَفلَةً فَأَدَرَكَنِي الْلُّطْفُ الْخَفِيُّ وَرَدَنِي بِحَمْلِي وَإِيْصَالِي لِطَيِّبَةَ آمِنَا
--	---

قال أحد أساتذة علم القراءات مازحاً: ليت الأعراب قتلوا وأراحونا!!!

**٣- «طَيِّبَةُ الشَّرِ في الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ»:** للإمام ابن الجوزي أيضًا.

وتقع في (١٠١٥) بيتاً، من بحر الرجز.

وهي في القراءات العشر الكبرى، جمع فيها الإمام ابن الجوزي ما اختلف فيه القراء، وما ورد عنهم من أصح الطرق التي انتقاها. ولذا قال في أولها:  
**وَهَذِهِ الرُّوَاةُ عَنْهُمْ طُرُقٌ أَصَحُّهَا فِي نَشْرِنَا يُحَقَّقُ بِسَانِينِ فِي اثْنَيْنِ وَإِلَّا أَرَبَّعَ فَهَيَ رُهَا أَلْفِ طَرِيقٍ تَجْمَعُ!**  
 وهي أسهل ألفاظاً وتراتيب من سابقتها.

**٤- «الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواية وأصول القراءات، وعَقْدُ الديانات، بالتجوييد والدلائل»:** لأبي عمرو الداني الأندلسى رَحْمَةُ اللَّهِ - وهذه العنوانات<sup>(١)</sup> الطويلة لأسماء الكتب هي عادةً معظم الأندلسيين والمغاربة! -.

**(١) عنوانات:** جمع صحيح لعنوان، خلافاً لمن زعم خطأً من اللغويين!  
 فقد نصّ الheroī في إسفار الفصيح (٢/٧٠٠) على أنّ عنوان يجمع على عنوانات، وعنوانين.

كما استعمله طائفةً من كتاب الكتّاب والأدباء؛ كالجاحظ، وأبي الطيب الوشاء، وابن أبي الإصبع العدواني، وأبي جعفر النحاس، وابن السيد البطليوسى، والنويري، والقلقشندى، وغيرهم.

كما صرّح بعض القدماء بجواز جمع ما لا يعقل جمع مؤنث سالِماً، سواءً سمع له جمع تكسير أو لا.

وقد لاحظ مجمع اللغة المصري أنَّ القدماء قد جمعوا الثلاثي المفرد المذكر غير العاقل جمع مؤنث سالِماً، مثل: «خان وحانات»، و«ثار وثارات»، وأنَّ المتنبي جمع «بوقاً» على «بوقات».

كما اعتمد المجمع المصري على ما ذكره سيبويه من مثل: «حمامات، وسرادقات، وطرقات،

وتقع في (١٣١١) بيتاً.

وهي منظومة متينة جامعة، تعرّض فيها الناظم لمطالب مهمّة لا تكاد توجد في غيرها من المنظومات المشابهة، مثل: القول فيمن يُؤخذ عنه، وحقّ العالم على المتعلم، والقول فيمن لا يُؤخذ عنه العلم، والقول فيمن يقتدّى به ومن يُترك قوله.

كما أنه تعرّض لجمل كثيرة مما يجب اعتقاده - ربّما غفل عن محلّها المتخصصون في العقيدة - سماها (عقود السنة)<sup>(١)</sup> تمتدّ من البيت رقم (٥٢٩) إلى البيت رقم (٦١١).<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## ٦- المنظومات في فن التجويد:

فن التجويد من الفنون الحسنة التي تساعد على جمال الأداء، وجودة التلاوة، وتحسين النطق بألفاظ القرآن الكريم، وتتصوّر اللسان عن اللحن في كلام الله ﷺ. كما أنه يساعد على تجلية الفرق بين قراءة كتاب الله وقراءة غيره من الكلام.<sup>(٣)</sup>

ويبيّنات)، وما ذكره غيره من مثل: «سجلات، ومصلّيات، وجوابات، وسؤالات». فاتّجه إلى قياسية هذا الجمع وقبوله فيما شاع، مثل: «طلب وطلبات»، و«سند وسنادات»، وبخاصة فيما لم يُسمّ له جمع تكسير. انظر: معجم الصواب اللغوي: لأحمد مختار عمر (١/٥٥١).

(١) العُوْدُ هُنَا: جمع عَدْدٍ، بمعنى اعتقد.

(٢) المنظومة حقّقها الأستاذ: محمد مجكان الجزائري، وفقيه الله. وقد بذل جهداً عظيماً في تحقيقها والتعليق عليها، لكنّ فاته الضبط السليم لبعض الآيات، كما أنه قد وقع تصحيفات في بعض الكلمات، فليتّبّه لذلك من رام حفظها، وليرِضّها على شيخٍ متقدّم؛ لأجل التصحيح.

(٣) أما قول ابن الجوزي في المقدمة الجزئية:

=

**والأخذ بالتجويد حتم لازم**

وفي لفظٍ:

**من لم يصحيح القرآن آثم**

.....

فقد اختلف العلماء في تفسير مراده في هذا البيت على خمسة آراء:

١- ف منهم من حمله على ظاهره، وهو وجوب الأخذ بجميع أحكامه وقواعدة، وتأثيم من لم يفعل ذلك !!

٢- وقيل: إن ذلك في حق من قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح، العربي الفصيح، وعدل إلى غيره؛ استغناءً بنفسه، واستبداداً برأيه، واستتكاراً عن الرجوع إلى عالم يُوقنه على صحيح لفظه؛ فإنه مقصّر بلا شك، وأثم بلا ريب، وغاش بلا مرية. أما من كان لا يطابعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

٣- ومنهم من رأى أن المراد بالإيجاب هنا الإيجاب الصناعي، وليس الشرعي. وذلك كقول النحاة: يجب رفع الفاعل ونصب المفعول به.

٤- ومنهم من ذهب إلى أنه لا يجب الالتزام بأحكام التجويد التي فُصلت في كتب التجويد، وإنما هي من باب تحسين القراءة، وباب التحسين غير باب الإلزام.

قالوا: وقد ثبت من فعل النبي ﷺ ما يخالف أحكام التجويد المتعارف عليها اليوم، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه سُئل كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مَدًا، ثم قرأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» يَمْدُ بِسْمِ اللَّهِ، وَيَمْدُ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمْدُ بِالرَّحِيمِ. قالوا: والمد هنا طبيعي لا يحتاج إلى تعمده، والنصل عليه هنا يدل على أنه فوق الطبيعي.

٥- ومنهم من حمل كلامه هنا على القسم الواجب منه؛ وهو الذي إذا لم يأخذ به القاريء؛ فسدَت قراءته. كالذي يحصل بتركه اختلاط الحروف في مخارجها وصفاتها، أو إزالة بعض الحركات عن محلها، ونحو ذلك.

قالوا: فترك هذا القسم مع القدرة عليه هو الذي يُوقع في الإثم. أما القسم المستحب منه؛ وهو ما يقتضي تحسين القرآن وحسن تقطيعه، كالوقف في مواضع الوقف على التمام، أو تحسين الصوت به حتى يكون أرق من صوته العادي، ومراعاة

لذا فينبغي مراعاة أحكامه دون تكليف ولا تنطع<sup>(١)</sup>.

**وقد نظم في هذا الفن منظومات كثيرة، من أشهرها:**

١ - «تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن» لسليمان بن حسين بن

محمد الجمزوري الشافعي المتوفى بعد سنة (١١٩٨هـ).

وتقع هذه المنظومة في (٦١) بيتاً.

وهي من أشهر المنظومات في الفن، وفيها الغناء للمبتدئين.

وقد شرحتها جماعة من العلماء منهم: ناظمها، وسمى شرحه: «فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال». والشيخ علي بن محمد بن حسن الملقب بالضياع المصري، والشيخ أسامة عبد الوهاب وسمّاه: «بغية الكمال شرح تحفة الأطفال» وكلّها بحمد الله مطبوعة<sup>(٢)</sup>.

حركات المدود، فهذا القسم مستحب لا يأثم القارئ بتركه.

**ولعل هذا القول هو الأقرب للصواب، والعلم عند الله.**

**انظر:** شرح طيبة النشر: لابن الجزري (ص/٣٥)، وشرح طيبة النشر: للنويري (١/٢٤٩)، والفتاوی الحدیثیة: لابن حجر الهیتمی (ص/١٧٤)، ومجموع فتاوی ورسائل العیمین (٢٠٦/٢٦)، والوجیز فی حکم تجوید الکتاب العزیز: لمحمد بن سیدی الامین (ص/٥٣) فما بعد.

**(١) قال ابن الجزري:** «ليس التجويد بتمضيق اللسان، ولا بتقعر الفم، ولا بتعمير الفك، ولا بتزييد الصوت، ولا بتتطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتلطين الغنات، ولا بحصارمة الراءات؛ قراءة تنفر عنها الطياع، وتمجيها القلوب والأسماء! بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا ماضع فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكليف، ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طياع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء». النشر في القراءات العشر (١/٢١٣).

**(٢) وانظر** الدليل إلى المتون العلمية: لعبد العزیز بن قاسم (ص/١٣٩ - ١٤٠).

٢- «عَمَدُهُ الْمُفِيدُ، وَعَدَّهُ الْمُجِيدُ»، في معرفة التجويد؛ وتُسمى «نونية السخاوي»، لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ)، تلميذ أبي القاسم الشاطبي المقرئ، وليس السخاوي المحدث. وتقع في (٦٤) بيتاً.

وقد نظمها السخاوي ليعارض بها قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الشهيرة في الفن نفسه، ولذا قال في آخرها:

أَبْرَزْتُهَا حَسْنَاءَ، نَظْلُمُ عُقُودَهَا  
فَانظُرْ إِلَيْهَا وَامْقُ امْتَدَّهَا  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ جَائِرٌ فِي ظُلْمِهَا

دُرُّ، وَفُصْلُ دُرَّهَا بِجُمَانِ  
فِيهَا؛ فَقَدْ فَاقَتْ بِحُسْنِ مَعَانِي  
إِنْ قِسْتَهَا بِقَصِيدَةِ الْخَاقَانِيِّ!

٣- «المقدمة، فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه» المعروفة بالمقدمة الجزرية: للإمام ابن الجوزي.

نظمها على بحر الرجز، وهي الأشهر في الفن. وعدد أبياتها مختلف بحسب طبعاتها، لكن أقله (١٠٧)، وأكثره (١١٩) بيتاً.

ويؤيد الأول قول الناظم في آخرها:

أَبْيَاتُهَا قَافٌ وَزَايٌ فِي الْعَدَدِ  
مَنْ يُحْسِنِ التَّجوِيدَ يَظْفَرُ بِالرَّشْدِ

لأنَّ حِرفَ الزَّايِ فِي حِسَابِ الْجُمَلِ<sup>(١)</sup> بِ٧، وَالْقَافُ بِ١٠٠.

---

(١) حِسَابُ الْجُمَلِ: هو ما قطع على حروف أبي جاد. وهي: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، =

٤- «السلسلي الشافي في علم التجويد»: لعثمان بن سليمان مراد علي أغاخنون (ت ١٣٨٢هـ)، وهو من الأتراك، لكنه عاش في مصر، وكان يدرس القرآن في الجامع الأزهر.

ويبلغ عدد أبيات المنظومة (٢٦٥) بيتاً، وهي شاملة جامعة، لكن لا يخلو بعض أبياتها من ركاكاً.

\*\*\*

### ٧- المنظومات في علم مُصطلح الحديث:

١- «طُرْفَةُ الْطَّرَفِ، فِي مُصْطَلِحِ مَنْ سَلَفَ»: لمحمد العربي الفاسي (ت ١٠٥٢هـ). وتقع في (٥٢) بيتاً.

وهي نظم لمعظم المصطلحات الحديثية المهمة، وقد أشار إلى ذلك ناظمها بقوله في أولها:

سعفص، قرشت، ثخذ، ضطبع).

**وله طريقة:** صغير وكبير. فالمعروف والمتداوَل يقال له: الصغير، **أَنَا الْكَبِيرُ** فيحسبونه بالبيّنات.

**والصغير:** هو أنْ يُوضَعَ أمَامَ كُلَّ حرفٍ من حُرُوفِ أبي جاد رقم، على ترتيبها هذا، فيوَضَعُ أمَامَ الْأَلِفِ واحدٌ، والباءُ اثنان، والجيمُ ثلاثة.. وهكذا إلى الياءِ وهي عشرة، ثم الكاف: عشرون، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، ثم كذلك إلى القاف، وهي مئة، ثم الراء: مئتان، والشين: ثلاثة، والتاء: أربع مائة، ثم كذلك إلى العين، وهي أَلْفٌ، وبها الخاتمة. **انظر:** تهذيب اللغة: للأزهري (١١/٧٥)، ومفاتيح العلوم: للخوارزمي (ص/٢١٩)، وشمس العلوم ودواء الكلام العرب من الكلوم: للحميري (٢/١١٥٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي (١/٥٨٢).

بِنَظِيمِ الْقَابِ الْحَدِيثِ دُرَّا  
جُهْدَ مُقِلٌّ جَادَ بِالذِّي وَجَدَ  
وَاللَّهُ أَسْتَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ

وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ أَعْيَانِ الْوَرَى  
فَمَا أَلَوْتُ فِي ابْتِدَارِ مَا قَاصَدْ  
مُقْتَصِرًا فِيهِ عَلَى الْأَلْقَابِ

وَقُولُهُ فِي آخِرِهَا:

آخِذَةٌ مِنَ الْمُهِمِّ بِطَرَفِ  
وَقْدَ تَنَاهَتْ طُرْفَةٌ مِنَ الطُّرَفِ

وَهِيَ أَحْسَنُ شَيْءٍ لِلْمُبْتَدِئِينَ<sup>(١)</sup>.

وَلِلمنظومةِ شِرْوُحٌ عِدَّةٌ قَدِيمَةٌ وَمُعاصرَةٌ. وَلِي شِرْحٌ عَلَيْهَا يَسِّرُ اللَّهُ إِتَّمَامَهُ  
وَطَبَعَهُ.

٢- «قَصْبُ السُّكَّر، نَظُمُ نُخْبَةِ الْفِكَّر»: لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الصَّنْعَانِيِّ  
(ت ١١٨٢ هـ)، وَعَدْدُ أَبْيَاتِهَا (٢٠٣) بِيَتًا.

وَهِيَ نَظُمٌ سَلِيسٌ حَسْنٌ لِ«نُخْبَةِ الْفِكَّرِ» لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجْرِ رَحْمَةُ اللَّهِ الْمُتَنِّ

الْمُعْتَمِدِ عَنْ الْمُتَأْخِرِينَ، وَهَذِهِ الْمَنْظُومَةُ أُوْصِيَّ بِهَا الْمُتَوَسِّطِينَ فِي الْفَنِّ.

وَالْعَجِيبُ أَنَّ الصَّنْعَانِيَّ نَظَمَهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ!! فَقَدْ قَالَ فِي مَطْلِعِهَا:

مُختَصِّرٌ يَا حَبَّدًا مِنْ مُختَصِّرٍ  
وَبَعْدُ فَالنُّخْبَةُ فِي عِلْمِ الْأَثْرِ  
وَهُوَ الشَّهَابُ بْنُ عَلَيٍّ بْنِ حَجْرٍ  
أَفَهَا الْحَافِظُ فِي حَالِ السَّفَرِ  
فَأَشْتَقْتُ أَنْ أُودِعَهَا نِظَامِيِّ  
طَالَعَتْهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ

(١) كَمَا أَنَّهَا خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ (الْبِيَقُونِيَّةِ) الَّتِي لَا تُسْمِنُ وَلَا تُغْنِي، مَعَ مَا عَلَيْهَا مِنْ مَلَاحِظَاتٍ!

فَتَمَّ مِنْ بُكْرَةِ ذَاكَ الْيَوْمِ  
إِلَى الْمَسَاءِ نَدْرُهُ وَنُودُ النَّوْمِ!  
مُشْتَمِلًا عَلَى الَّذِي حَوَاهُ  
فَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَانِ لَا سِوَاهُ

٣- «اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون»: للشيخ العلامـة

حافظ الحـكمـي رحمة الله.

وتقع في (٣٤٠) بيتاً.

وهي منظومةٌ متينةٌ، فائقةٌ، نَظَمَ فيها الشيخ حافظ أَهْمَّ ما يحتاجه طالبُ  
العلم من علم مصطلح الحديث.

ومن مزايا المنظومة أنه استهلّها بذكر أنواع علوم الحديث على سبيل  
الإجمال، ثم فصلها بعد ذلك في محالّها. **فقال في مطلعها:**

وَهَاهُكَ تَلْخِيصُ أُصُولِ تَافِعَةٍ  
لِحَلِّ مَا قَدْ أَصْلَوْهُ جَامِعَةٍ  
وَلْتُخْفَظِ الْأَنْوَاعُ مِنْهُ مُجْمَلَةٍ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحُوضَهَا مُفَصَّلَةٍ

**وبعد ما سردها قال:**

..... فَهَذِهِ الْقَابُ مَا  
وَسَاعِدُ الْكُلَّ فِي مَوَاضِعِهِ  
مُبَيِّنًا أَنَوَاعَهُ مُعْتَبِرًا  
فَلَا يُمْلَنَّكَ مَا تَكَرَّرًَا  
يُشَهِّرُ مِنْهُ، وَالْجَمِيعُ قُسَّمَا  
فِي الْنَّظِيمِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا فِعْهُ  
جِهَاتٍ تَقْسِيمَاتٍ مُحَرَّرًا  
لَعَلَّهُ يَحْلُو وَإِذَا تَقَرَّرًَا

ولها شرح جيد للدكتور / حافظ بن محمد الحكمـي سمـاهـ: «المسـلـكـ الواضحـ المـأـمـونـ»، وهو مـطبـوعـ.

وهي كسابقتها فيها الغنية والكافية للمتوسطين.

**٤ - «البصرة والتذكرة»:** للحافظ العراقي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ٨٠٦ هـ)، وهي ألفيتها المشهورة في المصطلح، التي لخّص فيها مقدمة ابن الصلاح «معرفة أنواع علوم الحديث» - الكتاب العمدة في الفن - وزاد عليها. قال في مطلعها:

نَظَمْتُهَا تَبْصِرَةً لِلْمُبَتَدِيِّ      تَذْكِرَةً لِلْمُنْتَهِيِّ وَالْمُسْنَدِ  
لَخَّصْتُ فِيهَا ابْنَ الصَّالِحِ أَجْمَعَهُ      وَزِدْتُهَا عِلْمًا تَرَاهُ مَوْضِعَهُ

فالذي يحفظ «البصرة والتذكرة» كأنه قد حفظ (مقدمة ابن الصلاح) منظومة؛ لأنَّ الحافظ العراقي حوى أصول (مقدمة ابن الصلاح) في ألفيته وزاد عليها.

وألفية العراقي هي الأشهر في الفن، وهي التي يدور عليها أكثر الشروح، لا سيما ذلك الشرح الموسعي الذي لم يصنف في الفن مثله: «فتح المغيث» للسخاوي.

**٥ - «نظم الدُّرَر في علم الأثر»:** للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

وهي ألفية رائعة، جامعة، سلسة، كثيرة المزايا، جمّة المحاسن.

وهي أشمل من ألفية العراقي؛ ففي دراسةٍ لبعض الباحثين، خلصَ فيها إلى أنَّ الإضافات العلمية لألفية السيوطي على ألفية العراقي تبلغ (٢٧٠) إضافةً! وأمّا الكلمات وأشجار الأبيات والأبيات الزائدة فتبلغ (٤٨٠) إضافةً! ولذا قال السيوطي في أولها:

وَهَذِهِ الْأَفْيَةُ تَحْكِيُ الدُّرَرَ      مَنْظُومَةٌ ضَمَّنْتُهَا عِلْمَ الْأَثْرِ

**فَائِقَةُ الْأَفْيَةِ الْعَرَاقِيِّ فِي الْجَمْعِ وَالْإِبْجَازِ وَأَسْسَاقِ**

**وَاللَّهُ يُبَرِّي سَابِعَ الْإِحْسَانِ لِيْ وَلَهُ وَلَذِي الْإِيمَانِ**

فهي بلا شك أشمل من ألفية العراقي وأجمع؛ وهذه هي العادة المطردة في كل العلوم والفنون غالباً؛ وهي أن المتأخر يستفيد من المتقدم، ويستدرك ويزيد عليه، وإنما الفائدة من نظمه إذا لم يُضف جديداً؟!

لكن تبقى ألفية العراقي - ب رغم ذلك - هي الأشهر في الفن.

**وَخَلاصَةُ القول:** فإنني أنصح من لم يكن متخصصاً في الفن ورغبة في حفظ ألفية في مصطلح الحديث؛ أن يحفظ ألفية السيوطي. أما المتخصص فإني أرى أن يحفظ ألفية العراقي، ويضم إليها حفظ الزيادات التي في ألفية السيوطي<sup>(١)</sup>، لاسيما ما زاده من الأبواب والفصوص، والله الموفق<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) تم تمييز هذه الزيادات بوضعها داخل قوسين هلاليين في طبعات ألفية السيوطي.

(٢) **لطيفة:** من العجائب أن السيوطي نظم ألفيته هذه في خمسة أيام فقط! فقد قال في خاتمتها:

<b>نَظَمْتُهَا فِي خَمْسَةِ الْأَيَامِ!</b> <b>يُقْدِرُهُ الْمُهَيْمِنُ الْعَلَامُ</b> <b>يَا صَاحِبِيْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ</b> <b>بَعْدَ ثَمَانِيْ مَئَةٍ لِلْهِجَرَةِ</b> <b>لَيْسَ بِهِ تَعْقُدُ أَوْ حَشْوُ</b> <b>وَخُصُّهَا بِالْفَضْلِ وَالثَّقْدِ</b>	<b>خَتَمْتُهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ</b> <b>مِنْ عَامِ إِحدَى وَتَمَانِينَ الَّتِي</b> <b>نَظَمْتُ بِدِلْيُوكَوْضِيْ سَهْلُ حُلُوْ</b> <b>فَاعْنَ بِهَا بِالْحِفْظِ وَالتَّقْدِيمِ</b>
---	--

## ٨- المنظومات في السيرة النبوية والتاريخ:

**اهتمَ العلماءُ غايةَ الاهتمامِ بالسيرةِ النبويةِ والمعاريِّ<sup>(١)</sup>، وتفنّنوا في نظمها**

**(١) وممّا جاءَ عنهم في ذلك:**

- كانَ محمدُ بنَ مسلمةَ رضي الله عنه يقولُ: «يا بَنِيَّ، سَلُوْنِي عَنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وسلم وَمَوَاطِنِهِ، فَإِنِّي لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ قَطْ، إِلَّا وَاحِدَةً فِي تِبُوكَ، خَلَفْنِي عَلَى الْمَدِينَةِ. وَسَلُوْنِي عَنْ سَرَايَاهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا سَرِيَّةٌ تَخْفَى عَلَيَّ، إِمَّا أَنْ أَكُونَ فِيهَا، أَوْ أَنْ أَعْلَمَهَا حِينَ خَرَجْتُ». .

- **وقال الإمام الزهرى:** «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا».

- وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلوات الله عليه وسلم ويعدها علينا، وسراياه، ويقول: يا بَنِيَّ، هَذِهِ مَائِرَ آبَائِكُمْ، فَلَا تَضَيِّعُوا ذَكْرَهَا».

- **وقال علي بن الحسين زين العابدين:** «كُنَّا نُعَلَّمُ مغازي النبي صلوات الله عليه وسلم وسراياه، كما نُعَلَّمُ السورةَ من القرآن».

- وأمرَ عمرُ بْنُ عبدِ العزيزَ فِي خَلَافَتِهِ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍ وَقَاتَادَةَ بْنَ النَّعْمَانَ الْأَنْصَارِيِّ (ت. ١٢٠ هـ) أَنْ يَجْلِسَ فِي مَسْجِدِ دَمْشِقَ، فَيَحْدُثَ النَّاسَ بِمَغَازِي رَسُولِ الله صلوات الله عليه وسلم وَمِنَاقِبِ أَصْحَابِهِ. وَقَالَ: «إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ كَانُوا يَكْرَهُونَ هَذَا وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، فَاجْلِسْ فَحَدَّثُ النَّاسَ بِذَلِكَ»، فَفَعَلَ.

- **وقال الشافعى:** «مضى أبو يوسف القاضى ليسمعَ المغازيَّ من ابنِ إسحاقِ أو من غيره، فأخذَ بمجلسِ أبي حنيفةِ أيامًا، فلما أتاه، قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف، من كان صاحبَ رأيَةِ جالوت؟ قال له أبو يوسف: إنك إمامٌ، وإن لم تُمْسِكْ عن هذا سألكُ واللهُ على رءوسِ الملايينِ ما كانتَ أولاً بدرُ أم أحده؟ فإني أعلمُ أنك لا تدرِي أيهما كان قبلَ فَأمسِكْ عنه».

- **وقال ابنُ كثير:** «هذا الفنُ مما ينبغي الاعتناءُ به والاعتبارُ بأمرِه والتهيئَ له».

**انظر** ما تقدم في: الطبقات الكبير: لابن سعد (٤١٥ / ٧)، والجامع لأخلاقِ الراوي: للخطيب (١٩٥ / ٢)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٥٥ / ٢٧٠)، والبداية والنهاية: لابن كثير (٥ / ٢١)، والمحاضرات والمحاورات: للسيوطى (ص / ٣٠٦)، وسبل الهدى والرشاد: للصالحي (٤ / ١٠)، وإنسان العيون: للحلبي (١ / ٥)، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢٢٩ / ٢).

**وبسب ذلك ما قاله الخطيب البغدادي:** «تَعْلَقَ بِمَغَازِي رَسُولِ الله صلوات الله عليه وسلم أَحْكَامٌ كثِيرَةٌ، فَيجبُ كَتْبُهَا وَالحِفْظُ لَهَا». الجامع لأخلاقِ الراوي (١٩٥ / ٢).

ما بين مُطْوِلٍ وموْجِزٍ، كما أَنْ بعضَهُمْ قد رَتَبَ منظومَتَهُ على حُسْبِ السَّنَنِ، وبعضَهُمْ رَتَبَهَا على الأَبْوابِ والحوادِثِ، وبعضَهُمْ زاوَجَ بَيْنَهُما. وقد تقدَّمَ الْكَلَامُ عَنِ السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ وَأَقْسَامِهَا، فَلَا نُكَرِّرُ.

**بِيَدِ أَنِّي أُشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ أَهْمَّ مَا يَنْبَغِي الاعْتَنَاءُ بِهِ مِنْ التَّارِيخِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ،**

وهي مطلوبة شرعاً:

١ - تاريخ الأنبياء.

لقوله تعالى بعد أن ذكر طائفه من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ إِن يَكْفُرُوا بِهَا هُوَ لَا يَقْدَرُ وَكَلَّا لَهَا قَوْمًا لَيُسْوِيَهَا بِإِكْفَارِنَّ﴾ [٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ أَفْتَدِهُمْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَنَائِمِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فأَمَرَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بِالْقِتَادِ بِهِدِيهِمْ، فَغَيْرُهُ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ.

## ٢ - سیرۃ نبیّنا محمد ﷺ

٣- تاريخ الخلفاء الراشدين.

لقوله عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِسْتَيْ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ، تَمَسَّكُوا  
بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» أخرجه أحمدُ وغيره <sup>(١)</sup>.

وإليك أَهمَّ المُنظَّماتِ في السِّيرَةِ والمعاَزِي والتَّارِيخِ:

## ١- «بَوَاعِثُ الْفِكْرَةِ فِي حَوَادِثِ الْهِجْرَةِ»: لِلْحَافِظِ الْمُؤَرِّخِ الْأَدِيبِ مُحَمَّد

بن عبد الله القيسي، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي.

(١) مسند أحمد (٣٧٥ / ٢٨) ح (١٧١٤٥).

وهي منظومةٌ وَجِيزةٌ لكنها شاملةٌ، جعلَها ناظمُها على بحر الطويل وقافية الميم، ورتبها على السنين، ولها شرحٌ عليها يسّر الله طبعه.  
ومنها قوله في أولها:

سُنُو هَجْرَةِ الْمُخْتَارِ فِيهَا حَوَادِثُ  
مُصَلَّى قَبَابِي أَوَّلِ، ثُمَّ مسجداً  
وَحِلْفُ، أَذَانُ، جُمْعَةُ، ماتَ أَسْعَدُ  
بَرَاءُ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ فَاسْلَمَ

٢- «الأرجوزة الميسية، في ذِكر حال أشرف البرية»: للقاضي علي بن علي بن أبي العزّ الحنفي.

وتقع في (١٠٠) بيتٍ كما هو ظاهرٌ من اسمها.  
وهي منظومةٌ حُلْوَةٌ لطيفةٌ، رتبها ناظمُها على الحوادث والسنين.  
٣- «القصيدة اللامية في تاريخ خلفاء الدولة الإسلامية»: لابن أبي العزّ أيضاً.

وتقع في (١٣٤) بيتٍ.  
وقد بدأ الناظمُ بالخلفاء الراشدين وانتهى إلى سنة (٧٦٠ هـ).  
وهي منظومةٌ عجيبةٌ على روبي اللام، استعمل في ذكر تواريختها حساب الجمل (١). وله شرحٌ متواترٌ عليها، وهو مطبوعٌ.  
٤- «إِنَارَةُ الدُّجَى فِي مَغَازِي خَيْرِ الْوَرَى»: للعلامةِ أحمد بن محمد البَدوِيِّ الشِّنْقِيْطِيِّ.

(١) تقدّم التعريفُ به.

وهي منظومة متوسطة الطول، ذكر فيها الناظم معاذِي النبي ﷺ. وعليها شرح للشيخ القاضي حسن بن محمد المشاط رحمه الله<sup>(١)</sup>.

**٥ - «ذات الشفّا في سيرة النبي ثم الحُدّاق»:** لـالحافظ محمد بن محمد بن الجزيري.

وعدد أبياتها ٥١٥ بيتاً.

وهي منظومة سهلة سلسة رائقة، ربّتها ناظمها على السنين والأبواب.

وهي كما هو واضح من اسمها في سيرة النبي ﷺ والخلفاء الأربعة الراشدين مع الحسن بن علي رضوان الله عليهم. إلا أنه ذيّلها بذكر شيء من تاريخ الدولة العثمانية التي عاصرها.

والعجب أن الناظم نظمها في يوم واحد!! فقد قال في مطلعها:

نظمتها في غاية اختصارٍ مُرتجلاً، لعلَّ في نهارٍ!

**٦ - «الدرر السنّية في نظم السيرة الزكية»:** لـالحافظ زين الدين العراقي.

وتقع في (١٠٣٢) بيتاً.

ربّتها ناظمها على الأبواب. وهي أشهر منظومات السيرة على الإطلاق، حيث انتشرت في الآفاق، واحتفل بها الأئمة الحذاق. يظهر ذلك من كثرة شروحهم لها، واهتمامهم بها.

وقد بذل فيها ناظمها جهداً كبيراً، يتبيّن ذلك في وفرة مصادرِه، ودقة تواريشه للغزوَات والأحداث.

(١) طبع في القاهرة، دار المدنى، عام ١٣٨٤ هـ.

وهي منظومة رائعة، وإن لم يخل بعض أبياتها من مُؤاخذٍ وضروراتٍ في اللغة والعرض!

وقد أملأها ناظمها في المدينة النبوية، في الروضة النبوية الشريفة، على طائفةٍ من المحدثين، إبان تقلده القضاء والإمامية والخطابة بها سنة (٧٨٨ هـ) حيث جاور بالمدينة ثلاثة سنين.

٧- «أشعة الأنوار على مرويات الأخبار»: للعلامة المصلح: محمد بن سالم البيهاني (ت ١٣٩١ هـ).  
وتقع في (٤٢٦٦) بيتاً!

وقد مكث الناظم في نظمها سبع سنوات إلا شهرين؛ لعدم تفرغه لها، ولكونه كفيق البصر ولا تأثر له الكتابة إلا بعد حضور الكاتب، كما صرّح بذلك في شرحه لها<sup>(١)</sup>.

وقد ابتدأها عام (١٣٧٥ هـ) وفرغ منها عام (١٣٨٢ هـ).

وهي منظومة جليلة القدر، حسنة الترتيب، سهلة التراكيب. نظم فيها البيهاني السيرة النبوية العطرة والتاريخ الإسلامي إلى عصره! مع اهتمامه بتاريخ اليمن بلديه.

كما حشّاها بشرح نفيس للغاية، طبع معها.



.(١) (ص/٤٩٥).

## ٩- المنظومات في أصول الفقه:

علم أصول الفقه علم ضروري لطالب العلم الشرعي عموماً، وللمتفقّه خصوصاً. قال ابن بَدران: «اعلم أنه لا يمكن للطالب أن يصير متفقّها ما لم تكن له دراية بالأسول، ولوقرأ الفقه سنينا وأعواماً، ومن ادعى غير ذلك كان كلامه إما جهلاً وإما مُكابرة»<sup>(١)</sup>.

### ومن أشهر المنظومات في هذا الفن:

١- «تسهيل الطرقات، في نظم الورقات»: لشرف الدين العِمريطي.

وتقع في (٢١١) بيتاً.

وهي منظومة سهلة، عذبة - كما هي عادة العِمريطي في سائر منظوماته -، وهي أنسُب شيء للمبتدئين.

وقد نَظَم فيها العِمريطي متناً من أشهر المتون عند الأصوليين، ألا وهو متن (الورقات) للإمام الجُويني، الأصل المُعتمد عند المُتقدّمين، كما أنَّ (جَمْعَ الْجَوَامِعِ) للسبكي هو الأصل المُعتمَد عند المتأخّرين.

٢- «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول»: للشيخ حافظ الحكمي.

وتقع في (٦٤٠) بيتاً.

وهي منظومة فائقة رائعة بديعة، زاد من بهائها أنها على المنهج السلفي، وليس على منهج المتكلّمين كما هو حال غالب المنظومات في أصول الفقه!

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص/٢٦٧).

وقد شرحها شرحاً حسناً الشيخ زيد بن محمد المدخلبي في «الجهاد المبذول في تنوير العقول»، وهو مطبوعٌ.

٣- **«مُرْتَقِي الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ»**: للإمام محمد بن عاصم الغرناطي.

وتقع في (٨٤٨) بيتاً.

وهي منظومة سلسة، سهلة، جامعة. قرب فيها ناظمها أصول الفقه، ويسّره لطالبيه. وقد أشار إلى ذلك الناظم  **فقال في مطلعها:**

لِذَا اسْتَعْنَتُ اللَّهُ فِي تَيْسِيرٍ  
فِي هَذِهِ الْأُرْجُوْزَةِ الْمَشْطُورَةِ  
فَهُنَيْ عَلَى تَأْصِيلِهِ مَقْصُورَةٌ  
حَاشَيْنَاهُ مِنْ لُغَةٍ وَمَنْطِقٍ  
حِرْصًا عَلَى إِيْضَاحِ أَهْدَى الْطُّرُقِ  
تُفْيِدُ فِي مَسَائِلِ سَتَاتِي  
إِلَّا يَسِيرًا مِنْ مُقَدَّمَاتِ

٤- **«الكوب الساطع، نظم جمع الجواع»**: لجلال الدين السيوطي.

وتقع المنظومة في (١٤٨١) بيتاً.

وهي نظمٌ بديعٌ مُحكَمٌ لكتاب (جمع الجواع) للسبكي الذي لخصه مؤلفه من مئة مصنفٍ في الأصول!

**قال ناظمها:**

وَهَذِهِ أُرْجُوْزَةُ مَحَرَّرَةٍ  
ضَمَّنَتْهُ (جَمْعُ الْجَوَامِعِ) الَّذِي  
أَبَيَّهَا مِثْلُ الْجُنُومِ مُزْهَرَةٌ  
حَوَى أُصُولَ الْفِقْهِ وَالدِّينَ الشَّذِي

إِذْلَمْ أَجْدُّ قَبْلِيَ مَنْ أَبْدَاهُ  
نَظَمًا، وَلَا بِعْقَدِهِ حَلَّاهُ  
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ أَفْتَقَى  
كَمِثْلِهِ، وَلَا الَّذِي بَعْدُ افْتَقَى  
وَهِيَ أَشْمَلُ وَأَسْلَسُ وَأَمْتَنُ مِنْ الْفَيْةِ «مَرَاقِي السُّعُود»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر مثلاً قوله في معاني صيغة افعل:

فِي صِيَغَةِ افْعَلٍ: لِلْوُجُوبِ تَرِدُ  
وَالِإِذْنِ، وَالتَّأْدِيبِ، إِنْذَارِ، وَمَنْ  
وَالْحَبَرِ، التَّسْوِيَةِ، التَّعْجِيزِ  
وَلَا حِقَارَ، وَاعْتِيَارِ، مَشْوَرَةٌ  
إِرَادَةٌ امْتِشَالٍ، السُّبْخِيَّرِ  
وَهُنَى حَقِيقَةٌ لَدَيْ الْجُمْهُورِ  
وَالنَّدْبِ، وَالْمَبَاحِ، أَوْ تَهَدُّدُ  
إِرْشَادِ، إِنْعَامِ، وَتَفْوِيْضِ، تَمَنْ  
وَلِلْلُّدْعَا، التَّعْجِيزِ، وَالتَّكْذِيبِ  
إِهَاةٌ، وَالضَّدِّ تَكْوِينٌ تَرَةٌ  
فَقَدْ جَمَعَ فِي أَبْيَاتِهِ الْقَلِيلَةِ هَذِهِ سَتَّةً وَعِشْرِينَ مَعْنَىً لـ (افعل)! مع السلاسة والعدوبة والإحكام.

- أمّا «مرّاقِي السُّعُود» - المشتهرُ عِنْدَ مُتَأْخِرِيِّ الْمَغَارِبِ وَلَا سيِّما عَلَمَاءِ الْقُطْرِ الْمُورِيَّاتِيِّ - فَإِنَّمَا لَأُوصِي بِحِفْظِهِ، لِرِكَاكِهِ، وَاسْتِغْلَاقِهِ، وَضَعْفِ تِراكِيَّهَا.

وَمَا كَانَ لَهَا أَنْ تَشْتَهِرَ وَتَتَشَبَّهَ فِي قُطْرَنَا لَوْلَا كُثْرَةُ اسْتِشَاهَدِ الْعَلَّامَةِ / محمد الأمين الشنقطي رَحْمَةُ اللهِ بِهَا فِي مَصْنَفَاهُ وَدْرُوسِهِ، وَإِلَّا فـ (الْكَوْكُبُ السَّاطُونُ ) أَفْضَلُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ.  
وَقَدْ حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْحُدَيْفِيُّ نَقْلًا عَنْ شَيْخِ الْعَلَّامَةِ / محمد سالم ولد عَدُود رَحْمَةُ اللهِ بِهِ، أَنَّ مَنظَرَةَ «الْكَوْكُبُ السَّاطُونُ » تَتَمَيَّزُ عَنْ «مَرَاقِي السُّعُود» بِأَمْرٍ:

- ١- أَنَّهَا أَوْسَعُ مِنْهَا وَأَشْمَلُ وَأَوْعَبُ.
- ٢- أَنَّهَا نَظَمَ فِيهَا «جَمَعَ الْجَوَامِعَ»، الَّذِي هُوَ مَطَابِقٌ لِاسْمِهِ بِالْاِتْفَاقِ، وَعَلَيْهِ دَارَتْ قُطْبُ رَحَا كَثِيرٍ مِنَ الْأَصْوَلَيْنِ، مَعَ التَّزَامِ السِّيَوَطِيِّ أَلْفَاظَ الْأَصْلِ مَا لَمْ يُضْطَرِّهِ النَّظَمُ.
- ٣- أَنَّ السِّيَوَطِيَّ أَكْثَرُ التَّزَامَ بِمَصْطَلَحَاتِ الْأَصْوَلَيْنِ فِي نَظَمِهِ مِنْ صَاحِبِ «مَرَاقِي السُّعُود».
- ٤- أَنَّ الْفَاظَهَا وَتِراكِيَّهَا أَسْهَلُ مِنَ الْفَاظِ وَتِراكِيِّ «مَرَاقِي السُّعُود».

## ١٠- المنظومات في القواعد الفقهية:

القواعد الفقهية مُهمة لطالب العلم والعالم والمفتى؛ لأنها تجمع شتات المسائل، في عباراتٍ مكثفة وجيزة.

وهذه يغفل عنها طلاب العلم كثيراً! لذا يقول الشيخ السعدي رحمة الله في منظومته للقواعد الفقهية:

فاحرص على فهمك للقواعد  
جامعه المسائل الشوارد  
فترتقى في العلم خير مرتقى  
وتقتفي سبل الذي قد وفقا  
وقال تلميذه الشيخ ابن عثيمين رحمة الله في منظومة أصول الفقه وقواعد:  
  
لَنْ يَلْعَجَ الْكَادِحُ فِيهِ آخِرَةٌ  
وَبَعْدَ فَالْعِلْمِ بُحُورُ زَاخِرَةٍ  
لَكِنَّ فِي أُصُولِهِ تَسْهِيلًا  
لَنَيْلَهِ، فَاحْرِصْ تَحْذِيسِيلاً  
فَمَنْ تَفْتَهَ يُحْرِمُ الْوُصُولًا  
إِغْتِنَمَ الْقَوَاعِدَ الْأُصُولًا  
بل إن الفقة كلّه مبني على خمس قواعد! قال الأهدل في منظومته «الفرائد البهية»:

الْفَقَهُ مَبْنَىٰ عَلَى قَوَاعِدٍ  
وَبَعْدَهَا: الْيَقِينُ لَا يُزَالُ  
وَتَجْلِبُ الْمَشَقَّةُ التَّيْسِيرًا  
رَابِعُهَا فِيمَا يُقَالُ: الضررُ  
خَمْسٌ، هِيَ: الْأُمُورُ بِالْمَقَاصِدِ  
بِالشَّكِّ، فَاسْتَمْعْ لِمَا يُقَالُ  
ثَالِثُهَا، فَكُنْ بِهَا خَيْرًا  
يُزَالُ، قَوْلًا لِمَنْ فِيهِ غَرَرٌ

فهذه الخمسُ جميعاً مُحَكَّمَةٌ  
قائمةٌ واحدةٌ مُكَمِّلاً  
والدَّرْءُ للمفاسِدِ القيائِحِ  
أوَّل جُزْءٍ هَذِهِ! وَقُبْلَا  
خامسُها العادةُ قُلْ: مَحَكَّمَةٌ  
بل بعْضُهم قد رَجَعَ الفقة إِلَى  
وهي اعتبارُ الجَلْبِ للمصالحِ  
بل قال: قَدْ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى  
- ومن أَحْسَنِ مَا نُظِّمَ فِيهَا:

١ - منظومةٌ في القواعد الفقهية: للشيخ عثمان بن سند المالكي البصري (ت ١٢٤٢ هـ).

وتقع في (٤٣) بيتاً.

وقد حَقَّقَها وَخَدَمَهَا خِدْمَةً جَيِّدةً أ.د. فهمي أحمد القرّاز.  
ورغم وجازتها إلا أنها مفيدةً جداً.

٢ - منظومةٌ القواعد الفقهية: للعلامة عبد الرحمن السعدي.  
وتقع في (٤٩) بيتاً.

وهي منظومةٌ مختصرةٌ لكنها نافعةٌ ذاتُعُ، ولها شروحٌ عِدَّةٌ مطبوعةٌ  
ومسموعةٌ، ولا تخلو بعضُ أبياتها من رَكَاكةٍ.

٣ - منظومةٌ أصول الفقه وقواعد: للعلامة محمد بن صالح العثيمين.  
وعددُ أبياتها (١٠٣) بيتاً.

وهي منظومةٌ رَصِينةٌ، مفيدةٌ، نَظَمَ فيها الشيخُ طرفاً صالحاً من قواعد أصول  
الفقه، والقواعد الفقهية.

وللناظم عليها شرحٌ جيدٌ مطبوعٌ.

- منظومة «الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية»: للعلامة أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل.  
وتقع في (٥٢٤) بيتاً.

وهي نظم فائق لقواعد الفقه التي في كتاب «الأشباه والنظائر» للإمام السيوطي، وفي هذا يقول الناظم:

لَخَصَّتْهَا بِعَوْنَرْبِي الْقَادِرِ  
مُصَنَّفِ الْحَبْرِ السِّيُوطِيِّ الْأَجْلِ  
وَلَهَا شَرْحٌ حَفِيلٌ اسْمُهُ «الْمَوَاهِبُ السَّيِّدَةُ»، شَرْحُ الْفَرَائِدِ الْبَهِيَّةِ، فِي نَظَمِ  
الْقَوَاعِدِ الْفَقَهِيَّةِ» لِلشِّيخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلِيمَانَ الْجَرْهَزِيِّ الشَّافِعِيِّ.  
وَعَلَى هَذَا الشَّرْحِ حَاشِيَّةً نَفِيسَةً لِمُحَمَّدِ يَاسِينِ الْفَادَانِيِّ، وَاسْمُهَا «الْفَوَائِدُ  
الْجَنِيَّةُ».

ولها شروح أخرى.

على أنه يمكن أن يستخلص من منظومة «الفرائد البهية» مئة وخمسون بيتاً تقريراً هي لُبُّها ورُبُدُّها، وذلك بأخذ عدّة أبياتٍ من أوائل كل بابٍ، وهي كافيةٌ إن شاء الله تعالى؛ لأنّ الباقي أمثلةٌ وتفریعاتٌ.



## ١١- المنظومات في علم النحو:

علم النحو عِلْمٌ شَرِيفٌ مُنِيفٌ<sup>(١)</sup>، وهو رأس علوم العربية<sup>(٢)</sup> قاطبةً؛ لذا

(١) قال **الراغب الأصفهاني**: «النحو نصابُ العلم ونظامُه، وعُمودُه وقوامُه، ووَشِيُّ الكلام وحُلْته، وجمالُه وزِينتُه». محاضرات الأدباء (١/٥٥).

- **وقال المعلمي**: «علم النحو - لا شكَ - مفتاحُ لكلِّ علم، ومنْ عرفه كان لها سِلْمٌ، وهو مصباحُ الفهم، وحجاجُ عن الوهم» ثم ذكر قانوناً مُهاماً للمُعلَّمين في الطريقة المثلثيَّة لتعليميه. انظر آثار الشيخ المعلمي (٤٠٩/٢٤).

(٢) فائدة: اختلاف العلماء في علوم العربية عدداً ونوعاً:

- **فقال ابن خلدون** عن علوم اللسان العربي: «أركانه أربعةٌ: وهي اللغةُ، والنحوُ، والبيانُ، والأدب». المقدمة (ص/٦٢٤).

- **ونقل السيوطيُّ عن الأندلسيِّ** في شرح بدعيَّة رفيقه ابن جابر قوله: علوم الأدب ستةٌ: اللغةُ، والتصريفُ، والنحوُ، والمعانِي، والبيانُ، والبديع.

قال: فالثلاثةُ الأولى لا يُستشهدُ عليها إلا بكلام العرب نظماً ونشرًا؛ لأنَّ المعتبرَ فيها ضبطُ ألفاظهم. والعلومُ الثلاثةُ الأخيرةُ يُستشهدُ عليها بكلام العرب وغيرهم؛ إذ هو أمرٌ راجعٌ إلى العقل، ولذلك قُيلَ من أهل هذا الفن الاستشهادُ بكلام البحتري وأبي تمام وأبي الطيب وأبي العلاء، وهلمَّ جرَّا.

**قلتُ**: (القائلُ السيوطي): وقد اتجهَ لي من هنا بحثُ فقهئيٍّ، وذلك أنَّ النحوَيَّ ذكر في «شرح المهدب» وغيره أنَّ الاشتغالَ بأشعار العرب من فروض الكفاية؛ لأنَّها يُستشهدُ بها في علوم العربية التي هي من آلات علوم الشرع، بخلاف أشعار المولَّدين، فالاشتغالُ بها ليس كأشعار العرب، بل إنَّ كان فيها ما يُذمُّ شرعاً فمحکرٌ، وإلا فمباحٌ.

ولا شكَّ أنَّ علوم البلاغة الثلاثة هي من أعظم آلات الشرع، بل ذُكرَ أنَّ كمالَ الإيمان متوقفٌ عليها؛ لتوقفِ إدراكِ إعجاز القرآن - الذي هو معجزةُ النبي عليه السلام - على معرفتها، وقد تقرر أنَّ أشعارَ المولَّدين حجَّةٌ فيها، فلتكنْ كأشعار العرب من هذه الحجَّية.

**انظر**: نواهدُ الأبكار وشواردُ الأفكار (٤٥٦/١)، وشرح عقود الجمان: كلاماً للسيوطى (ص/٧ - ٨)، وخزانةُ الأدب: للبغدادي (١/٥).

**- وقال ابن الأباري:** «علوم الأدب ثمانية: النحو، واللغة، والتصرف، والعرض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم. وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعاًهما؛ وهما: علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو، فيُعرفُ به القياس وتركيبه وأقسامه، من قياس العلة، وقياس الشبه، وقياس الطرد، إلى غير ذلك، على حدّ أصول الفقه؛ فإنّ بينهما من المناسبة ما لا يخفى؛ لأن النحو معقولٌ من منقول؛ كما أن الفقه معقولٌ من منقول، ويعلمحقيقةَ هذا أربابُ المعرفةِ بهما». نزهة الآباء في طبقات الأدباء (ص/٧٦).

**- وقال الزمخشري:** «اعلم أنَّ أصنافَ العلوم الأدبية ترتقي إلى إثنين عشرَ صنفًا: الأول: علم اللغة. والثاني: علم الأبنية. والثالث: علم الاستيقاق. والرابع: علم الإعراب. والخامس: علم المعانى. والسادس: علم البيان. والسابع: علم العروض. والثامن: علم القوافي. والتاسع: إنشاء الشر. والعاشر: فرض الشعر. والحادي عشر: علم الكتابة. والثانى عشر: المحاضرات». القِسْطَاسُ في علم العروض (ص/١٥ - ١٦).

**- وقال الجازيري:** في حاشيته على الشافية: «علوم الأدب: علومٌ يُحترَبُ بها عن الخَلَلِ في كلام العرب لفظاً أو كتابةً. وهي على ماصرّحوا به إثنا عشرَ، منها أصولٌ، وهي العمدة في ذلك الاحتراز، ومنها فروعٌ.

#### أَمَا الأَصْوَلُ:

فالباحثُ إمّا عن المفردات من حيثُ جواهرُها وموادرُها، فعلُمُ اللغة. أو من حيثُ صورُها وهيئاتها، فعلُمُ التصرف. أو من حيثُ انتساب بعضها إلى بعض بالأصلية والفرعية، فعلُمُ الاستيقاق.

#### وإِمَّا عَنِ الْمَرْكَبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ:

فإمّا باعتبار هيئتها التركيبية وتأدّيتها لمعانيها الأصلية، فعلُمُ النحو. أو باعتبار إفادتها لمعانٍ مغايرةً لأصل المعنى، فعلُمُ المعانى. أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح، فعلُمُ البيان.

#### وإِمَّا عَنِ الْمَرْكَبَاتِ الْمَوْزُونَةِ:

فإمّا من حيثُ وزنُها، فعلُمُ العروض. أو من حيثُ أواخرُ أبياتها، فعلُمُ القافية.

#### وأَمَا الْفَرْوَعُ:

فالباحثُ فيها إمّا أن يتعلّق بنقوش الكتابة، فعلُمُ الخط.

أو يختص بالمنظوم، فالعلم المسمى بقرص الشعر. أو بالمتشور، فعلم إنشاء الشِّر من الرسائل والخطب. أو لا يختص بشيء منها، فعلم المحاضرات، ومنه التواريخ». انظر: الدليل إلى المتون العلمية: لابن قاسم (ص / ٢١).

وقد نظمها طائفة من العلماء، فمن ذلك:

- قول النواجي:

خُذْ نَظِمَ آدَابَ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا  
لُغَةً، وَصَرْفًّا، وَاشْتِقَاقً، نَحُوهَا  
وعَرُوضًّا، قَافِيَةً، إِنْشًا، نَظِمُهَا  
وَكَاتِبَةُ التَّارِيخِ لَيْسَ يَضُمِّعُ  
فَطَوَى شَدَا الْمَتَشُورِ حِينَ يَضُمُّ

انظر: إضاءة الراموس: للفاسبي (١/٢٤)، والقصر المبني على حواشى المعني: للأبجاري (ص / ٢٧)، والمطالع النصرية للمطابع المصرية: للهوريني (ص / ٣٠) وقد وهم الأخير في نسبة الأبيات للفاسبي.  
- وقال الشيخ حسن العطار:

نَحُوُّ، وَصَرْفُ، عَرُوضُ، بَعْدُ لُغَةُ  
كَذَا الْمَعْانِي، يَبَانُ، الْخَطُّ، قَافِيَةُ  
تَارِيَخُ، هَذَا الْعِلْمُ الْعَرْبِ إِحْصَاءُ

حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجواب (٤٢٢/٢).  
وقال بعدها: «وبلوغها إلى هذا الحد تسامح في العدد كما لا يخفى؛ فإن قرص الشعر من فوائد علم العروض. والإنشاء ثمرة مرتبة على معرفة مجموعهما. والتاريخ ليس بعلم بل هو نقل محض. والاستيقاف داخل في علم الصرف على ما تحرر، وقد بيّنت ذلك في حواشى لامية الأفعال. والبلاغة ثمرة مرتبة على مجموعه علم المعاني والبيان، مع مقدماتها من النحو والصرف واللغة.

واشتراط معرفة البلاغة في المجتهد لا يخلو عن شيء؛ لرجوعها إلى المخاطبات، على أن الاجتهاد تحقق قبل تدوينها، والذي يظهر أن المحتاج إليه في الاجتهاد هو: النحو، والصرف، والبيان، لا غير، تأمل».

فلا بُدّ لطالب العلم من دراسته والعناية به؛ لأنّه مفتاح لفهم القرآن والسنة؛  
كما قال **الخليل بن أحمد**:

فاطلب النحو للقرآن، وللشاعر مقيماً، والمسند المروي  
كل ذي الجهل بالفنون يعاديه  
—ها ويُزري منها بغير الزري<sup>(١)</sup>  
وقال العميريطي:

وَبَعْدُ: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا اقْتَصَرَ  
وَكَانَ مَطْلُوبًا أَشَدَّ الْتَّلَبِ  
جُلُّ الْوَرَى عَلَى الْكَلَامِ الْمَخْتَصِّ  
كَيْ يَفْهَمُوا مَعَانِي الْقُرْآنِ  
مِنَ الْوَرَى حَفْظُ اللّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
وَالسُّنْنَةُ الدَّقِيقَةُ الْمَعَانِي

---

- **وقال السجاعي**: «العربية منسوبة للعرب، وهي علم يحترز به من الخلل في كلام العرب، وهو بهذا المعنى يشمل اثنى عشر علمًا، جمعها بعض أصحابنا في قوله:

صرف، بيان، معان، نحو، قافية  
محاضرات، وثاني عشر لغة  
شِعْرٌ، عَرْوَضٌ، اشتقاء، الخط، إنشاء  
ذلك العلوم لها الآداب أسماء  
حاشيته على قطر الندى (ص/٧).  
- **وقال آخر**:

نحو، وصرف، عَرْوَضٌ، ثم قافية  
خط، بيان، معان، من محاضرة  
وإنشاء، قراءة، لها الآداب أسماء  
القواعد الأساسية: للهاشمي (ص/١٢).  
(١) معجم الأدباء: للحموي (٣/١٢٦٢).

**وَالنَّحُو أَوْلَى أَوَّلَ أَنْ يُعْلَمَا إِذِ الْكَلَامُ دُونَهُ لَنْ يُفْهَمَا<sup>(١)</sup>**

لذا عدّ بعض المحققين علم النحو وبعض علوم العربية الأخرى من علوم الشريعة<sup>(٢)</sup>؛ لأنها كالمقدمة لها.

(١) الدرة البهية نظم الآجرورية (ص/٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعلم العربية التي يتوقف فهم القرآن والحديث عليها فرض على الكفاية» الرد على المنطقيين (ص/١٧٨) بتصريف يسير.

- **وقال الشاطئي:** «الصواب أن ما لا ينبغي عليه عملٌ، غير مطلوبٍ في الشرع. فإن كان ثمّ ما يتوقف عليه المطلوبُ، كألفاظ اللغة، وعلم النحو، والتفسير، وأشباه ذلك؛ فلا إشكال أن ما يتوقف عليه المطلوبُ مطلوبٌ، إنما شرعاً، وإنما عقلاً» المواقفات (١/٦٦).

- **وقال ابن خلدون** بعد أن ذكر علوم اللسان العربي (اللغة، والنحو، والبيان، والأدب): «ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، وتنتقلّها من الصحابة والتابعين عربٌ، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة. وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام، حسبما يتبيّن في الكلام عليها فناً فناً.

والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة، فيُعرف الفاعل من المفعول والمبدأ من الخبر، ولو لاه لجهل أصل الإفادة». المقدمة (ص/٦٢٤).

- **وقال الصناعي:** «علم اللغة بأنواعه هو عمدة علوم الاجتهد، وبالتحرّر فيه وعدمه تتفاوت النّقاد». إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهد (ص/٩٣).

- **وقال محمد بن عبد الله العلوى الشنقطي** عن علم العروض ومعرفة أشعار العرب في **(نظم مجده العوافي)** (ص/٢):

**وَيَغْدُ: فَالْعَرْوُضُ مِنْ خَيْرِ الْأَرْبَ**

**وَتَلْكَ الَّهُ أَعْلَمُ الشَّرْءَ**

- **وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمة الله** في شرح حديث «من يُرِدُ الله به خيراً يفقهه في

ومن ألطاف ما قيل في الحث على تعلم النحو؛ **قول العلامة محمد بن حنبل بن الفال البُوحَسْنِي:**

**حَلْيُ الْفَتَنِ إِعْرَابُهُ وَلَا جَمَالُهُ**

---

**الدين** : «الفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشائعات الإسلام والأحكام، وحقائق الإحسان.... وكذلك يدخل في هذا: تعلم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدين كعلوم العربية بأنواعها». بعده قلوب الأبرار وقرة عيون الآخيار (ص / ٣٢).

**- وقال أيضًا:** «الأمور النافعة في الدين ترجع إلى أمرتين: علم نافع، وعمل صالح. أما العلم النافع: فهو العلم المزكي للقلوب والأرواح، المثير لسعادة الدارين. وهو ما جاء به الرسول ﷺ من حديثٍ وتفسيرٍ وفقهٍ، وما يعين على ذلك من علوم العربية بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان». المصدر نفسه (ص / ٣٥).

**وانظر** كتاباً حافلاً في هذا المقصد، ألا وهو «روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام» لابن الأزرق الغرناطي (ت ٨٩٦هـ) بتحقيق: سعيدة العلمي، وهو في جزئين كبيرين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس.

**لطيفة:** قال أبو حيان في كتاب «محاضرات العلماء»: «حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشير، قال: كان الفراء يوماً عند محمد بن الحسن، فتذاكروا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه، وفضل محمد بن الحسن الفقة على النحو، حتى قال الفراء: قل رجل أَنْعَمَ النَّظَرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَرَادَ عِلْمًا غَيْرَهِ إِلَّا سَهُلَ عَلَيْهِ، فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية وأسألتك عن باب من الفقه، فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته، وسجد سجدة السهو فسها فيهما؟ فتفكر الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدة السهو تمام الصلاة وليس لل تمام!! فقال محمد بن الحسن: ما ظنت أن آدمياً يلُد مِثْلَك». معجم الأدباء: لياقتون الحموي (١٧/١).

**وانظر:** تاريخ بغداد: للخطيب (١٤/١٥٢)، ووفيات الأعيان: لابن خلkan (٦/١٧٩)، والموافقات: للشاطبي (١/١١٨) وفيه انتقاد لجواب الفراء.

فُهُوَ عِنْدِي مَثَلُ الْغُرَابِ!  
فَقُلْ لَهَا: أَنْقِي الْغُرَابَ النَّاعِقَا!  
كُلُّ فَتَىً شَبَّ بِلَا إِعْرَابٍ  
وَإِنْ رَأَيْتَهُ لَخَوْدِ عَاشِقَا  
لَا انتَفَعْتُ بِالْأَكْلِ وَالشَّرَابِ  
مِنْ آثَرْتُ مَالًا عَلَى إِعْرَابٍ!<sup>(١)</sup>

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص / ٣١٨).  
ومثله قول الطاعن البُوحْسَنِي (ت ١٣١٤هـ):

رُدُّوا إِلَيْكُمْ جِمَاحَ الْفَهْمِ إِذْ جَمَحْتُ  
فَالنَّحْوُ تَثْقِيفُ نُطْقِ اللُّسْنِ إِذْ نَطَقْتُ  
رُدُّوا إِلَيْكُمْ جِمَاحَ الْفَهْمِ إِذْ جَمَحْتُ  
بالنَّحْوِ؛ كَيْ تَرَأَبُوا مَثَانِي لُغَى الْعَرَبِ  
وَالشِّعْرُ خَرَبَتُ مَعْنَى شَارِدٍ غَرِيبٍ  
لَا تَنْسُوا الضَّحْكَ مِنْ جُودًا إِذَا نَطَقْتُ  
بِرْفَعٍ مُّنْخَفِضٍ أَوْ خَفْضٍ مُّتَصِّبٍ!

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص / ٣٤٣).  
تحذير: يَشَيَّعُ عَلَى أَسْنَةِ بَعْضِ الْمُتَفَكِّهِينَ قَوْلُهُمْ: سَكَنْ تَسْلَمْ!  
وهذا غلطٌ بَيْنُ، وليس فيه من السلاممة شيءٌ! إذ الكلام لا يمكن أن يفهمَ بغير إعرابٍ. والله دُرُّ العلامة ابن خلدون حيث يقول: «علم النحو أهله من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملةً، وليس كذلك اللغة!» المقدمة (ص / ٦٢٤).

وَسَأَذْكُرُ لَكَ مَثَلَيْنِ؛ لِيَتَضَعَّ لَكَ الْأُمُورُ  
الأول: لو قلتُ لك: أَعِربْ «ما أَحْسَنْ رَيْدُ» بتسكين أواخره! فإنك لن تستطيع ذلك؛ لأنَّ  
إعرابه، ومن ثَمَّ معناه، سيختلفان باختلاف الحركات المتعاقبة على أواخره!  
فيمكنُ أن يكون: «ما أَحْسَنَ رَيْدًا»، فيكونُ تعجّباً من حُسْنِه.  
ويُمْكِنُ أن يكون: «ما أَحْسَنَ رَيْدُ»، فيكونُ نفياً لإحسانه.  
ويُمْكِنُ أن يكون: «ما أَحْسَنُ رَيْدٍ»، أي: أَيُّ شَيْءٍ فيه أحسنٌ من غيره؟  
والثانِي: جملة: «أَحْمَدْ أَكْرَمُ النَّاسِ!» فإنها تتغلبُ على ضُبُوطٍ كثيرةٍ ومعانٍ متعددةٍ؛ جرَأَه ذلك!

وسوفَ أَذْكُرُ لَكَ بعْضَ مَا تُضْبِطُ بِهِ، لِكَتَنِي لَنْ أُطْلِيلَ بِبِيَانِ حَالِ كُلِّ جَمْلَةٍ مِنْهَا - كَمَا فِي  
الْمَثَلِ الْأَوَّلِ - تدرييًّا لِلْهَنِكَ، وامتحانًا لِغَهِيمِكَ!

## ومن أشهر المنظومات في علم النحو:

١ - «الدُّرَّةُ الْبَهِيَّةُ نَظَمُ الْأَجْرُوْمِيَّةُ»: لشرف الدين العميريطي (ت بعد سنة ٩٨٩ هـ)، وتقع في (٢٥٤) بيتاً.

وهي نظمٌ لمتنِ (الاجرمية) أشهر متنٍ نثريٌ في النحو العربي؛ **لذا قال**  
**الناظم في مطلعها:**

وَالنَّحُوُ أَوَّلَىٰ أَوَّلًا أَنْ يُعْلَمَا  
إِذِ الْكَلَامُ دُونَهُ لَنْ يُفْهَمَا  
كَرَاسَةً لَطِيفَةً شَهِيرَةً  
أَلْفَهَا الْجَبْرُ (ابْنُ آجْرُومِ)  
مَعْ مَا تَرَاهُ مِنْ لَطِيفٍ حَجْمَهَا

وَكَانَ خَيْرُ كُتُبِهِ الصَّغِيرَةُ  
فِي عُرْبِهَا وَعُجْمَهَا وَالرُّومِ  
وَأَنْتَقَعَتْ أَجِلَّةً بِعِلْمِهَا

وهي كافيةٌ تمامَ الكفاية للمبتدئين.

**وقد شرح هذه المنظومة جماعة من العلماء منهم:**

الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري في كتابه: «فتح رب البرية على الدرة

البهية نظم الاجرمية»، وهو مطبوع<sup>(١)</sup>.

«أَحْمَدُ أَكْرَمُ النَّاسِ» - «أَحْمَدُ أَكْرَمَ النَّاسَ» - «أَحْمَدَ أَكْرَمَ النَّاسَ» - «أَحْمَدُ، أَكْرِمَ النَّاسَ» - «أَحْمَدَ أَكْرَمُ النَّاسَ؟» - «أَحْمَدُ أَكْرَمُ النَّاسِ؟» !!!  
ولها تقليياتٌ أخرى عَزَفَتْ عنها لحال الطول.

فاطِّو من دِماغَكَ بالكُلِّيَّةِ قَالَةَ العَجَزَةِ: (سَكَنْ تَسْلَمْ)، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْلَمَ !!  
**وانظر** الصاحبي: لابن فارس (ص/٥٥).

(١) وهناك نظم آخر مشهورٌ - لا سيما عند المغاربة - للاجرمية، للشيخ عبيد ربه الشنقيطي.  
وهو في (١٥٢) بيتاً.

٢- «مُلْحَةُ الْإِعْرَاب»: لإمام العربية في زمانه القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦ هـ).

وتقع في (٣٧٧) بيتاً.

وهي منظومة بديعة السبك، سهلة الحفظ، رشيقه العبارة، واضحة الإشارة.  
يسَّرَ فيها الحريري علم النحو العسِّير، وحبَّه لطلَّاب العلم. ولا غَرَوْ؛  
 فهو صاحب «المقامات الأدبية»!

وممَّا زاد المنظومة بهاءً وجماًلاً تلك الأمثلة اللطيفة الظرفية التي يُمثلُ  
بها للقاعدة! والتي تَعْلَق بالذهن علُوقاً لا يُنفكُ! <sup>(١)</sup>.

وقد شرح هذه المنظومة الشيخ زايد الأذان بن الطالب أحمد الشنقيطي في كتاب سماه:  
«مصباح الساري شرح منظومة عبيد ربه الشنقيطي على المقدمة الآجرورية في النحو».  
<sup>(١)</sup> من ذلك قوله:

مَثَلُهُ: احْذَرْ صَفْقَةَ الْمَغْبُونِ	وَالْأَمْرُ مُبْنَىٰ عَلَى السُّكُونِ
فَأَسْقِطِ الْحَرْفَ الْأَخِيرَ أَبْدَا	وَإِنْ أَمْرَتَ مَنْ سَعَى وَمَنْ غَدَا
وَاسْعِ إِلَى الْحَيْراتِ لُقْيَتَ الرَّاشِدْ	تَقُولُ: يَا زَيْدُ اغْدُ فِي يَوْمِ الْأَحْدَ
فُقْلُ لَهَا: خَافِي رِجَالَ الْعَبَثِ!	وَإِنْ يَكُنْ أَمْرُكَ لِلْمُؤْنَسِ
كِبْلِ مَا تَكْتُبْهُ لَا يَخْتَلِفْ	وَقَفْ عَلَى الْمَنْصُوبِ مِنْهُ بِالْأَلْفِ
وَخَالِدْ صَادَ الْعَدَاءَ صَيْدا!	تَقُولُ: عَمْرُو قَدْ أَصَافَ زِيدَا
أَوْ إِنْ يَكُنْ بِاللَّامِ قَدْ عَرَفَتْهُ	وَتُسْقِطُ التَّنَّوِينَ إِنْ أَضَافَتْهُ

وإنني أقول: لو أنَّ حالًا حَلَّ بين الرُّكْنِ والمَقَامِ أَنَّ «مُلْحَةَ الْإِعْرَابِ»  
هي ألطُفُ المنظومات على الإطلاق! لرجوتُ أن لا يحنث!

وأَبْقَى لِلْفُلَامْ كَالْغَرَازِ!

فِي رُفْعِهِ وَجَرِّهِ خُصُوصَةٌ

وَافْرَغَ إِلَى حَامِ حَمَاهُ مَانِعٌ!

مُعَظَّمَ الْقَدِيرِهِ مُكَثِّرًا

وَكَمْ إِمَاءَ مَلَكَتْ وَأَعْبَدَ!

كَوْلِهِمْ: أَيْنَ الْكَرِيمُ الْمُنْعِمُ؟

وَأَيْهَا الْغَادِي: مَتَى الْمُنَصَّرَفُ؟

كَوْلِهِمْ: سَارَ الرِّجَالُ السَّاعَةُ

نَحْوُ: اشْتَكَتْ عَرَاثَتِنَا الشَّتَاءُ!

كَوْلِهِمْ: صَادَ الْأَمِيرُ أَرْبَابًا!

نَحْوُ: قَدِ استَوَفَى الْخَرَاجَ الْعَامِلُ

يَنْصُبُ مَفْعُولِينِ فِي التَّلَقِينِ

وَقَدْ وَجَدَتْ الْمُسْتَشَارَ ناصِحًا

وَلَا أَرَى لِي خَالِدًا صَدِيقًا!

مِثَالُهُ: جَاءَ غُلَامُ الْوَالِي

وَنَوْنَ الْمُنَكَّرَ الْمَنْقُوشَةَ

تَقُولُ: هَذَا مُشْتَرِي مَحَادِعٍ!

وَاجْرُوبَ (كُمْ) مَا كُنْتَ عَنْهُ مُخْبِرًا

تَقُولُ: كَمْ مَالِ أَفَادْتُهُ يَدِيْ

وَقَدْلَمِ الْأَخْبَارِ إِذَسْ تَفْهِمُ

وَمِثْلُهُ: كِيفَ الْمَرِيضُ الْمُدْنَفُ؟

وَوَحْدِ الْفَعْلِ مَعَ الْجَمَاعَةِ

وَإِنْ تَشَأْ فَزِدْ عَلَيْهِ التَّاءُ

وَالنَّصْبُ لِلْمَفْعُولِ حُكْمٌ وَجَبَا

وَرُبَّمَا أُخْرَى عَنْهُ الْفَاعِلُ

لَكَنَّ فَعَلَ الشَّكُّ وَالْيَقِينِ

تَقُولُ: قَدْ خَلَتُ الْهِلَالَ لَائِحَا

وَمَا أَظَنُّ عَامِرًا رَفِيقًا

إلى غير ذلك من الأمثلة اللطيفة التي ساقني جمالها للاستطراد سُوقًا!!

وَمَا أَحْرَاهَا بِقُولِ النَّاظِمِ<sup>(١)</sup>:

تَكَادُ مِنْ عَذُوبَةِ الْأَلْفَاظِ تَشْرِبُهَا مَسَامِعُ الْحُفَاظِ!

وهذه المنظومة كافية شافية في القدر المحتاج إليه من هذا الفن، والله أعلم.<sup>(٢)</sup>

٣- «الخلاصة»، المعروفة بألفية ابن مالك: لجمال الدين، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢ هـ). وتقع في (١٠٠٢) بيت.

(١) البيت لأبي الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي، نزيل الشام. كما في ريحانة الآباء: للخجاجي (ص ١٧٤).

(٢) لطيفة: قال السبكى في طبقات الشافعية الكبرى (٩/٣٠٠): «أخذ شاعر عصرنا الشيخ جمال الدين ابن نباتة أكثر أبيات «ملحة الإعراب» للحريرى فضمنها وجعلها قصيدةً امتدح به الشيخ الإمام الوالد» ثم ذكرها بتمامها. ومنها قوله:

أَسْمَعْ هُدِيَّتَ الرُّشْدَ مَا أَقُولُ	يَا لَائِمًا مَلَمْهَ يَطْوُلُ
حَدُّ الْكَلَامِ مَا أَفَادَ الْمُسْتَمِعُ	كَلَامَكَ الْفَاسِدَ لَسْتُ أَتِينُ
فِي مِثْلِ: قَدْ أَقْبَلَتِ الْغَزَالَةُ	أَفْدِي غَرَازًا مَثَلًا وَجَمَالَةُ
كَوْلَهُمْ: رُبَّ غَلَامٍ لِي أَبْقِ	مَا قَالَ مُذْمُلَكَ قَلْبِي وَاسْتَرْقُ
فَهِيَ ثَلَاثُ مَا لَهَنَّ رَابِعُ	لِلْقَمَرِينِ وَجْهًا مَطْلَاعُ
وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا الْلَامُ فَقَطُّ!	لِأَحْرُفِ الْحُسْنِ عَلَى خَدَيْهِ خَطُّ

وهذه الألفية هي أشهر الألفيات على الإطلاق، حتى صارت علماً بالغلبة!  
إذا قيل: فلان يحفظ الألفية، لم ينصرف الذهن إلا إلى ألفية ابن مالك!  
وقد جمع الناظم فيها خلاصة مسائل النحو، وأغلب مباحث الصرف،  
في إيجاز محكم، مع الإشارة أحياناً إلى مذاهب العلماء، وبيان ما يختاره  
من آراء.

وكان الناظم قد اختصرها من منظومته الكبرى «الكافية الشافية» التي بلغ عدد أبياتها (٢٧٥٠) بيتاً ونيقاً، كما أشار إلى ذلك في خاتمة «الخلاصة»  
بقوله:

وَمَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ قَدْ كَمَلْ  
نَظَمًا عَلَى جُلَّ الْمَهَمَّاتِ اشْتَمَلْ  
أَحْصَى مِنْ «الْكَافِيَةَ» الْخُلَاصَةَ  
كَمَا اقْتَضَى غَنَّى بِلَا خَصَائِصَةَ

ولعل هذا هو السبب في وُعورة أبياتها، وصلابة تراكيبها، وصعوبة فهمها!  
لكنَّ مفتاح فهمها هو حفظُها! كما كان شيخُنا حمادُ الأنصارِيُّ رَحْمَةُ اللهِ  
يقول لبعض طلابه: «احفظُ ألفية ابن مالك في النحو؛ فإنك إذا حفظتها  
فهمتها وإن لم تحفظها لم تفهمها»<sup>(١)</sup>.  
ولها شروحٌ وحواشٌ كثيرة مشهورة.

**٤ - «كِفاية الغلام في إعراب الكلام»:** لزين الدين شعبان بن محمد  
الآثاري (ت ٨٢٨ هـ).

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٥٨٧ / ٢).

وهي ألفية فائقه، ذات تقسيمات وتبوييات بدعة، وفيها أشياء لم يسبق إلى نظمها، وقد أثني عليها علماء عصره، كجلال الدين البُلقيني وغيره<sup>(١)</sup>. وأهم مزايا هذه الألفية اعتماد الناظم بالأبيات الحاصرة<sup>(٢)</sup>، قوله مثلاً في العلل المانعة من الصرف:

عَرَفْ وَصِفْ وَاعْدِلْ وَأَنْ وَاجْمَعْ إِعْجِمْ وَزِنْ رَكْبْ وَزْدْ الْحَقْ تَعْيِي<sup>(٣)</sup>

فانظر كيف جمع عشر علل في بيت واحد! وعلى هذا فِقْسٌ.

#### ٥ - «الفريدة» في النحو والتصريف والخط: لجلال الدين السيوطي

(ت ٩١١ هـ).

وهي ألفية سلسة، بدعة، سهلة التراكيب، نظمها السيوطي في ثلاثة أيام!! وهي أسهل من ألفية ابن مالك. وينسحب عليها الكلام الذي سبق في الموازنة بين ألفية العراقي والسيوطى في مصطلح الحديث.

وقد ذكر السيوطى في مقدمة شرحه لها المسمى «المطالع السعيدة» أنه لخّص فيها ألفية ابن مالك في (٦٠٠) بيت، وزاد عليها (٤٠٠) بيت، فيها

(١) من اللطائف أن الناظم مدح ألفيته هذه بقصيدة طويلة، منها قوله:

فَلَا تَعْجَبْ لِي فِي حَلَاوةَ ظَمْهَا فَنَاظِمُهَا شَعْبَانُ سُكْرُهُ مَضْرِي !!

(٢) الأبيات الحاصرة: هي الأبيات التي تجمع أشياء كثيرة، يصعب حفظها نثراً أو يتعدّر، فيعمد الناظم لجمعها في بيت أو بيتين أو أكثر؛ ليسهل حفظها. وستأتي الإشارة إليها عند الكلام على الضوابط العلمية للمسائل الجرئية.

(٣) كفاية الغلام في إعراب الكلام (ص / ٤٧).

قواعد وفوائد وضوابط، ولذا قال في مطلعها:

**فائقة أُلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ** لكونها واضحة المسالك

وَجَمِيعُهَا مِنَ الْأَصْوَلِ مَا حَلَتْ عنه، وضبط مُرْسَلَاتٍ أَهْمَلْتْ

وقد جاء فيها قسم التصريف في (٢٣٥) بيتاً، والخط في (٢٣) بيتاً.

- وهناك منظومة أخرى لسيوطى سماها «الوفية باختصار الألفية»

طبع قريباً، لخُصُّ فيها أُلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ في (٦٣٥) بيتاً.

وقد كتبها السيوطى على ظهر السفينة وهو متوجّه للحج! وقال في خاتمتها:

**نَظَمْتُهَا فِي نَحْوٍ ثُلْثَيْ أَصْلِهَا**

**مُسَافِرًا لِلْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ**

\*\*\*

## ١٢ - المنظومات في علم الصرف:

علم الصرف عِلْمٌ شرِيفٌ النَّسَبٌ، دقيقُ المأخذ، وَعُرُّ المُسْلِكُ؛ لا يُتقنُه

أي أحد!

لذا جاء في «بهجة المجالس»<sup>(١)</sup> ابن عبد البر، قال: «كان أبو مسلم

مؤدّبُ عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلما أحدث الناسُ التصريف

لم يُحسِّنه، وهجا أصحابه فقال:

قد كان أخذُهُم في النحو يعجبُني  
 حتى تَعَاطَوْا كلامَ الزَّنجِ والرُّومِ!  
 لَمَا سَمِعْتُ كلامًا لَسْتُ أَعْرُفُهُ  
 كَانَهُ رَجَلُ الْغَرْبَانِ وَالْبُومِ!  
 تَرَكْتُ نَحْوَهُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمُنِي  
 مِنَ التَّقْحُمِ فِي تِلْكَ الْجَرَاثِيمِ!

وفي أهميته قال شيخنا العلامة حماد الأنصاري رحمه الله : «إن علم الصرف يساعد على فهم معاني القرآن، ومن لم يتعلمه يختل فهمه للقرآن الكريم»<sup>(١)</sup>. وهو قرین علم النحو؛ لذا ينبغي لطالب العلم أن يجتهد في تحصيله، كاجتهاده في تحصيل النحو سواءً بسواء، بل من العلماء من يرى تقديمَه على علم النحو في التحصيل؛ وذلك لأنَّه يُفيدُ معرفةَ الكلمة أصولاً وزوائدَ قبل تركيبها، والنحو يُفيدُ معرفةَ حركة الحرف الأخير حال التركيب، وما كان كذلك كان أولى بالتقديم في التعليم.

### ومن أشهر المنظومات فيه:

**١ - لامية الأفعال:** لجمال الدين، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ).

وتقع في (١١٤) بيتاً من البحر البسيط.  
 تمّ بها الناظم ألفيته في النحو.  
 وسميت بهذا الاسم؛ لأنها بُنيت على روي اللام، وأضيفت إلى الأفعال تغليباً لها؛ لا اختصاصاً بها، وإلا فقد تكلّم عن تصريف الأسماء أيضاً.

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٥١٨/٢).

لكن ينبغي أن يُضْمَّ إلِيَّاً: (الطُّرّْة) للحسن بن زين الشنقيطي، وزيادات بحرق اليمني عليها؛ لِتَكْتُمَ الفائدة.  
وللأمِّية شروحٌ كثيرةٌ معروفةٌ<sup>(١)</sup>.

**(١) لطيفة:** ذكر بعض الفضلاء أنَّ أحد الطلاب الشناقطة كان في الحَرَم يكرر (لامية الأفعال) مع (الطُّرّْة) للحسن بن زين الشنقيطي، وزيادات بحرق اليمني، وكان يقرؤها بسرعةٍ مُفْرِطةٍ، فما وصل إلى قول الناظم:

مُضَاعِفًا مُدْغَمًا أَمْ لَا كَ (حَسَّ بِهِ)  
وَ(عَضَّ) (مَصَّ) وَ(حَمَّ) (مَلَّا)

وَ(خَبَّ) (صَبَّ) وَ(طَبَّ) (أَجَّ) وَ(وَدْ)  
دَ (بَرَّ) لَذَّ وَشَأْتَ كَفْهُ شَلَّا

إلا وإنْحَدَى الجهاتِ المسؤولة عن أمنِ الحَرَم واقفةً على رأسِه! وتمَ القبضُ عليه؛ بدعوى أنه يقرأ طلاسم سحريةً؛ ليُسْحرَ الحَرَم!!!  
وما أنْقَذُهُ مِنْهُمْ إلا مُرْوُرُ شيخ استعادَ الطالبَ الأبياتَ، فأعادها عليه، فاقْنَعَ الأمَّ أنَّ هذا متنُ في علم الصرفِ، فأطلقواه وما كادوا يفعلون!!

**قلتُ:** وممَّا يُشَبِّهُ هذا أنَّ الإمامَ أبي حاتِم السجستاني اللغوِيُّ الكبيرَ، لَمَّا دخل بغدادَ، سُئِلَ عن قوله تعالى: «فُوْأَ أَنْفَسَكُو»، ما يُقالُ منه للواحدِ؟ فقال: قِ، فقال السائلُ: فالاثنين؟ فقال: قِيَا، قال: فالجمع؟ قال: قُوا، قال: فاجمِعْ لِي الثلاثةَ، قال: قِ، قِيَا، قُوا. قال: وفي ناحية المسجدِ رجلٌ جالسٌ معه قِماشٌ، فقال لواحدٍ: احتفظْ بيابِي حتى أجِيءَ، ومضى إلى صاحب الشرطة، وقال: إنِّي ظَفَرْتُ بِقُومٍ زنادقة يقرءُون القرآنَ على صياغِ الدِّيك!! قال: فما شعرْنَا حتى هجم علينا الأعوانُ والشرطةُ، فأخذونا وأحضروا مجلسَ صاحب الشرطة، فسألنا، فتقدَّمْتُ إليه وأعلمه بالخبر، وقد اجتمع خلقٌ من خلق الله، ينظرونَ ما يكونُ، فعنَّفْنِي وعدَّلَني، وقال: مِثْلُكَ يُطْلَقُ لِسَانَهُ عندَ العَامَّةِ بمثلِ هذا؟! وعمَدَ إلى أصحابِي فضرَبُهم عشرَةً عشرَةً، وقال: لا تعودوا إلى مثلِ هذا!  
فعاد أبو حاتِم إلى البصرة سريعاً، ولم يُقمْ ببغداد، ولم يأخذْ عنه أهلهُ!  
**انظر:** بغية الوعاة: للسيوطِي (٦٠٦/١)، وطبقات المفسِّرين: للداودي (٢١٦/١).

وفي الباب قَصَصُ أخرى طريفة ذُكرَتُها في كتابِي «ويلُ للعالِمِ من الجاهل!» فراجعها فيه.

**٢- «نظم المقصود في علم الصرف»:** لأحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي (ت ١٣٠ هـ).

وتقع هذه المنظومة في (١١٣) بيتاً.  
وهي منظومةٌ لطيفةٌ، سهلةٌ. أراها أنسِبَ شيءٍ للمبتدئين في هذا الفن.  
وعليها شروحٌ عديدةٌ؛ مطبوعةٌ ومسموعةٌ.

**٣- «الترصيف في التصريف»:** لعبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن عيسى بن مرشد، أبو الوجهة العمري المُرشدي، مفتى الحرم المكّي (ت ١٠٣٧ هـ).

هذا هو الاسمُ الصحيحُ للمنظومة؛ **لقول الناظم في مطلعها**:

وعندما تم لها تصنيفي سميتها: (الترصيف في التصريف)

وتقع المنظومة في أزيد من (٥٠٠) بيتٍ بقليل؛ **لقول نظمها في آخرها**:

**وعدُ أبياتٍ له خمسٌ مئةٌ فاضلةٌ عن خطبةٍ وتوطئةٍ**

**(١) فائدة:** كتابةُ اسم (الرحمن) بإثبات الألف هكذا (الرحمان) يُعتبر خطأً إذا كان ذلك في القرآن الكريم؛ لأنَّ رسم القرآن سنةٌ متبعةٌ، كما قال محمد العاقب الجكنى الشنقيطي رَحْمَةُ الله في منظومته «كشف العمى والرُّين، عن ناظري مصحف ذي التُّورَىن»:

**رسْمُ الْقُرْآنِ سُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ كَمَا نَحْنُ أَهْلُ الْمَنَاحِي الْأَرْبَعَةِ**

**لَأَنَّهُ إِمَّا بِأَمْرِ الرَّاشِدِينَ الْخَلَفَا أو بِاتِّبَاعِ الرَّاشِدِينَ الْخَلَفَا**

أما في غير القرآن الكريم فتحذف الألفُ من كلمة (الرحمان) إذا كانت معَرَفةً بـ(ألف)، نحو:  
عبد الرحمن، فإن لم تسبق بـ(ألف) فلا تمحذف، نحو: يا رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهُما.  
فلتُبْتَهَ لذلك، والله أعلم.

وللمنظومة عِدَّة شروحٍ وحواشٍ، منها «فتح الخير اللطيف» لإبراهيم البيجوري.

وهناك منظوماتٌ أخرى في هذا الفنٌ ما بين طويلٍ ومتوسطٍ وجيزٍ.

\*\*\*

### ١٣ - المنظومات في علم البلاغة:

علمُ البلاغة عِلْمٌ عظيمُ النفع، جَمُ الفوائد لطالب العلم الشرعي، لا سيما المتخصص في الدراسات القرآنية.

**ولذا قال أبو هلال العسكري:** «اعلم - علّمك اللهُ الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله - أنَّ أحقَّ العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جَلَّ ثناؤه - علمُ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة، الذي به يُعرف إعجازُ كتاب الله تعالى، الناطقُ بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرُّشد، المدلولُ به على صدقِ الرسالةِ وصحةِ النبوة، التي رفعتْ أعلامَ الحقّ، وأقامتْ منارَ الدين، وأزالتْ شبَّةَ الكفر ببراهينها، وهتكَتْ حُجبَ الشكَّ بيقينها.

**وقد عَلِمْنَا أَنَّ** الإنسانَ إذا أغفل علمَ البلاغة، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمُه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه اللهُ به من حُسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شَحَّنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمّنه من الحلاوة، وجلَّله من رَوْنق الطَّلاوة، مع سهولة كَلِمه وجزالتها، وعذوبتها وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عَجَزَ الخلقُ عنها، وتحيّرت عقولُهم فيها....

وَقَبِحُ لَعْمَرِي بِالْفَقِيهِ الْمُؤْتَمِّ بِهِ؛ وَالْقَارِئِ الْمُهَتَدَّى بِهِدِيهِ، وَالْمُتَكَلِّمُ  
الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ مَنَاظِرِهِ، وَتَمَامُ آلتِهِ فِي مَجَادِلِهِ، وَشَدَّةُ شَكِيمَتِهِ فِي  
حِجَاجِهِ؛ وَبِالْعَرَبِيِّ الصَّلِيبِ، وَالْقُرْشِيِّ الصَّرِيحِ، أَلَا يَعْرُفُ إِعْجَازَ كِتَابِ اللَّهِ  
تَعَالَى إِلَّا مِنَ الْجَهَةِ الَّتِي يَعْرُفُهُ مِنْهَا الزُّنْجِيُّ وَالنَّبَطِيُّ؟ أَوْ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِمَا  
اسْتَدِلَّ بِهِ الْجَاهِلُ الْغَبِيُّ؟

**فَيَنْبَغِي مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ أَنْ يَقْدِمَ اقْتِبَاسَ هَذَا الْعِلْمَ عَلَى سَائِرِ الْعِلْمَاتِ، بَعْدِ  
تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْرَفَةِ عَدْلِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيَّهِ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا؛ إِذْ  
كَانَتِ الْمَعْرُوفَةُ بِصَحَّةِ النَّبُوَّةِ تَتَلَوُ الْمَعْرُوفَةَ بِاللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ»<sup>(١)</sup>.**

ثُمَّ بَعْدَ دراستِكَ هَذَا الْعِلْمَ، حَاوَلْتَ أَنْ تَطْبِقَهُ عَمَلِيًّا؛ وَذَلِكَ بِالْأَرْتِجَالِ فِي  
الْمَحَافِلِ وَمَنْتَدِيَّاتِ النَّاسِ وَمَجَامِعِهِمْ، وَابْدَأْتَ شَيْئًا فَشَيْئًا وَلَوْ أَمَّا أَهْلِكَ فِي  
الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَعَ مَرْوَرِ الْوَقْتِ سَوْفَ يَتَعَوَّدُ لِسَانُكَ الْفَصَاحَةَ وَالْذَّلَاقَةَ، حَتَّى  
تَصِيرَ سَجِيَّةً لَازِمَةً، وَمَلَكَةً رَاسِخَةً. وَمَنْ جَرَبَ عَرَفَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ حَمَادُ الْأَنْصَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَسْكُنُ الْرِّيَاضَ زَامَلَهُ  
رَجُلٌ مِصْرِيٌّ كَانَ آيَةً فِي الْفَصَاحَةِ وَالْأَدْبِ، وَكَانَ خَطِيبًا مُفْلِقًا. قَالَ: فَسَأَلْتُهُ  
ذَاتَ مَرَّةٍ عَنْ سَبْبِ تَمْكِنِهِ فِي عِلْمِ الْأَدْبِ؟ فَقَالَ: نَحْنُ الْمِصْرِيُّونَ كَنَا إِذَا تَعَلَّمَنَا  
عِلْمَ الْلُّغَةِ وَالْأَدْبِ، قُمْنَا بِتَطْبِيقِهِ. وَمِنْ تَطْبِيقِهِ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُنَا إِلَى مَكَانٍ خَالٍ،  
فَيَتَكَبَّرَ عَلَى شَجَرَةٍ، وَيَقُولُ بِإِلْقَاءِ خَطْبَةٍ بِصُوتٍ مَرْتَفَعٍ!<sup>(٢)</sup>.

(١) الصناعتين (ص/٩).

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٦١٤/٢).

## ومن أشهر المنظومات في علم البلاغة:

١ - «مئة المعاني والبيان»: لمحب الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبى (ت ٨١٥ هـ).

وتقع في (١٠٠) بيت، وقد قال في مطلعها:

أَبْيَاتُهَا عَنْ مِائَةِ لَمْ تَزِدْ      فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَسَدِ  
وهي منظومةٌ لطيفةٌ سهلةٌ عذبةٌ، عليها شروحٌ كثيرةٌ جدًا، وهي أحسنُ  
شيءٍ للمبتدئين في الفنّ.

وهي وإن سماها ناظمها «مئة المعاني والبيان»، إلا أنه قد ضمّنها شيئاً من  
علم البديع أيضًا.

٢ - «الجوهر المكنون، في صدف الثلاثة الفنون»: لعبد الرحمن بن محمد  
الأخضرى (ت ٩٨٣ هـ).

وتقع في (٢٩١) بيتاً.

وهو نظمٌ فائقٌ رائقٌ، لخُصُّ فيه الناظمُ «تلخيص المفتاح» للخطيب  
القزويني، الذي هو من أشهر كتب الفن، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ مُهَذِّبٌ مُنْتَقِحٌ سَادِيدٌ جَوَاهِرًا بَدِيعَةَ التَّخْلِصِ وَمَا أَلَوْتُ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ	وَقَدْ دَعَا بَعْضُ مِنَ الطُّلَابِ فِحْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدٍ مُلْتَقِطًا مِنْ دُرَرِ «التلخيص» سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
---	---

## سَمَيْتُهُ بِالجوهرِ الْمَكْنُونِ فِي صَدْفِ الْثَلَاثَةِ الْفَنُونِ

وهي كافيةٌ في هذا الفن، لاسيما للمتوسطين.

٣- «عُقُودُ الْجُمَانُ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ»: لجلال الدين السيوطي

(ت ٩١١ هـ). وعدد أبياتها (١٠٠٦).

وهي ألفية رائعة، نظم فيها السيوطي كتاباً «تلخيص المفتاح» للقرزوني، وزاد عليه زياداتٌ كثيرة، بعضها من ابتكاراته! ولذا قال الناظم في مطلعها:

ضَمَّنْتُهَا عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ ضَمَّ زِيَادَاتٍ كَأَمْثَالِ الْلُّمْخَ عَنْ شَيْخِنَا الْعَالَمِ الْكَافِيِّ حِيَ وَذِكْرِ أَشْيَاءَ لَهَا يُعْتَمَدُ وَاللَّهُ رَبِّي أَسْأَلُ النَّفْعَ بِهِ	وَهِذِهِ أَرْجُوْزَةٌ مِثْلُ الْجُمَانُ لَخَضْتُ فِيهَا مَا حَوَى «الْتَلْخِيصُ» مَعْ وَفِيهِ أَبْحَاثٌ مُهِمَّاتٌ تَرْجِي مَا بَيْنَ إِصْلَاحٍ لِمَا يُنْتَقَدُ وَضَمَّ مَا فَرَقَهُ لِلْمُشْبِهِ
--	--

ومن أعجب العجب أنه نظم هذه الألفية في يومين!!! وهذا يدل على هضمه التام للعلوم وبحره فيها، كما يدل على قدرته العظيمة على النظم<sup>(١)</sup>.

(١) لطيفة: قال الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله: «إن الحافظ السيوطي يعتبر موسوعة علمية كبيرة، وينذر علم إلا وقد ألف فيه كتاباً ماعدا علم الحساب، وقد استفید منه أكثر مما استفید من غيره، وبعض أهل العلم يطلق عليه الخيوطي بدلاً من السيوطي! ويقصدون بقولهم: الخيوطي؛ لتمسكه بالخيوط، أي أنه ضعيف! وهو ليس كما زعموا». المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/٦١٨).

وهي بحقٍ كما قال الناظم في خاتمتها:

إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي فَنَّهَا كِمْثَلَهَا وَمَنْ أَتَاهَا خَاصِيَّةً نَالَ الْمُنْيَ وَمَهْرُهَا مِنْهُ الدُّعَاءُ الصَّالِحُ تَنْقَعِنِي دَعْوَتُهُ فِي بُؤْسِي	أَرْجُوزَةُ فَرِيدَةٌ فِي أَهْلِهَا بِكُرْمَنِيْعُ سِتْرُهَا لِمَنْ دَنَا رَفْقُهُ الْمَنْ نَهَاهُ رَاجِحُ عَلَّيْ إِذَا صِرْتُ قَرِينَ الرَّمْسِ
---	--

وللناظم شرحٌ عليها سماه: «حلٌّ عقود الجُمان» وهو مطبوعٌ. كما شرَّحَها العالِمة عبد الرحمن بن عيسى المرشدي (ت ٩٧٥ هـ) بشرحٍ نفيسٍ، وهو مطبوعٌ أيضًا.

**٤ - «الآلٌ التبّان في المعاني والبديع والبيان»:** للدكتور / حسن إسماعيل عبد الرازق (ت ١٤٢٩ هـ) رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود سابقًا. وتقع في (١٠٢٠) بيتاً.

وهي ألفيةٌ متنقنةٌ بدبيعةٍ - خلافً منظوماتٍ أكثر المعاصرین الملية بالرَّكَاكَةِ والضَّعْفِ! - جمع الناظم فيها قواعد البلاغة نظماً، ومثل لها شعراً ونثراً! وإن ما زلت أتعجبُ من حُسْن نَظْمِه، وجمال سُبْكه، مع كونه معاصرًا! وكونها ألفيةً! انظر مثلاً قوله في مطلعها:

يعود؛ مهما حرزَ من فنونٍ ينقلُها العقلُ إلى البرِّيَّةِ	وبعده فالفضلُ إلى المتونِ لأنها خلاصَةٌ علميَّةٌ
--	---

في «النظم، والبديع، والبيان»  
فظهرت في بابها فريدة!  
للنص؛ من شعرٍ، ومن أمثالٍ  
مستلهمًا جميلاً صنع الباري  
بلغظه، فجاء أحلى مظهراً  
حالفي، ومهد الطريقًا!

وهذه «آلية البيان»  
أودعتها أمثلةً مفيدةً  
لأنني أشير بالمثال  
معتمدًا على ذكاء القاري  
وقد يكون النص لي ميسراً  
والله أرجو أن أرى التوفيقًا

\*\*\*

#### ١٤ - المنظومات في اللغة واللسان العربي:

احفلَ العلماءُ باللغةِ العربيةِ ومفرداتها أيّما احتفالٍ، فكثُرتْ فيها الأنظامُ وتنوعتْ، ما بينَ مطويٍ ومختصرٍ، وعامٌ في اللغةِ كلّها وخاصٌّ بلونِ معينٍ منها. وهي خلقةٌ بهذا، جديرةٌ به؛ فهي لغةُ القرآن، ولسانُ سيد ولد عدنان صلوات الله عليه. فينبغي على طالبِ العلم أن يهتمَ بكتبِ اللغةِ، ويُكثرَ من النظر فيها، ويستكثرَ من حفظِ مفرداتها <sup>(١)</sup>؛ فذلكَ أحدُ السُّبُلِ لفهمِ الكتابِ والسنةِ حقَّ الفهم.

(١) يقول الأستاذُ العلامُ عبدُ العزيزِ الميمونيِ الراجحوتِي رحمةُ اللهُ عَلَيْهِ عن أهمية حفظ مفرداتِ اللغة: «أرشدتني دراسةُ «المفصل» و«كتابِ» سيبويه إلى الأدب. والبحثُ عن الشواهد النحوية هداني إلى الدّواوين وشروحها. ثمَّ عرفتُ أنّي قد ضيلتُ الطريقَ في دراسةِ الأدب. يجُبُ أن نحفظَ -أوَّلاً- مفرداتِ اللغة. بل نحفظُ -قبل ذلك- أبوابَ الثلاثيِّ المجرَّد، وهذا من أصعبِ الأمور؛ لأنَّ القياسَ لا يفيدُ شيئاً في هذه الأبواب.

وكان العلامةُ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِي يَحْثُ الْفَقَهَاءَ دَائِمًا عَلَى مَعْرِفَةِ الْلُّغَةِ، وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ مَسَائِلَ، ذَكَرَهَا فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ كِتَابَ: «فُتْيَا فَقِيهُ الْعَرَبِ»<sup>(١)</sup>، وَيُخَجِّلُهُمْ بِذَلِكَ؛ لِيَكُونَ خَجَلُهُمْ دَاعِيًّا إِلَى حَفْظِ الْلُّغَةِ، وَيَقُولُ: «مَنْ قَصَرَ عِلْمُهُ عَنِ الْلُّغَةِ وَغُولَطَ غَلِطًا»<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ ظَرَرَتُ فِي الْكِتَابِ التَّالِيِّ، وَحَفَظْتُهَا؛ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ الْمَفْرَدَاتِ الْلُّغَوِيَّةِ: «كِفَايَةُ الْمُتَحَفَّظِ»، «فَقْهُ الْلُّغَةِ» لِلشَّعَابِيِّ، «الْأَلْفَاظُ الْكَاتِبِيَّةِ» لِلْهَمَذَانِيِّ، «نَظَامُ الْغَرِيبِ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَهَا: «إِصْلَاحُ الْمَنْطَقِ»، «تَهْذِيبُ الْأَلْفَاظِ»، وَغَيْرُهُمَا». بِحُوثٍ وَتَحْقِيقَاتٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمِيمِيُّ: لِمُحَمَّدِ عَزِيزِ شَمْسٍ (٢١ / ٢٢ - ٢٣).

- **وَيَقُولُ بَعْضُ الْمَحَقِّقِينَ:** «مَعْرِفَةُ مَفْرَدَاتِ الْلُّغَةِ نَصْفُ الْعِلْمِ؛ لَأَنَّ كُلَّ عِلْمٍ تَوْقُفُ إِفَادَتُهُ وَاسْتِفَادَتُهُ عَلَيْهَا».

وَسِيَّاتِي فِي آخرِ الْمَبْحَثِ الثَّانِي: طَرِيقُ الْفَهْمِ، أَنَّ الْعَلَامَةَ أَبَا تَرَابِ الظَّاهِريِّ (ت ١٤٢٣ هـ) قد حفظ أربعين ألف مادةً لغوية !!

(١) هي رسالة صغيرة الحجم عظيمة النفع، حققها حسين علي محفوظ، ونشرها في مجلة المجمع العلمي بدمشق (مجلد ٢٣ / ١٩٥٨).

- وقد حدا حريري في مقاماته الأدبية، فوضع في المقامات الثانية والثلاثين المسماة (الطَّيِّبَيَّةِ) مسائل فقهية لها تعلق باللغة. حرص فيها على الابتكار، فجاء بمائة فتوى جديدة، لم يرِد منها في (فتيا فقيه العرب) إلا ست فتاوى، استعمل فيها ثلاثة ألفاظ بالمعنى التي ذهب إليها ابن فارس، وهي: البصير بمعنى: الكلب، والدرس بمعنى: الحি�ض، والريع بمعنى: النهر، واستعمل ثلاثة ألفاظ أخرى بدلالات أخرى.

- **قال العلامةُ أَحْمَدُ الشَّرْقاوِيُّ إِقْبَال:** «وَلَيْسَ ثَمَةَ فُتْيَا وَلَا هَنَاكَ فَقِيهٌ، وَلَكِنَّهُمْ سَمَّوْا هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْأَلْغَازِ بِفُتْيَا فَقِيهُ الْعَرَبِ تَظَرُّفًا وَتَمْلِحًا». معجم المعاجم (ص ٣٤٩).

**وَانْظَرُ:** المجموع شرح المهدب: للنووي (١ / ٢٤٣)، والمزهر: للسيوطى (١ / ٦٣٧).

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحوة (١ / ١٢٩).

وكان رَحْمَةُ اللَّهِ إِذَا وَجَدَ فَقِيهًا أَوْ مُتَكَلِّمًا أَوْ تَحْوِيَا كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهِ بِسُؤُالِهِمْ إِيَاهُ، وَيَنْظَرُهُ فِي مَسَائِلَ مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ، فَإِنْ وَجَدَهُ بَارِعًا جَدًا؛ جَرَّهُ فِي الْمَجَادِلَةِ إِلَى الْلُّغَةِ، فَيَغْلِبُهُ بِهَا! الْمَصْدِرُ نَفْسُهُ.

وقد عقد في «الصاحب»<sup>(١)</sup> باباً سماه: باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية. قال فيه: «أقول: إنَّ العلمَ بلغة العرب واجبٌ على كلِّ متعلِّقٍ من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسببٍ، حتى لا غناءً بأحدٍ منهم عنه. وذلك أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغة العرب، ورسُولُ الله ﷺ عربٌ. فمن أراد معرفةَ ما في كتاب الله جلَّ وعزَّ، وما في سنة رسول الله ﷺ، من كُلِّ كلمةٍ غريبةٍ أو نظمٍ عجيبٍ لم يجدهُ من العلم باللغة بُدًّا». وكان شيخُنا العلامة حمادُ الأنصاريُّ يقول: «إن تعلُّم اللغة يلزم طالبَ العلم»<sup>(٢)</sup>.

### ومن أشهر المنظومات فيها:

١ - «نظمُ الفصيح»: لأبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ).

وهو منشور<sup>(٣)</sup>، ويقعُ في نحو (٨٠٠) بيتٍ تقريباً.

وهو نظمٌ لكتاب «الفصيح» لشلب.

وكتابُ «الفصيح» من الكُتب العُمَدِ في اللغة ومن أشهرِ دواوينها<sup>(٤)</sup>؛ فقد

(١) (ص ٥٠).

(٢) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/٥٨٧).

(٣) حقَّه الدكتور / محمد بدوي المختارون، وُنشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس والعشرون عام ١٩٧٩ م. وكانت قد صورته منها قديماً، ولعله طبع بعد ذلك.

(٤) روى محمدُ بنُ الحسن البَنَاء عن بعضِ شيوخه قوله: «ثلاثةٌ مختصراتٌ في ثلاثةٍ علومٍ لا أعرف لها نظيرًا: الفصيح لشلب، واللمع لابن جنِّي، وكتابُ الْخُرْقَى، ما اشتغل بها أحدٌ وفهمها كما ينبغي إلا أفلح وأنجح». المنهج الأحمد ٢/٦٢.

ذكر العلّامةُ أَحْمَدُ الشِّرْقاوِيُّ إِقْبَالُ أَرْبَعينِ كِتَابًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي دَارَتْ حَوْلَهُ! <sup>(١)</sup>  
**٢ - «موطأ الفصيح»:** لِلْعَلّامَةِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُرَحَّلِ  
 المَالَقِي (ت ٦٩٩ هـ).

وتقعُ في (١٣٤٥) بيتاً <sup>(٢)</sup>.

وهو نظمٌ لكتاب «الفصيح» لشلب أيضاً.  
 ونظم ابن المرحّل نظمٌ بديعٌ متقنٌ سلسٌ، يدلّ على ملكةٍ راسخةٍ لدى  
 الناظم، قال في مطلعها:

مِنْ غَيْرِ رَأِيِّ نِادِيبٍ أَوْ آمِرٍ مِنْ رَجِزٍ مُهَذِّبٍ مَسْبُوكٍ وَشَرِحِهِ، وَالْقَوْلُ فِي تَقْدِيرِهِ وَاللَّفْظُ، إِلَّا لَاضْطِرَارٍ عَنَّا فَتُصْبِحُ النَّفْسُ بِهَا مَقْهُورَةً! وَالذِّكْرُ فِي عِبَادَهِ وَالشُّكْرَا	وَبَعْدُ؛ هَذَا مَا جَرِيَ فِي خَاطِرِي أَنْ أَنْظِمَ «الفصيح» فِي سُلُوكِ وَبَعْضِ مَا لَا بُدَّ مِنْ تَفْسِيرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْدُ ذَاكَ الْمَعْنَى فَالْمَرءُ قَدْ تَنَاهَى عَنِ الضرُورَةِ رَجُوتُ فِيهِ مِنْ إِلَهِي الْأَجْرَاءِ
---	---

(١) معجم المعاجم (ص / ٧٩ - ٨٦).

(٢) وهو مطبوعٌ ضمنَ «المجموع الكامل للمتون»، من منشورات دار الفكر للطباعة والنشر -  
 بيروت - لبنان.

كما نشرتهُ أَيْضًا دَارُ الذَّخَائِرِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ بِالْرِيَاضِ، عَامَ (١٤٢٤ هـ) بِتَحْقِيقِ الشَّيْخِ  
 الْفَاضِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (سَفِيَانُ الْحَكَمِي). وَرَاجِعُهُ وَصَحَّحُهُ وَزَادَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ  
 الْحَسَنُ الدَّدَوُ الشَّنَقِيطِيُّ.

٣- نظم كتاب «**كفاية المتحفظ ونهاية المتلّفظ**» للقاضي شهاب الدين محمد بن أحمد الخوبي (ت ٦٩٣ هـ). وهو مطبوع متداول.

وقد نظم فيه **الخوبي** كتاب «**كفاية المتحفظ ونهاية المتلّفظ**» للإمام إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي (ت ٤٧٠ هـ).

وهو من الكتب المعتمدة في اللغة. قال مصنفه في مقدمته: «هذا كتاب مختصر في اللغة وما يُحتاج إليه من غريب الكلام، أو دعنه كثيراً من الأسماء والصفات، وجنبناه حوشى الألفاظ واللغات، وأعرضناه عن الشواهد؛ ليسهل حفظه ويقرب تناوله، وجعلناه مُغنىًّا لمن اقتصر في هذا الفن، ومُعيناً لمن أراد الاتساع فيه، وصنفناه أبواباً».

- **وهناك ألوان أخرى** من فروع اللغة نظم فيها العلماء، كالمثلثات، والمقصور والممدود، والأضداد، وما يُنطق بالضاد والظاء من الكلم... وغير ذلك من الفروع، التي لو استقصيناها لطال الكتاب بسردها، لكنني أكتفي هنا بذكر المثلثات، لأهميتها ولطافتها<sup>(١)</sup>.

(١) **وانظر** للتوضّع: بحث «المثلثات اللغوية، متونها ومنظوماتها حتى نهاية المائة السابعة للهجرة»، المنشور في (جامعة قطر) العدد التاسع، ١٤٠٦ هـ للدكتور: جلال شوقي.

وبحث «المثلثات اللغوية، متونها ومنظوماتها من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري»، المنشور في (جامعة قطر) العدد العاشر، ١٤٠٧ هـ للباحث نفسه.

والمحض بالمثلثات، تلك الكلمات التي تتعاقب على أولها أو وسطها الحركات الثلاث (الضم والفتح والكسر) مع اختلاف المعنى أو اتحاده.

**ومن أشهرها:**

- **«نظم المثلث القطربي»:** المثلث: لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، الذي اشتهر في الأفق رغم وجازته؛ لكونه أول من وضع المثلث في اللغة. والنظام: لسديد الدين عبد الوهاب بن الحسين البهنسى (ت ٦٨٥ هـ)، أوله:

يَا مُلَعَّا بِالْغَضَبِ  
وَالْهُجُّرِ وَالتَّجْنُّبِ  
هَجْرُكَ قَدْ بَرَّ بِي  
فِي جَلَّهُ وَالْعَنْبَرِ

- **«الإعلام بمثلث الكلام»** لابن مالك الجياني (ت ٦٧٢ هـ). تقع في (٢٧٠٤) بيتاً.

وهي أرجوزة مربعة محكمة السبك. منها قوله في أولها يصف كتابه:

أَحْوَى بِهِ أَكْثَرَ تَثْلِيثِ الْكَلِمِ  
نَحُوا: حَلَمْتُ، وَحَلِمْتُ، وَحُلْمُ  
فَحَوْزُ هَذَا الْفَنِّ مَحْمُودُ مُهِمِّ  
بِهِ اعْتَنَى قِدْمًا أَوْلُو الْأَلْبَابِ

\*\*\*

وَهَا أَنَا آتَيْتُ بِهِ مُبَوِّبا  
عَلَى الْحُرُوفِ بَيْنَ مَرَبَّا  
مُلَخَّصًا، مُخَلَّصًا، مُهَاجِّزا  
يَنْقَادُ مَعْنَاهُ بِلَا اسْتِضْعَابِ

- **«نيل الأرب في مثلثات العرب»** للشيخ حسن قويدر الخليلي المصري (ت ١٢٦٢ هـ).

تقع في (٢٢١٠) بيت.

وهي منظومةٌ جامعهٌ بديعهٌ.

وكلُّها بحمد الله مطبوعهٌ.

**هذه هي أبرز المنظومات التعليمية في شتى العلوم والفنون.**

\*\*\*

### **بـ الضوابط العلمية للمسائل الجزئية:**

هذا هو القسم الثاني من أقسام النظم التعليمي، حيثُ أفرَدَ العلماء بعض الفصول والمسائل بنظمٍ مستقلٍ؛ نظراً لأهميتها.

وهذه الفصول والمسائل إما أنْ يُفردوا لها منظومةٌ كاملةً، وإما أنْ ينظموا فيها عدداً من الأبيات؛ قد تقلُّ وقد تكثُر بحسب حال كل مسألة.

### **فِمِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ:**

١ - منظومةٌ متشابه القرآن: لعلم الدين السخاوي.

٢ - منظومةٌ معرفة المكي والمدني: لابن الحصار.

٣ - أرجوزة أقسام العدة وأحكامها: لعبد الله الهبطي.

٤ - نظم الاستعارة: للطيب بن كيران.

٥ - منظومةٌ «التهذيب، لمراتب الرواة عند الحافظ ابن حجر في التقريب»:

للمؤلف. وغيرها<sup>(١)</sup>.

(١) قُمْتُ - بفضل الله - بجمع طائفةٍ كبيرةٍ من هذه المنظومات من شتى المصادر، يسر الله طبعها بمنه وكرمه.

**أمّا النَّوْعُ الثَّانِي:** وهو نظم المسألة في عددٍ من الأبيات؛ وهو ما يُسمَّى الأبيات الحاصرة أو الجامعة، فهذا كثيرٌ جدًّا، تتعَسَّرُ الإحاطة به<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك:

- قولُ السَّيِّوطِيِّ في الموضعِ التي يَتَأَكَّدُ فِيهَا السَّوَالُ:

يُسَنُّ اسْتِيَاكُ كُلَّ وَقْتٍ، وَقَدْ أَتَتْ  
مَوَاضِعُ بِالْتَّأْكِيدِ خَصَّ الْمُبَشِّرُ  
لِبَيْتٍ، وَنَوْمٌ، وَأَنْتِبَاهُ، تَغْيِيرٌ  
وُضُوءٌ، صَلَاةٌ، وَالْقُرْآنُ، دُخُولُهُ<sup>(٢)</sup>

- وقولُ ابن التَّحَاسِ في عَدِّ موانعِ الصَّرْفِ<sup>(٣)</sup>:

موانعُ الصَّرْفِ تِسْعٌ إِنْ أَرْدَتَ بِهَا  
عُونَّا التَّبَلَغَ فِي إِعْرَابِكَ الْأَمْلا  
اجْمَعُ، وَزَنْ، عَادِلًا، أَنْثٌ، بِمَعْرِفَةٍ  
رَكْبٌ، وَزْدٌ، عَجْمَةً، فَالوَصْفُ، قَدْ كَمَلَ<sup>(٤)</sup>

- وقولُ بعضِهم في الأشياءِ التي يُستحبُّ تعجِيلُها:

وَخَمْسَةٌ قَدْ رَوُوا تَعجِيلَهَا حَسْنٌ  
وَفِي سِواهَا تَأْنَّ وَاسْعَ فِي مَهْلٍ  
تَرْزُوْيُجُ كُفْءٍ، وَمَيْتٌ، هَاكَ ثَالِثَهَا  
دَفْعُ الْدِيْوِنِ، وَثُبُّ لِلَّهِ مِنْ زَلْلٍ  
فَجَدْ لَهُ بِالْقَرْئِ بِالْجِدْ وَالْعَجَلِ<sup>(٥)</sup>  
وَالخَامِسُ: الضَّيْفُ إِنْ يَأْتِيَكَ فِي نُزُلٍ

(١) جمعتُ - بحمدِ الله - من ذلك شيئاً كثيراً، يفوقُ ما جَمَعَهُ كُلُّ الذين آلفوا قبلَي في هذا الباب، ولعله يكونُ في عدَّة مجلَّداتٍ، يسِّرَ اللهُ طبعَه ونشرَه.

(٢) الأشباه والنظائر (ص / ٤٢٧).

(٣) انظر: شرح التصریح على التوضیح: للشيخ خالد الأزهري (١/٨٤).

(٤) آدابُ الأَكْل: لِلْأَفْقَهَيْ (ص / ٤٩).

- ومن العَجِيب أنَّ العَالَمَةَ عبدُ اللهِ بْنَ عبدِ الرَّحْمَنِ الدِّنُوْشِرِيِّ  
 (ت ١٠٢٥ هـ) نَظَمَ الْلِّغَاتِ فِي كَلْمَةِ (اسْمٌ) - وَهِيَ ثَمَانٌ عَشْرَةَ لُغَةً - فِي بَيْتٍ  
 وَاحِدٍ!! هُوَ:

**سُمَاءُ، سُمُّ، وَاسْمُ، سُمَاءُ، كَذَا سُمَاءُ، وَاثْلُثْ أَوَائِلَ كُلُّهَا!!<sup>(١)</sup>**  
 وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (وَاثْلُثْ أَوَائِلَ كُلُّهَا) أي: اجْعَلْ الْحُرْفَ الْأَوَّلَ فِي كُلِّ كَلْمَةٍ:  
 مَضْمُومًا، وَمَفْتُوحًا، وَمَكْسُورًا، فَيَتَبَعُ عَنْ كُلِّ كَلْمَةٍ مِنْهَا ثَلَاثُ لِغَاتٍ!  
**وَنَحْوُهُ قُولُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْعَجْمَىِ الْحَلْبِيِّ:**

**أَنْمُولَةُ، وَكَذَا الْأَصْبُوعُ، هَمْزَهَمَا      وَالْمِيمُ وَالْبَاءُ ثَلَثُ، حِيثُ لَا وَأُو**  
 يَرِيدُ أَنَّ فِي كُلِّ مِنْ أَنْمُلَةٍ وَأَصْبَعِ عَشَرَ لِغَاتٍ، تَسْعُ حَاصِلَةُ مِنْ تَشْلِيتِ  
 الْأَوَّلِ وَالثَّالِثِ، وَالْعَاشرُ بِالْوَاوِ: أَنْمُولَةُ، وَأَصْبُوعُ!<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية محمد محيي الدين عبد الحميد على أوضاع المسالك (١/٣٥).

(٢) الدرر الكامنة: لابن حجر (١/٤٤٨).

**وَأَعْجَبُ** مِنْ هَذَا؛ بَيْتَانِ مِنَ الشِّعْرِ جَمَعَتْ أَسْمَاءَ بِحُورِ الشِّعْرِ الثَّمَانِيَّةِ عَشَرَ مَعَ أَوْزَانِهَا  
 عَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ!!  
 وَقَدْ أَفَادَنِي بِذَلِكَ أَسْتَاذِي الْبَحَاثَةِ / مُحَمَّدُ عُزَيْرُ شَمْسٍ - أَحَدُ الْمُتَمَكِّنِينَ فِي فَنِّ الْعُرُوضِ -  
 حِيثُ زَعَمَ أَنَّ الْبَيْتَ هُوَ:

**مُسْ رَجْ، عِلَارَمَ، عِيْلَ هَرْ، وَافِرْ لَتْنُ، كَامِلْ تَفَأَ،**

**عُولُنْ تَقَأَ، رِكْ قَاعِلْنُ، بَسْ مَعْ مُسِّ، مَدْ مَعْ عِلَا**

**وَمَعْنَى الْبَيْتِ:** (مُسْ) أي: مستفعلن، و(رج) أي: بحر الرَّجز. و(عل) أي: فاعلاتن. و(رم)=

وفي مقامات ناصيف اليازجي «مجمع البحرين» منظومات كثيرة ونفيسة من هذا القبيل<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

#### رابعاً: الشعرُ البديعُ:

ينبغي لطالب العلم أنْ يُخَصِّصَ طرفاً من وقته لحفظ روائع الشّعر العربيّ الفصيح، من قصائد ومقطّعات، وما يجري منها مجرى الحكم والأمثال؛ لِتقوّى ذائقته الأدبيّة، وملكته النقدية، وليستشهد بها في الدّروس والمحاضرات والمجالس والأبحاث ونحوها؛ فإنّ كثيراً من طلاب العلم اليوم لديهم فاقهُ

أي: بحر الرّمل... وهكذا دواليك  
ولا أدرى من أيّ بحرٍ أو معحيطٍ هذا البيت!!  
يَبْدَأْ هناك بيتاً آخرَ - لم يحفظهُ الشّيخُ عفا اللهُ عنه! - يجمعُ البحورَ التسعةَ الأخرى!  
فتكمّل البحورُ كلُّها وأوزانها في بيتنٍ اثنينٍ فحسب!!  
وقد تطلّبتُ البيت الآخرَ كثيراً على أنظرُ به؛ فلم أقفْ له على أثرٍ! فرَحِمَ اللهُ امْرَا صالحاً  
أرْشَدَنَا إِلَيْهِ.

**تنبيه:** الذي يقدح في ذهني - بحسب السليقة - أنّ هذا بيانٌ وليس بيتاً واحداً، وأنه هكذا:

مُسْرَجٌ، عِلَارَمٌ، عِيلَ هَرْزٌ، وَافِرْ لَتُنْ، كَامِلٌ تَفَّا

عُولُنْ تَقَّا، رِكْ فَاعِلْنُ، بَسْ مَعْ مُسٍ، مَذْمَعْ عَلَا

وبهذا يستقيم الوزنُ العروضيُّ ويكونُ من مجزوء الرجز، والله أعلم.

(١) قُمْتُ بتجريدها وشرحها في كتابٍ مستقلٍ سميته: «الجامع العزيز، لما استبطنه مجمع البحرين من روائع الأراجيز» ضمن سلسلة (ضئائين الدّفائين).

شديدة في هذا الجانب! ولذا تجد ملوكاً لهم الأدبية والنقدية ضعيفة جداً! <sup>(١)</sup>.

**(١) قال الخطيب البغدادي:** «في الشعر الحِكَمُ النادرة، والأمثالُ السائرة، وشواهدُ التفسير، ودلائلُ التأويل، فهو ديوان العرب، والمقيّدُ للغاتها، ووجوه خطابها؛ فلنَرَ كتبه للحاجة إلى ذلك». الجامع لأخلاق الرواية (١٩٧/٢).

- **وقال التُّنيري** في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٢/٧) في فصل: (ذِكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته من الأمور الكلية) بعد أن ذكر عدّة أشياء: «ثم حِفْظُ أشعار العرب، ومطالعة شروحها، واستكشافُ غواصتها، والتَّوَقُّفُ على ما اختاره العلماء بها منها، كالحماسة، والمقضيات، والأصمعيات، وديوان الهذللين، وما أشبه ذلك؛ لما في ذلك من غزارة المواد، وصحّة الاستشهاد، والاطّلاع على أصول اللغة، ونواردِ العربية؛ وقد كان الصدرُ الأوّل يَعْتَنُون بذلك غاية الاعتناء، وقد حُكِيَ أنَّ الإمام الشافعي رَحْمَةُ اللهِ كان يحفظ ديوان هذيل!

فإذا أكثرَ المرتَّسُون للكتابة مِنْ حِفْظِ ذلك، وتَدْبِرُ معانيه، سَهَّلَ عليه حلُّهُ، وظَهَرَتْ له مواضعُ الاستشهاد به، وساقه الكلامُ إلى إبراز ما في ذخيرة حِفْظِه منه، ووضِعَه في مكانه، ونُقلَّه في الاستشهاد والتضمين إلى ما كأنَّهُ وُضِعَ له، كما اتفق للقاضي أبي بكر الأرجاني في تضمينِ أنصافِ أبياتِ العرب في بعض قصائده، فقال:

وأهُدِّي إِلَى الْوَزِيرِ الْمَدْحَى يَجْعَلُ  
لَكَ الْمُرْبَاعَ مِنْهَا وَالصَّفَّا يَا

وَرَافِقُ رُفَقَةَ رَحَلَوْا إِلَيْهِ  
(فَابْوَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَابَا يَا)

وَقُلْ لِلرَّاحِلِينَ إِلَى ذُرَاهِ:  
(أَلْسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ السَّمَطَا يَا؟)

وَلَا تَسْلُكْ سَوَى طُرقِي فِي إِلَيْيِ  
(أَنَا بْنُ جَلَّ وَطَلَّاعُ الثَّنَابَا)!

**وقال بدِيع الزَّمَانِ الْهَمْذَانِي:** «أنا لِقُرْبِ دَارِ مَوْلَايَ (كما طَرِبَ الشَّوَانُ مَالُتْ بِهِ الْحَمْرُ). ومن الارتياح إلى لقائه (كما انتفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَلَّهِ الْقَطْرُ). ومن الامتناع بولائه (كما التَّقْتُ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ). ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتَرَتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ)!».

**فالشّعرُ ديوانُ العرب؛ ولسانُها الناطق<sup>(١)</sup>، كما قال أبو فراس الحمداني:**

- وطالع القصيدة الشمقمية فقد ذكر ناظمها ابن الونان، أبياتاً كثيرةً في الحث على حفظِ الشعر، استهلّها بقوله:

واغنَ بقولِ الشاعرِ فالشاعرُ كَمَا  
لِلْفَتَنِ إِنْ لَمْ بِهِ يَرَأْزِيقَ  
فَهِمْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ عَنْهَا  
نُ الْحِجَّا وَالْفَضْلِ وَالْتَّحَذْلِ

- وحدّثني منْ شاهدَ شيخَ شيوخنا العلّامةَ محمدَ الأمين الشنقطي في المسجد النبوي يطالعُ كتاب «مصالحة العُشاق» للسراج (ت ٥٠٠ هـ) - وهو كتابُ في الغزل! - في يوم جمعةٍ قبل صعود الخطيب المنبر! فلما سأله قال: إنه يحفظُ ما فيه من الأشعار؛ ليستفيد منها في تفسير القرآن وغيره من العلوم.

- وممّا يؤيدُ فعلَ الشيخ الشنقطي، ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إذا سألتموني عن عربية القرآن، فالتمسوه بالشعر؛ فإنَّ الشعرَ ديوانُ العرب». الجامع لأخلاق الرواية (١٩٨ / ٢).

وعن يوسف بن مهران، وسعيد بن جبير، أنهما قالا: «كنا نسمع ابنَ عباسَ كثيراً يسأل عن القرآن، فيقول: «هو كذا وكذا، أما سمعتَ الشاعرَ يقول: كذا وكذا». المصدر نفسه.

(١) قال ابن خلدون: «اعلم أنَّ فنَّ الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديواناً علومهم وأخبارهم، وشاهد صوافهم وخطفهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم. وكانت ملكته مُستحکمةً فيهم شأنَ ملکاتِهم كلّها». المقدمة (ص ٦٤٧).

**فائدة: قال ابن معصوم:** «اعلم أنَّ الشّعرَ من خواصّ لغة العرب، ولم يكن في غيرها من اللغات، وما يُذكر أنه كان لليونانيين شعرٌ فليس المراد به هذا الشّعر، وإنما كانوا يؤلفون الألفاظ المشتملة على المعاني التي تورثُ النفس افعالاً من قبضٍ أو بسطٍ، ولا يُراعون وزناً ولا قافيةً.

وأما ما هو المشهورُ الآنَ من الشّعر الذي للقرؤس والتركم ونحوهم، فهو أمرٌ حادٍ أخذوا طريقة من العرب، وتتبعوا أقوالَهم وأوزانَهم، واستخرجوا بأفكارِهم بُحوراً زائدةً. وقد يكون لغير العرب إلى الآنَ أيضاً ألفاظٌ يتغّنّون بها، ويتصرّفون فيها بحسب ما يُريدون من الألحان

أَبْدًا، وَعُنْوَانُ النَّسْبِ  
وَمَدِيْحَ آبَائِي النُّجُوبِ  
حَلَّيْتُ مِنْهُنَّ الْكُتُوبِ  
إِوْلَا الْمُجُونِ وَلَا الْلَّعِبِ<sup>(١)</sup>

الشّعْرُ دِيْوانُ الْعَرَبِ  
لَمْ أَعْذُ فِيهِ مَفَاسِخِي  
وَمُقَطَّعَ سَاتِ رَبْمَا  
لَا فِي الْمَدِيْحِ وَلَا الْهَجَا

وفي صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً».

وقال جابر بن معدان: «كُلُّ حِكْمَةٍ لَمْ يَنْزُلْ فِيهَا كِتَابٌ، وَلَمْ يُبَعَّثْ بِهَا نَبِيٌّ، ذَخَرَهَا اللَّهُ حَتَّى تَنْطَقَ بِهَا أَلْسُنُ الشُّعْرَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو تمام:

ولو لَا خَلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُنَاءُ الْمَعَالِي كِيفَ تُبَنِّي الْمَكَارِمُ؟

وقد كان العلماءُ وطلابُ العلم يقرؤون دواوينَ الشعراء على الأشياخ، ويضيّطونها عليهم، كما ترى ذلك في كتب المشيخات، والأثبتات، والفقهاء، والبرامع، والمعاجم.

بل كان بعضهم يُستظهِرُ دواوينَ الشِّعْرِ! - وليس القصائدَ فحسب - لا سيما دواوينُ الشعراء المشهورين؛ كامرئ القيس، وجرير، وأبي تمام، والمتبنّي،

من دون رجوع إلى وزنٍ أو قافيةٍ والله أعلم». أنوار الربيع في أنواع البديع (٢/ ٣٨٤).

(١) ديوان أبي فراس الحمداني (ص/ ٣٣).

(٢) (٥/ ٢٢٧٦) رقم (٥٧٩٣).

(٣) بهجة المجالس: لابن عبد البر (١/ ٣٨).

## والمعري... ونظرائهم<sup>(١)</sup>.

**(١) قال العباسي عن أبي تمام:** «كان له من المحفوظات ما لا يلحوظ في غيره، حتى قيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطع والقصائد!!» معاذ التنصيص: للعباسي (٣٨/١).

وُتُّقل عنه أنه وضع المصحفَ بين يديه وأقسامَ أن لآن طعاماً ولا شراباً إلّا بعد أن يحفظ ديوانَ مسلم بن الوليد!!

- وكان أبو عبد الله إبراهيمُ بنُ محمد بن عرفة بن سليمان العتكى، الأزدي، الواسطي، المشهور بـنقطويه (ت ٣٢٣ هـ) يحفظ «نفائض جرير والفرزدق»، وشعرَ ذي الرمة! انظر: تاريخ الإسلام (٤٧٣/٧)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (١٥/٧٦).

- وكان الدارقطنـي يحفظ دواوينَ جماعةٍ من الشعراء! منهم السيد الحميري الشيعي. ولذا نسب للتـشـيـع!

انظر: تاريخ بغداد: للخطيب (٤٨٧/١٣)، وتاريخ دمشق: لابن عساكر (٩٧/٤٣)، والأنساب: للسمعاني (٥/٢٧٤).

**قال الحافظ الذهبي** في تذكرة الحفاظ (٩٩٢/٣) منافقـاً عنه: «ما أبعده عن التشـيـع!»

- وجاء في ترجمة علي بن محمد بن الحسين، ابن العميد الوزير الشهير (ت ٣٦٦ هـ)، أنه ما أَنْشَدَ شِعْرًا قُطُّ لم يحفظ ديوانَ صاحبه! ولا غُرْبَ عليه بـشـعـرـ قـدـيـمـ ولا مـحـدـثـ مـمـنـ يـسـتـعـقـحـ أـنـ يـحـفـظـ شـعـرـهـ! وكان يـنـشـدـ دـواـوـيـنـ قـوـمـ مجـهـولـينـ! انظر: تجـارـبـ الأـمـمـ وـتـعـاقـبـ الـهـمـمـ: لـابـنـ مـسـكـوـيـهـ (٣١٥/٦).

**ومن لطيف خبره** ما حدث به أبو الحسن علي بن القاسم رحمة الله تعالى قال: «كنت أروي ابني أبا القاسم القصائد الغربية من دواوين القدماء، لأن الأستاذ الرئيس (ابن العميد) كان يستنشده إذا رأه، وكان لا يخلو إذا أنشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا. فكان ذلك يشق علىي، وأحب أن تصح لقصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئاً!

فأعاني ذلك، حتى وقع إلي ديوانُ الكميـتـ وهو مـكـثـرـ جـداـ، فاختـرـتـ له ثـلـاثـ قـصـائـدـ غـرـيـبـةـ ظـنـتـ آـنـهـ ماـ وـقـعـتـ إـلـىـ الأـسـتـاذـ الرـئـيسـ، وـحـفـظـتـ إـيـاـهـ، وـتـوـخـيـتـ الحـضـورـ معـهـ. فـلـمـاـ وـقـعـ بـصـرـهـ عـلـيـهـ قـالـ: هـاـتـ أـبـاـ القـاسـمـ أـنـشـدـنـيـ شـيـئـاـ مـاـ حـفـظـتـهـ بـعـدـيـ.

فابتداً يُنشدُه، فلما استمرَّ في قصيدةٍ من هذه القصائد قال له: قِفْ، فقد تركتَ من هذه القصيدة عِدَّة أبياتٍ ثم أنسنده إِيَاهَا!! فخَجَلَتْ خَجْلَةً لم أخجل مثلها!! ثم استزاد، فأنسنده القصيدة الأخرى، فأسقطَ فيها كما أسقطَ في الأولى، واستدركَه عليه أيضاً !!

- قال: فعلمْتُ أنَّ الرَّجَلَ بعْرُ لَا يُنْزَفُ، ولا يُؤْتَى (ينقطع) ما عنَّه». المصدر نفسه.
- وكان السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبي رَحْمَةُ اللهِ يحفظ ديوانَ الحماسة لأبي تمام! انظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: لابن بدران (ص / ٢٩٢).
  - وكان ابنُ رُشدِ الحفيـدُ (محمد بن أحمد القرطبي) يحفظ ديوانَ أبي تمام والمتنبي!
  - انظر:** تاريخ الإسلام (١٤١٠/١٢)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (٢١٣٠)، والوافي بالوفيات: للصفدي (٢٢/٨).
  - وكان شرفُ الدين، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين الهذباني، الإربلي يحفظ ديوانَ المتنبي! انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٣٥٥).
  - وكان سليمانُ بنُ عَسْكَرَ بن عَسَاكِرَ الْحَبْرَاصِي ثُمَّ الدمشقي يحفظ ديوانَ الصَّرَصَري.
  - انظر:** المقصد الأرشد: لابن مفلح (١٤٢٨/١).
  - وكان عبدُ القاهر بنُ محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل المعروف بابن الشطوي (ت ٥٦٣ هـ) يحفظ ديوانَ المتنبي! الوافي بالوفيات: للصفدي (١٩/٣٤).
  - وكان محمدُ بن عبد الملك بن زهر الإيادي (ت ٥٩٥ هـ) يحفظ ديوانَ ذي الرُّثمة، وفيه ثلثُ لغة العرب! انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٣٢٦).
  - وكان أحمدُ بنُ محمد بن أحمد أبو العباس الرُّعيني الإشبيلي (ت ٦٠٤ هـ) يحفظ ديوانَ «سُقْطَ الزِّنْد» للمعربي! انظر: تاريخ الإسلام: للذهبي (١٣/٩٠).
  - وقال الأديبُ نصرُ الله بنُ محمد بن محمد الججزي، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) رَحْمَةُ اللهِ: «كنتُ حفظتُ من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرةً، ثم اقتصرتُ بعد ذلك على شعر الطائرين: حبيب بنِ أوس، وأبي عبادة البختري، وشعر أبي الطيب المتنبي، فحفظتُ هذه الدواوين الثلاثة! و كنتُ أكررُ عليها بالدرس مدةً سنين، حتى تمكنَّت من صوغ المعاني، وصار الإدمانُ لي خُلُقاً وطبعاً.
  - فلا تقنُع -أيها الخائنُ في هذا البحر- إلا بآن تفعَّل ما فعلته، وتسلَّك ما سلكته. إلا أني لأنَّ نصُّ عليك بحفظ هذه الأشعار الثلاثة بعينها؛ فإنَّ في الأشعار كثرةً، ولكلَّ نظرٍ واجتهاد.

وإنما ذكرت لك ذلك؛ لتعلم وعورة هذه الطريق وطولها، فتأخذ للأمر أهليته، وتوفيه رتبته. والله الموفق، وبه الحول والقوة.

وهذا الموضوع لا بد من إمتحان النصيحة فيه للمتعلم؛ وذلك أي قلب الأشعار تقليل السمسارة للمناتع، وزرائها بالقيراط، وكيلتها بالمد والصاع. وما عدلت إلى الطائرين إلا عن نظر، وما أثرتهم إلا أحذنا بالعين لا بالأثر». الوشبي المرقوم في حل المنظوم (ص/ ١٨١ - ١٨٢).

**اطيفة:** قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميري ذات يوم بعض طلابه وقد تعجبوا من حفظه ديوان المتنبي: «بعيداً أن تفلحوا! يعجب أحدكم من حفظ ديوان المتنبي !! والله لقد أدركت أقواماً لا يعدون من حفظ كتاب سيبويه حافظاً ولا يرون مجتهداً!!». المعجب في تلخيص أخبار المغرب: للمراكشي (ص/ ٣٨٠).

### وليس أمر حفظ دواوين الشعراء مقصورة على المتقدمين فحسب!

- فقد ذكروا عن الأستاذ ناصيف اليازجي (ت ١٨٧١م) - وهو من نصارى لبنان - أنه كان يحفظ شعر المتنبي بيتاً بيتاً، لا يخل بحرفٍ!

**ومن غريب قوة ذاكرته ما يُروى:** أنه كان إذا نظم الشعر لا يكتبه بيتاً بيتاً، بل كان ينظم القصيدة في ذاكرته ثم يكتتبها! انظر مقدمة كتابي «الجامع العزيز».

- وذكر الأستاذ أحمد الزين أن الشاعر المصري إسماعيل صبري (ت ١٩٢٣م) كان يحفظ ديوان عمر بن الفارض! انظر: في الأدب الحديث: للدسوقي (٣٤٦/٢).

- وكان شibli النعmani (ت ١٣٣٢ هـ) يحفظ ديوان «الحماسة» لأبي تمام! انظر: حياة شibli: لسليمان الندوبي.

- وكان الدكتور/ زكي مبارك (ت ١٩٥٢م) يحفظ ديوان المتنبي كما ذكر عن نفسه! انظر مجلة الرسالة العدد: (٢٥٠) (ص/ ٦٥٣).

- وكان العالمة محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٩٦٥م) يحفظ المعلقات، والمفضليات، وشعر المتنبي كله، وكثيراً من شعر الرّاضي وابن الرومي وأبي تمام والبحترى وأبي نواس، كما استظهر كثيراً من شعر جرير والأخطل والفرزدق!! انظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (١٦٥/٥).

- وكان الأستاذ المحقق/ عبد العزيز الميمني الراجحوكوي الهندي (ت ١٩٧٨م) يحفظ ديوان المتنبي وحماسة أبي تمام بتمامهما!

فينبغي للطالب أن يحفظَ عيونَ الشّعرِ وروائعه؛ سواءً من الدواوينِ مباشرةً أو من كتبِ المختاراتِ الشّعريةِ.

ومن أفضلي كتبِ المختاراتِ الشّعريةِ؛ التي أوصي بها:

- «ديوان الحماسة»: لأبي تمام، حبيب بن أوس الطائي.

- «المُختاراتُ»: للبارودي.

- «قولُ على قولٍ»: لحسن سعيد الْكَرْمي. وهو وإنْ كان ليس من كتب الاختيارات، إلّا أنه قد اشتمل على أشعارٍ كثيرةً بدعةً.

- «الشّواردُ»: لعبد الله بن خميس.

- «معجمُ الحِكم والأمثال في الشعر العربي»: لأحمد قبس. ويتميز بذكره شعرَ المعاصرين، وتبوياته العَصْرية.

- «التمثيل بالشعر»: لمحمد بن إبراهيم الحمد. وهو مختصرٌ جيدٌ، وترتيبه لطيفٌ.

**ويُلْحِقُ بما تقدّم، ما رشحةُ العلماء والأدباء من القصائد لحفظِ<sup>(١)</sup>،**

وسئل مرةً كم تحفظُ من أشعار العرب؟ فقال: نحو مئة ألف بيت!!

**انظر:** تكملة معجم المؤلفين: لمحمد خير رمضان (ص / ٣٠٧)، ومقدمة بحوث وتحقيقات عبد العزيز الميموني: لمحمد عزيز شمس (١ / ٧٢ و ٢٢).

- وكان العلامة محمود شاكر (ت ١٩٩٧م) يحفظُ ديوانَ المتنبيِ كاملاً! ذكر ذلك ابنُه فهُرْ.

- وذكروا عن الشيخ ناصر بن إبراهيم رحماني الجزائري (ت ٤٢٠٠٤م) أنه كان يحفظُ ديوانَ جَرِيرَ!

**(١)** كالمقالات، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمشوبات، والملحّمات. انظرها في: جمهرة أشعار العرب (ص / ٩٥ فما بعد).

- وكذا الأشعار التي يورّدُها أصحابُ كتب الأدب، ومن أفضليها انتقاءً:
- **(العقدُ الفريدُ)**: لابن عبد ربه الأندلسي.
  - وهو من أنفس كتب الأدب.
  - **(رَهْرُ الأَدَابِ وَثَمَرُ الْأَلْبَابِ)**: لإبراهيم بن علي الحصري القير沃اني.
  - **(ديوان المعاني)**: لأبي هلال العسكري.
  - **(بِهِجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْسُ الْمُجَالِسِ، وَشَحْذُ الْذَاهِنِ وَالْهَاجِسِ)**: لابن عبد البر القرطبي.
  - وهو أنظفُ كتب الأدب وأنقاها.
  - **(ربيعُ الْأَبْرَارِ وَنَصْوُصُ الْأَخْبَارِ)**: للزمخشري.
  - وهو أحسنُ الكتب الأدبية - في نظري - على الإطلاق.

- ومثل ما قاله أبو بكر الخوارزمي:** «منْ روی حَوْلَیاتِ رُزْهِیرِ، واعتذاراتِ النابغةِ، وأهاجي الحُطَيَّةِ، وهاشميَّاتِ الْكُمَيْتِ، ونقاضِيَّاتِ جَرِيرِ، وحَمْرَيَّاتِ أبي نُواسِ! وتشيهاتِ ابن المعتزِ، وزُهْدَيَّاتِ أبي العنايةِ، ومرائيِّ أبي تمامِ، ومدائحِ البُختريِّ، وروضيَّاتِ الصنوبرِيِّ، ولطائفِ كُشاجمِ، ولم يَخُرُّجْ في الشعرِ (أي يُصْبِح شاعرًا متقنًا)، فلا أَشَبَّ اللَّهَ قَرْنَاهُ!!». مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص / ٤٩٠).
- ونقل كلامه الشعالي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص / ٢١٦) وزاد: «وَقَلَائِيدُ الْمُتَبَّيِّ». **وانظر**: مطالع البدور ومنازل السرور: للغزوولي (١ / ٢٣٥).
- وطالع شرحها في مقالة: (مقالة الخوارزمي في الشعراء) للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي، المنشورة في مجلة الرسالة، العدد: (٧٤٢) (ص / ١٠٣١).
- قلتُ**: ويمكن أن يضاف إلى ما قاله الخوارزمي: حماسياتُ عنترة، ورومياتُ أبي فراس، ووصايا ابن عبد القدس، وافتخاراتُ الشريف الرضي، وسفيفياتُ المتبيّ، ووصفياتُ ابن الرومي. والله أعلم.

- «محاضرات الأدباء»: للراغب الأصفهاني.

هذا ما يتعلّق بجانب الحفظ، وسوف نشرع الآن بذكر ما يتعلّق بجانب فهمِ العلمِ وإتقانِه، واللهُ الموفقُ.



فَلِيسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ  
فَقَدْ كَمْلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهُ  
عَلَى الْعُقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهُ  
فَذُو الْبَجْدِ فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ غَالِبُهُ!  
وَإِنْ كَانَ مَحْصُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ  
وَإِنْ كَرْمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ!

وَأَفْضَلُ قَسْمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ  
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ  
يَعِيشُ الْفَتَنِ بِالْعُقْلِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ  
وَمَنْ كَانَ غَلَابًا بِعُقْلِ وَنَجْدَةٍ  
فَزِينُ الْفَتَنِ فِي النَّاسِ صَحَّةُ عَقْلِهِ  
وَشِينُ الْفَتَنِ فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ

ابنُ ذِرِيد

المبحث الثاني  
طريق الفهم

## البُحْثُ الثانِي

### طريق الفهم

ذكرنا فيما مضى أنّ طرقَ تحصيلِ العلمِ ثلاثةً: طريقُ الحفظِ، وطريقُ الفهمِ، وطريقُ المطالعةِ.

وسوف نذكر هنا بعضَ القواعدِ المهمّةِ التي تساعدُ على فهمِ العلمِ وهضمُ مسائله.

**أولاً:** التَّصوّرُ الجيدُ للفنِ قبل الدخول فيه<sup>(١)</sup>.

فمنْ أراد أن يدخل في فنٌّ ما، وأراد أن يضبط مسائله؛ فلا بدّ أن يتصرّفَ به تصوراً حسناً، وذلك بفهمِ أصوله ومقاصده قبل أن يلتجَّ بابه. كما قال العزالىُّ عند كلامه في مقدمة كتابه «المستصفى»<sup>(٢)</sup> عن منهجه فيه: «وأتى فيه بترتيبٍ لطيفٍ عجيبٍ يطلعُ الناظرَ في أول وهلةٍ على جميعِ مقاصدِ هذا العلمِ، ويفيدُه الاحتواءَ على جميعِ مساراتِ النظرِ فيه؛ فكُلُّ علمٍ لا يستولي الطالبُ في ابتداء نظره على مجتمعه ولا مبانيه، فلا مطمعَ له في الظفرِ بأسراره ومباغيه!».

وهذه الكلمةُ رائعةٌ مهمّةٌ من عالمِ مِضْيقِ مِفنَّ.

(١) تحدّثُ عن هذا العنصر بشيءٍ من البسط في كتابي «الإبداع العلمي» (ص/٩٠) الطبعه الثانية من نشرة مكتبة دار المنهاج.

(٢) (ص/٤).

## ومما يُساعد على تصوّر الفنّ ما يلي:

**١ - عمَلُ الجداول المناسبة للعناصر الأساسية في الفنّ عن طريق تغييرها.**

وذلك مثل: الجداول التي صنعها أصحاب «الجداول الجامعة في العلوم النافعة»، وكذا الدكتور / عماد بن علي جمعة في سلسلته الرائعة «العلوم الإسلامية الميسرة».

عِلْمًا بِأَنَّ الدَّارِسَ يَسْتَطِعُ أَنْ يُشَجِّرَ الْعِنَاصِرَ الْأَسَاسِيَّةَ لِلفنِّ - مِهْمَا كُثُرْتْ - فِي صَفَحَةٍ وَاحِدَةٍ!<sup>(١)</sup>

**٢ - تقسيم الفنّ نفسه إلى عدة أقسام.**

وهذا يساعد على فهم العلم وضبطه تماماً، سواءً للمُتَخَصِّصِ أو غير المُتَخَصِّصِ.

فمثلاً: العقيدة؛ تُقَسَّم بحسب أنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات. أو بحسب أركان الإيمان الستة، وهو الأقرب.

وفي علم مصطلح الحديث يُقَسَّم إلى عدة أقسام، فتُجَعَّلُ الأبوابُ المتعلقة بالرواية على حِدَةٍ، والأبوابُ المتعلقة بالدررية على حِدَةٍ، والأبوابُ المتعلقة بالإسناد وضبط أسماء الرجال على حِدَةٍ... وهكذا.

وفي البلاغة تُقَسَّم إلى المعاني، والبيان، والبديع، ويُدَرَّسُ كُلُّ قسمٍ منها استقلالاً.<sup>(٢)</sup>

(١) كنت أيام الطَّلَبِ - وما زالت طالباً - أصنُعُ تلك الجداول في الورق اللوحي المقوَّى الكبير الذي يُسمّى (الوسيلة)، فيسهُلُ على تصوّر الفنّ والتسلسل المريخ في دراسة أبوابه.

(٢) **تنوير:** جرى العُرفُ أنَّ البلاغة تنقسمُ إلى هذه الأقسام الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.

**٣-** التفريق بين مبادئ الفن ومقاصده، أو وسائله وغاياته.

وكل فن له مبادئ ومقاصد، ووسائل وغايات من عرّفها سهل عليه فهم الفن.

**فالنحو مثلاً:** الغرض منه معرفة أحوال آخر الكلم حال التركيب، والباحث التي تشتمل عليها غالب كتب النحو من الكلام على أقسام الكلام، والإعراب والبناء... إلخ، هذه من مبادئ الفن. أمّا مقاصدُه فتبدىء من الكلام على أحکام الفاعل والمبتدا والخبر... إلخ.

**ومثله البلاغة**، فما يذكر في أوائلها من الكلام على الفصاحة وشروطها، وأنواع الأسلوب... إلخ، فهذا من مبادئها، وما يلي ذلك من الكلام على علم المعاني... إلخ، هو من مقاصدتها. وهكذا دواليك في سائر العلوم والفنون.

**٤-** دراسة مراحل تطور الفن وما ألف فيه؛ حتى يجمع الطالب بين حفظ مسائل الفن وبين معرفة تاريخه. فقد يوجد شخص علیم بجزئيات الفن، لكنه لا يعرف مراحل تطور الفن! ولا الكتب المعتمدة المصنفة فيه! وهذا يُعدّ نقصاً في الحقيقة.

**ثانياً:** حُسْنُ اختيار الشیخ الذي يدرِّسُ عليه الفن<sup>(١)</sup>.

لكنها عند التحقيق فنون مستقلة، ولذا قال السيوطي: «رُزقْتُ التَّبَّحُرَ في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعنى، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة». حُسْنُ المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٣٣٨).

**(١)** أفرد الشاطبي فصلاً نفيساً في هذا الشأن، صدره بقوله: «المقدمة الثانية عشرة: من أفع طرق

وهذه أهم قاعدة من قواعد الفهم؛ فالقراءة على الأشياخ؛ وأخذ العلم عنهم؛ من أعظم وأسرع السُّبُلِ المعينة على فهم العلم وإدراك المَرَام. والأمر من بعد كما قال أبو حيَان الأنْدَلُسِي<sup>(١)</sup>:

<b>أَخَافَهُمْ لِإِذْرَاكِ الْعُلُومِ</b> <b>عَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ</b> <b>ضَلَّتْ عَنْ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ</b> <b>تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُوْمَا الْحَكِيمِ!</b> <sup>(٣)</sup>	<b>يَظْنُونَ الْغَمْرَ<sup>(٢)</sup></b> أَنَّ الْكُتُبَ تَهْدِي <b>وَمَا يَذْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا</b> <b>إِذَا رُمِتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ</b> <b>وَتَلْتَسِّعُ الْعُلُومُ عَلَيْكَ حَتَّىٰ</b>
--	--

### وإليك بعض الإضاءات المهمة في ذلك:

١- ضرورة أخذ العلم عن الأكابر الذين قضوا أكثر حياتهم في التعليم والتدريس؛ وذلك لاعتبارات كثيرة؛ منها:

العلم الموصلة إلى غاية التتحقق به: أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام». فراجعه فإنه مهم. المواقفات - تحقيق: مشهور - ١٣٩/١ - ١٥٤).

(١) في التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (١٩٨/٥).

(٢) **الْغَمْرُ**: هو من لم يجرب الأمور، وجمعه أعماء. العين (٤/٤١٧).

(٣) أشار بذلك إلى قول بعضهم:

قال حَمَارُ الْحَكِيمِ تُوْمَا: لَوْ أَنَّ صَفْوَنِي لَكُنْتُ أَرَكَبْ! لَأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ!!

انظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: لناظر الجيش (٩/٤٤٠)، والآداب الشرعية: لابن مفلح (٢/١٢٥).

أـ ما وَرَدَ عن السلف في الحث على ذلك؟ **قال عمر رضي الله عنه:** «إِنَّ النَّاسَ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، وَلَمْ يَقُمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، فَإِذَا قَامَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ فَقَدْ»<sup>(١)</sup> أي فقد هلكوا.

- **وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ وَعَنْ أُمَّانَاهُمْ، فَإِذَا أَخَذُوا مِنْ صِغَارِهِمْ وَشَرَارِهِمْ هَلَكُوا»<sup>(٢)</sup>.

- **وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:** «إِنَّمَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنِ الْأَكَابِرِ»<sup>(٣)</sup>.

**قال ابن قتيبة في تفسير مرادهم:** «أي لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأنّ الشيخ قد زالت عنه مُتعة الشباب، وحِدَّته، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطَّمَعُ، ولا يسترِّله الشيطان استر لآل الحديث، ومع السنن الواقر والجلالة والهيبة. والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنَتْ على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتشت؛ هلك وأهلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرج هذا الأثر اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٤/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦١٥/١).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص/٢١٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦١٦/١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٥٥/٢)، وفي نصيحة أهل الحديث (ص/٢٨).

(٣) طبقات الحنابلة: لابن أبي يعلى (١٩٨/١).

(٤) نصيحة أهل الحديث (ص/٣٠).

وقيل: بل المقصود بالأساغر هنا: أهل البدع. وقيل: من لا علمَ عنده. وقيل: مَنْ لَا قَدْرَ لَهُ.

**بـ** - أنّ كثرة المعلومات ليست هي المقياس في التعليم فحسب، وإنما المقصود - إضافةً لهذا - الخبرةُ والذوقُ العلمي، وهذا لا يحصلان لكل أحدٍ، وإنما لمن مارس الفن تعلّمًا وتعليمًا مُدَدَّةً مَدِيدَةً من الزمن، وإلا فالمسائل موجودةٌ في بطون الكُتب!

فالشأن إذن ليس في حفظ المسائل فقط، بل في معرفةٍ منها عنها، وتفكيك عباراتها، وتحرير معانيها، وإدراك مراميها، وكل ذلك يحتاج إلى ملَكَةٍ راسخةٍ، وهذه لا توجد غالباً إلا عند الأكابر<sup>(١)</sup>.

**(١) من الأمثلة على ذلك:** ما ذكره السيوطي من أنه جاء ذات مرّة إلى شيخه مُحبي الدين الكافيجي، فقال له الشيخ: أعرّب (زيدُ قائم)، فقال: قد صرنا في مقام الصغار! وَسُئلَ عن هذا؟! فقال لي: في (زيدُ قائم) مئةٌ وثلاثة عشر بحثاً!! فقال السيوطي: لا أقومُ من هذا المجلس حتى أستفيدَها، فأخرج لي تذكرةً فكتبتُها منها! انظر: بغية الوعاة (١١٨/١).  
**والكافيجي هذا:** هو محمد بن سليمان بن سعد الرومي البرعمي أبو عبد الله الكافيجي (نسبةً إلى الكافية في النحو؛ لأنَّه اشتهر بتدريسها).

قال السيوطي: كان الشيخ إماماً كبيراً في المعقولاتِ كلّها: الكلام، وأصول اللغة، والنحو والتصريف والإعراب، والمعانى والبيان، والجدل والمنطق والفلسفة، والهيئة؛ بحيث لا يشق أحدُ غباره في شيءٍ من هذه العلوم، وله اليد الحسنة في الفقه والتفسير والنظر في علوم الحديث.... لزمه أربع عشرة سنةً، مما جتَّه من مرّةٍ إلا وسمعتُ منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك! بغية الوعاة (١١٧/١).

**- وألَّفَ السيوطي** «فتح الجليل للعبد الذليل» في الأنواع البدعية التي استخرجها من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِلَّهِ أَمَّا مَنْ نَعَمَّ﴾ الآية، بلغَتْ مائةً وعشرين نوعاً!! وهو مطبوعٌ. وانظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٣٤٠/١).

**جـ- وجود الخصال التي هي - غالباً - في الأكابر أكثر منها في الأصغر، كالتواضع، والحلْم، وعدم الميل إلى هوئ النفس عند ظهور الحق.. إلخ، وهذه غالباً ما تكون قليلة أو معدومة في الأصغر!**

**ولذا قال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد:** قال لي أبي : «يا بُنَيَّ، إِيَّتِيَ الْفَقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعْلَمُ مِنْهُمْ، وَخُذْ مِنْ أَدْبَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَهَدْيَهُمْ؛ فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيِّي لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ»<sup>(١)</sup>.

**وعن مالك بن أنس، قال: قال ابن سيرين:** «كانوا يتعلّمون الهدى كما يتعلّمون العلم»، قال مالك: وبعث ابن سيرين رجلاً فنظر كيف هدى القاسم وحاله؟!<sup>(٢)</sup>.

**وعن ابن المبارك، قال: قال لي مخلد بن الحسين:** «نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوجُ مما إلى كثيرٍ من الحديث»<sup>(٣)</sup>.

**وعن الحسن بن إسماعيل، قال: سمعت أبي يقول:** «كان يجتمع في مجلس أحمد (بن حنبل) زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مئة يكتبون،

**- وألف الخطيب الإسکافی** (تخریج متنی وجہ من المعانی في کلمۃ واحدة من بیت واحد!! وقد ذکر فيه (٢٠٣) وجہاً في معناها.  
والبیت هو قول الشاعر الحمامی:

**(بِيُضْ مَفَارِقُنَا)، تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا**

وقد طُبع الكتاب بتحقيق الأستاذ: أسامة بن مسلم الحازمي.

**(١)** الجامع لأخلاق الراوي: للخطيب البغدادي (١ / ٨٠).

**(٢)** المصدر نفسه (١ / ٧٩).

**(٣)** المصدر نفسه (١ / ٨٠).

والباقيون يتعلّمون منه حُسْنَ الأدب وحُسْنَ السُّمْت»<sup>(١)</sup>.  
وذكر أنّ أبا حنيفة مكث ثلاثة أشهرٍ يتحرّى الشيخ المناسب الذي  
يدرس عليه!

**ذلك لأنهم** كانوا يعرفون أنّ طلب العلم ليس هو حشُو الذهن  
بالمعلومات فقط، وإنما هو أدبٌ وتربيّةٌ وذوقٌ قبل ذلك.

هذا بالإضافة إلى وجود صفاتٍ هي في الأكابر أقوى منها في الأصغر،  
مثل: قوّة الملكة، ورُسوخِ القدم، وكثرة التمرّس بالمسائل، وطول ممارسة  
الفتوئ، وقوّة النّظر والفكّر والاستدلال.. إلخ، ولذا قال شيخ الإسلام  
**ابن تيمية**: «ومن له في الأمة لسانٌ صدقٌ عامٌ؛ بحيث يُثنى عليه ويُحمدُ في  
جماهير أجناس الأمة، فهو لاءٌ هم أئمّةُ الهدى ومصابيحُ الدّجى، وغلطُهم  
قليلٌ بالنسبة إلى صوابهم، وعامتُه من موارد الاجتهاد التي يُعذرُون فيها،  
وهم الذين يتّبعون العلمَ والعدلَ، فهم بعُدَاءٍ عن الجهل والظلم، وعن اتّباع  
الظنّ وما تَهوى الأنفُس»<sup>(٢)</sup>.

**فلا بدّ إذن** من انتقاء الشيوخ الأكابر الذين لهم خبرةً طويلةً في العلم،  
والذين قَضوا كثيراً من حياتهم فيه.

**٢- الأخذُ عن كل شيخ الفنّ الذي يُحسّنُ.**  
فلا يلزم لمن مهاراً في فنٍ ما أن يكون عالماً بالفنون الأخرى! وهذا ينبغي

(١) مناقب الإمام أحمد: لابن الجوزي (ص/٢٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٤٣).

أن يكون ملاحظاً عند طلاب العلم، إذ ربما وجدت طالب علم يطلب الفقه، والعقيدة، والتفسير، والحديث، والنحو، والبلاغة، وربما الجغرافيا والفلك عند شيخ واحد!

وقد يكون عند الشيخ إمام بذلك كله، لكنه لن يكون قطعاً مثل عالم أمضى عمره كله في تدريس لونٍ واحدٍ من العلم!

وقد كان هذا أمراً مُتقرّراً عند العلماء، قال الشعبي: «ما نظرتُ ذا فنٍ إلا غلَبني، وما نظرتُ ذا فنُونٍ إلا غلَبته»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «ما نظرني رجلٌ قطٌ وكان مُفتناً في العلوم إلا غلَبته، ولا نظرني رجلٌ ذو فنٍ واحدٍ إلا غلَبني في علمه ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وكذا قال الإمام الشافعي<sup>(٣)</sup>.

ذلك لأنَّ تحريرَ صاحب الفنون للمسائل ليس كتحرير صاحب الفن الواحد في الدقة والإتقان.

ولذا قالوا: إنَّ كلام السخاوي في علوم الحديث مُقدَّم على كلام السيوطي؛ لأنَّ السخاوي صاحب فنٍ، والسيوطى صاحب فنون!<sup>(٤)</sup>.

**٣- الأفضل للطالب أن يدرس على الشيخ كتاباً قد خبره وأتقنه حفظاً، وتدريساً، وقضى شطرًا كبيرًا من حياته في تدريس ذلك الكتاب؛ لأنَّ قواعده**

(١) التمثيل والمحاضرة: للشعالي (ص/١٦٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر (١/٥٢٣)، والإلماع: للقاضي عياض (ص/٢٢١).

(٣) الجوادر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر: للسخاوي (١/٢٧٢).

(٤) انظر مقدمة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف لكتاب تدريب الراوي: للسيوطى (١/٩١).

أصبحت راسخة الجذور في صدره، واضحة المعالم في ذهنه.

**ولذا وجد** في العلماء والحفاظ المتقدمين من يكون خبيراً بحديث بلدِه،

إذا روى عن غيرهم ضعف. أو يكون ثقةً في الرواية عن شيخ من الشيوخ قد  
خَبَرَه، فإذا روى عن غيره ضعفَ فيه... وهكذا.

كما وُجد فيهم من اشتهر بنسبة إلى كتاب معين؛ لعناته به؛ حفظاً ودراسةً

وتدريساً، كالكافِيحي، والوَحِيزِي، والفصيحي، والمِنْهاجِي، والتَّعْجِيزِي،  
والكُلِّي، والتنبيهي!

بل إن علاء الدين ابن العطار أخص تلاميذ النووي كان يُلقبُ بـ

(مختصر النووي)!<sup>(١)</sup>؛ لكثرة ملازمته له.

**ثالثاً:** اختيار الشرح المناسب لمستوى الطالب.

والمرجع في ذلك هو الشيخ نفسه، فعليه أن يختار من الشروح الأصلح

للطالب، وما يناسب قدراته ومستواه في الفهم؛ فإن لكل طالب قدرةً واستعداداً.

**رابعاً:** وضع برنامج يومي محدد يحافظ عليه الطالب، بحيث لا يقل عن

أربع ساعات؛ وإن زاد فهو أفضل. ويُتَخَيَّر له الأوقات المناسبة التي يكون

فيها متيقناً نسيطاً.

**خامسًا:** الاستعانة بالكتب والأطروحات العلمية المعاصرة في فهم مباحث

وقضايا الفن، لا سيما التي ألفها الباحثون المتمكنون؛ لأنها مفيدة في تَسْقِيقِ

المسائل، وتفصيل القضايا، وتوليد المطالبات الجديدة.

---

(١) نزهة الألباب في الألقاب: لابن حجر (١٦٢/٢).

**سادساً:** عدم تضييع الوقت في الاشتغال بتحليل ألفاظ المؤلف، وتفكيره عباراته، وما مُراده بكَيْت؟! وما مقصوده بذَيْت؟!<sup>(١)</sup> - وهو ما ذَمَّه ابن خلدون في «المقدمة»<sup>(٢)</sup> - إِلَّا لضرورة فهم المسائل المنطقية تحت ألفاظ المؤلف؛ لأنَّ الألفاظ قوالب المعاني، لكنْ ما زاد على ذلك فهو فُضُولٌ.

**على الطالب** أن يعمد إلى الغرض المهم مباشرةً، وهو فهم المسألة وتتصوَّرها، فإذا ما تم له ذلك انتقل إلى التي تليها، وهَلْم جَرَّا؛ فإنَّ الوقت عزيزٌ، وتضييعه شديدٌ.

**سابعاً:** عدم تضييع الوقت في الاشتغال بحفظ القائل في كل مسألة؛ لقلة جدوئ ذلك، وصعوبته، كما أنه سينسى ولو بعد حينٍ!  
بل يقصد إلى حفظ المسألة نفسها، إِلَّا في بعض المسائل التي تستدعي ذلك؛ لعلَّه راجحةٌ، فيحفظُ حينئذ القول والقايل.

**ثامناً:** الإقبال على الفن الذي ترغبه النفس، وعدم قسرها على ما لا تُريد.  
لأنَّ إكراه النفس على ما لا تريده - لا سيما في العلم - من معوقات

(١) قال الدكتور عياض السُّلْمي: «لم يتبعدنا الله بالاجتهاد في فهم معمميات المختصرات، ولا بالاجتهاد في منطق كلام أحدٍ من خلقه ومفهومه، إلا كلام رسوله ﷺ الذي هو حجَّةٌ يجب تأملها والنظر فيها، وفق ما تقرر من قواعد الفهم والاستدلال». أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص/٧) وسيأتي كلامه بطوله.

(٢) في الفصل السادس والثلاثين من الباب السادس (ص/٦٠٩)، وقد بُوَّب للفصل المذكور بقوله: «فصلٌ في أنَّ كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مُخْلِّة بالتعليم»، وقد تقدم نقلُه بطوله.

الفهم والإدراك، كما أن الإنسان لا يمكن أن يتالق ويُبدع في شيءٍ إذا أكّرَه عليه! ولذا قال ابن حزم رحمه الله: «مَنْ مَا لَبَطَعَهُ إِلَى عِلْمٍ مَا وَإِنْ كَانَ أَدْنَى مِنْ غَيْرِهِ، فَلَا يَشْغُلُهَا بِسُوَاهِهِ؛ فَيَكُونُ كَغَارِسِ النَّارِ جِيلٌ بِالْأَنْدَلُسِ، وَكَغَارِسِ الْزَّيْتُونِ بِالْهَنْدِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُنْجِبُ !!»<sup>(١)</sup>.

**وقال ضياء الدين ابن الأثير:** «كثيراً ما رأينا وسمعنا من غرائب الطّباع في تعلُّم العلوم، حتى إنَّ بعض النّاس يكون له نفاذٌ في تعلُّم علمٍ مُشكِّلٍ المُسلِكِ صَعبِ المَأْخِذِ، فإذا كُلِّفَ تعلُّم ما هو دونه من سهلِ العُلُومِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ولم يكن له فيه نفاذٌ !»

**وأغربُ من ذلك** أنَّ صاحبَ الطبع في المنظوم يُجيد في المديح دون الهجاء، أو في الهجاء دون المديح! أو يُجيد في المراثي دون التهاني، أو في التهاني دون المراثي!

وكذلك صاحبُ الطبع في المتشور؛ هذا ابنُ الحريريٍّ صاحبُ «المقامات»؛ قد كان - على ما ظهر عنه من تنميق «المقامات» - واحداً في فنه، فلما حضر بغداد ووقف على مقاماته، قيل: هذا يُستَصالحُ لكتابة الإنشاء في ديوان الخلافة، ويَحسُنُ أثره فيه، فأحضر، وكُلِّفَ كتابةً كتابٍ، فأفحِمَ، ولم يَجِرْ لسانُه في طويلاً ولا قصيرةً !!»<sup>(٢)</sup>.

**تاسعاً:** الإكثارُ من زيارةِ العلماءِ، والقُربُ منهم، ومطارحتُهم المسائلَ

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص / ٢٢).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١ / ٢٧).

المشكلاتِ، والقضايا المعضلاتِ. لا سيّما أثناء دراستك الفنَّ الذي تَخَصَّصَ فيه ذلك العالِمُ وتمَهَّرَ به.

**لأنَّ مجالسة العلماء** تُفْتَقِّدُ الذهنَ، وتَصْلُّ العقلَ، وترسُّخُ القدمَ، وتُكَسِّبُ الخبرةَ، وتعلّم الصبرَ، وتحمّسُ النفسَ، وتشحذُ الهمةَ.

كما أنها مفيدةٌ في تحرير العلم، وتحقيق المسائل، وحسن النظر، وترتيب الحجج، وفهم المراد، وجودة الإirاد. وكل ذلك مفيدٌ في إنجاج الفنون.

**عاشرًا:** تدارُسُ المسائل مع الأقران، والتباحثُ معهم، ومذاكرُتهم العلمَ.

وهذا يأتي في المرتبة الثانية - بعد مجالسة العلماء - في تيسير فهم العلم، وتسهيل نيله. **ولذا قالوا:** يحتاج طالبُ العلم إلى: المدارسة مع أشياخه، ثم المطارحة مع إخوانه، ثم المباحثة - فيما بعد - مع طلابه.

**وكثيرٌ من طلاب العلم** اليوم يعيش وحده في عزلةٍ فكريَّةٍ؛ إما كسلاً عن المذاكرة! وإما حسداً أنْ يُفْيِدَ غيره! وإما تكبراً أنْ يُجَالِسَ أفرانَه! وإما لغير ذلك من الأسباب، وكل ذلك خطأ لا يُسوغُ.

**قال الإمام النووي:** «ول يكن في مذاكراته متَحَرِّياً الإنْصافَ، قاصداً الاستفادةَ أو الإفادةَ، غيرَ مترفِّعٍ على صاحبه بقلبه، ولا بكلامه، ولا بغير ذلك من حاله، مخاطبًا له بالعبارة الجميلة اللينة، فبهذا ينمو علمُه، وتزكيه محفوظاته»<sup>(١)</sup>.

وقد حثَّ العلماء قاطبةً على العناية بالمذاكرة، **فصاح ناصحُهم:**

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٨/١).

مَنْ حَازَ الْعِلْمَ وَذَاكِرَهُ  
صَلُحْتُ دُنْيَاهُ وَآخْرُتُهُ  
فَحِيَاةُ الْعِلْمِ مُذَاكِرَهُ  
فَأَدِمْ لِلْعِلْمِ مُذَاكِرَهُ  
وَقَالَ الْآخْرُ:

إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ  
وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيًّا مَا تَعَلَّمَ  
فَكَمْ جَامِعٌ لِلْكُتُبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ  
يَزِيدُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى!

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: «ذَاكِرُ بِعِلْمِكَ، تَذَكَّرُ مَا عِنْدَكَ، وَتَسْتَفِدُ مَا لَيْسَ  
عِنْدَكَ».<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَزِ: «مَنْ أَكْثَرَ مِذَاكِرَةَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ،  
وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمَ».<sup>(٤)</sup>

وَقَالَ النَّوْوَيُّ: «بِالْمِذَاكِرَةِ يَبْثُثُ الْمَحْفُوظُ، وَيَتَحرَّرُ، وَيَتَأَكَّدُ، وَيَتَقَرَّرُ،  
وَيَزِدَادُ، بِحَسْبِ كُثْرَةِ الْمِذَاكِرَةِ. وَمِذَاكِرَةُ حَادِقٍ فِي الْفَنِّ سَاعَةً أَنْفَعُ مِنَ الْمَطَالِعَةِ  
وَالْحَفْظِ سَاعَاتٍ بَلْ أَيَّامًا!».<sup>(٥)</sup>

(١) فتح المغيث: للسخاوي (٣١٦/٣)، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب: للبيجيري (٤٨/١).

ويُنسب البيتان للحافظ أبي الحجاج المزي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر (٤٣٠/١)، وأدب الدنيا والدين: للماوردي (٥٢/ص).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي: للخطيب (٢/٢٧٣).

(٤) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: للأبناسي (٤١٦/١).

(٥) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤٧/١).

وكان شيخنا العلامة حماد بن محمد الانصاري رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ: «أوصي طلبة العلم بالبحث عن حل المشكلات العلمية، وعن مواصلة الدراسة، والمذاكرة فيما بينهم، والمذاكرة يَنْتَجُ عنها حصيلة علمية نافعة، ويحرص على سؤال أهل التخصص في كل علم، وعلى تحصيل العلم. وتحصيل العلم في وقتنا هذا قليل؛ وذلك بسبب أن طلبة العلم مغرر بهم، فبدلاً من المذاكرة ومواصلة الطلب، يدخلون في أمور لا تنفعهم!»<sup>(١)</sup>.

وقد تقدّمت بعض الأقوال الأخرى عن أهمية المذاكرة، عند حديثنا عن الطريقة المثلث لحفظ الحديث الشريف.

**حادي عشر:** كتابة ما يحرر من المسائل والمطالب فور فهمها وإتقانها؛ وهذا فيه فائدتان:

١ - أن كتابة المسألة لون من ألوان التعلم الدقيق.

ولذا يوصي كبار المعلمين طلابهم بكتابة المسألة إذا لم يفهموها؛ لأنها ستتكشف له أثناء كتابتها! وهذا قد جربته بنفسي فألفيتها صحيحة. وسيأتي مزيد كلام عن هذا في المبحث الثالث.

٢ - أن الفهم سريع الزوال، وهو أشبه شيء يومضة البرق!

إذا لم يسجل الطالب ما فهمه مباشرة ذهب عليه، وربما لا يعود إليه أبداً! لأن الفهم هبة من الوهاب، ورِزْقٌ من الرزاق. قال العلامة محمد بن سالم البيهاني رَحْمَةُ اللَّهِ: «الفكرة والخاطرة إذا لم تقيّد في حينها قد تذهب،

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الانصاري (٥٧١ / ٢).

ويذهب التعبير عنها باللفظ المستحسن لكتابتها وتسجيلها»<sup>(١)</sup>.  
وسيأتي مزيد كلام على هذا.

**ثاني عشر:** نظم المسائل لمن كانت عنده الملكرة، لا سيما ما اشتمل منها على أقسام كثيرة أو أنواع عديدة.  
وهذا مؤشر قوي على دقّة فهم الناظم للمسألة، وعمق استيعابه لها؛ لأنّ الناظم لا يمكن من نظم شيء لم يفهمه!

ومن نظر في كتب الشروح والحواشي والتقريرات - التي زهدتنا فيها مناهج التعليم الحديث، واعتبرتها كتبًا صفراء لا قيمة لها! - وجد أن العلماء قد نظموا مسائل كثيرة؛ من أجل تقريرها وتيسيرها على طلاب العلم.

ولهذا يلذ لي أن أمر على تلك الشروح والحواشي؛ لأنقطع منها أشياء من تيك النفاس والدرر.

**ثالث عشر:** لا بد للطالب من التحضير الجيد للدرس قبل الذهاب إلى الشيخ.

حيث يشتكي كثيرون من طلاب العلم ضعف فهمه واستيعابه للدرس، فيقول: إنني أقرأ على العلماء والأشياخ لكنني لا أضبط العلم ولا أستوعبه كما ينبغي.

وهذه آفة متشرّبة بين طلاب العلم؛ حيث يأخذ الواحد منهم الكتاب من مكتبه، ثم يذهب ليقرأ فيه على الشيخ، فإذا انتهى أرجعه إلى مكانه! فكيف

---

(١) أشعة الأنوار على مرويات الأخبار (ص/٤٩٦).

يُسْتَطِعُ من هذا شأنه أن يَضْبِطَ الْعِلْمَ الَّذِي تَعْلَمَهُ؟! إِنَّ هَذَا لَوْنُ مِنْ أَلْوَانِ  
الْعَبِثِ وَتَضْيِيعِ الْعُمُرِ.

**وعلاجُ هَذَا هُوَ** أَنْ يُحْضُرَ لِلَّدْرُسِ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ لِلقراءةِ عَلَى الشِّيخِ،  
وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى هَذَا العَالِمُ ابْنُ بَدْرَانَ رَحْمَةً لِللهِ، بِقَوْلِهِ: «اعْلَمُ أَنَا اهْتَدَيْنَا - بِفَضْلِهِ  
تَعَالَى - أَثْنَاءَ الْطَّلَبِ إِلَى قَاعِدَةِ، وَهِيَ أَنَا كَنَا نَأْتَى إِلَى الْمُتَنَّ أَوْلًَا، فَنَأْخُذُ مِنْهُ  
جَمْلَةً كَافِيًّا لِلَّدْرُسِ، ثُمَّ نَشْتَغِلُ بِحَلِّ تَلْكَ الْجَمْلَةِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى شِرْحَهَا،  
وَنُزَارُلُهَا حَتَّى نَظَنَّ أَنَّنَا فَهَمْنَاهَا، ثُمَّ نُقْبِلُ عَلَى الشِّرَحِ فَنَطَالِعُهُ الْمَطَالِعَةَ  
الْأُولَى؛ امْتَحَانًا لِفَهْمِنَا، فَإِنْ وَجَدْنَا فِيمَا فَهَمْنَاهُ غَلَطًا صَحَّحْنَاهُ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا عَلَى  
تَفْهِيمِ الشِّرَحِ عَلَى نَمْطِ مَا فَعَلْنَا فِي الْمُتَنَّ، ثُمَّ إِذَا ظَنَّنَا أَنَّنَا فَهَمْنَاهُ، رَاجَعْنَا  
حَاشِيَتَهُ - إِنْ كَانَ لَهُ حَاشِيَةً - مَرَاجِعَةً امْتَحَانًا لِفَكْرَنَا، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَا فَهَمْنَا  
الدُّرْسَ تَرَكْنَا الْكِتَابَ وَاشْتَغَلْنَا بِتَصْوِيرِ مَسَائِلِهِ فِي ذَهْنَنَا، فَحَفَظْنَاهُ حِفْظًا فَهِمٍ  
وَتَصْوِيرٍ، لَا حِفْظًا تَرَاكِيبَ وَالْفَاظِ.

ثُمَّ نَجْتَهَدُ عَلَى أَدَاءِ معنَاه بِعَبَارَاتٍ مِنْ عَنِّدِنَا، غَيْرَ مُلْتَزِمِينَ تَرَاكِيبَ الْمُؤْلِفِ،  
ثُمَّ نَذْهَبُ إِلَى الأَسْتَاذِ لِلقراءةِ، وَهَنَالِكَ نَمْتَحِنُ فَكَرَنَا فِي حَلِّ الدُّرْسِ، وَنَقُوْمُ مَا  
عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ مِنْ اعْوَاجٍ، وَنَوْفَرُ الْهَمَةَ عَلَى مَا يُورِدُهُ الأَسْتَاذُ مَا هُوَ زَائِدٌ  
عَلَى الْمُتَنَّ وَالشِّرَحِ.

وَكَنَا نَرَى أَنَّ مَنْ قَرَأَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ فَنٌ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَهُلٌ عَلَيْهِ  
جَمِيعُ كَتِبِ هَذَا الْفَنِّ؛ مَخْتَصِرَاتِهَا وَمَطْوَلَاتِهَا، وَثَبَّتْ قَوَاعِدُهُ فِي ذَهْنِهِ، وَكَانَ  
الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص/٤٨٩).

**وقال ابنُ سيدِ النَّاسِ عَنْ شِيخِهِ رَكْنِ الدِّينِ ابْنِ الْقَوْيَعِ:** «كُنْتُ أَنَا وَشَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الْأَكْفَانِ نَأْخُذُ عَلَيْهِ فِي الْمَبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ، فَأَبِيَتُ لِي لِيَلْتِي أَفْكَرُ فِي الدُّرْسِ الَّذِي نُصْبِحُ نَأْخُذُهُ عَلَيْهِ، وَأَجْهَدُ قَرِيْحَتِي، وَأَعْمَلُ تَعْقِلِي وَفَهْمِي، إِلَى أَنْ يَظْهُرَ لِي شَيْءٌ أَجْزَمُ بِأَنَّ الْمَرَادَ بِهِ هَذَا، فَإِذَا تَكَلَّمَ الشَّيْخُ رَكْنُ الدِّينِ، كُنْتُ أَنَا فِي وَادٍ فِي بَارِحَتِي، وَهُوَ فِي وَادٍ!»<sup>(١)</sup>.

وقد كانت هذه أيضًا طريقة تلامذة الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ، كما ذكر ذلك تلميذه الشيخ عبد الله بن عقيل رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

**رابع عشر:** أَنْ لَا يُخْلِطَ دِرَاسَةَ فَنِّينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ.  
لأنَّ هَذَا قَدْ يُشَتَّتُ الْذَّهَنَ؛ فَيَضُعُفُ حِينَئِذٍ الْفَهْمُ، لَا سِيمَا لِمَنْ كَانَ مَتَوَسِّطَ الذَّكَاءِ وَالْإِدْرَاكِ.

ولقد مثلَ الْعُلَمَاءُ لِمَنْ رَامَ دِرَاسَةَ فَنِّينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بِوْلَادَةِ التَّوَأْمِينِ!  
إِذْ لَا سَبِيلٌ إِلَى خَرْوَجَهُمَا مَعًا فِي آنٍ وَاحِدٍ، بَلْ لَا بدَّ أَنْ يَسْبِقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ،  
**وَقَدْ عَقَدَ ذَلِكَ النَّاظُمُ بِقُولِهِ:**

(١) الواقي بالوفيات (١٨٨/١)، وأعيان العصر وأعوان النصر: للصدفي (١٥٢/٥).

(٢) انظر مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - دار الميمان، ط ٢ - (١٣٩/١).

**تنوير:** من الأمور المهمة أن لا ينشغل الطالب أثناء شرح الشيخ بمسارقة النظر إلى كتابه؛ ليطابق ما فيه مع ما يقوله الشيخ، فيتشتت ذهنه، ويتبذل فهمه، فلا هو استوعب كلام الشيخ، ولا هو فهم عبارات الكتاب، فضلاً عن مطابقتهم! و﴿مَاجَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

وَإِنْ تُرِدْ تَحْصِيلَ فَنِّ تَمَّمَهُ  
وَعَنْ سِوَاهُ قَبْلَ الْأَنْتَهَاءِ مَهْ  
وَفِي تِرَادُفِ الْفَنُونِ الْمَنْعُ جَاهٌ  
إِذْ تَوَآمَانِ اجْتَمَعَالَنِ يَخْرُجَاهٌ<sup>(١)</sup>

وقال الإمام الشافعيٌ لمؤدب ولد الخليفة هارون الرشيد: «ولا تُخْرِجُهُمْ  
من علمٍ إلى غيره حتى يُحْكِمُوهُ؛ فإنَّ ازدحامَ الكلامِ في السمعِ مَضِلَّةٌ  
للفهمِ!»<sup>(٢)</sup>.

فإنْ غُلِبَ الطَّالِبُ عَلَى هَذِهِ - بِسَبَبِ أَنَّ مُعْظَمَ الْمَدَارِسِ وَالجَامِعَاتِ الْيَوْمِ  
تُدْرِسُ أَكْثَرَ مِنْ فَنٍّ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ؛ حِيثُ يَدْرُسُ الطَّالِبُ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةَ فَنَوْنِ  
فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ - فَالطَّرِيقَةُ الصَّحِيحَةُ - وَالحَالَةُ هَذِهِ - أَنْ يُرِكَّ الطَّالِبُ عَلَى  
فَنٍّ أَوْ فَيْنِ، يَسْتَرِغُ فِيهَا جُهْدَهُ، وَيَجْعَلُ الْبَاقِي تَبَعًا لَهَا.

**خامس عشر:** العنايةُ التامةُ بالقراءةِ، ثُمَّ القراءةُ، ثُمَّ القراءةُ. لا سِيمَا للطلبةِ  
المتقدِّمينِ في مراحلِ الطلبِ<sup>(٣)</sup>.

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا: للطيب بن عمر بن الحسين (ص/١٠٤).

وفي بعض المراجع: «إذْ تَوَآمَانِ اسْتَبَقَا لَنِ يَخْرُجَاهُ»، وهو الألائقُ.

(٢) صفة الصفوة: لابن الجوزي (٢/٢٥٦).

(٣) قال العلامة ابن الطيب الناسي: «الْأُولَى لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالاَصْطِلَاحِ، وَالْقَدْرَةُ عَلَى  
فَهْمِ مَا فِي الْكِتَبِ، أَنْ يَنْقَطِعَ فِي نَفْسِهِ، وَيُلَازِمَ النَّفَرَ». إضاءة الراموس (٢/٢٨٦).

**تبنيه:** ما نقدم إنما هو في حق المتقدِّمينِ في الطلبِ والتحصيلِ، أما المتوسِطون والمبتدئون  
فلا ينبغي أن يشتغلوا كثيراً بمطالعة الكتب - ولا سيما المطولةات - إلا بعد التأصيل العلميِّ  
الجيِّد، بل عليهم أن يشتغلوا بالحفظ والتكرار أكثر من أي شيء آخر، لأنهم قد يجدون في  
القراءة راحةً من مَوْءُونَةِ الحفظِ والتأصيلِ، وهذا من تلبيس إبليس!  
فمن لم يصبر، فليجعل أوقات النشاط لـالحفظِ والدرسِ، والقراءةَ فيما سوى ذلك.

لأنها الطريق الأمثل لتنمية الفهم، وصقل الذهن، وشحذ العقل، وتحصيل العلم، وتوسيع المدارك، واكتساب الخبرات، وإثراء الفكر؛ لأنَّ ثراء الأفكار يقوم على شيئين: عُمق المعرفة، وسعة الاطلاع.

إن القراءة هي حياة طالب العلم، وطالب العلم بلا قراءة ليس بشيء! ولذا يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: «من لذات العلم أن تقرأ قائمًا، فقاعدًا، فمستلقىًا، فمنكباً»<sup>(١)</sup>.

وكان العلامة محمود شاكر يقول - كما حكى عنه ابنه فهر -: إنَّ وظيفتي الأولى والأخيرة أن أقرأ!

وإنَّ من الملاحظ على كثير من طلاب العلم اليوم أنهم يكتفون بقراءة المختصرات على الأشياخ، دون أن يجعلوا قدرًا من الوقت لمطالعة الكتب؛ سواءً في الفن نفسه الذي يقرأ فيه على الشيخ، أو في غيره! وهذا خطأ.

فلو أنَّ طالب علم قرأ متناً مختصراً في الفقه أو في التفسير مثلًا على شيخٍ واكتفى بذلك، فإنَّ تحصيله سيكون ناقصاً ولا شكّ، بل ينبغي له بعد ذلك أن يستغل بمطالعة المتوسطات والمطولات في تلك العلوم... وغيرها.

لذا، فاجعل نصب عينيك - أيها الطالب - دائمًا أصحابَ الهمم العالية في القراءة، وهم كثيرون؛ وقد تقدم ذكر بعضهم. لكنني أكتفي هنا بذكر نموذجين فقط: قديمٍ، ومعاصرٍ.

(١) تباریخ التباریخ (ص/١٥).

**فهذا الإمامُ ابنُ الجوزيِّ رَحْمَةُ اللهِ** - وهو من المتقدّمين (ت ٥٩٧ هـ) - يقول عن نفسه: «وإني أُخْبِرُ عن حالي: ما أشبعُ من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتاباً لم أره، فكأنّي وقعتُ على كنزٍ! ولقد نظرتُ في ثبٍت<sup>(١)</sup> الكتب الموقوفة في المدرسة النّظاميّة<sup>(٢)</sup>؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبٍتٍ كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب - وكانت أحمالاً - وغير ذلك من كُلّ كتابٍ أقدرُ عليه، ولو قلتُ: إني طالعتُ عشرين ألفَ مجلدٍ، كان أكثرُ !! وأنا بعدُ في الطلب!

فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همّهم، وحفظهم، وعبادتهم، وغرايِّ علمِهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزري ما الناسُ فيه، وأحتقرُ همَّ الطلاب! والله الحمد»<sup>(٣)</sup>.

فتأمّل هذه القراءاتِ الموسوعيَّة لدِي هذا العالِم العَلَم، كيف قرأَ هذا العدد الهائل من الكتب وهو بعدُ ما زال طالباً!!

**وهذا الشِّيخُ أبو ترابِ الظاهريِّ رَحْمَةُ اللهِ** - وهو من المعاصرين (ت ١٤٢٣ هـ) - ذُكرَ في ترجمته أنه قال: «مجموعُ الكتب التي طالعتُ، أو درستُ، نحو ثمانية آلاف كتابٍ، من مختلف العلوم!!».

(١) الثَّبٍت: هو الفِهرس، وجَمِعُه: أثبات.

(٢) المدرسةُ النّظاميَّة: نسبةً إلى الوزيرِ نظامُ المُلْك لأنَّه الذي بناها، افتُتحتُ في عام (٤٥٩ هـ)، وتولَّ التَّدْرِيسَ فيها نخبةً من كبارِ العلماء، منهم: أبو إسحاق الشِّيرازِي، والغَزَّالِي، والشَّاشِي الفَقَال، وغيرِهم. انظر: المستظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي (٩١/١٦).

(٣) صيدُ الخطاطر (ص/٤٥٤).

**وَحْسِبُكَ أَنْ تَعْلَمَ** أَنَّهُ قرأً في اللغة فقط - على أبيه، أو مطالعةً :- كتاب «فقه اللغة» للشعالبي، و«الصّاحح» للجوهري، و«السان العرب» لابن منظور، قرأه ثلثاً مرّاتٍ ! وعلق عليه، و«تهذيب اللغة» للأزهري، و«تاج العروس» للزبيدي، و«العين» للخليل، و«الجمهرة» لابن دريد، و«مجمل اللغة» لابن فارس، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، و«الفائق» للزمخشري، و«مقاييس اللغة» لابن فارس، و«أساس البلاغة» للزمخشري !!! ثم عكف على الحفظ، فحفظ أربعين ألف مادةٍ من «القاموس المحيط» !! وعشرة آلاف بيتٍ، سوى القصائد الشهيرة !! كما حفظ خمسين ألف حديث نبويًّا !! .<sup>(١)</sup>

**ولذا** تجدُ العلماء يُتنونَ على الشخص بسعة الاطلاع، ويذمُونه بقلة الاطلاع<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: أبو تراب الظاهري، صفحاتٌ من حياته وتأملاً في أدبه: لعبد الكريم بن عبد الله العبد الكريم (ص/٣٦ و٤٠ و١٢٣) ط مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٢) من الأمثلة على ذلك:

- **قول ابن حزم** في «الإحکام في أصول الأحكام» - طبعة دار الحديث - (٤/٥٦٥): «وهذا مالك يقول في «موطئه»: «إذ ذكر وجوب رد اليمين على المدعى إذا نكل المدعى عليه. ثم قال: (هذا ما لا خلاف فيه عن أحدٍ من الناس، ولا في بلده من البلدان)، قال أبو محمد: وهذه عظيمةً جداً، وإن القائلين بالمنع من رد اليمين، أكثرُ من القائلين بردّها!».

- **وقال الزبيدي** في تاج العروس من جواهر القاموس (٣/٣٢٠): «والتعاجيب: العجائب، لا واحد لها من لفظها. وفي «الناموس»: (الأظهر أنها الأعاجيب). وهذا يدل على قلة اطلاعه على النقل، وقد أسبقنا في المطابق ما يفضي إلى العجائب، وقد نبه على ذلك شيئاً في «حاشيته» وكفانا مؤونة الرد عليه، عفا الله عنهما».

وسوف أذكرُ في المبحث التالي بعض القواعد المهمّة للقراءة المثمرة المفيدة.



**- قال المباركفوري** في تحفة الأحوذى (١/٢٤٩): «وأما قول صاحب «بذل المجهود»: (قال به جماعة من كبراء الصحابة منهم عليٌّ وابن مسعود وابن عمر وابن عباس رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فتبين أن الحديث ورد مورداً الشهرة والاستفاضة؛ حيث عمل به الصحابة وتلقوه بالقبول ومثله مما ينسخ به الكتاب)، فمبني على قلة اطلاعه؛ فإنه لم يثبت بسند صحيح عن أحدٍ من الصحابة التوضيـ بالنبيـ». =

**- قال أيضاً** في (٤/٢٦٨): **«تبنيه:** قال صاحب «العرف الشذى» ما لفظه: (لي يحث في أن ابن عباس جاء إلى المدينة مع أبيه في السنة التاسعة وأنها عَتَقَتْ قبلها وكانت تخدم عائشة؛ فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ سألهما عن شأن عائشة في قصة الإفك)، قلت: قد وقع في هذه الشبهة من قلة اطلاعه....» إلخ كلامه.

**- قال صديق حسن خان** في أبجد العلوم (ص/٧١١) عن شيخه صدر الدين خان بهادر: «ولي الصدارـ بدـهـليـ منـ جـهـةـ الـبـرـطـانـيـ - حـكـامـ الـهـنـدـ الـيـوـمـ - فـاستـمـرـ عـلـيـهـ إـلـىـ الـفـتـنـةـ، وأـخـذـ الـحـدـيـثـ عـنـ الشـيـخـ الـمـهـاـجـرـ، وـلـهـ رسـالـةـ: «مـتـهـيـ المـقـالـ فيـ شـدـ الرـحالـ» قالـ فيـ «الـيـانـعـ الـجـنـيـ»: قد تـأـتـقـ فيـهاـ سـلـمـهـ اللهـ تـعـالـيـ. اـنـتـهـيـ. أيـ: أـتـىـ بـتـحـقـيقـاتـ رـائـقـةـ.

**قلـتـ:** هذا غـلطـ بـحـثـ، بل زـلـ فيـهاـ زـلـهـ عـظـيمـ تـنـيـعـ عنـ قـلـةـ اـطـلاـعـهـ عـلـىـ أـدـلـةـ الـمـسـأـلـةـ وـمـأـجـرـاتـهـ، وقد ردـ عـلـيـهـ فيـهاـ بـعـضـ عـلـمـاءـ الـهـنـدـ، وـيـغـنـيـ عـنـ ذـلـكـ كـلـهـ كـتـابـ «الـصـارـمـ المنـكـيـ» فيـ هـذـاـ الـبـابـ». =

**- قال مجدد البيان العربي مصطفى الرافعي** في كتابه الماتع «تحت راية القرآن» (ص/٩٤) عن الدكتور/ طه حسين: «ولتعلم إن كنت لـمـا تـعـلـمـ، أنـ الرـجـلـ مـفـسـدـ لـاـ مـصـلـحـ، وـمـلـقـ لـاـ مـحـقـقـ، وـأـنـ مـأـتـيـ ذـلـكـ فـيـهـ مـنـ ضـعـفـ اـطـلاـعـهـ عـلـىـ مـادـةـ التـارـيـخـ الـأـدـبـيـ، فـهـوـ يـتوـسـعـ بـالـشـرـثـةـ، وـمـنـ نـقـصـ خـيـالـهـ فـهـوـ يـتـرـدـدـ بـالـشـكـ، وـمـنـ انـحـاطـاطـ قـوـتـهـ الـبـيـانـيـةـ فـهـوـ يـتـمـاسـكـ بـمـحـاـلـ الـجـدـلـ!». =

إِلَىٰ غَيْرِهِ مَا بِي إِلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ  
دُنْوًا بِلَا بُعْدٍ، وَوَصْلًا بِلَا هَجْرٍ  
وَإِنْ اضْطَحَّ عَلَيْهِ مُسْتَلْقِيًّا صَدْرِي!

ربيع الأبرار (٤٥/٤)

حَبِيبِي مِنَ الدُّنْيَا الْكِتَابُ فَلَيْسَ لِي  
كَلَانَا لِضيقِ الرُّوحِ بِالرُّوحِ مَانِحٌ  
فَكُرْسِيُّهُ حِجْرِيٌّ إِذَا كُنْتُ قَاعِدًا

المبحث الرابع  
أصول في  
المطالعة المفيدة

## المبحث الثالث

### أُصولُ في المطالعة المفيدة

مطالعة الكتب وقراءتها أحد الطرق المهمة لتحصيل العلم، لا سيما للمتقدّمين في الطلب.

وبكثرة اطّلاع الشخص وتنوع معارفه، تقوى مداركه، وتتنوع خبراته، كما مرّ معنا في آخر المبحث السابق.

**قال ابن الأزرق:** «تَكْثِيرُ التَّوَالِيفِ لِمَرِيدِهَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لَا يُقَالُ فِيهِ: إِنَّهُ عَاقُّ عَنِ التَّحْصِيلِ! بَلْ هُوَ كَفِيلٌ بِكَمَالِهِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «الاستكثارُ مِنَ الْكِتَبِ مِنْ دُعَائِمِ الْعِلْمِ؛ إِذْ لَا يَخْلُو كِتَابٌ مِنْ فَائِدَةٍ وَزِيَادَةٍ عَلَيْهِ» وَقَدْ كَشَفَ الْخَلِيلُ عَنْ فَائِدَةِ جَمِيعِهَا وَغَيْرِهِ فَقَالَ: «أَقْلِلُوا مِنَ الْكِتَبِ لِتَحْفَظُوهَا، وَأَكْثِرُوا مِنْهَا لِتَعْلَمُوهَا»<sup>(١)</sup>.

وقد مرّ معنا قريراً **قول ابن الجوزي:** «لو قلتُ: إِنِّي طَالَعْتُ عَشْرِينَ أَلْفَ مَجَلِّدٍ، كَانَ أَكْثَرَ، وَأَنَا بَعْدُ فِي الْطَّلبِ»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الشیخ العلامہ محمد البشیر الإبراهیمی** (ت ١٩٦٥ م) بعد أن عَدَ الكَسَلَ عن المطالعة إحدى النعائص في حياتنا العلمية الحاضرة!: «الحق

(١) بدائع السلک في طبائع الملك (٣٥٤ / ٢).

وكلام ابن حزم في رسالة مراتب العلوم - رسائل ابن حزم - (٤ / ٧٧)، وسيأتي بتمامه.

(٢) صيد الخاطر (ص / ٤٥٤).

أقولُ: إنَّ شبابَنا المتعلمَ كسولٌ عن المطالعةِ، والمطالعةُ نصفُ العلمِ أو ثُلثاهِ.  
فأوصيكم يا شبابَ الخير بإدامِ المطالعةِ والإكْبَابِ عليها، ولتُنْكِنْ  
مطالعتُكم بانتظامٍ؛ حرصًا على الوقتِ أن يَضيعَ في غير طائلٍ. وإذا كنتُمْ  
تريدونَ الكمالَ فهذه إحدى سُبُلِ الكمال»<sup>(١)</sup>.

**وقال الشيخُ محبُ الدين الخطيب** (ت ١٣٨٩ هـ): «الطالبُ الذي يُشغَّفُ  
بالمطالعةِ والاطلاعِ يجني عسلَ العلمِ من كُلِّ زهرةٍ يقعُ عليها»<sup>(٢)</sup>.  
وهذه بعضُ الأصولِ والقواعدِ المهمَّةُ في القراءةِ؛ مما لها تعلقُ ببرنامجِ  
(التأصيلِ العلمي) الذي نتحدَّثُ عنه<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّ كثيراً من طلَّابِ العلمِ اليوم لا  
يعرفُ ماذا يقرأ؟ ولا كيف يقرأ؟ ولا كيف يستفيدُ مما يقرأ؟!  
والسببُ يرجعُ - في ظنيِّ - إلى عدمِ تعليمِ الأساتيذِ طلَّابَهم قواعدِ  
ومهاراتِ القراءةِ.

**قال الشيخُ محمدُ البشيرُ الإبراهيميُّ:** «شبابُنا في حاجةٍ إلى قراءةِ القديمِ  
النافعِ، والجديدِ الع amer، وفي حاجةٍ إلى الإرشادِ الخالصِ إليهما. ومن حقِّهم  
 علينا أن نُرشدَهم إلى تنظيمِ القراءةِ، وأن نُبيّنَ لهم ما يُقرأُ وما لا يُقرأُ؛ لأنَّ

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (١٥٤/١).

(٢) آخر لقاء مع هؤلاء: لمحمد خير رمضان يوسف (ص/٣٠).

(٣) عالجتُ موضوعَ القراءةِ أيضًا بالتفصيلِ في:

كتاب: «القواعدُ المنهجيةُ للقراءةِ التأصيلية».

وكتاب: «القراءةُ المُبَرَّجَةُ: تَهْيَةُ وَتَطْبِيقُ».

وكتاب: «المَراشِدُ السَّدِيدَةُ لِلقراءةِ المفيدة».

أوقاتهم محدودة، ولأنّ دراهمهم معدودة!»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

**وإليك بعض تلك القواعد والمهارات، من غير مراعاة ترتيب معين في سُوقها:**

\* - **اجعل القراءة هي الأصل في حياتك.**

معنی أنْ تجعل وقتَك كله للقراءة، وما سوى ذلك يكون تبعاً! وقد تقدمَ علينا قریباً قول أبي عبد الرحمن بن عقيل: «من لذات العلم أن تقرأ قائماً، فقاعدًا، فمستلقياً، فمنكباً!»<sup>(٢)</sup>.

فاجعل يا صاحب الكتاب أنيسَكَ وسميرَكَ، واصطحبه معك في حلّك وترحالّك، وحضرك وسفرك، وصحتك ومرضك، وحال الأكل والشرب، والقيام والقعود، والركوب والمشي، وعند فراشِ النوم، فمن وفى بهذا فهو الذي يصدق عليه اسم (القارئ) حقيقة، وإلا فلا تغدو!

**ذكر يحيى بن يحيى الليثي** - راوي الموطأ - حديثاً يرويه عن يحيى بن أبي كثير، قال: «لا يستطيع العلم براحة الجسم». قال: وإن رجلاً ممن بلغه هذا الحديث من طلبة العلم (يعني نفسه) ذكره وهو على بطن امرأته، قبل أن

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣٩٧/٢).

كما ذكر رحمة الله تجربته الثرية مع القراءة، وإرشاد عمّه له في اختيار ما يقرأ، في مقال رأى نُشر في صحيفة (الأهرام) المصرية، فراجعه مع التعليق عليه في خاتمة كتابي «المراشد السديدة للقراءة المفيدة».

(٢) تاریخ التاریخ (ص/١٥).

يُفضِّلُ إِلَيْهَا، فَأَخْذَ دَفْتِرًا مِنَ الْعِلْمِ يَنْظُرُ فِيهِ!!<sup>(١)</sup>.

**وقال الحافظ:** «سمعتَ الحسنَ اللؤلؤيَّ يقول: غيرتُ<sup>(٢)</sup> أربعينَ عاماً ما

قِلْتُ وَلَا بُتْ وَلَا اتَّكَأْتُ إِلَّا وَالْكِتَابُ مَوْضِعٌ عَلَيْهِ صَدْرِي! <sup>(٣)</sup>

**وكان الفتح بن خاقان** يحمل الكتاب في كُمّه أو خفّه، فإذا قام من بين يديِ المتوكل ليبول أو ليصلّي، أخرج الكتاب فنظرَ فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذي يريدُ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه!<sup>(٤)</sup>.

**وقال أبو هلال العسكري:** «حُكى عن ثعلب أنه كان لا يفارقه كتابٌ

يَدْرُسُهُ، فَإِذَا دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى دُعْوَةٍ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوْسِعَ لِهِ مَقْدَارَ مِسْوَرَةٍ<sup>(٥)</sup>،

يَضُعُ فِيهَا كِتَابًا وَيَقْرَأُ!

وكان أبو بكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق،

وكان ربما سقط في جُرْفٍ، أو خَبَطْتُه دابةً!

.... وكان بعضهم يقول: متى تبلغ من العلم مبلغاً يرضي، وأنت تؤثر

النوم على الدرس، والأكل على القراءة؟!» (٦).

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك: للقاضي عياض (٣٨٦).

(٢) أي: مَكْتُثٌ. قال في العين (٤/٤١٣): «غَبَرَ الرَّجُلَ يَغْبُرُ غُبُورًا أَيْ مَكْتَثًا».

(٣) الحيوان (١/٥٢ - ٥٣). وعنـه اللطائف والظـرائف: للـتعالـبـي (ص/٦٦).

(٤) انظر: الفهرست: لابن النديم (ص/١٤٨)، وتقيد العلم: للخطيب (ص/١٣٩)، وتاريخ دمشق: لابن عساك (٤٨/٢٢٣).

(٥) المسورة: مُتَّكِأً من أَدْمٍ، وَجَمِيعُهَا الْمَسَاوِرُ. تهذيب اللغة: للأزهرى (٣٥ / ١٣).

(٦) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (ص / ٧٧).

**وقال ابن عقيل الحنبلî عن نفسه:** «أنا أقصّر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبزة؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المَضْغُ! توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه»<sup>(١)</sup>.

**وقال الشاعلبي:** «كثيراً ما أذكرني أكل الوجبة وأنا أنظر في كتاب جديد وقع إليّ، ولا أصبر عنه إلى وقت فراغي من الأكل! وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول: كثيراً ما أفعل مثل ذلك!»<sup>(٢)</sup>.

**وكان أحمد بن عبد الله المهدى القىروانى آية** في الدراسة والمطالعة، لا يكاد يسقط الكتاب من يده، حتى عند طعامه!<sup>(٣)</sup>.

**وكانت لمحمد بن سحنون التنوخي سرية** (جارية) يُقال لها: أم قدام. فكان عندها يوماً، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته، فقال لها: أنا مشغول الساعة. فلما طال عليها، جعلت تلقمه الطعام، حتى أتت عليه. وتمادي هو على ما هو فيه إلى أن أذن لصلاة الصبح! فقال: شغلنا عنك الليلة يا أم قدام، هات ما عندك! فقالت: قد والله يا سيدي ألمته لك، فقال لها: ما شعرت بذلك!!<sup>(٤)</sup>.

**وقال ابن القييم:** «حدّثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيه قال: كان الجدد (يعني مجد الدين) إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع!

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٢٥).

(٢) الطائف والظراف (ص/٦٦).

(٣) انظر: ترتيب المدارك (٦/٢٧٣).

(٤) المصدر نفسه (٤/٢١٥).

وأعرفُ مَنْ أصابه مرضٌ من صداعٍ وحُمّى وَكان الكتابُ عند رأسِه، فإذا وَجَدَ إِفَاقَةً قرآً فيه، فإذا غَلَبَ وَضَعَهُ! فدخل عليه الطبيبُ يوماً وهو كذلك، فقال: إِنَّ هذَا لَا يَحِلُّ لَكُ؛ فإنك تُعِينُ عَلَى نفْسِكَ، وتكونُ سبباً لفَوَاتِ مطلوبِك.

وحدثني شيخُنا (تقيُ الدين ابنُ تيمية) قال: ابْتَدَأَنِي مِرْضٌ، فقال لي الطبيبُ: إِنَّ مطالعتَكَ وكلامَكَ فِي الْعِلْمِ يَزِيدُ الْمَرْضَ، فقلتُ لَهُ: لَا أَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَا أَحَاكِمُكَ إِلَيْ عِلْمِكَ، أَلِيَسْ النَّفْسُ إِذَا فَرِحْتُ وَسُرْتُ قَوِيْتُ الطَّبِيعَةَ فَدَفَعْتُ الْمَرْضَ؟ فَقَالَ: بَلِيٌّ، فَقَلَتْ لَهُ: إِنَّ نَفْسِي تُسْرُّ بِالْعِلْمِ، فَتَقَوَّى بِالْطَّبِيعَةِ فَأَجَدُ راحَةً! فَقَالَ: هَذَا خارِجٌ عَنِ عِلاجِنَا، أَوْ كَمَا قَالَ<sup>(١)</sup>.

**وجاء في ترجمة** أحمد بن سليمان بن نصر الله بن إبراهيم الشهاب البُلقارسيي (ت ٨٥٢هـ) أنه كان محباً للعلم والمذاكرة والمحااثة، غير مُنفكٌ عن التَّحْصِيلِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يُطَالِعُ فِي مَشْيِهِ! وَيُقْرِئُ الْقُرَاءَاتِ فِي حَالِ أَكْلِهِ؛ خَوْفًا مِنْ ضَيَاعِ وَقِتِهِ فِي غَيْرِهِ!<sup>(٢)</sup>

وأَخْبَارُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، لَكِنْ حَسْبُكَ هَذِهِ الْلَّمْحَةُ.

\*\*\*

\* - إذا قرأتَ كتاباً فاقرأهُ قراءةً مُؤَدِّعَ!

**بِمَعْنَى:** أَنْ تَقْدِرَ فِي ذَهْنِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ أَنْكَ لَنْ تَعُودَ إِلَى هَذَا الْكِتَابَ مَرَّةً

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص / ٧٠).

(٢) انظر الضوء الالامع: للسخاوي (١/ ٣١١).

آخرٍ؛ فإنك حينئذ سوف تُستوعبُه استيعاباً تاماً إن شاء الله. وقد كانت هذه طريقة العلامة الشيخ محمد بن عثمان الحنبلي، المشهور بخطيب دُوما<sup>(١)</sup> (ت ١٣٠٨ هـ)، فقد كان رحمة الله يقول لطلابه: «لا ينبغي لمن يقرأ كتاباً أن يتصور أنه يريد قراءته مرتين ثانيةً، لأن هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتاب، بل يتصور أنه لا يعود إليه مرة ثانيةً أبداً»<sup>(٢)</sup>.



### \* - ابدأ بالآهن فالمهم فيما تقرأ.

وهذا يختلف من شخص إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، ومن بلد إلى آخر. فلا يبدأ الطالب بالكتب الفكريّة، وهو لم يتسبّع بعد من كتب العقيدة! ولا بمسائل البيوع، وهو ليس من يضارب في الأسواق! ولا بمسائل الطلاق، وهو لم يتزوج بعد! وإنما يقدّم الشيء الذي يحتاجه من الأبواب والمسائل أولاً، لا سيّما ما يتكرّر كثيراً، كمسائل التوحيد والطهارة والصلوة.. إلخ.

**قال القاطيعي:** «دخلت على أبي عبد الله (أحمد بن حنبل) فقلت: أتوّضأ بماء النور؟ فقال: ما أحب ذلك! قلت: أتوّضأ بماء الباقي؟ قال: ما أحب ذلك! قلت: أتوّضأ بماء الورد؟ قال: ما أحب ذلك! قال: فقمت، فتعلّق بشوبي، ثم قال: إيش<sup>(٣)</sup> تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت! فقال: وإيش

(١) مدينة دُوما هي أهم مدن محافظة ريف دمشق في سوريا ومركزها الإداري، وهي أكبر مدن غوطة دمشق، تبعد عن دمشق حوالي (٩) كيلو مترات.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لابن بدران (ص/٤٨٨).

(٣) فائدة: إيش: كلمة منحوتة من قولهم: (أي شيء).

تقول إذا خرجم من المسجد؟ فسكت! فقال: اذهب فتعلمْ هذا»<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن قتيبة:** «قد يكون الرجل متبعاً في الأدب، قد سمع فيه، وأخذ بالحظ الأولي منه، إلا أنه أغفل شيئاً من الجليل كان أولى به من بعض ما حفظ، فلحقته فيه النقصة، وترجع عليه منه الهجنة<sup>(٢)</sup>، كطالب عوامِيِّ الفقه، وقد أغفل أبواب الصلوات والفرائض! وكطالب طرق الحديث، وقد أغفل متونها ومعانيها! وكطالب علَّ النحو وتصاريفه، وهو يلحن في رُقعةٍ إِنْ كتبها، أو بيت شعرٍ يُشيدُه!<sup>(٣)</sup>».

وكذلك الحال بالنسبة للعلوم والبلاد، فتجد من يبدأ بالبلاغة مثلاً، وبالإِدَعَة تُعْجِب بالشُّرکَيات والبداع! أو من يبدأ بعلم الفرائض ويحفظ فيه (الرَّحِيمَة)، وهو لم يحفظ بعد منظومةً في أصول الفقه، أو مصطلح الحديث! وهذا من تقديم المفضول على الفاضل؛ وسببه عدم فقه الأولويات.

\*\*\*

**قال ابن درستويه** في تصحيح الفصيح وشرحه (ص/٣٦): «قد تأهَّجَ العربُ الفُصَحَاءُ بالكلمة الشاذة عن القياس، البعيدة من الصواب، حتى لا يتكلَّموا بغيرها، ويَدُعوا المُنْقاَسَ المطَرِّدَ المختارَ، ثم لا يَجِبُ لذلك أن يُقال: هذا أَفْصَحُ من المتروك.

ومن ذلك قول عامة العرب: أَيُّش صنعت؟ يريدون: أي شيء صنعت؟ وقولهم: لا بَسَانِيكَ، يعني: لا أبا لشانيك. وقولهم: لا تُبَلْ، أي لا تُبَال يا هذا».

**وانظر**: فقه اللغة: للتعالي (ص/٢٥٠)، وأسرار العربية: للأبناري (ص/١٧٦)، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها: للسيوطى (١٦٥/١).

(١) طبقات الحنابلة: لابن أبي يعلى (٤١/١).

(٢) **الهُجْنَةُ**: القبح والعيب. انظر: الصحاح: للجوهري (٧/٦٧)، والمحيط في اللغة: للصاحب بن عباد (٣/٣٨٠).

(٣) المعارف (ص/٣).

## \* - كتاب العِلْمِ الأَعْظَمُ، وَقَامِوسُهُ الْأَفْحَمُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

لذا؛ فهو أجدُرُ كِتابٍ يُوصَى بقراءته، ودوام تلاوته؛ وإدمان النظر فيه؛ وهو خطابُ الله المُعِجزُ لجميع النَّقَلَيْنَ.

**قال السيوطي:** «متهي العلوم في القرآن؛ عجز عنـه التقلان، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٨] <sup>(١)</sup>.

**وَلَهُ دُرُّ الْقَائِلِ:**

**جَمِيعُ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ لَكُنْ تَقَاصِرُ عَنْهُ أَفْهَامُ الرِّجَالِ** <sup>(٢)</sup>

(١) مشتهي العقول في متهي النقول (مخطوط) (ل/٤).

(٢) يُنسبُ البيتُ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما. انظر: الكافي شرح البزودي: للسعناني (٢٠٢/١)، وفصول البدائع في أصول الشرائع: للفناري (٩٠/١)، ومرفاة المفاتيح: لعلي قاري (٣٩٧٢/٩). إضافة: مما يستأسُ به في ثبيت المعنى المذكور في البيت ما يلي:

\* سُئل بعض الحكماء من بعض العلماء عما في كتاب الله تعالى من علم الطب؟ فقال: كُلُّهُ في نصف آية، هي قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا وَلَا شَرُورُوا ﴾ [الأعراف: ٣١]، فقال: صدقت، وبالحق نطقـت. شرح الشـفـا: لعلي قاري (٥٥٩/١).

\* وروي عن الأصمـي رحمـهـ اللهـ أـنهـ قالـ: اجـتـرـتـ بـعـضـ أحـيـاءـ العـربـ، فـرأـيـتـ صـيـيـةـ معـهاـ قـرـبـةـ فـيـهاـ مـاءـ وـقـدـ انـحـلـ وـكـاءـ فـمـهـاـ. فـقـالـتـ: يـاـ عـمـ، أـدـرـكـ فـاهـ، غـلـبـنـيـ فـوـهـاـ، لـاـ طـاقـةـ لـيـ بـفـيهـاـ! فـأـعـتـهـاـ، وـقـلـتـ: يـاـ جـارـيـةـ، مـاـ أـفـصـحـكـ! فـقـالـتـ يـاـ عـمـ، وـهـلـ تـرـكـ الـقـرـآنـ لـأـحدـ فـصـاحـةـ؟ وـفـيـ آيـةـ فـيـهـاـ: خـبـرـانـ، وـأـمـرـانـ، وـنـهـيـانـ، وـبـشـارـتـانـ! قـلـتـ: وـمـاـ هـيـ؟ قـالـتـ: قـوـلـهـ تـبـارـكـوـتـعـالـ: ﴿ وَأَوْحـيـنـا إـلـىـ أـمـرـ مـوـسـىـ أـنـ أـرـضـعـيـهـ فـإـذـاـ خـفـتـ عـلـيـهـ فـكـأـقـيـهـ فـيـ أـلـيـهـ وـلـاـ تـخـافـ وـلـاـ تـخـزـنـ فـيـ إـنـاءـ رـأـدـوـهـ إـلـيـكـ وـجـاءـنـهـ مـنـ الـمـرـسـلـيـنـ ﴾ [القصص: ٧].

قال: فرجعتُ بفائدةٍ، وكأنَّ تلك الآية ما مرت بمسامعي! لباب الآداب: لأسامه بن منقذ (ص/٣٢٩).

\* **وقال سفيانُ بنُ عيينة:** لا تأتونَ بمثل مشهورِ للعرب إلا جئتم به من القرآن. فقال له قائلٌ: فأين في القرآن: (أعطِ أخاكَ تمرةً، فإنْ لم يقبلْ فأعطيه جمرةً)? فقال في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَلَنَا﴾ الآية. الفوائد: لابن القيم (ص/٨٤).

\* **وقال الشبليُّ لأبي بكر بن مجاهد:** قد أجمع الناسُ أنك مفترئُ الوقت، فأين في القرآن: (إنَّ الحبيبَ لا يُعدُّ حبيبه؟) فسكتَ ابنُ مجاهد، ثم قال: قل يا أبي بكر، فقرأ له الشبليُّ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالصَّدَرَىٰ هَنَّ أَبْكَتُوا اللَّهَ وَأَجْبَثُوهُ ۖ قُلْ فَلَمْ يُعَدِّ بَعْدَكُمْ إِذْنُنَا﴾ [المائدة: ١٨]، فقال ابنُ مجاهد: كأني والله ما سمعتهاً قط! انظر: تاريخ بغداد (٤٩٤/١٤)، وتاريخ دمشق (٥٩/٦٦ - ٥٨)، وطبقات الفقهاء الشافعية: لابن الصلاح (٤٨٩/١)، وطبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (١١٤/٧).

\* **وقال أبو نصر الكركانجي:** «نصفُ القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ثُكَرًا﴾ [الكهف: ٧٤]». معجم الأدباء (٥/٢٣٥٩).

\* **وقيل لبعضهم:** أين في القرآن: (الحيطانُ لها آذانٌ)? قال: في قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبه: ٤٧]. مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٩٤).

\* **وقال بعضُ الظفراء وقد سُئل:** أين في القرآن مثل قولهم: (الجارُ قبل الدار)? قال: في قوله تعالى: ﴿آتَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، فعندكَ هو المجاورة، وبيتاً في الجنة هو الدار. البحر المحيط: لأبي حيان (٨/٢٩٠).

\* **وقال الشيخُ العثيمين:** يُذكرُ أنَّ بعضَ أهل العلم أتاه رجلٌ من النصارى يريد الطعنَ في القرآن الكريم، وكان في مطعمٍ، فقال له هذا النصراویُّ: أين بيانُ كيف يُصنع هذا الطعام؟! فدعا الرجلُ صاحبَ المطعم وقال له: صِفْ لنا كيف تَصْنَعُ هذا الطعام؟ فوَصَفَهُ، فقال: هكذا جاء في القرآن! فتعجبَ النصراویُّ. وقال: كيف ذلك؟ فقال: إنَّ اللهَ يَكْرِبُ يقول: ﴿فَسَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فبَيْنَ لنا مفتاحَ العلم بالأشياءِ بأنَّ نَسَأَلُ أَهْلَ الذِّكْرِ بها، أي أَهْلَ العلم به. وهذا من بيان القرآن بلا شكٍ، فالإِحالةُ على مَنْ يحصلُ بهم العلمُ هي فتحُ للعلم». مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/٥٣).

\* **ولذا يقول الإمامُ الشاطبيُّ:** «لا بدَّ في كلِّ مسألةٍ يُراد تحصيلُ علمها على أكمل الوجوه أنْ يُلتفتَ إلى أصلها في القرآن، فإنْ وُجدَتْ منصوصاً على عينها أو ذكرٍ نوعها أو جنسها؛

**ولذا قيل:** إنما سُمِّي القرآنُ قرآنًا؛ لأنَّه جمع أنواعَ العلومِ كُلُّها<sup>(١)</sup>.  
**وألف الحافظ ابنُ رجب كتاباً سمّاه «الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان»<sup>(٢)</sup>.**  
**ولقد أحسن القائلُ:**

<b>حلاوةً هي أحلٍ من جنَّى الضَّرَبِ</b> <b>تَفْتَنُ مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ</b> <b>وِحِكْمَةً أُوْدِعْتُ فِي أَفْصَحِ الْكُتُبِ</b> <b>وَرَوْضَةً يَجْتَنِي هَا كُلُّ ذِي أَدَبٍ<sup>(٣)</sup></b>	<b>نِعْمَ السَّمِيرُ كِتَابُ اللَّهِ إِنَّ لَهُ</b> <b>بِهِ فَنُونُ الْمَعَانِي قَدْ جُمِعْنَ فَمَا</b> <b>أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَأَمْثَالٌ، وَمَوْعِظَةٌ،</b> <b>لَطَائِفٌ يَجْتَلِيهَا كُلُّ ذِي بَصَرٍ</b>
---	--

فذاك، وإلا؛ فمراتبُ النظر فيها متعددةٌ». المواقفات (٤/١٩٧).

(١) انظر الإتقان: للسيوطى (٢/٣٤١).

(٢) مقدمة محقق الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب (ص/٤٣).

(٣) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسى (١١/١٢).

- **وقال الشيخ حافظ الحكيم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنِ الْقُرْآنِ** في المنظومة الميمية في الوصايا والأداب  
العلمية»:

<b>كَانَمَا خَاطَبَ الرَّحْمَنَ بِالْكَلِمِ</b> <b>سَمِيزَانُ وَالْعُرْزُوَةُ السُّوْثَقَى لِمُعْتَصِمِ</b> <b>تَفْضِيلٌ فَاقْعُ بِهِ فِي كُلِّ مُنْبِهِمِ</b> <b>هُوَ الْمَوَاعِظُ وَالْبُشَرَى لِغَيْرِ عَمِي</b> <b>وَهُوَ الشِّفَاءُ لِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ سَقَمٍ</b>	<b>هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي مَنْ قَامَ يَقْرُؤُهُ</b> <b>هُوَ الصَّرَاطُ، هُوَ الْجَبْلُ الْمَتِينُ، هُوَ الـ</b> <b>هُوَ الْبَيَانُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، هُوَ التـ</b> <b>هُوَ الْبَصَائرُ وَالذِّكْرَى لِمُذَكَّرٍ</b> <b>هُوَ الْمُنَزَّلُ نُورًا يَنَّـا وَهُدَى</b>
---	--

كما أن القرآن مُعِينٌ على غيره من العلوم، فكلّما استكثرَ المرءُ من تلاوته كلّما بورك له في الطلب والتحصيل.

**قال عباس بن عبد الدائم المصري الكنافى**، عن شيخه إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الدمشقي: «أوصاني وقت سفري، فقال: أكثُر من قراءة القرآن، ولا تتركه؛ فإنه يتيسّر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ، قال: فرأيت ذلك وجرّبته كثيراً، فكنت إذا قرأت كثيراً تيسّر لي من سمع الحديث وكتابه الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسّر لي!»<sup>(١)</sup>.

**ومن وصايا العلامة محمد البشير الإبراهيمي للطلاب**: «القرآن القرآن! تعاهدُوه بالحفظ، وأحييُوه بالتلاوة، وربُّوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسُنن الله في الكون»<sup>(٢)</sup>.

لَكِنَّه لِأُولَى الإِيمَانِ إِذْ عَمِلُوا  
بِمَا أَتَى فِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ حِكْمٍ  
أَمَّا عَلَى مَنْ تَوَلَّ عَنْهُ فَهُوَ عَمَى  
لِكُونِهِ عَنْ هُدَاءِ الْمُسْتَنِيرِ عَمِي

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢٠٥ / ٣).

**- وسُئلَ** بعض المشتغلين بالتأليف والدعوة من المعاصرین - في برنامج تلفزيوني - عن سبب غزارة إنتاجه مع كثرة أشغاله؟!

قال: هذا بركة تلاوة القرآن؛ حيث إنني أقرأ صباح كل يوم ثلاثة أجزاء مع التدبر! تأخذ من وقت你 قرابة الساعتين! فييارك لي في يومي ذاك. قال: فلما وجدت بركة القرآن في وقتي وأعمالي أخذت أزيد في وردي، حتى أصبح عشرة أجزاء في اليوم! منها أربعة أجزاء في الصلاة!

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٢٠٤ / ٣).

**- وقد أدرك عظيم نفع القرآن وفائدة في العلم والأدب حتى غير المسلمين!!**

ومن بركة القرآن أن صاحبه يُمتنع بعقله مهما طال به العمر!  
**قال عبد الملك بن عمير:** «كان يُقال: إن أبغى الناس عقولاً قراء القرآن»<sup>(١)</sup>.  
 ويروى: «أنقى». <sup>(٢)</sup>

**وقال محمد بن كعب القرassi:** «من قرأ القرآن متنع بعقله وإن بلغ مائتي سنة!»<sup>(٣)</sup>.

**فطوبى** لمن جعل له ورداً وافراً من القرآن يقرأه كل يوم؛ لا يخل به أبداً،  
 مهما حصل له من عوائق وأشغال.

**قال ابن جماعة:** «الأولى أن يكون له منه في كل يوم وردد راتب لا يخل به، فإن غلب عليه؛ فيوم ويوم، فإن عجز؛ ففي ليته الثلاثاء والجمعة؛ لاعتياض بطالة الأشغال فيما». <sup>(٤)</sup>

فقد ذكر أن أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني - وكان على دين الصابئة عبدة الكواكب - الأديب البلigh، صاحب الترسُل البديع، كان يحفظ القرآن، لأنَّه يحتاج إليه في الإنشاء.  
 انظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٢٣).

وكذا العلامة ناصيف اليازجي (صاحب المقامات الأدبية) - وهو نصري - فقد أوصى ولده إبراهيم لتقوية براعته في الأدب العربي قائلاً: «إذا شئت أن تتفوق أقرانك في العلم والأدب، وصناعة الإنشاء، فعليك بحفظ القرآن، ونهج البلاغة». القرآن وليلة القدر: لمحمد الغزالي (ص / ٢٩).

وقد تقدمَ معنا أنَّ ناصيف هذا كان يحفظ القرآن آية آية!

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦ / ١٢٠) رقم (٢٩٩٥٦)، وابن أبي الدنيا في العُمر والشيب (ص / ٧٥) رقم (٨٠).

(٢) صفة الصفوقة: لابن الجوزي (١ / ٣٧٤).

(٣) معنى قوله: «لاعتياض بطالة الأشغال فيما» أي أنهما يوماً إجازة، فقد كان الثلاثاء والجمعة يومي إجازة في عصر المؤلف.

وقراءة القرآن في كل سبعة أيام وردد حسن، ورداً في الحديث، وعمل به  
أحمد بن حنبل. ويقال: منْ قرأ القرآن في كُلّ سبعة أيام لم ينسه قطّ<sup>(١)</sup>.  
**لكن لا ينبغي أن تكون قراءة القارئ القرآن كقراءة أي كتاب!** بل يقرأه  
بتدبر وتعقل؛ حتى يفقه عن الله كلامه، ويعي قصده ومرامه<sup>(٢)</sup>.  
**قال ابن القييم:** «قراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم وجمع القلب عليها أحب  
إلى الله تعالى من قراءة ختمة سرداً، وهذا وإن كثُر ثواب هذه القراءة»<sup>(٣)</sup>.

(١) تذكرة السامع والمتكلّم (ص / ٥٢).

(٢) **لكن لا مانع لحافظ القرآن أن يخصص ختمة يسرّدها سرداً لمراجعة حفظه، ففي كُلّ خير، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة كذلك في النوم فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب المتقربون به إليك؟ فقال: «كلامي يا أحمد» فقلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال (بفهم وبغير فهم) المجالس العشرة الأمالى للحسن الخالل (ص / ٥١).**

**يبدأ أنه ينبغي أن يجعل معها ختمة أخرى للتدبّر والتعلّم، فقد كان ذلك صنيع بعضهم:**  
ـ فهذا أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي كان له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاثة ختمات، وبقي في ختمة يستبطئ موعد القرآن بضعة عشرة سنة! فمات قبل أن يختتمها. صفة الصفو: لابن الجوزي (١ / ٥٣٣).

**ـ وقال بعض السلف:** (لي في كُلّ جمعة ختمة، وفي كُلّ شهر ختمة، وفي كُلّ سنة ختمة)، ولبي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرّغت منها بعد!. قوت القلوب: لأبي طالب المكي (١ / ٩٢)، وإحياء علوم الدين: للغزالى (١ / ٢٨٢)، والتبصرة: لابن الجوزي (ص / ٣٨١).

**ـ قلت:** وممّا يساعد في هذا العصر على ذلك، أن يعمد القارئ إلى تنزيل أكثر من مصحف في هاتفه (الجوّال)، فيجعل مصحفاً للحفظ، وآخر لمراجعة المحفوظ، وثالثاً للتدبّر وقراءة التفسير - (هناك عدد من المصاحف في التطبيقات مربوط بعدة تفاسير، مثل مصحف بيت التمويل الكويتي) - ورابع لقراءة السرد من أجل الختم... وهكذا.

(٣) المنار المنيف (ص / ٢٩).

وقال في نونيته:

**فتدبِّر القرآنَ إِنْ رُمِّتَ الْهَدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ**

**وقال ابن جماعة:** «ينبغي له إذا تلا القرآن أن يتفكر في معانيه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، والوقوف عند حدوده»<sup>(١)</sup>.

(١) تذكرة السامع والمتكلّم (ص / ٥٢).

**فاردة:** ذكر الحافظ المزي قصّةً لطيفةً فيها أعظم تحفيزٍ لما ينبغي أن تكون عليه مع كتاب الله تعالى.

فقد روى عن خَلَفَ بْنَ هَشَامَ الْبَزارِ، قَالَ: قَالَ لَيْ سَلِيمَ بْنَ عَيسَى: «دَخَلْتُ عَلَى حَمْزَةَ بْنَ حَبِيبِ الزَّيَاتِ (أَحَدُ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ) فَوَجَدْتُهُ يُمْرِغُ خَدِّيهِ فِي الْأَرْضِ وَيَبْكِيُ، فَقَلَّتْ: أَعِذُّكَ بِاللَّهِ. فَقَالَ: يَا هَذَا اسْتَعْذَتْ فِي مَاذَا؟!

فَقَالَ: رَأَيْتُ الْبَارِحةَ فِي مَنَامِي كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَقَدْ دُعِيَ بِقِرَاءَ الْقُرْآنِ، فَكَنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ بِكَلَامِ عَذْبٍ: لَا يَدْخُلُ عَلَيَّ إِلَّا مِنْ عَمَلِ الْقُرْآنِ. فَرَجَعْتُ إِلَى الْقَهْرَى، فَهَتَّفَ بِاسْمِي: أَيْنَ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبِ الزَّيَاتِ؟ فَقَلَّتْ: لَيْكَ دَاعِيُ اللَّهِ لَيْكَ. فَبَدَرَنِي مَلَكٌ فَقَالَ: قَلْ: لَيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ. فَقَلَّتْ كَمَا قَالَ لَيْ، فَأَدْخَلَنِي دَارًا، فَسَمِعْتُ فِيهَا ضَجِيجَ الْقُرْآنِ، فَوَقَفْتُ أَرْعَدًا، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، ارْقُ واقِرًا. فَادْرَتُ وَجْهِي فَإِذَا أَنَا بِمَنْبِرٍ مِنْ دُرُّ أَيْضًا، دَفَّتِاهُ مِنْ يَاقِوتٍ أَصْفَرَ، مِرْقَاتُهُ زِبْرِجُودٌ أَخْضَرُ، فَقَيْلَ لَيْ: ارْقُ واقِرًا. فَرَقِيتُ، فَقَيْلَ لَيْ: اقْرَا سُورَةَ الْأَنْعَامِ. فَقَرَأْتُ وَأَنَا لَا أَدْرِي عَلَى مِنْ أَقْرَأْتُ حَتَّى بَلَغْتُ السَّتِينَ آيَةً، فَلَمَّا بَلَغْتُ: **«وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ»** [الأنعام: ٦١] قَالَ لَيْ: يَا حَمْزَةُ أَلْسُتُ الْقَاهِرَ فَوْقَ عِبَادِي؟ قَالَ: فَقَلَّتْ: بَلِي. قَالَ: صَدِقتَ، اقْرَا. فَقَرَأْتُ حَتَّى تَمَّتْهَا، ثُمَّ قَالَ لَيْ: اقْرَا. فَقَرَأْتُ **«الْأَعْرَافَ»** حَتَّى بَلَغْتُ آخِرَهَا، فَأَوْمَأْتُ بِالسُّجُودِ، فَقَالَ لَيْ: حَسْبُكَ مَا مَضَى، لَا تَسْجُدْ يَا حَمْزَةُ.

مَنْ أَقْرَأْكَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ؟ فَقَلَّتْ: سُلَيْمَانُ (يُعْنِي الْأَعْمَشَ)، قَالَ: صَدِقَتَ، مَنْ أَقْرَأْ سُلَيْمَانَ؟ قَلَّتْ: يَحْيَى. قَالَ: صَدِقَ يَحْيَى، عَلَى مَنْ قَرَا يَحْيَى؟ فَقَلَّتْ: عَلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلْمَى. فَقَالَ: صَدِقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلْمَى، مَنْ أَقْرَأْ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلْمَى؟ فَقَلَّتْ: ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكَ =

وينبغي الاستعانة على هذا بكتب التفسير؛ فإنها خيرٌ معينٌ على الفهم والتدبر والعمل، لا سيما كتب التفسير بالتأثر، كتفسير ابن جرير والبغوي وابن كثير، ونحوها.

\*\*\*

### \* - العناية التامة بمطالعة كتب السلف.

فإنها الغذاء والرّواء، والهباء والدواء؛ لأنها جمعت العلم الصحيح، والعقل السديد، والمنهج السليم، والنصائح التامة. فرحم الله أهلها ورضي عنهم وأرضاهم.

**قال ابن الجوزي** في الحث على قراءة كتب السلف: «سييل طالب الكمال في طلب العلم: الاطلاع على الكتب التي قد تخلّفت من المصنفات،

عليّ بن أبي طالب. قال: صدق عليّ، مَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ؟ قال: قلتُ: نَبِيُّكَ ﷺ. قال: وَمَنْ أَقْرَأَ نَبِيًّيْ؟ قال: قلتُ: جَبْرِيلُ. قال: مَنْ أَقْرَأَ جَبْرِيلَ؟ قال: فَسَكَتُ، فَقَالَ لِي: يَا حَمْزَةُ، قَلْ: أَنْتَ. قال: فَقَلَّتُ: مَا أَجْسَرُ أَنْ أَقُولَ: أَنْتَ. قَالَ: قَلْ: أَنْتَ. فَقَلَّتُ: أَنْتَ. قَالَ: صَدَقْتَ يَا حَمْزَةُ، وَحْقَّ الْقُرْآنِ لِأَكْرَمِ أَهْلِ الْقُرْآنِ؛ سِيمَا إِذَا عَمِلُوا بِالْقُرْآنِ، يَا حَمْزَةُ الْقُرْآنِ كَلَامِيْ، وَمَا أَحَبَّتُ أَحَدًا كَحْبِيْ لِأَهْلِ الْقُرْآنِ، أُدْنِيْ يَا حَمْزَةُ. فَدَنَوْتُ فَغَمَرَ يَدَهُ فِي الْغَالِيَةِ ثُمَّ ضَمَّخْنِي بِهَا، وَقَالَ: لَيْسَ أَفْعُلُ بِكَ وَحْدَكَ، قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِنَظَرِكَ مَنْ فَوْقَكَ، وَمَنْ دُونَكَ، وَمَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا أَقْرَأَتَهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ غَيْرِي. وَمَا خَبَأْتُ لَكَ يَا حَمْزَةُ عَنِيْ أَكْثَرُ، فَأَعْلَمُ أَصْحَابَكَ بِمَكَانِيْ مِنْ حُبِّي لِأَهْلِ الْقُرْآنِ، وَفِعْلِي بِهِمْ، فَهُمْ الْمُضْطَفُونُ الْأَخِيَارُ، يَا حَمْزَةُ وَعَزِّيْ وَجَلَالِي لَا أَعْذُبُ لِسَانًا تَلَاقَ الْقُرْآنَ بِالنَّارِ، وَلَا قَلْبًا وَعَاهَ، وَلَا أَذْنًا سَمِعَتْهُ، وَلَا عَيْنًا نَظَرَتْهُ. فَقَلَّتُ: سَبَحَانَكَ سَبَحَانَكَ أَيُّ رَبٌّ! قَالَ: يَا حَمْزَةُ؛ أَيْنَ نُظَارُ الْمَصَاحِفِ؟ فَقَلَّتُ: يَا رَبَّ حَفَاظَهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَكَنِي أَحْفَظُهُ لَهُمْ حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا أَتَوْنِي رَفَعْتُ لَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ درَجَةً!! أَفْتَلُوْنِي أَنْ أَبْكِي، وَأَتَمْرَغَ فِي التَّرَابِ؟!». تهذيب الكمال (٣١٩ / ٧).

فليكثرون من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلوّ همهم ما يشحدُ  
خاطره، ويحرّك عزيمته للجدّ، وما يخلو كتابٌ من فائدةٍ.  
وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرُهم! لا نرى فيهم ذا همةٍ عاليةٍ؛  
فيقتدي به المبتدئُ، ولا صاحبَ ورَعٍ؛ فيستفيدُ منه الزاهدُ!  
فاللهُ أعلم، وعليكم بمحاجة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم،  
فالاستكثارُ من مطالعة كتبهم رؤيةً لهم، كما قال:

**فاتني أن أرى الدّيار بطرفي فلعلّي أرى الدّيار بسمعي! <sup>(١)</sup>**

**وقال شيخ الإسلام عن السلف:** «هم أفضلُ من الخَلَفِ في كلِ فضيلةٍ  
من علمٍ وعملٍ وإيمانٍ وعقلٍ ودينٍ وبيانٍ وعبادةٍ، وأنهم أولى بالبيان  
لكلِّ مُشكّلٍ. هذا لا يدفعه إلّا من كابرَ المعلوم بالضرورة من دين الإسلام  
وأضلَّه اللهُ على علمٍ» <sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن عثيمين:** «عليك بالأمهاتِ؛ كتبِ السلفِ، فإنها خيرٌ وأبرُّ بكثيرٍ  
من كتبِ الخَلَفِ؛ لأنَّ غالَبَ كتبِ المتأخرِين قليلةُ المعاني، كثيرةُ المباني، تقرأ  
صفحةً كاملةً يمكن أن تلخصها بسطرٍ أو سطرين! لكنَّ كتبَ السلف تجدها  
هيئَةً، لينةً، سهلةً، رصينةً، لا تجد كلمةً واحدةً ليس لها معنىً» <sup>(٣)</sup>.

(١) صيد الخاطر (ص/٤٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٥٧).

(٣) العلم لابن عثيمين (ص/٦٩).

**لطيفة:** قال الشيخ حمّاد الأنصاري رحمه الله: «جَمَعْنَا مكتبةً عامَّةً بالياضن لطلبة العلم،

وقد أَلْفَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبَ الْحَنْبَلِيَّ كِتَابًا فِي هَذَا سَمَّاهُ: «بِيَانِ فَضْلِ عِلْمِ السَّلْفِ عَلَى عِلْمِ الْخَلْفِ» فَلِيُرَاجِعْ إِنَّهُ نَفِيْسٌ.

\*\*\*

\* - اِحْذِرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ كِتَبِ اَهْلِ الْأَهْوَاءِ؛ فَإِنَّهَا السُّمُّ الزُّعَافُ، وَالدَّاءُ الدَّوِيُّ !

مثَلَّ كِتَبِ الْفَلَاسِفَةِ وَالصَّوْفِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالْخَوارِجِ وَالْعَلَمَانِيَّينَ وَالْعَقَالَانِيَّينَ وَالْمَلَاحِدَةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ اَهْلِ الْبَدْعِ وَالْضَّلَالِ.

قال أَبُو عُثْمَانَ الْبَرْذُونِيُّ: «شَهَدْتُ أَبَا زُرْعَةَ سُئِلَ عَنِ الْحَارِثِ الْمَحَاسِبِيِّ، وَكُتُبِهِ؟

فَقَلَتُ<sup>(١)</sup> لِلْسَّائِلِ: إِيَّاكَ وَهَذِهِ الْكُتُبَ، هَذِهِ كُتُبٌ بَدِيعٌ وَضَلَالَاتٍ، عَلَيْكَ بِالْأَثْرِ، فَإِنَّكَ تَجِدُ فِيهِ مَا يُغْنِي عَنِ هَذِهِ الْكُتُبِ.

قِيلَ لَهُ: فِي هَذِهِ الْكُتُبِ عِبْرَةٌ.

قال: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عِبْرَةٌ، فَلَيْسَ لَهُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ عِبْرَةٌ!

وَذَلِكَ أَنَا وَبَعْضَ الْمَشَايخِ، وَسَمِّيَّنَاها «مَكْتَبَةُ التَّيسِيرِ»، حِيثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَوجَدُ أُمُّ مَكْتَبَةٍ عَلْمِيَّةٌ عَامَّةٌ وَلَا مَكْتَبَةٌ تِجَارِيَّةٌ، إِنَّمَا تَوَجَّدُ مَكْتَبَةُ قَرْطَاسِيَّةٍ لِأَهْدِ الْهَنْدُودِ، فَقَدْمَنَا نَحْنُ مَعْشَرُ الطَّلَبَةِ بِالْرِيَاضِ لِلشِّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشِّيْخِ لِتَأْسِيسِ مَكْتَبَةٍ عَامَّةٍ، فَوَافَقَ، وَسَاهَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَا لِتَأْسِيسِهَا، وَاشْتَرَطْنَا أَنْ لَا يَدْخُلَ هَذِهِ الْمَكْتَبَةِ إِلَّا طَالِبٌ عِلْمٌ! وَأَنَّهُ لَا يُوَضَعَ فِيهَا إِلَّا كُتُبُ السَّلْفِ!». الْمَجْمُوعُ فِي تَرْجِمَةِ الْعَالَمَةِ الْمَحْدُثِ الشِّيْخِ حَمَادَ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ (٤٠٢/١).

(١) كذا فِي الْمَصْدَرِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: فَقَالَ. وَهِيَ كَذَلِكَ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ (٢١١/٨)، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (٢٠٩/١٨)، وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (١١٢/١٢)، وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ (٨٢/٢).

بلغكم أنَّ مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطَّات، والوساوس، وهذه الأشياء؟ هؤلاء قومٌ خالفوا أهلَ العلم فأتُونا مرةً بالحارث المحاسبي، ومرةً بعد الرحيم الْذِيلِي، ومرةً بحاتم الأصمّ، ومرةً بشقيق البُلْخِي.

ثم قال: ما أسرعَ الناسَ إلى البدع! <sup>(١)</sup>.

**وقال ابنُ قدامة:** «من السنةِ هِجْرَانُ أهلِ الْبَدْعِ ومبaitهم، وتركُ الجِدَالِ والخصومات في الدِّينِ، وتركُ النَّظَرِ في كتبِ المُبتدَعَةِ والإِصْغَاءِ إِلَى كلامِهِمْ، وكلُّ محدثٍ بَدْعَةٌ، وكلُّ مُتَسَمٌ بغيرِ الإِسْلَامِ مُبتدَعٌ؛ كالرافضة، والجهميات، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعترلة، والكرامية، والكُلَّابيَّة، ونظائرِهِمْ، فهذه فِرقُ الضَّلَالِ وطوائفُ الْبَدْعِ، أعاذنا اللهُ منها» <sup>(٢)</sup>.

**وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية:** «كُرْهَ لِمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ نَقْدٌ وَتَمِيزٌ، النَّظَرُ فِي الْكِتَابِ يِكْثُرُ فِيهَا الْكَذَبُ فِي الرِّوَايَةِ، وَالضَّلَالُ فِي الْأَرَاءِ، كِتَابُ أَهْلِ الْبَدْعِ. وَكُرْهَ تَلْقَيِ الْعِلْمَ مِنَ الْقُصَّاصِ وَأَمْثَالِهِمْ الَّذِينَ يِكْثُرُ الْكَذَبُ فِي كلامِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ صِدْقاً كَثِيرًا» <sup>(٣)</sup>.

(١) الضعفاء لأبي زرعة الرازي وأجبته على أسئلة البرذعي (٨١٧/٢).

**قال مقيده عفا الله عنه:** انظر إلى كلامه هذا في الحارت المحاسبي، مع أنه من قدماء المتصوفة الذين يقال لهم: الزهاد! فما سرتاه يقول عن الصوفية الذين جاؤا بعد ذلك، كابن الفارض وابن عربي وابن سبعين، القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود!! ومن يعتقدُهم من متصوفة العصر؟!!

(٢) لمعة الاعتقاد (ص/٤٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤٦٨/٢).

**وجاء في «الدرر السنية في الأجوية التجديّة»<sup>(١)</sup>:** «وليجذر طالبُ الحق من كتب أهل البدع، كالأشاعرة، والمعتزلة، ونحوهم، فإن فيها من التشكيك، والإيهام، ومخالفة نصوص الكتاب والسنة ما أخرج كثيراً من الناس عن الصراط المستقيم، نعوذ بالله من الخذلان».

**وقال العلامة ابن عثيمين:** «الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** كتب خيرٍ.

**القسم الثاني:** كتب شرٌّ.

**القسم الثالث:** كتب لا خير ولا شرٌّ.

فاحرص أن تكون مكتبتك خاليةً من الكتب التي ليس فيها خيرٌ، أو التي فيها شرٌّ.

وهناك كتب يقال: إنها كتب أدبٍ، لكنها تقطع الوقت وتقتله في غير فائدةٍ.

وهناك كتب ضارَّة ذاتُ أفكارٍ معينةٍ وذاتُ منهاجٍ معينٍ، فهذه أيضاً لا تدخل المكتبة، سواءً كان ذلك في المنهج أو كان ذلك في العقيدة، مثل: كتب المبتدعة التي تضرُّ في العقيدة، والكتب الثوريَّة التي تضرُّ بالمنهج.

وعموماً كلُّ كتب تضرُّ فلا تدخل مكتبتك؛ لأنَّ الكتب غذاءً للروح، كالطعام والشراب للبدن، فإذا تغذَّيت بمثل هذه الكتب، صار عليك ضررٌ

عظيمٌ، واتجهتَ اتجاهًا مخالفًا لمنهج طالب العلم الصحيح»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - ينبغي التفريق في مسألة قراءة كتب أهل الضلال (عند الحاجة لذلك) بين العالِم والجاهل.

فالجاهلُ الذي لا يُميّز الحقَّ من الباطلِ، لا يجوزُ له النظرُ في تلك الكتب البُلْتَة؛ لأنَّ الأمورَ قد تلبسُ عليه فِي ضِلَالٍ؛ والقلوبُ ضعيفةٌ والشُّبهَةُ خطافَةٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦ / ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) كان كبارُ علماء السلف يخافون على أنفسهم من سماع شبهات المبتدعة؛ لئلا يقع في نفوسهم شيءٌ! فما ظنكَ بمن دونهم؟!

- **قال أَيُوبُ السَّخْتَانِيُّ:** «دخل على محمد بن سيرين يوماً رجُلٌ فقال: يا أبا بكر، أقرأُ عليك آيةً من كتاب الله لا أزيدُ على أن أقرأها ثم أخرجُ. فوضع إصبعيه في أذنيه ثم قال: أَحَرَّجْ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِي». قال: فقلنا: يا أبا بكر، إني لا أزيدُ على أن أقرأً ثم أخرج، قال: فقام بإزاره يشدُّه عليه، وتهيأً للقيام، فأقبلنا على الرجل فقلنا: قد حَرَّجْ عَلَيْكَ إِلَّا خَرَجْتَ، أَفِي حِلٍّ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ رجلاً مِنْ بَيْتِه؟ قال: فخرج، فقلنا: يا أبا بكر، ما عليك لو قرأ آيةً ثم خرج؟ قال: إني والله لو ظننتُ أن قلبي يثبتُ على ما هو عليه ما باليُّ أُنْ يقرأ، ولكنني خفتُ أن يُلقى في قلبي شيئاً أجدهُ أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع». البدع والنهي عنها: لابن وضاح (ص/٦٠).

- **وقال الأوزاعيُّ:** «لَا تُمْكِنُونَا صاحبَ بَدْعَةٍ مِنْ جَدْلٍ؛ فَيُورَثُ قُلُوبَكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ ارْتِيَابًا» المصدر نفسه.

- **وقال سفيانُ الثوريُّ:** «مَنْ سَمِعَ بِبَدْعَةٍ، فَلَا يَحْكُمُهَا لِجَلْسَائِهِ، لَا يُلْقِهَا فِي قُلُوبِهِمْ». **قال الذهبيُّ مُعَقبًا:** «أَكْثَرُ أَنْوَمِ السَّلْفِ عَلَيْهِ هَذَا التَّحْذِيرُ، يَرَوْنَ أَنَّ الْقُلُوبَ ضَعِيفَةٌ، وَالشُّبُّهَةُ خَطَافَةٌ». سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٦١).

**ولذا قال بعضُ الْحُكَّمَاء:** لا تقرأ كتب الباطل حتى تتمكن من الحقّ، لا لقوة الباطل ولكن لضعفك أنت!

**قال ابن الأزرق الغرناطي** عن كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكيّ: «قال فيه الأستاذ أبو إسحاق الشاطبي فيما وقفت عليه من «أجوبته»: «له آراءٌ خالف فيها العلماء حتى إنها ربما خالف الإجماع في بعض المواضع، لكن له كلامٌ حسنٌ في الوعظ، والتذكير، والتحريض على طلب الآخرة، فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتابه «قوت القلوب» طالعوه متّحّرّزين، وأما العوامُ فلا يَحِلُ لهم مطالعته البَتَّة». ﴿كَلَمٌ حَسَنٌ﴾

قلتُ: لقولهم: كُلُّ كلامٍ، منه مأْخوذٌ أو متروكٌ، إِلَّا ما كان من كلام النبي ﷺ. وثبت هذا عن مالك رَحْمَةُ اللهِ فِي الْمُتَّهِبِينَ. فالطلبة يعرفون ما يُؤخذُ منه، وما يُترَكُ، والعوامُ لا معرفة لهم بذلك، فيتعيَّنُ عليهم تركُ النظر في الجميع، لأنَّ تباس الضمار بالنافع»<sup>(١)</sup>.

**وقال الشيخ محمد رشيد رضا** عن قراءة كتب الميلل: «ينبغي منع التلامذة والعوام من قراءة هذه الكتب؛ لئلا تشوش عليهم عقائدهم وأحكام دينهم، فيكونوا كالغراب الذي حاول أن يتعلّم مشيَّة الطاووس، فنسى مشيَّته ولم يتعلم مشيَّة الحَجَّال»<sup>(٢)</sup>.

**أما العالم المدرك المميّز**، فهذا لا بأس أن يطالع تلك الكتب لمصلحة تقتضي ذلك، كنقدِّها والردّ عليها، أو تحذير الناس منها، أو ما أشبه ذلك.

**قال الإمام الترمذى**: «قد روى غير واحدٍ من الأئمة عن الضعفاء وبينوا أحوالهم للناس.

(١) روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام (١٢٧/١).

(٢) مجلة المنار (٧/٢٥٨).

حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن منذر الباهلي، أخبرنا يعلى بن عبيد، قال: قال لنا سفيانُ الشوريُّ: اتَّقُوا الكلبيَّ. فقيل له: إنك تَرُوي عنه! قال: أنا أعرف صِدْقَه من كَذِبِه»<sup>(١)</sup>.

**وقال السجْريُّ:** «ولِيَحْذِرْ تَصَانِيفَ مَنْ تَغَيَّرَ حَالُهُمْ؛ فَإِنَّ فِيهَا الْعَقَارَبَ، وَرَبِّما تَعَذَّرَ التَّرِيَاقُ!»<sup>(٢)</sup>.

**وقال السيوطيُّ:** «اعلموا - يرحمكم الله - أنَّ من العلم كهيئة الدواء. ومن الآراء كهيئة الخلاء! لا تذكُرُ إلَّا عند داعية الضرورة»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

\* - مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ عِلْمَهُ، وَدِقَّةَ تَحْصِيلِهِ، وَرَسُوخَ قَدِيمِهِ، وَيَعْرَفَ مَدْيَ ما وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، فَلْيُطَالِعْ كَتَبَ الشَّرُوحِ وَالْحَوَاشِي؛ فَإِنَّهَا التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ لِقوَاعِدِ الْعِلْمِ.

كما أنها تُعرِّفُكَ أَقْدَارَ وَمَنَازِلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْعِلْمِ، حَيْثُ تَشْتَمِلُ عَلَى دَقَائِقَ عَلْمِيَّةٍ نَفِيسَةٍ، وَاسْتِدْرَاكَاتٍ لَطِيفَةٍ، وَتَعَقِّبَاتٍ فَرِيدَةٍ.

كما أنها تَشْتَمِلُ عَلَى مَنَاقِشَاتٍ وَمَبَاحِثَاتٍ عَمِيقَةٍ مِنْ عَلَمَاءِ أَفْذَادِ نَحَارِيرِ. وَكَمْ وَقَفْتُ أَثْنَاءَ مَطَالِعِي فِيهَا عَلَى الْأَوَانِ مِنَ التَّحْقِيقَاتِ الْعَلْمِيَّةِ الْعَالِيَّةِ.

(١) سنن الترمذى (٦/٢٣٧) رقم (٤٠٥٧).

وانظر الكامل لابن عدي (٧/٢٧٥)، والمجروحين لابن حبان (٢/٢٥٦).

(٢) رسالة السجْري إلى أهل زيد (ص/٢٣٤).

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص/٥).

**ولذا قيل:** (مَنْ لَمْ يَقْرُأْ الْحَوَاشِي، مَا حَوَى شَيْءٌ)!<sup>(١)</sup>

\*\*\*

**\* - أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ وَأَعْظَمُهَا رُسُوخًا؛ مَا كَانَ وَلِيَدَ مَبَاحَثَةٍ وَنِقاَشٍ.**  
لأنَّ الْمَسَأَةَ إِذَا نُوقِسْتَ، ثُمَّ فُرِئَتْ، وَبُحِثَّ عَنْهَا فِي مَظَانِّهَا، رَسَخَتْ  
رُسُوخَ الْجَبَالِ.

وقد كان هذا دَيْدَنَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَكَانُوا إِذَا تَبَاحَثُوا فِي مَسَأَةٍ مَا  
وَأَخْتَلَفُوا فِيهَا، طَلَبُوا الْكِتَابَ وَقَرَأُوهَا فِي مَصَادِرِهَا وَمَظَانِّهَا؛ تَحْرِيًّا لِلصَّوَابِ  
وَرَفِعًا لِلنزَاعِ، وَازْدِيادًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلِتَقْرَرَ الْمَسَأَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ وَتَرَسَخَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

**\* - اعْلَمُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ مَدَارِسُ.**

وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَكَادُ يُدْرِكُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَضَلًّا عَنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ!

**(١) أَمَّا مَقْوِلَةُ:** (مَنْ اشْتَغَلَ بِالْحَوَاشِي مَا حَوَى شَيْءٌ)! - كَمَا فِي الْفَكْرِ السَّامِيِّ لِلْحَاجِيَ  
فَهِيَ مَقْوِلَةٌ صَحِيحَةٌ أَيْضًا، لِكُنْهِيَّ فِي حَقِّ مِنْ افْتَصَرَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَحْفَظْ قَبْلَهَا  
مَتَنًا، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ شَرَحًا، فَتَبَّأَ.

**(٢) لَطِيفَة:** مِنْ عَجَيْبِ مَا نَقْلُوا عَنِ الشِّيخِ الْمَحْدُثِ / مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ فِي  
أَيَّامِهِ الْأُخْرِيَّةِ، كَانَ يَقُولُ فِي نُومِهِ: هَاتُوا كِتَابَ الْعِلْلَ، هَاتُوا كِتَابَ كَذَا، هَاتُوا كِتَابَ كَذَا،  
هَاتُوا كِتَابَ كَذَا، هَاتُوا كِتَابَ الْجَرْحِ وَالْتَّعْدِيلِ!!

وَمَرَّةً قَالَ أَثْنَاءَ النَّوْمِ وَهُوَ يُحْرِكُ يَدَهُ كَهْيَةَ الْكَاتِبِ: هَاتُوا «سِنَنَ أَبِي دَاوُدَ» تَنَحَّلُّ الْمَشَكَلَةُ!  
**وَقَالَ وَلِدُهُ:** ذَاتَ مَرَّةٍ أَثْنَاءَ نُومِهِ تَكَلَّمَ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: هَاتِ كِتَابَ «الْتَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ»  
الْمَجْلِدُ الْأَوَّلُ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: افْتُنْ، فَفَتَحَتْ، قَالَ: عُدَّ: وَاحِدٌ، اثْنَيْنِ، ثَلَاثَةٌ أَحَادِيثٌ، هَذِهِ  
فِي الطَّوْلِ تَقْرِيَّبًا سَوَاءٌ، قَلْتُ لَهُ: لَا، فِيهِ وَاحِدٌ طَوِيلٌ، قَالَ: إِمْشِ، قَلْتُ: هَذَا الْحَدِيثُ  
الثَّالِثُ طَوِيلٌ، قَالَ: مَنْ رَوَاهُ؟ قَلْتُ: فَلَانُ، قَالَ: خَلاصٌ، أَعِدُّ الْكِتَابَ!!

وقد وجدتُ بعضَ مَنْ فَقِهَ هذه الطريقة وقرأ بها؛ أصبحَ موسوعةً علميةً تمشي على الأرض.

**وهذه المدارسُ تنقسم إلى:**

\* مدارسَ فِكْرية.

\* ومدارسَ موضوعية.

**والمدارسُ الْفَكْرِيَّةُ تنقسم إلى:**

- مدارسَ إقليمية.

- ومدارسَ زمنية.

**والمدارسُ الإقليميةُ تنقسم إلى:**

**مدرسةٌ عامةٌ:** كأنْ يهتمُ القارئ بالحركة العلمية في الأندلسِ مثلاً، ويقرأ عن هذا الموضوع.

**مدرسةٌ خاصةٌ:** كأنْ يهتمُ بالحديث، أو الفقه، أو اللغة، في الأندلسِ مثلاً، ويقرأ عن هذا العلم فيها.

**أمّا المدارسُ الْفَكْرِيَّةُ الزَّمْنِيَّةُ:** فمِثْلُ أن يأخذَ مدرسةً فِكْرِيَّةً متكاملاً، ويقرأ جميعَ كتبِ تلك المدرسة، ونتائجها العلميّ.

**وذلك مثل:** مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، فهذه المدرسةُ السلفيَّةُ المباركةُ؛ مدرسةٌ فِكْرِيَّةٌ متكاملةٌ، أخرجت شخصياتٍ علميةً عملاقةً؛ كالحافظِ المِزِّي، والإمامِ ابنِ القيّم، والحافظِ الْذَّهَبِي، والحافظِ ابنِ رجب، والحافظِ ابنِ عبدِ الهادي، والحافظِ ابنِ كثير، وغيرِهم.

فالذي يَصْبِرُ نفْسَه على قراءة مؤلفاتِ شيخ الإسلام ومؤلفاتِ هؤلاء الأعلام؛ سيخرج بفائدة علميةٌ كبرى؛ لأنها مدرسةٌ فكريةٌ متكاملةٌ.

ومثلها مدرسةُ الحافظِ العراقيِّ، حيث جمعتْ كوكبةً من العلماء الكبار؛ كابن حجر العسقلانيِّ، وأبي زرعةِ العراقيِّ، والهيثميِّ، والبوصيريِّ، وغيرِهم من المحدثين.

ومثلها مدرسةُ الشیخ المجددِ محمدِ بن عبدِ الوهابِ وأولادِه وأحفادِه أئمَّةُ الدعوةِ، وتلاميذِهم<sup>(١)</sup>.

**(١) تنوير:** أحب أن أنبه طلابَ العلم هنا، إلى أن كتبَ الشيخ العلامة/ محمد بن صالح بن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ تُدْعُ (وَحْدَهَا) مدرسةٌ علميةٌ متكاملةٌ شاملةً! وذلك لأنها جمعتْ عدَّةً مزايا، منها:

- ١- أنَّ صاحبَها من كبارِ العلماء المحققين في هذا العصر، بل هو من مُجَدِّديه الأفذاذ.
- ٢- أنَّ أصلَ هذه الكتبِ دروسٌ صوتيةٌ مفرغةٌ، قامَ الشیخُ أَوْ طلَّابُه بِمراجعتها وتنقيحها، مما جعلَ عبارتها سهلةً واضحةً حتى لصغارِ طلابِ العلم، بحيثُ يَسْتَطِعُ كُلُّ أحَدٍ قراءَتها وفهمَها حتَّى ولو لم يقرأها على شیخ.
- ٣- أنها شاملةٌ لِجمِيعِ العلومِ والفنونِ، ومعظمِ المتونِ، بحيثُ لو اقتصرَ عليها أحَدٌ لَكَفَتهُ وأغنتهُ.
- فلا يكادُ يُوجَدُ متنٌ مشهورٌ إلَّا وقد شَرَحَهُ الشیخُ.
- ٤- أنَّ لغَّتها لغَّةُ عِلْمِيَّةٌ دقيقةٌ، بخلافِ كثِيرٍ من الدروسِ الصوتية المفرغة التي لا تخلو من كثِيرٍ من الْحَسْنَوْ!
- ٥- رُخْصُ ثمينها، وكُوْنُهُ في متناولِ جمهورِ طلابِ العلم، بالنظر لجودةِ طباعتها وحسنِ إخراجِها.
- ٦- توفُّرُ أصولها الصوتية في قناةِ الشیخ الفضائية، وفي (الانترنت)، وفي التسجيلات،

## أَمَّا المدارسُ المُوْضوِعِيَّةُ فَتُنقَسِمُ إِلَى قسمين:

**مدرسة متخصصة:** كأن يهتم بالحديث، أو الأصول، أو النحو، ونحو ذلك، ويقرأ كلّ أوّلًـ معظمَ ما أُلْفَ في ذلك الفنّ.

**مدرسة شاملة:** وهو أن يعمد إلى مكتبة من المكتبات الكبيرة؛ فيقرأها من أولها إلى آخرها، مستعيناً على ذلك بتصنيف ديواني العَشْرِي<sup>(١)</sup>، فيقرأ على هذا التصنيف من رقم واحد إلى ألف.

وليس معنى هذا أن يقرأ كلّ ما يقابلُه في المكتبة من الكتب! فإنّ هذا شبه متعذر؛ لاسيما المكتبات الكبُرى العامّة. وإنما المقصود أن يمرّ على جميع الكتب؛ لأنّ أحواز الكتب تختلفُ:

فهناك كتبٌ ينبغي استيعابُها قراءةً.

وهناك كتب الغرض منها معرفة مناهجها وكيفية التعامل معها عند

وغيرها، بحيث لو أراد شخص الاستماع لشرح الشيخ وتحصيل باقي فوائد الدرس كالأسئلة والمناقشات ونحوها، فإنه يستطيع ذلك. ولا شك أنّ هذا أفضل من قراءة الكتب فحسب.

(١) وضع هذا النظام العالم الإنجليزي (ملف ديواني)، وهو أول نظام تصنيف للمكتبات بالمعنى الحديث وأكثرها شهرة في نفس الوقت، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٨٧٦م!

ويقوم هذا النظام على تقسيم المعرفة البشرية إلى عشرة أقسام رئيسية، ويتفرّع كلّ واحد من الأقسام الرئيسية إلى عشرة شعب، تمثّل التفريعات الرئيسية للموضوع. كما أن كلّ شعبية تتفرّع بدورها إلى عشرة فروع حسب طبيعة الموضوع، وهكذا ينقسم كلّ فرع إلى عشرة، وبذلك يمكن أن يستمر التقسيم العشري إلى ما لا نهاية. راجع (ويكيبيديا = الموسوعة الحُرّة).

الحاجة إليها؛ كالمعاجم والقواميس والمَعْلَمَات<sup>(١)</sup>.

**(١) فائدۃ المعلمات:** جمُع مَعْلَمَة، بمعنى الكتاب الحاوي لأنواع العلوم والفنون. وهو اسمٌ لما يُطلقُ عليه اليوم (دائرة معارف) أو (موسوعة). وهي أحسنُ كلمةٍ عربيةٍ تؤدي معنى اللفظة الإفرنجية: «الأنسكلوبيديا».

ولعل مصطلحَ (مَعْلَمَة) أو (جَمِيْهَة) هو الأفضلُ والأكْثُر مُقارِبَةً من غيرِه؛ فَإِنَّ وَزْنَ (مَفْعَلَة) مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي تَدَلُّ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ الشَّيْءُ - كَمَا فِي مَعَاجِمِ الْلُّغَةِ -، وَالْمَكَانُ قَدْ يَكُونُ وَعَاءً وَقَدْ يَكُونُ أَدَاءً، وَوَعَاءُ الْعِلْمِ: الْكِتَابُ.

بل جاء في كتاب «فقه النوازل» (١٠٢/١) للعلامة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله أنّ كلمة موسوعة ليس لها أصلٌ، وإنما هي اصطلاحٌ قريبُ العهد في صدر القرن الثالث عشر، وأنها - وهذا من العجائب! - تصحيفٌ أعمى لكلمة (موضوع) !!!

**فقد نقل عن مجلة الأزهر:** (لواء الإسلام / ٢٦ / ١١٥٨) مقالاً بعنوان: الأدب والعلوم. جاء فيه ما نصه: «اللشاش كبرى زاده كتاب باسم: «م الموضوعات العلوم». ولما كانت إحدى مكتبات القدسية، تدون فهرسًا لمحتوياتها، أملأ أحد موظفي المكتبة بلفظ «م الموضوعات» العلوم، لأن الأعلام يلفظون الضاد بقريب من لفظ: الظاء. فسمع الكاتب الضاد: سيناً. فكتب اسم الكتاب «م الموضوعات العلوم».

وسمع الشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلة «الضياء» باسم هذا الكتاب وموضوعه فخيّل إليه أن الكلمة (موسوعات) تؤدي معنى (دائرة معارف) فأعلن ذلك في مجلته! وأخذ به أحمد زكي باشا وغيره! فشاعت الكلمة (موسوعة) و (موسوعات) لهذا النوع من الكتب. وهي تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت! وكان العلامة أحمد تيمور باشا، والكرملي، وغيرهما يرون تسمية دائرة المعارف باسم: (معلمات)، لأنه أصح، وأرشق، وأدل على المراد منه». اهـ.  
**وانظر**: مجلة المنار (٦١/٢)، ومجلة لغة العرب العراقية (٣/١٤٦)، ومجلة التراث العربي، العدد ١٣ - ١٤ (ص/٧).

**وَمِنْ ذَلِكَ** فقد جاء تصويبُ الكلمة في كتاب «معجم الصواب اللغوي» للدكتور أحمد مختار عمر (١٩٤١/١)، ففيه: «المشهور في مادة (واسع) أن يقال: وَسَعَ الْكِتَابُ مَسَائِلَ كَثِيرَةً، فَالْكِتَابُ هُوَ الْوَاسِعُ، وَالْمَوْسُوعُ هُوَ الْمَحْتَوَى أَوَّلَ المَضْمُونُ؛ وَيُمْكِنُ تَصْوِيبُ إِطْلَاقِ الْمَوْسُوعَةِ عَلَى الْكِتَابِ نَفْسَهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَجَازِ الْمَرْسَلِ لِعَلَاقَةِ الْمَحْلِيَّةِ، أَوْ يَكُونُ

وهنالك كُتُبٌ يكفي فيها التَّصْفِحُ السريعُ .. وهكذا.

\*\*\*

\* - احرص على تكوين خزانةٍ جامعيةٍ، تضمُّ أشتاتَ الكتبِ، في جميعِ الفنونِ والمعارفِ.

لأنَّ نزهَةَ العالَمِ وطالِبِ الْعِلْمِ كُتُبُهُ!

**وكلما** كانت الخزانة متنوعةً الكتبِ، جامعَةً للفنونِ، - كالحديقةِ الغناءِ الكثيرةِ الأزهارِ، المتنوعةِ الشمارِ - كلما كانت السعادةُ بها أتمَّ، والفرحةُ بها أعمَّ. وما أحسنَ قولَ القائلِ :

عِلْمٌ هُنَاكَ يَرِيْنُهُ طَبْهَةُ	وَأَلْذُّ مَا طَلَبَ الْفَتَنَى بَعْدَ التُّقَىِ
وَأَلْذُّ نُزْهَةَ عَالِمٍ كُتُبَهُ!	وَلِكُلِّ طَالِبٍ لَذَّةٌ مُنْتَرَّزَةٌ
وَيَرِيْنُ عَنْهُ إِذَا قَرَانَصَبَهُ	يُسْلِي الْكِتَابُ هُمُومَ قَارِئِهِ
لَا مَكْرُهٌ يُخْشَى وَلَا شَغْبَهُ <sup>(١)</sup>	نِعْمَ الْجَلِيسُ إِذَا خَلَوْتَ بِهِ

**وقالُ الأمِيرُ أبو العباس الميكالي:** تذاكرنا المتنزهاتِ يوماً وابنُ دُرِيد حاضرٌ، فقال بعضُهم: أنَّهُ الأماكنُ غوطَةُ دمشق، وقال بعضُهم: بل نهرُ الأُبَلَةِ،

من باب القلب المعنوي؛ على أنه قد جاء في «المصباح»: وَسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فالرِّزْقُ موسوعٌ، ويمكن القياس عليه فيقال: وَسَعَ الْمُؤْلِفُ الْكِتَابَ، فالكتابُ موسوعٌ، ويعضدهُ ما جاء في «اللسان»: هذا الوعاء يسعه عشرون كيلًا، أي يسع فيه عشرون كيلًا؛ ومن ثم تكون الكلمةُ الموسوعةُ في دلالتها المحدثة على الكتاب الذي هو معارف موسوعة من الفصيح، وهو ما أقرَه مجمعُ اللغةِ المصري». والله أعلم.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٢٣٠).

وقال بعضهم: سُعدُ سَمْرَقْنَدُ، وقال بعضهم: نَهْرَوَانُ بِيغْدَادُ، وقال بعضهم: شِعْبُ بَوَّانُ<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم: نُوبَهَارَ بَلْخُ.

**قال ابن دريد:** هذه متنزّهات العيون، فأين أنت عن متنزّهات القلوب؟!  
قلنا: وما هي يا أبي بكر؟ قال: «عيون الأخبار» للقطبي، و«الزهرة» لابن داود، و«قلق المشتاق» لابن أبي طاهر.  
ثم أنشأ يقول:

وَمَنْ تَكُونُ زَهْنُهُ قَيْنَةً  
فَنَزَهْتُنَا وَاسْتَرَاهْنَا  
وَكَأْسُ يُحَثُّ وَكَأْسُ يُصَبُّ  
تَلَاقِي العِيُونِ، وَدَرْسِ الْكُتُبِ<sup>(٢)</sup>

**(١) لطيفة:** رُوي عن المبرّد أنه قال: قرأت على شجرة في شعب بوان هذه الأبيات:

إذا أشرف المكرّوب من رأس تلعة	على شعب بوان أفاق من الكرب
وألهاه بطنه كالحرير مسنه	ومطرد يجري من البارد العذب
وطيب ثمار في رياض أريضة	على قرب أغصان جنها على قرب
فبالله ياريح الجنوب تحملني	إلى أرض بغداد سلام فتى صب
وإذا أسفل منه مكتوب:	

ليت شعرى عن الذين تركنا	خلفنا بالعراق هل يذكروننا
أم لعل المدى تطاول حتى	قدم العهد بعدنا فنسونا!

البلدان: لابن الفقيه (ص/٤٠٨).

**(٢) المختب** من معجم شيخ السمعاني (ص/١٥٤)، ومعجم الأدباء (٦/٢٤٩٨).

**ولمَّا وصف الباحظُ الكتابَ قال فيه:** «نِعْمَ الذُّخْرُ والْعُقْدَةُ هُوَ، وَنِعْمَ  
الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ، وَنِعْمَ النُّشْرَةُ وَالنُّزْهَةُ، وَنِعْمَ الْمُشَتَّغُلُ وَالْحِرْفَةُ». إِلَى أَنْ قَالَ:  
«وَبَعْدُ: فَمَا رَأَيْتَ بُسْتَانًا يُحَمَّلُ فِي رُدْنٍ<sup>(١)</sup>، وَرَوْضَةً تُقْلُ في حِجْرٍ؟!<sup>(٢)</sup>».

**وقال الخطيبُ البغدادي:** «قال بعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَذْخَرَ  
أَنْوَاعَ الْعِلْمِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِمَعْلُومٍ، وَأَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا، وَلَا يَعْتَقِدَ الغِنْيَةَ  
عَنْهَا؛ فَإِنْ أَسْتَغْنَى عَنْهَا فِي حَالٍ، احْتَاجَ إِلَيْهَا فِي حَالٍ. وَإِنْ سَئَمَهَا فِي وَقْتٍ،  
أَرْتَاهَا إِلَيْهَا فِي وَقْتٍ. وَإِنْ شُغِلَ عَنْهَا فِي يَوْمٍ، فَرَغَ لَهَا فِي يَوْمٍ. وَأَنْ لَا يُسْرِعَ  
وَيَعْجَلَ، فَيَنْدَمَ وَيَوْجَلَ، فَرَبِّمَا عَجَلَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ بِإِخْرَاجِ كِتَابٍ عَنْ يَدِهِ،  
ثُمَّ رَامَهُ فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مَرَامُهُ، وَابْتَغَى إِلَيْهِ وُصُولًا، فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَأَتَعَبَهُ  
ذَلِكُ وَأَنْصَبَهُ، وَأَقْلَقَهُ طَويَّلًا وَأَرَقَهُ.

كَالذِي حُكِيَّ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ: بَعْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَامِ كِتَابًا ظَنَنتُ  
أَنِّي لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ هَجَسَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ كَانَ فِي ذَلِكَ  
الْكِتَابِ، فَطَلَبْتُهُ فِي جَمِيعِ كِتَبِي فَلَمْ أَجِدْهُ، فَاعْتَمَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ عَالَمًا عَنْدَ  
الصِّبَاحِ، فَمَا زَلتُ قَائِمًا عَلَى رِجْلِي إِلَى الصِّبَاحِ! قِيلَ: فَهَلَّا قَدِعْتَ؟ قَالَ:  
لَطُولِ أَرْقِيِّ، وَشَدَّةُ قَلْقِيِّ!

(١) الرُّدْنُ: مُقَدَّمُ كِمِ الْقَمِيصِ. انظر العين: للفراهيدي (٨/٢١)، والجراثيم: لابن قتيبة (١/٣٠٥).

(٢) الحيوان (١/٣٨ و ٣٩).

وباع آخر كتاباً ظنّ أنه لا يحتاج إليه، ثم إنّه احتاج إليه، فالتمس نسخة به فلم يجدُها بعاريّة ولا ثمنٍ، وكان الذي ابتعاه قد خرج به إلى بلده، فشخصَه إليه، وسألَه الإقالة وارتّجاع الشمن منه، فأبى عليه، فسألَه إعارته لنسخ الكلمة منه، فلم يُجبْه! فانكفاً قافلاً، والى على نفسه أن لا يبيع كتاباً أبداً.

وباع آخر كتاباً ظنّ أنه لا يحتاج إليه، ثم إنّه احتاج إلى كلمةٍ منه، فقصدَ صاحبه، وسألَه أن يُكتبَه تلك الكلمة، فقال: والله ما تكتبُها إلا بشمن الكتابِ كله! فرَدَ عليه ثمنَ الكتابِ، وكتبَ تلك الكلمة! وقيل لآخر: ألا تبيع من كتبك التي لا تحتاج إليها؟ فقال: إن لم أحتج إليها اليوم احتجت إليها بعدَ اليوم!

واشتري رجلٌ كتاباً فقيل له: اشتريت ما ليس من علمك؟ فقال: اشتريت ما ليس من علمي ليصير من علمي!

وقيل لآخر: ألا تشتري كتاباً تكون عندك؟ فقال: ما يمنعني من ذلك إلا أنني لا أعلم! فقيل: إنما يشتريها من لا يعلم حتى يعلم.

وكان آخر يشتري كلَّ كتابٍ يراه، فقيل: له إنك لتشتري ما لا تحتاج إليه، فقال: ربما احتجت إلى ما لا تحتاج إليه!

**وممَّا يُعزَى إلى السريِّ بنَ أحمد الكِنْدي:**

<b>سُرْجُ يَزِيدُ عَلَى الزَّمَانِ ضِيَاؤُهَا</b> <b>أَحَدُ، وَيُذَكِّرُ دَائِبًا عُلَمَاؤُهَا</b> <b>رِيُّ الْقُلُوبِ مِن الصَّدَى وَشِفَاؤُهَا</b>	<b>لَا تُخَدَّعَنَّ عَنِ الْعِلْمِ فَإِنَّهَا</b> <b>تُنَسَّى الْقُرُونُ فَلَا يُشَيَّدُ بِذِكْرِهَا</b> <b>فَاحْرِضْ عَلَى جَمْعِ الْعِلْمِ فَإِنَّهَا</b>
--	---

وكان بعض القضاة يشتري الكتب بالدين والقرض! فقيل له في ذلك، فقال: أفلأشتري شيئاً بلغ بي هذا المبلغ؟! قيل: فإنك تُكتِّر، فقال: على قدر الصناعة تكون الآلة<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن حزم** بعد أن أوصى بإنفاق المال على العلم والاستكثار من الكُتُب: «لن يخلو كتابٌ من فائدةٍ وزيادةٍ علمٍ يجدها فيه إذا احتاج إليها، ولا سبيل إلى حفظ المرء لجميع علمه الذي يختص به. فإذا لا سبيل إلى ذلك؛ فالكتُبُ نعم الخازنة له إذا طلبَ، ولو لا الكتبُ لضاعتُ العلومُ ولم تُوجَدْ. وهذا خطأ ممَّن ذمَ الإكثار منها، ولو أخذَ برأيه لتلتفَت العلومُ، ولجادَ بهم الجهلُ فيها وادعُوا ما شاءُوا. فلو لا شهادةُ الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل!»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

\* - من المهم لطالب العلم قراءة كتب الأدب؛ لأنها تُربِّي المَلَكَة، وتحسُّنُ الذِّائقَة، وتشحذُ الْقَرِيحة، وتُثْرِي الْفَكْرُ، وتبعثُ على مكارم الأخلاق ومحاسن الشَّيْم.

**قال الإمام ابن عبد البر** في مقدمة كتابه النفيس «بهجة المجالس»<sup>(٣)</sup>: «إن أولى ما يعني به الطالب، ورغبة فيه الراغب، وصرف إليه العاقل همَّه، وأكَّدَ

(١) تقدير العلم (ص/١٣٦).

(٢) رسالة مراتب العلوم - رسائل ابن حزم - (٤/٧٧).

(٣) (٣٦ - ٣٥ / ١).

فيه عزمه - بعد الوقوف على معانٍ السنن والكتاب - مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تُحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهي عن الدنایا والمحارم.

ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأتفق لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الظرفية، من حكم الحكماء، وكلام البلغاء العقلاة: من أئمة السلف، وصالحي الخلف، الذين امثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آداب التنزيل، ومعاني سنن الرسول، ونوارد العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومباديهها وفصولها، وما حَوْفَهُ من حِكْم العِجَم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتشال طرقيهم واحتذائهم، واتباع آثارهم واقتفائهم».

**وقال الأديب البليغ محمد البشير الإبراهيمي:** «إنّ ما يُربّي الملائكة الأدبية الصحيحة ويُقوّمها الإدمان، إدمان القراءة المتأنيّة المتدبّرة لكتب الأدب الحرّة الأصيلة، والاستكثار من حفظ الشعر واللغات والأمثال، ومعرفة مواردها ومضاربها، والتبنّي لموقع استعمالها من كلام البلغاء، من شعراء وخطباء وكتّاب، ثم ترويض القرائح والألسنة والأقلام على المحاذاة؛ ذلك أدنى أن تستحکم الملائكة، وتنقاد القرىحة، فتجری الأقلام على سداد، ويُمدّها الفكر من تلك المعانٍ بأمداد، وتُوضع الكلمات في الجمل، في موضع

اللآلئ من العِقد، وما جاء حُسنُ العِقد منظوماً، إلا من حُسْنِه منشوراً، ثم تكونُ الحِكَم والأمثال والنُّكَت كفواصل الجُمَان، في العقود الثُّمان»<sup>(١)</sup>.

- **وقال أيضًا يُوصي الطلاب:** «لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدتها، بل احفظوا كلَّ ما يُقوّي مادتكم اللغوية، وينتمي شروتكم الفكرية، ويُغذّي ملكتكم البينانية»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

\* - يُنْبَغِي أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةُ كِتَابِ الْعِلْمِ قِرَاءَةً مُبَرْمَجَةً<sup>(٣)</sup>.

بمعنى أن يتبع القارئ في ذلك برنامجاً محدداً ما أمكن، مسترشداً في ذلك بتوجيهات المتخصصين من أساتيد وزملاء؛ حتى لا يتطوح هنا وهناك، فيضيّع وقته وجده في قراءة كتب ثانوية ليست أصيلةً في بابها، أو يسقط في أتون كتبٍ ضارّةٍ تُشوّش فِكْرَهُ، وتخلّل عقيدته.

ولعلمائنا المتقدمين والمعاصرين - أثابهم الله - جهود مشكورة في وضع قوائم مُقْتَرَحةً لطلاب العلم في ترتيب قراءة الكتب<sup>(٤)</sup>.

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٥٨٠ / ٣).

(٢) المصدر نفسه (٢٠٤ / ٣).

(٣) أفردت هذا العنصر بكتابٍ مستقلٍ هو: «القراءة المُبَرْمَجَة: تَهْيَةٌ وَتَطْبِيقٌ»، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٤) مِنْ قام بذلك من المتقدمين:  
الخطيب البغدادي في كتابه العظيم: «الجامع، لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٨٤ / ٢)  
فما بعد.

وابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» - تحقيق عتر - (ص / ٢٥١).  
والشوكاني، في كتابه «أدب الطلب ومتنه الأرب» - ط دار اليمامة - (ص / ١٧٩) فما بعد،  
=

## \* - الاستراحة من القراءة تكون بالقراءة!

وذلك كمن يقرأ في كتاب من كتب العلم العسيرة التي تحتاج لتركيز ودقة تصوّر، ككتب: الفقه، والأصول، والنحو، والصرف، ونحوها، فإذا ما تعب، أخذ كتاباً من كتب: الأدب، أو التاريخ، أو الترجم، فقرأ فيه؛ حتى يستجمّ، ويُجدد نشاطه<sup>(١)</sup>.

وقد كان محمد بن الحسن الشيباني لا ينام الليل، وكان يُزيل نومه بالماء ويقول: «إن النوم من الحرارة»، وكان يضع عنده دفاتر كثيرة، فإذا ملّ من نوع نظر في آخر، فلما سُئل عن ذلك قال: «العلم ثقيل، فأنظر في هذا فإذا ثقلَ أخذت بأخر»<sup>(٢)</sup>.

حيث قسم فيه طبقات طلاب العلم إلى أربع طبقات.

**- ومن المعاصرین ثلاثة، منهم:**

ابن عثيمين كما في مجموع فتاوى ورسائل العشرين (٢٦ / ٣٤١). وأحمد سالم، في كتابه البديع «السبيل المرضي لطلب العلوم الشرعية» - طبع مركز تفكّر للبحوث والدراسات.

ولي نشرة متداولةً منذ زمنٍ باسم: «مكتبة طالب العلم». وهي في مطابوي (المكتبة الشاملة)، كما أنها مرفوعةً أيضاً على (الشنكتوبية).

**(١) تنوير:** من الكتب المعاصرة التي تجمع بين الفائدة والاستجمام، مع ما فيها من أفكار كثيرة ومضاحيّك جمّة:

**كتب الأحاديث الموضوعة! وكتب الألقاب! وكتب التصحيفات!** فإنّ في هذه الكتب من اللطائف والغرائب الشيء الكثير.

وهذه الكتب مغفول عنها - في هذه الآية تحديداً - من قبل كثير من العلماء، فضلاً عن طلابِ العلم!

**(٢) انظر** مفتاح السعادة ومصباح السعادة: لطاشكري زاده (١ / ٣٦)، وقيمة الزمن عند العلماء: لعبد الفتاح أبو غدة (ص / ١٩٠).

وكان القاضي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَذْجُجِيُّ الزَّيْدِيُّ الشَّهِيرُ بِالْمَزْجَدَ (ت ٩٣٠ هـ)، إِذَا سَئَمَ مِنَ القراءة والمطالعة استدعى مقاماتِ الحريري، فيطالع فيها، وكان يسمّيها: (طَبَقُ الْحَلْوَى)!<sup>(١)</sup>

وهذا أمرٌ طَبَعِيٌّ في الإنسان، أَنْ يَكُلَّ وَيَمْلَأَ عَنْدَ الْأَخْذِ عَلَى نَمْطٍ وَاحِدٍ، كما قال ابنُ القيم:

**وَتَخْلُلُ الْفَتَرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْ — رُّلَازْمٌ لِطَبِيعَةِ الإِنْسَانِ<sup>(٢)</sup>**

وَمِمَّا يُؤْثِرُ عَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ: «أَجِمُّوا هَذِهِ الْقُلُوبَ، وَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمْلُأُ كَمَا تَمْلُأُ الْأَبْدَانَ».

وفي روايةٍ عنه: «إِنَّ هَذِهِ النُّفُوسَ تَمْلُأُ، وَهَذِهِ الْقُلُوبُ تَدْتُرُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ وَمَلَاهِيهَا»!<sup>(٣)</sup>

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا أَفَاصَ مَنْ عِنْدَهُ فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالْتَّفْسِيرِ: «أَحْمِضُوا»!<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر: للعيديروسي (ص / ١٣٠).

(٢) الكافية الشافية (ص / ٨٣٦).

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: للزمخشري (١٤ / ٤).

(٤) قال ابن قتيبة: قوله: «أَحْمِضُوا» هو من الحَمْضِ، والْحَمْضُ مَا مَلَحَ مِنَ النَّبْتِ. والعَرَبُ تُلْقِي الْأَبْلَأَ فِي الْخَلَّةِ، وَهُوَ مَا حَلَّ مِنَ النَّبْتِ. فَإِذَا مَلَّتِهِ أَلْقَتُهَا فِي الْحَمْضِ. وأراد ابن عباس، إذا مللت من الحديث والفقه فخذلها في الأشعار وأخبار العرب لتروحها بذلك قلوبكم. ونحوه قول الزهربي: «هاتوا من أَشْعَارَكُمْ؛ فَإِنَّ الْأَذْنَ مَجَاجَةُ، وَالنَّفَسُ حَمِصَةُ».

يريد: أنها تستهوي الشيء بعد الشيء كما تستهوي الإبل الحمض بعد الخلة. غريب الحديث

**وقال أبو علي الفارسي في قوله لجابر: «فَهَلَا بِكُرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ»:**

«هذا كأنه يتشارع بمباحٍ، وتنفيسيٍّ، وجحامٍ من الجدّ، وتعملُ لما يتقوّى به عملُ النظر في العلم والعبادة، وقد رُوي عن بعض السلف أنه كان إذا أكثر النظر في مسائل الفقه قال: «أَحْمِضُوا»، وروي: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغُلْ فِيهِ بِرْفِيقٍ؛ إِنَّ الْمُنْبَتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى». وليس هذا اللعب كاللعب في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُوكُنَّا مُنَخْوَصُونَ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبه: ٦٥].<sup>(١)</sup>

**وقال القاضي عياض في شرحه حديث (أم زرع):** «فيه - أيضًا - جواز الحديث عن الأمم الخالية، والأجيال الماضية، بملح الأخبار، وطرف الحكايات؛ لتسلية النفس. وكذا ترجم عليه الترمذى في «شمائله»: «باب ما جاء في كلام رسول الله ﷺ في السمّ».<sup>(٢)</sup>

**وقال الرّصافى:**

تٰ فَهَا زَلْ سُوَيْعَةً وَاسْتَحِمْ فَقَ يُذْكِي الْفَؤَادَ، وَالْعُنْفُ يُعْمِي بِالثَّانِي بُلُوغَ خَضْمٍ بَقَضْمٍ	وَإِذَا اشْتَغلَتِ بِالْجِدَّ سَاعَا وَتَرَفَّقْ إِذَا جَهِدْتَ فِي السَّمَرِ وَلَقَدْ يَلْعُغُ الْعَجْوُلُ مَدَاهُ
---	---

---

(١) **وانظر**: المراح في المزاح: للغزّى (ص/٦٩). (٣٦٦/٢).

(٢) **الْحُجَّةُ لِلقراءِ السَّبعةِ** (٤/٤). (٤٠٦).

(٣) **إكمال المعلم بنحوائد مسلم** (٧/٤٧١).

(٤) **ديوان الرّصافى** (ص/٥٢٨).

**ولذا** فإنَّ الجاحظَ لِمَا رأى أنه أثقلَ على قُرّاء كتابه «الحيوان» بما أورده فيه من الجِدْد، أفردَ فيه فصلاً مطوّلاً ذكر في ألوانًا من الطرائف والمضاحِيَّات والأخبار والأشعار؛ يُجمِّعُهم به!<sup>(١)</sup> . ومِثله أبو جعفر النحاس<sup>(٢)</sup> .

(١) يقع فصل الإِجمام هنا في (١٤٠) صفحةً! ابتدأه بقوله: «وَإِن كَنَّا قد أَمْلَنَاك بالجِدْد وبالاحتاجاتِ الصَّحِيقَةِ والمَرَوْجَةِ؛ لِتَكْثُرَ الْخَواطِرُ، وَتُشَحَّدَ الْعُقُولُ، فَإِنَا سَنَنْشَطَك ببعضِ الْبَطَالَاتِ، وَبِذِكْرِ الْعُلُلِ الظَّرِيفَةِ، وَالْاحْتاجَاتِ الْغَرِيبَةِ؛ فَرَبَ شِعْرٍ يَلْعُغُ بِفَرْطِ غَبَوَةِ صَاحِبِهِ مِنَ السُّرُورِ وَالضَّحَكِ وَالْاسْتِطْرَافِ مَا لَا يَلْعُغُه حَسْدُ أَحَرِّ النَّوَادِرِ وَأَجْمَعِ الْمَعَانِي...».

إلى أن قال: فإنْ كنْتَ ممَّن يَسْتَعِمِلُ المَلَلَةَ، وَتَعْجَلُ إِلَيْهِ السَّآمَةَ، كَانَ هَذَا الْبَابُ تَنْشِيطًا لِقَلْبِكِ، وَجَمَاماً لِقُوَّتِكِ... وَإِنْ كنْتَ صَاحِبَ عِلْمٍ وَجِدْدًا، وَكَنْتَ مُمَرَّنًا مَوْقَعًا، وَكَنْتَ إِلَفَ تَفْكِيرٍ وَتَقْيِيرٍ، وَدَرَاسَةً كُتُبٍ، وَحِلْفَ تَبْيَّنٍ، وَكَانَ ذَلِكَ عَادَةً لَكَ لَمْ يَضُرْكَ مَكَانُهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَتَخَطَّيْهُ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِكِ.

وَعَلَى أَنِّي قَدْ عَزَمْتُ - وَاللَّهُ الْمُوْقَّعُ - أَنِّي أَوْشَحَ هَذَا الْكِتَابَ وَأَفْصَلَ أَبْوَابَهُ، بِنَوَادِرِ مِنْ ضُرُوبِ الشِّعْرِ، وَضُرُوبِ الْأَحَادِيثِ؛ لِيَخْرُجَ قارئُ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ بَابِ إِلَى بَابٍ، وَمِنْ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْأَسْمَاعَ تَمْلِي الْأَصْوَاتَ الْمُطْرَبَةَ وَالْأَغَانِيَ الْحَسَنَةَ وَالْأَوْتَارَ الْفَصِيحَةَ، إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهَا. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا فِي طَرِيقِ الرَّاحَةِ، التِّي إِذَا طَالَتْ أُورِثَتْ الْغَفَلَةَ.

وَإِذَا كَانَتِ الْأَوَّلَيْنَ قَدْ سَارَتِ فِي صَعْدَارِ الْكِتَبِ هَذِهِ السِّيَرَةَ، كَانَ هَذَا التَّدَبِيرُ لِمَا طَالَ وَكُثُرَ أَصْلَحَ، وَمَا غَایَتُنَا مِنْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا أَنَّ تَسْتَفِيدُوا خَيْرًا.

وقال أبو الدَّرَداءُ: إِنِّي لَأُحِمِّ نَفْسِي بِعَضِ الْبَاطِلِ، كَرَاهَةً أَنْ أُحَمِّلَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يُؤْمِلُهَا». *الحيوان* (٣ / ٥ - ٧).

(٢) فقد قال في المرتبة السابعة من كتابه عمدة الكتاب (ص / ٣٢٥): «لَقَبَنَا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ بِمَرْتَبَةِ الْفَهَاهَةِ، لِمَا قَدَرْنَا أَنْ نَذَكِرَ فِيهَا مِمَّا يُعَابُ عَلَى الْكُتُبَ وَمَنْ لَحْقَهُ الْفَهَاهَةُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ =

بل إنَّ الزمخشريَّ ما أَلْفَ كتابه «ربيع الأبرار» أَجَلَ كتب الأدب -عندِي-،  
إلاً من أجل إجماع قراء تفسيره «الكشاف»!<sup>(١)</sup>.  
وتحتَّلُّفُ عوائِدُ كُلَّ عصْرٍ فِي نُوْعٍ مَا يُسْتَجِمُ بِهِ، فلَكُلَّ عصْرٍ إِجْمَاعُهُ  
واسْتِرَاحَتُهُ!

فقد ذكر شيخ الإسلام ابنُ تيمية (ت ٧٢٨ هـ) عن علماء عصره أنهم كانوا  
يَتَلَهُونَ في أوقات فراغهم بعلم الفرائض والحساب ونحو ذلك!!

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «كثِيرٌ مِّن متأخِّرِي أَصْحَابِنَا، يَشْتَغِلُونَ وَقْتَ بَطَالَتِهِمْ بِعِلْمِ  
الفرائض، والحساب، والجبر والمقابلة، والهندسة، ونحو ذلك! لِأَنَّ فِيهِ  
تَفْرِيحاً لِلنَّفْسِ، وَهُوَ عِلْمٌ صَحِيحٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ غَلْطٌ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ عُمَرَ بْنِ  
الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا لَهُوْتُمْ فَالْهُوَا بِالرَّمِيِّ، وَإِذَا تَحَدَّثُوا  
بِالفرائض، فَإِنَّ حَسَابَ الفرائض عِلْمٌ مَعْقُولٌ مَبْنَىٰ عَلَىٰ أَصْلٍ مَشْرُوعٍ،  
فَتَبْقَىٰ فِيهِ رِياضَةُ الْعُقْلِ، وَحِفْظُ الشَّرْعِ، وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ عِلْمًا يُطَلَّبُ لِذَاتِهِ، وَلَا  
تَكَمُّلُ بِهِ النَّفْسُ».<sup>(٢)</sup>.

مُسْتَجْلِبًا لِنشَاطِ الْقَارِئِ وَإِصْغَاءِ الْمُسْتَمِعِ، وَلَعِلَّ مَنْ يَتَصَفَّحُ هَذَا الْكِتَابَ يَقُولُ: مَا هَذَا مِنْ  
صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ، فَيَخْرُجَ إِلَى الْفَهَاهَةِ! لِأَنَّ مَعْرِفَةَ كَثِيرٍ مِمَّا يَمْرُرُ فِي هَذَا الْبَابِ يُسْتَحْسَنُ  
لِلْكَاتِبِ مَعْرِفَتُهُ، وَيُعَدُّ حَفْظُهُ إِيَّاهُ مِنْ أَدْبَهِ».

(١) حيث قال في مقدمة ربِيع الأبرار (٣/١): «وهذا كتابٌ قصدتُ به إجماع خواطر الناظرين في «الكشاف عن حقائق التنزيل»، وترويج قلوبِهم المتعبة بإجاللةِ الفِكْرِ في استخراج ودائع علمه وخبيايه، والتفنيس عن أذهانِهم المكُدودة باستيصال غواصيه وخفاياه، وأن تكون مطالعته ترفيهاً لمن مَلَّ، والنظرُ فيه إحماساً لمن اختلَ.....».

(٢) الرد على المنطقين (ص ١٣٦).

## وَجَعَلَ ابْنُ فَرْحُونَ الْيَعْمُرِيُّ الْمَالِكِيُّ (ت ٧٩٩هـ) إِجْمَامَ النَّفْسِ فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ الْفَقَهِيَّةِ!

**فَقَالَ:** «إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْاِكْتَسَابِ وَأَسْمَاهُ، وَطَالُّبُهُ يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ  
وَعِزْمٍ، وَإِجْمَامُ نَفْسِهِ لَابْدٌ لَهُ مِنْهُ حَتَّمًا. فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
«سَلُوا النَّفْسَ سَاعَةً؛ فَإِنَّهَا تَصْدِأُ كَمَا يَصْدِأُ الْحَدِيدُ».

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَجَمَّ بِهِ نَفْسَهُ مَحَاضِرُ الطَّلَابِ، بِالْأَلْغَازِ فَرَوْعَ الأَصْحَابِ؛  
لَأَنَّهَا تُحَدِّدُ الْأَذْهَانَ، وَتَفْتَحُ الْجَنَانَ، وَتُفَاضِلُ بَيْنَ الْأَقْرَانِ. وَالْعَمَلُ بِهَا ثَابِتٌ فِي  
الصَّحِيحِ، وَهِيَ فِي الْبَخَارِيِّ نَصُّ صَرِيحٍ.....<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ بَيِّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْكِتَابِ نَفْسِهِ (ص/ ٢٥٥) أَنَّ الْمَرَادَ الْمَسَائِلُ الْعَوِيقَةُ الَّتِي  
تُفْتَقَنُ الْذَّهَنَ وَتُقْوَىُهُ. فَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ:

«النَّظَرُ فِي الْعِلُومِ الدَّقِيقَةِ يُفْتَقِنُ الْذَّهَنَ، وَيُدَرِّبُهُ، وَيُقْوِيُهُ عَلَىِ الْعِلْمِ؛ فَيَصِيرُ مَثَلُ: كُثْرَةِ الرَّمِيِّ  
بِالشَّابِ (النَّبْل)، وَرَكْوَبِ الْخَيلِ، تُعِينُ عَلَىِ قُوَّةِ الرَّمِيِّ وَالرَّكْوَبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَقَتَّ  
قَتَالٍ، وَهَذَا مَقْصِدُ حَسْنٍ».

وَلَهُذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ يَرْغُبُ فِي النَّظَرِ فِي الْعِلُومِ الصَّادِقَةِ الْدَّقِيقَةِ: كَالْجِبْرِ وَالْمُقَابِلَةِ،  
وَعَوِيقَةِ الْفَرَائِضِ، وَالْوَصَايَا وَالدَّوْرِ؛ لِشَحْدِ الْذَّهَنِ؛ فَإِنَّهُ عِلْمٌ صَحِيقٌ فِي نَفْسِهِ. وَلَهُذَا يُسَمَّى  
الرِّياضِيُّ؛ فَإِنَّ لِفَظِ الرِّياضَةِ يَسْتَعْمِلُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

- ١ - فِي رِياضَةِ الْأَبْدَانِ بِالْحَرْكَةِ وَالْمَشِيِّ كَمَا يَذَكُرُ ذَلِكَ الْأَطْبَاءُ وَغَيْرُهُمْ.
- ٢ - فِي رِياضَةِ النُّفُوسِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الْمُعْتَدِلَةِ وَالْآدَابِ الْمُحَمُودَةِ.
- ٣ - فِي رِياضَةِ الْأَذْهَانِ بِمَعْرِفَةِ دَقِيقِ الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْأَمْوَالِ الْغَامِضَةِ».

(١) ذَكَرَ الْمُؤْلَفُ هُنَا حَدِيثَ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَشْهُورُ، حِينَما سَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّخْلَةِ. وَهُوَ فِي صَحِيقِ الْبَخَارِيِّ، فِي كِتَابِ الْعِلْمِ: بَابِ طَرْحِ الْإِمَامِ الْمَسَأَلَةِ عَلَىِ أَصْحَابِهِ  
لِيَخْتَبِرُ مَا عَنْهُمْ مِنْ الْعِلْمِ، ح (٦٢).  
وَجَمِيعُ مَنْ أَلْفَ فِي الْأَلْغَازِ وَالْأَحْاجِيِّ يَسْتَشَهِدُ بِهِ.

وقد أَلْفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيفَ عَدِيدَةً، وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمِّيهُ الْفَقَهَاءُ الْأَلْغَازَ، وَأَهْلُ الْفَرَائِضِ يُسَمِّونَهُ الْمُعَمَّمَاتِ، وَالنَّحَاءُ يُسَمِّونَهُ الْمُعَمَّمِي، وَاللَّغُوِيُّونَ يُسَمِّونَهُ الْأَحَاجِي.

وَلَمْ أَقْفُ لِلْمَالِكِيَّةِ عَلَى تَأْلِيفِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ يُقْتَنِي بِهِ وَيُتَّبَعُ، فَقَيْدَتُ مِنْ ذَلِكَ مَا تُسْتَطِرَفُ بِهِ الْمَذَاكِرَةُ، وَتُسْتَجَلِي بِهِ الْمَحَاضِرَةُ»<sup>(١)</sup>.



\* - مِنَ الْأَمْوَارِ الْمُهِمَّةِ فِي عَمَلِيَّةِ الْقِرَاءَةِ؛ أَنْ يُنَاقِشَ الْقَارِئُ مَا يَقْرَأُ وَيَتَفَاعَلُ مَعَهُ.

بِمَعْنَى أَنْ يَضْعَفَ فِي ذَهَنِهِ أَسْئَلَةً وَيُحَاوِلَ أَنْ يَجِدَ لَهَا حَلًّا فِي الْكِتَابِ الْمَقْرُوءِ؛ فَإِنَّ هَذَا أَدْعَى إِلَى التَّرْكِيزِ فِيمَا يَقْرَأُ، كَمَا أَنَّهُ سَبِيلٌ لِفَهْمِ أَدْقَّ لِلْكِتَابِ.

**لَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ** تَكُونَ تَلْكَ التَّسْأُولَاتُ مُنْضَبْطَةً وَمُنْطَقِيَّةً، لَا أَنْ تَكُونَ مِثْلَ تَسْأُولَاتِ عَوَضِ بْنِ نَصْرِ الْمِصْرِيِّ!

فَقَدْ نَقْلُوا عَنْهُ أَنَّهُ أَخْذَ كِتَابَ «الْمُفَصَّل» لِلزَّمْخَشْرِيِّ - وَهُوَ كِتَابٌ فِي النَّحْوِ - فَسَأَلَ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ عَنْ قَوْلِ الزَّمْخَشْرِيِّ فِي أَوْلِهِ: «اللَّهُ أَحَمْدُ»، لَأَيِّ شَيْءٍ قَالَ: «اللَّهُ أَحَمْدُ»، وَمَا قَالَ: اللَّهُ يُوسُفُ! وَلَا اللَّهُ عِيسَى! أَوْ مُوسَى! أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ»؟!!

فَحَفِظُوهَا عَنْهُ الطَّلَابُ، وَصَارُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَتَطَنَّزُونَ بِهِ، وَيَضْعُونَ

(١) دُرَّةُ الْغَوَّاصِ فِي مَحَاضِرِ الْخَوَاصِ (ص/ ٦٢-٦٥).

على لسانه أسئلةً حمقاءً كسؤاله هذا!!<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - تكرار قراءة الكتاب المقرؤء؛ أولى من قراءة كتاب جديد.

لأنَّ القارئ لا يكاد يثبتُ في ذهنه من القراءة الأولى للكتاب إلا معالِم وأشياءٌ يسيرةً، فإذا ما كَرَّ على الكتاب ثانيةً، وثالثةً، ورابعةً...؛ فإنَّ الكتاب يرسخُ ويثبتُ. **لذا قالوا:** «التكرار، يولد الاستقرار».

وقد ثبت بالتجربة أنَّ كُلَّ قراءةٍ سيظهرُ للقارئ فيها معانٍ جديدةً، كما تترسخُ لديه المعاني السابقة، **قال المُزَنِي:** «قرأتُ «الرسالة»<sup>(٢)</sup> خمسَ مائةٍ مرة!! ما من مرَّةٍ إلَّا واستفدتُ منها فائدةً جديدةً!».

**وفي رواية عنه أنه قال:** «أنا أنظرُ في «الرسالة» من خمسينَ سنةً! ما أعلم أني نظرتُ فيها مرَّةٍ إلَّا واستفدتُ شيئاً لم أكنْ عرفته!»<sup>(٣)</sup>.

**وقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي** عن كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني: «لا تَسْأَلْنِي عن خصائصِه التي أثَرَتْ في نفسي وجَلَبَتْ قِيادي إليه، حتى تركتني أُجَدِّدُ قراءاته من أوَّله إلى آخره في كُلِّ عَقْدٍ من سِنِّي عمرِي، وكُلَّما قرأتُه تجدَّدتْ آثارُه في نفسي، وتجاوزتْ أصداؤه بين جوانبي، فبعث

(١) انظر خبره في: أعيان العصر: للصفدي (٧٠٦/٣)، والدرر الكامنة: لابن حجر (١٩٩/٣).

وقد استوفيتُ قصته بتمامها مع توجيه كلام الزمخشري في كتابي الإبداع العلمي (ص/ ١٥٤) من طبعة مكتبة دار المنهاج، فراجعها إن شئت.

(٢) يعني كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي، أول مؤلَّفٍ في علم أصول الفقه.

(٣) المجموع شرح المهدب: للنووي (٩/١).

في رُوحاً جديدةً! لا تَسأْلني عن ذلك؛ فكُلُّ أديبٍ قرأه وكرر قراءاته وجد في نفسه من التأثير مثل ما أَجِدُ، أو فوق ما أَجِدُ، وتَجَدَّدتْ عنده صُوره من روعة الأدب العربي وجلاله<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الأديب المصري عباس محمود العقاد: فوائد كثيرةً لتكرار قراءة الكتاب الواحد عدَّة مراتٍ<sup>(٢)</sup>.

ومن تبويبات الإمام البخاري في صحيحه<sup>(٣)</sup>: بَابُ مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا؛ لِيُفْهَمَ عَنْهُ.

وقد كان هذا دِيدن العلماء قديماً وحديثاً؛ فقد كانوا يقرأون الكتاب الواحد عشرات المرات! وربما مئات المرات! بل بلغ بعضهم الألف!<sup>(٤)</sup>. لكن قد يُمْنُ المنان على بعض الناس بذاكرةٍ واحدةٍ، بحيث يتلقّى الكتاب في ذهنه من أول مرة، فلا يحتاج لمعاودة قراءة الكتاب مرة أخرى! قال جمال الدين السومري في أماله: «ومن عجائب ما وقع في الحفظ من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب مطالعةً مرّة فinctقش في ذهنه، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه!»<sup>(٥)</sup>.

وذكروا في ترجمة العالمة اللغوي/ ناصيف اليازجي، أنه كان يحفظ زبدة

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/٣٧٤).

(٢) انظرها في كتابه يوميات (٤/٦٢٢).

(٣) (٤٧/١).

(٤) ذكرت نماذج كثيرةً من هذا في كتابي «الإبداع العلمي» (ص/١١٩) الطبعة الثانية، نشر مكتبة دار المناهج، فراجعها فيه.

(٥) الدرر الكامنة: لابن حجر (١/١٧٨).

كُل كتاب يقرأه، فيرسخ في ذهنه فلا تذهب به الأيام! وقلما طالع كتاباً واحتاج إلى مطالعته مرة ثانية! <sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* ليس بالضرورة أن يقرأ القارئ الكتاب من كتب الثقافة العامة - ككتب الأدب، والمذكرات، والرحلات، والمقالات، والمعلمات <sup>(٢)</sup>، ونحوها - كاملاً.

بل لو انتقى منه ما يحتاجه من المباحث والمطالبات التي يرى أهميتها بالنسبة له، كان ذلك كافياً.

فلو أنه اختار من مكتبته خمسة أو ستة من الكتب مثلاً، فتصفح فهارسها، ثم قرأ من كل واحد منها عدة مباحث، لتحققت له المتعة والفائدة. وهذا يتأكّد في حق المستغلين بالتأليف والتصنيف أكثر من غيرهم؛ إذ العمر قصير، والكتب عدد الرمل والحصى!

\*\*\*

\* أقصد إلى ما يفيده ويرقيك و تستطيع فهمه واستيعابه من الكتب. بعض النظر عن كونه معاصرًا أو قدیماً؛ إذ الهدف هو اكتساب العلم والمعرفة من أقرب طريق.

فلا يمدح القديم لقدمه، ولا يذم المعاصر لجذبه، وإنما المعيار هو تحصيل الفوائد وفهم المسائل، دون التفات للوسائل.

(١) انظر مقدمة كتابي «الجامع العزيز».

(٢) تقدّم الكلام عن هذه التسمية.

**قال الدكتور / عياض بن نامي السلمي:** «ما يتخوّف منه بعض الغيورين من ابعاد الناس عن كتب التراث وجهلهم بلغتها وأسلوبها إنْ هم اكتفوا بتلك المؤلفات الحديثة، لا أرى له ما يؤيده من النقل ولا من العقل؛ فإنَّ النقل إنما جاء بالأمر بالتفقُّه في الدين ومعرفة حكم الله جل وعلا بالطريق الصحيح والعمل به: ﴿فَأَوَّلًا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفَقُهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبه: ١٢٢]، «رحم الله امراً سمع مقالتي فوعاها فأدَّها كما سمعها»، ولم يتبعْنَا الله جل وعلا بقراءة كتابٍ غير كتابِه، ولا بحفظ كلامِه، ولم يتبعْنَا الله بالاجتهاد في فهم معمَّيات المختصرات، ولا بالاجتهاد في منطوق كلام أحدٍ من خلقه ومفهومه، إلَّا كلامُ رسوله ﷺ الذي هو حُجَّةٌ يجب تأملُها والنظرُ فيها، وفقَ ما تقرَّر من قواعد الفهم والاستدلال.

وأما العقل فإنه يقتضي ضرورة البحث عن الحق بأيسر وسيلة وأقربها، وأن لا يُضيع الإنسان عمره في سلوك الدروب المترّجة، مع تمكّنه من الوصول إلى الغاية بالطريق المستقيم.

وليس معنى هذا الكلام الدعوة إلى ترك كتب المتقدمين، والإكتفاء عنها بكتب المتأخرین، وإنما المقصود أن لا يظنّ من لم يسعفه ذهنه بإدراك كتب المتقدمين، أنَّ الطريق أمامه مُوصَدةٌ، فيفرضى بمرتبة التقليد! بل عليه أن يعرف مما كتبه المُحدِّثون ما يمكّنه من الاختيار والترجيح، ويعينه على معرفة القول الباطل من الصحيح»<sup>(١)</sup>.

(١) أصول الفقه الذي لا يَسْعُ الفقيهَ جَهْلُهُ (ص/٧).

**فينبغي أن** يبدأ الطالبُ أولاً بقراءة الكتب المعاصرة في الفنّ؛ لسهولتها ويسراها في لغتها وأسلوبها وطريقة عرضها، فإذا ما فهم المسائلَ جيداً وتصورَها حقَّ التصور، فلا عليه بعد ذاك أن ينطلق إلى القراءة في المصادر الأصوليَّة غير هيابٍ ولا وجهاً.

\*\*\*

\* - **ينبغي لطالبِ العلمِ الجادِ أن يعيش عصرَه العلميَّ، ولا ينكفأ على نفسه.**

وذلك بأن يتبعَ الجديدَ من الكتب، وإصداراتِ دور النشر، والأطروحة العلميَّة والفكريَّة؛ فإنَّ هذا أعنونُ له على الطلب والتحصيل، وأعوَدُ عليه بالتفع والفائدة.

ولقد ظهرت فتنَة (الحداثة)<sup>(١)</sup> عِندنا قبل بُرْهَةٍ من الزمن، وهاجت بها الدنيا

**(١) الحداثة:** مذهبٌ فكريٌّ أدبيٌّ علمانيٌّ، يُنادي على أفكار وعقائد غربيَّة خالصة، مثل الماركسية والوجودية والفرويديَّة والداروينيَّة، وأفادات المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزيَّة ... وغيرها.

وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كلَّ القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية؛ بحجج أنها قديمة وموروثة! لتبني الحياة على الإباحية، والفوسي، والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة!

والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة مُلحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريرالية وهي من هذه الناحية شرًّا؛ لأنها إملاءات اللاإلوعى في غيبة الوعي والعقل، وهي صبيانية المضمون، وعبثية في شكلها الفني، وتتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمرٍ للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي ولظهور

=

وماجتْ، ثمَّ خَمَدْتُ بعْدَ ذَلِكَ <sup>(١)</sup>، وَبَعْضُ طَلَابُ الْعِلْمِ لَمْ يَشْعُرُوا بِهَا !!  
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ اطْلَاعِ هُؤُلَاءِ، وَانْدَعَامِ اهْتِمَامِهِمْ بِمُتَابَعَةِ  
الْمُسْتَجَدَّاتِ !

وَهَذَا خَلَافٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَا نَبَتَتْ  
نَابِتَةً (الْقَدَرِيَّة) فِي عَصْرِهِ، اهْتَمَ لِلْقَضِيَّةِ، وَأَفْتَى فِيهَا، وَحَذَرَ مِنْ أَصْحَابِهَا، فَعَنْ  
يَحْيَى بْنِ يَعْمَرِ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصَرَةِ مَعْبُودُ الْجَهْنَمِيُّ،  
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيِّ حَاجِيْنِ، أَوْ مُعْتَمِرِيْنِ، فَقُلْنَا:  
لَوْ لَقَيْنَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هُؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ،  
فَوُفِّقْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَابِ دَاخِلًا الْمَسْجَدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي  
أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شَمَائِلِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكُلُّ الْكَلَامَ إِلَيَّ،  
فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ

الشك والقلق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.  
بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير  
من الأدباء السرياليين والرمزيين والمماركيسين والفووضويين والعبيدين، ولقي استجابةً  
لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا  
الإسلامي العربي. **انظر**: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة  
(٨٦٧ / ٢).

(١) كان السبب في إخمادها - والله الحمد والمنة - عدّة عوامل؛ منها: المقدمة الفنية التي  
قدم بها العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله كتاب «الحداثة في ميزان الإسلام» للدكتور/  
عوض بن محمد القرني، حيث بين فيها خطورة هذا المذهب الهدام، وحذر منه، مما كان  
له أكبر الأثر في دحر هذا المذهب وأربابه، وهدمه على رؤوس زباناته وأصحابه!

العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنْفُ، قال:  
«إِذَا لَقِيْتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بِرِيءٌ مِّنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءُ مِّنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ  
بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ حَتَّى  
يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»<sup>(١)</sup>.

ومثلهُ ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنْهُما في خبر نقله عنهُ العلماءُ .

(١) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح (٢٨/١).

(٢) عن وهب بن منبه أن ابن عباس طاف بالبيت حين أصبح أسبوعاً (يعني سبعة أشواط).  
**قال وهب:** وأنا وطاوس معه وعكرمة مولاه، وكان قد رق بصره فكان يتوكأ على العصا، فلما فرغ من طوافه انصرف إلى الحظيم، فصلى ركعتين، ثم نهض فنهضنا معه، فدفع عصاه إلى عكرمة مولاه، وتوكأ علىي وعلى طاوس، ثم انطلق بنا إلى غرب الكعبة بين باببني سهم وباببني جمَح، فوقفنا على قوم بلغ ابن عباس أنهم يخوضون في حديث القَدْر وغيره مما يختلف الناس فيه، فلما وقف عليهم سلم عليهم فأجابوه فرحبوا به وأوسعوا له، فكره أن يجلس إليهم، ثم قال: يا معشر المتكلمين فيما لا يعنيهم ولا يرد عليهم، ألم تعلموا أن الله عز وجل عباداً قد أسكنتهم خشيتُه من غير عيٰ ولا بكم، وإنهم لهم الفصحاء النطقاء النباء الآباء والعلمون بالله عز وجل وبآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله عز وجل انقطعت ألسنتُهم وكسرت قلوبُهم وطاشت عقولُهم؛ إعظاماً لله عز وجل، وإعزازاً وإجلالاً، فإذا استيقنوا من ذلك استيقنوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكية، يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وإنهم لأنزاه أبراً، أو مع المقصررين والمفترطين وإنهم لأكياس أقوباء، ولكنهم لا يرضون الله عز وجل بالقليل، ولا يستكثرون له الكثير، ولا يدخلون عليه بالأعمال، متى ما لقيتهم فهم مهتمون مخوفون مرؤون خائفون مشفكون وجلون، فain أنت منهم يا معشر المبتدئين؟! أعلموا أن أعلم الناس بالقدر أسكنتهم عنه، وأن أجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه». **قال وهب:** ثم انصرف عنهم وتركتهم، فبلغ ابن عباس أنهم تفرقوا عن مجلسهم ذلك، ثم لم يعودوا إليه حتى هلك ابن عباس. آخر جه الفسوسي في المعرفة والتاريخ (٥٢٤ / ١١)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص / ٢٩٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨١ / ١٠).

ولما ظهرت فتنة القول بـ(خلق القرآن) كان للعلماء موقف معروف منها... وهكذا.

\*\*\*

### \* - العناية الفائقة باقتناء وقراءة كتب معاجم الفنون.

إذ ما من علم ولا فن إلا وقد وضع فيه أصحابه - غالباً - مُعجمًا يجمع مصطلحاته ومواده بشكل مركّز مكثّف. وهذه المعاجم تُسْدِّد مَسَدَّ سائر الكتب في الفن غالباً، ولا يُسْدِّد غيرها مَسَدَّها.

بل لو أن زاعماً رَعَمَ أنها تكفي المطالع في الفن؛ لما أبعد النجعة! ولو أقسم على ذلك لما حَشِّه!

### ومن مزايا هذه المعاجم:

- ١- أنها تجمع جميع مصطلحات وجزئيات الفن غالباً.
- ٢- أنها تُبرُز مسائل ومصطلحات كثيرة تُوجَد في غير مظانها، ربما لا يهتدى إليها المتخصصون في الفن!
- ٣- أن عبارتها سهلة واضحة.
- ٤- أن معلوماتها مركزة مكثفة، بل ربما لُخّصت في المادة الواحدة السيرة عشرات الصفحات!
- ٥- أنها تذكر التعريفات والأقوال الراجحة في الفن نفسه.
- ٦- أنها مرتبة - غالباً - على الترتيب الألفبائي؛ مما يُسْهِل الوصول للملعومة.

ومن هذه المعاجم:

- معجم علوم القرآن: لإبراهيم بن محمد الجرمي.
- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلّق بها: لعبد العلي المُسَؤُل.
- معجم علوم الحديث النبوي: لعبد الرحمن الخميسي.
- معجم لغة الفقهاء: لمحمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنبي.
- القاموس الفقهي لغةً وأصطلاحاً: لسعدي أبو حبيب.
- معجم مصطلحات أصول الفقه: لقطب مصطفى سانو.
- مُعجم القواعد العربية في النحو والتصريف: لعبد الغني الدقر.
- مُعجم البلاغة العربية: لبدوي طبانة.
- المُعجم الأدبي: لجبور عبد النور.
- وغيرها.

\*\*\*

\* - ينبغي لطالب العلم العناية بكتب المعلمات (الموسوعات)<sup>(١)</sup>. وهي كتب عظيمة النفع جداً، تتدخل فوائدها مع فوائد كتب معاجم الفنون، وكل منها يكمل الآخر.

وتنقسم هذه الموسوعات إلى قسمين:

/١/ موسوعات متخصصة في لون معين من العلوم والمعارف.

---

(١) تقدّم الكلام عن هذه التسمية.

## ومن أهم هذه الموسوعات:

\* «موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»: من إصدار الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة، وتقع في ستة مجلّداتٍ فاخرةٍ. وقد قام بإعدادها مجموعةً من الباحثين والمحترفين في العقيدة. ورُتّبت حسب الترتيب الألفبائي؛ تسهيلاً للوصول للمعلومة بأسرع وقت. وهي أشمل وأدق موسوعة ظهرت حتى الآن في عقيدة أهل السنة والجماعة.

فجزى الله القائمين على إعدادها ومراجعتها خير الجزاء؛ فقد سدّت فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية والله الحمد.

\* «الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»: من إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وهي موسوعةٌ نفيسةٌ، لخّص فيها القائمون عليها مئات الكتب والمقالات، التي كُتبت عن الأديان والمذاهب والأحزاب القديمة منها والمعاصرة.

\* «الموسوعة الفقهية الميسّرة»: لمحمد روّاس قلعة جي. وتقع في مجلّدين كبيرين.

\* «الموسوعة الفقهية الكويتية»: الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، وتقع في (٤٥) مجلّدة من الحجم الكبير! وهو عملٌ ضخمٌ جبار، انتفع به العلماءُ والباحثون كثيراً، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

\* «موسوعة علوم الحديث وفنونه»: لسيّد عبد الماجد الغوري.

وهي موسوعة نافعةٌ دقيقةٌ تقع في ثلاثةٍ مجلداتٍ كبارٍ.

\* «نَصْرَةُ النَّعِيمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ»: إعدادٌ مجموعٌ

من الباحثين.

وهي موسوعةٌ قيّمةٌ تقع في (١٢) مجلدًا من الحجم الكبير. حصل بسببها نفعٌ عظيمٌ؛ حيثُ حُشدَ فيها نصوصٌ كثيرةٌ من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وغير ذلك.

وقد ساهمت مساهمةً عظيمةً في مساعدة المحاضرين، والخطباء، والوعاظ في الإعداد والتحضير.

## ٢/ موسوعاتٌ عامةٌ في شتى المعرف.

وهي كثيرةٌ، ومن أشهرِها:

- «الموسوعة العربية الميسّرة»: لمجموعةٍ من الباحثين.

- «دائرة معارف القرن العشرين»: لمحمد فريد وجدي.

- «الموسوعة العربية العالمية»: وهي أشهرُها وأدقُها وأكبرُها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - الاهتمامُ باقتناءِ الكُتبِ الْأَمَّاتِ<sup>(٢)</sup> ومصادرِ الفنونِ الأصيلة.

(١) راجع تفصيل الكلام عن هذه الموسوعات الثلاث في كتابي: «المراشد السديدة للقراءة المفيدة».

(٢) فائدة: الْأُمَّةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ. ومذهبُ بعضِ اللغوين أنَّهَا تُجْمِعُ إِذَا كَانَتْ لَمَا لا يُقْلِلُ أَوْ مِنْ غَيْرِ الْأَدْمِيَّاتِ: أُمَّاتٍ بِغَيْرِ هَاءِ، وَأَمَّاتٍ بَأَنَّاتٍ آدَمَ فَهُنَّ أَمَّهَاتٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

**فلا ينبغي الاستكثار من المُلْحَصَات والكتيبات؛ فإنَّها قليلةُ الجدوى، نَزِرةُ الفائدة<sup>(١)</sup>.**

**ذكر العتبى** كتاباً لبعض القدماء فقال: لو لا طوله وكثرة ورقه لنسخته! فقال ابنُ الجهم: لكنّي ما رغبني فيه إلّا الذي زهدك فيه! وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخذلاني من فائدةٍ، وما أحصي كم قرأتُ من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت!<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابنُ الجهم:** «إذا استحسنتَ الكتاب واستجذّته ورجوتُ منه الفائدةَ ورأيتُ ذلك فيه، فلو تراني وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُ كم بقي من ورقه مخافةً استنفاده وانقطاعِ المادةِ من قلبه، وإن كان المصحفُ (الكتاب) عظيمَ الحجمِ كثيرَ الورقِ كثيرَ العدد فقد تَمَ عيشي وكم سروري!»<sup>(٣)</sup>. اللهم إلّا إذا كانت الكتبَ ذاتَ موضوعٍ طريفٍ لم يسبقْ أنْ بحثَ،

**لقد آليتُ أَغْدِرُ فِي جَدَاعٍ**  
**وَإِنْ مُنِيَتُ أُمَّاتِ الرِّبَاعِ**

وقد جُمع بين اللعتين في **قول القائل**:

**إِذَا الْأَمْهَاتُ قَبَحَ الْوُجُوهَ**  
**فَرْجَتَ الظَّلَامَ بِمَاتِكَا**

**انظر:** العين: للخليل (٨/٤٣٤)، وتهذيب اللغة: للأزرحي (٦/٢٥١)، والصحاح: للجوهري (٥/١٨٦٣)، والقاموس المحيط: للفيروزآبادي (ص/١٠٧٦).

(١) كما أنَّ الكتبَ وإنْ كانتْ زهيدةً الثمن، فإنَّها سريعةُ التلف، عُرضةً للضياع، عَسِرَةً الترتيب في خزانة الكتب (يعرفُ ذلك أصحابُ الخزائن!).

(٢) الحيوان: للجاحظ (١/٥٣).

(٣) المصدر نفسه.

أو جَمَعْتُ أشياءً مُتَفَرِّقةً، أو اشتملتُ على مقصidٍ من مقاصد التأليف التي لا يُؤلِّفُ عاقلٌ إِلَّا فِيهَا<sup>(١)</sup> – فَإِنَّهُ يَحْسُنُ اقْتِناؤهَا حِينَئِذٍ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

\* – العنايةُ بقراءة الكتب التي تتناول موضوعَ العلم، وتبينُ معالمه، وتشرحُ مناهجَه، وتذكرُ طرائقَه وآدابَه.  
فإنها من أعظمِ المُحْفَزَاتِ على القراءة والاطلاع.

**ومن تلك الكتب:**

- «الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع»: للخطيب البغدادي.
- «جامع بيان العلم وفضله»: لابن عبدالبر القرطبي.
- وهو العُمدةُ في هذا الباب.

(١) ذكرتها بالتفصيل في الطبعة الثانية من كتابي «الإبداع العلمي» (ص/٢٩) نشر مكتبة دار المنهاج، فراجعها ثمة.

(٢) **لطيفة:** جاء في ترجمة موقف الدين أسعد بن أبي الفتح المطران: «وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوایته فيها أنه جامعٌ لكثيرٍ من الكتب الصغار والمقالات المتفرقة في الطب.... واجتمع عنده من تلك الأجزاء الصغار مجلداتٌ كثيرةً جدًا، فكان أبدًا لا يُفارق في كُمّه مجلدًا يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجّه. وبعد وفاته بيعت جميعُ كتبه وذلك أنه ما خلَّف ولدًا».

وحدثني الحكيم عمرانُ الإسرائيليُّ أنه لما حضر بيعَ كتب ابن المطران وجدهم وقد أخرجوها من هذه الأجزاء الصغار ألوفاً كثيرةً أكثرُها بخط ابن الجمالية.... فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم واشتري الحكيمُ عمرانُ أكثرها، وقال لي: إنه حصل الاتفاقُ مع الورثة في بيعها أنهم أطلقوا مع كل جزءٍ منها بدرهمٍ، فاشترى الأطباء منهم هذه الأجزاء الصغار على الشمن بالعدد». عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣/٢٩٣).

- «**تعليم المتعلم طريق التعلم**»: للزَّنْبُوجِي.
- «**أدب الإملاء والاستملاء**»: للسمعاني.
- «**مفتاح دار السعادة**»: لابن القِيم.  
وهو نفيس للغاية.
- «**تذكرة السامع والمتكلّم، في أدب العالم والمتعلّم**»: لابن جماعة.  
وهو كتاب مدرسي جامع نافع.
- «**مفتاح السعادة**»: لطاش كيري زاده.
- «**أبجد العلوم**»: لصديق حسن خان.
- «**حلية طالب العلم**»: لبكر أبو زيد.  
وغيرها.

\*\*\*

\* ينبع اختيار الأوقات المناسبة والأماكن المريحة لممارسة القراءة.  
وذلك كالأوقات التي تكون بعد النّوم؛ فإنّ الذهن يكون فيها متيقظاً  
نشطاً. وكالأماكن ذات الهواء العليل والخُصْرَة والماء<sup>(١)</sup>.

(١) ذكر القلقشندى في كتابه العجب: صبح الأعشى في صناعة الإنسا (٣٢٠ / ٣٢١ - ٣٢١) أنّ  
مما يعين على الإجاده والاتقان خلو الفكر عن المشوش، وأرجع ذلك إلى أمرين: صفاء  
الزمان، وصفاء المكان.

أما صفاء الزمان، فقال عنه: «قال أبو تمام الطائي في وصيته لأبي عبادة البختري مُرشداً له  
للحوق المناسب لذلك: تخير الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من العموم، واعلم أنّ  
العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر؛ فإن النفس  
=

ولذا فإن الإمام الذهبي رحمه الله لما نزل كفر بطننا في غوطة دمشق - وهي منطقة حسنة بدعة<sup>(١)</sup> - ألف أكبر مؤلفاته، وأعظم مصنفاته: «تاريخ الإسلام»

تكون قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، وصفا الدماغ من أكثر الأبخرة والأدخنة، وسكنت الغماجم، ورفقت النساء، وتغنت الحمام. وخالف ابن أبي الأصبع في اختيار وقت السحر، وجناح إلى اختيار وسط الليل؛ أخذًا من قول أبي تمام في قصيده البائية:

### حُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمَهَذَّبِ فِي الدُّجْنِيِّ      وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقَعَةُ الْجِلْبَابِ

مفسسًا للدجني بوسط الليل، محتاجًا لذلك بأنه حينئذ تكون النفس قد أخذت حظها من الراحة، ونالت قسطها من النوم، وخف عنها ثقل الغذاء، فيكون الذهن حينئذ صحيحاً، والصدر منشرحًا، والبدن نشيطاً، والقلب ساكناً. بخلاف وقت السحر فإنه وإن كان فيه يرق النسيم، وينهض العداء، إلا أنه يكون قد انتبه فيه أكثر الحيوانات، الناطق وغيره، ويرتفع معظم الأصوات، ويجري الكثير من الحركات، وينقسم بعض الظلماء بطلاع أوائل الضوء.

وربما انقض عن بعض الناس العداء فتحركت الشهوة لاختلاف ما انقض منه وخرج من فضلاتيه، فكان ذلك داعياً إلى شغل الخاطر، وباعثًا على انصرافهم إلى تدبیر الحدث الحاضر، فيتقسم الفكر، ويتدبر القلب، ويتفرق جميعهم، بخلاف وسط الليل؛ فإنه خال من جميع ذلك».

**ثم قال عن صناء المكان:** «وذلك لأن يكون المكان الذي هو فيه خالياً من الأصوات، عاريًا عن المخوفات والمهولات والطوارق، وأن يكون مع ذلك مكاناً رائقاً معيجاً، رقيقاً، فسيح الأرجاء، بسيط الرحاب، غير غم ولا كدر، فإن انضم إلى ذلك ما فيه بسط للخاطر: من ماء وخضرة وأشجار وأزهار وطيب رائحة، كان أبسط للتفكير وأنجح للخاطر. وقد ذهب بعضهم إلى أنه ينبغي خلو المكان من النقوش الغربية، والمرائي المتعجبة؛ فإنها وإن كانت مما ينشط الخاطر فإن فيها شغلاً للنظر فيتبعه القلب فيتشتت!».

**(١) قال ياقوت الحموي:** «الغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة، قل أن يكون بها مزارع للمستغالات، إلا في مواضع يسيرة. وهي بالإجماع أنزه بلاد الله، وأحسنها منظراً. وهي إحدى جنان

و«سِيرَ أعلام البُلَاء» وغيرهما.  
فالأماكن الجيّدة تُعين على الفهم والتركيز، وإن كان لا يوصى بها في الحفظ؛ لأن الحفظ ينبغي أن يكون في مكانٍ غير مُلِءٍ.

\*\*\*

### \* - الاهتمام بالدوريات والمجلات العلمية المحكمة.

وهي المجالس التي تصدر غالباً عن الجامعات، والجامعات العلمية، واللغوية، والمراکز البحثية، ونحوها.

حيث نلاحظ عزوفاً من طلاب العلم - لا سيما المتقدّمين منهم في التحصيل - عن الاستفادة من الدوريات والمجلات العلمية المحكمة؛ مع أنَّ فيها كثيراً من الدراسات المميزة، والأبحاث المحررة، والتحقيقات الجيدة لكثيرٍ من المخطوطات النفيسة.

**ولا ينبغي أن نَغْفَلَ هنا أيضاً عن المجالس الأدبية والثقافية الرصينة التي كانت تصدر في القرن الماضي؛ فإنَّ فيها من نفائس المقالات وغير القصائد الشيءُ الكثير.**

الأرض الأربع: وهي الصُّندُق، والأَبَلَة، وشِعْب بَوَان، والغُوطَة، وهي أَجْلَهَا». معجم البلدان (٤/٢١٩).

**وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ ابْنُ حَوْقَلَ**، فقال عن الصُّندُق (ويُسمى السُّعْدُ أيضًا) إنه أَنْزَهُ الأربعة؛ لأنَّه ممتدٌ نحو ثمانية أيام، مُشتبِكُ الْخُضْرَة والبساتين، لا ينقطع ذلك في موضع منه، وقد حفَّ تلك البساتين بالأنهار الدائِمِ جَرِيَّها، ومن وراء الْخُضْرَة من الجانبيين مزارع، ومن وراء المزارع مراعي السوَائِم! ثم قال: وهي أَزْكَى بِلَادَ الله وأَحْسَنُها أَشْجَارًا. **انظر**: صورة الأرض: لابن حوقل (٢/٤٧٣)، ومسالك الأ بصار: للعمري (٣/١٦٧)، وصبح الأعشى: للقلقشندي (٤/٤٣٢).

وهي مجالاتٌ كان يَكْتُبُ فيها كبارُ الكتاب والأدباء والشعراء، فمَنْ رَأَى تقويةً أسلوبه، وتمتينَ بيانيه، وزيادةً معارفه وثقافته، فعليه بها.

### ويقف على رأس تلك القائمة - من القسم الثاني - :

«مَجَلَّةُ الرِّسَالَةِ» التي كان يُصَدِّرُها الأستاذُ أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ رَحْمَةُ اللهِ.

و«مَجَلَّةُ الْمَنَارِ» التي كان يُصَدِّرُها الشَّيخُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رَضَا رَحْمَةُ اللهِ.

فهذه المجال<sup>(١)</sup> تُلْحُقُ بتلك؛ لِعِظَمِ نفعها، وكثرة فوائدها.

\*\*\*

\* - الاهتمام بالأطاريح الجامعية (رسائل الماجستير والدكتوراه) المتميزة. سواء المطبوعة منها، أو التي لم تُطبع بعد؛ لما فيها من العلم والتحقيق، والتحرير والتدقيق، لكثيرٍ من المسائل المهمة، والقضايا المعاصرة. وكُلُّما تَسَنَّى لي المرور على قسم الرسائل الجامعية في مكتبات الجامعات، أُصْبِطُ بالدَّهْشَةِ، وَتَمَلَّكَني الْعَجَبُ، من تلك الموضوعات القيمة التي كَتَبَ فيها أصحاب تلك الرسائل، متسائلاً: كيف أنها لم تَرَ النُّورَ بعد؟! وكيف غَفَلَ

(١) المَحَالُ: جَمْعُ مَجَلَّةٍ، وهي الصُّحفَةُ. وفي الحديث قال: «مَا مَعَكَ؟ قَالَ: مَجَلَّةُ لُقْمانَ». يعني: كِتابًا فيه حِكْمَةُ لُقْمانَ، قال النَّابِغَةُ:

**مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْأَلَاءِ وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ عَيْرَ الْعَوَاقِبِ**

أي كِتابُهُمْ وَحْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

**قَالَ الْجَبَانُ:** يقال: إنَّهَا مُعَرَّبة، أَصلُها بالعِبرَانِيَّةِ مُعْلَمَةً.

**وَقِيلَ:** هو من جَلَّ؛ لجلال الحِكْمَةِ. وهي مصدر كالْمَذَلَّةِ، فُسُمِّيَ بها كما سُمِّيَ بالكتاب، أو يَمْعَنُ الجَلَالُ. المجمع المغيث في غربي القرآن والحديث: لل المدني (١/٤٣).

عنها أصحابُ دور النشر حتى الآن؟!  
فإنْ شُغِلَ الطالبُ عن قراءة الرسالةِ بأكملها؛ فلا أقل من أنْ يقرأ المقدمة،  
والخاتمة، والنتائج، والتوصيات.

\*\*\*

### \* القراءةُ أنواعٌ كثيرةٌ، لكنَّ أهمَّها ثلاثةُ أنواعٍ:

**١ - قراءةُ بحثٍ وتنبيشٍ**: وهذه قراءةٌ متأنيّةٌ، يجمعُ فيها القارئُ من بطون المصادر والمراجع ما يُفيدُه في بحثه، ثم يعودُ على ما جمعَه بالتأمُّل والتفكيرُ والفحص والموازنة؛ ليصطفى منه الأجود والأنسب.

**وهذه الطريقةُ** هي التي تُستخدم عادةً في تأليف الكتب والرسائل.

**٢ - قراءةُ جردٍ وتقميشٍ**: وهذه تكون قراءةً سريعةً تلتقطُ فيها الشواردُ، واللطائفُ، والنظائرُ، والمسائلُ التي في غير مظانِها من الكتب وغيرِها، وتقييدُ.

**فيأخذُ المطالعُ** كتاباً من الكتبِ الأمَّاتِ، كتفسير ابن جريرٍ مثلاً، أو «جامع الأصول» لابن الأثير، أو «سير أعلام النبلاء» للذهبي، أو «البداية والنهاية» لابن كثير، وما أشبهَها، ويقرؤه قراءةً سريعةً؛ ولا يتوقفُ عند مباحثه وموادَه، بل يَمُرُّ عليها مَرَّ السحاب، يقتصرُ منها الشَّوارد الفَوارِد، ثم يَقِيدُها بعدَ ذلك في بطاقةٍ (كرُوت)، ولا يفرُطُ فيها، فقد يحتاجُ إلى البطاقة ولو بعدَ عشرَاتِ السِّنين! <sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن جماعة رَحْمَةُ اللهُ يوصي طلابَ العلم: «ولا يَسْتَقِلُ بفَائِدَةٍ يَسْمَعُهَا، أو يَتَهَوَّنُ بقَاعِدَةٍ يَضْبِطُهَا، بل يَبْذُرُ إِلَى تَعْلِيقِهَا وَحِفْظِهَا.

**ولذا**؛ فقد سُئل بعضهم عن الكلام، **فقال**: «رِيحٌ لا يبقى! قيل له: فما قيده؟ قال: الكتابة؛ لأنَّ القلم ينوبُ عن اللسان، ولا ينوبُ اللسانُ عنه»<sup>(١)</sup>.  
**وقال قتادة رَحْمَةُ اللَّهِ**: «القلم نعمةٌ من الله عظيمةٌ، لو لا القلم لو يقم دينٌ، ولم يصلح عيشٌ»<sup>(٢)</sup>.

ولتكن همة في طلب العلم عاليَّةً؛ فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيرٍ، ولا يقنع من إرث الأنبياء صلوات الله عليهم بيسيره.

ولا يؤخر تحصيل فائدةٍ تمكن منها، أو يشغلُه الأملُ والتسويفُ عنها، فإنَّ للتأخير آفات، ولأنَّه إذا حصلها في الزمن الحاضر، حصل في الزمن الثاني غيرها». تذكرة السامع والمتكلم (ص/١٨٩). **وانظر**: الفنون الصغرى: للظاهري (ص/١٨١).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (٤/٤٤٨).

(٢) المصدر نفسه.

**وقال ابنُ القيم**: عن قول الحق جل وعز: ﴿وَالْقَلْمَنْ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ «أقسم بالكتابِ والآيةِ، وهو (القلم) الذي هو إحدى آياتِه، وأول مخلوقاته، الذي جرى به قدرُه وشروعُه، وكتبَ به الوحى، وقُيدَ به الدينُ، وأثبتتْ به الشرعُ، ومحفظُتْ به العلومُ، وقامتْ به مصالحُ العبادِ، في المعاشِ والمعادِ، فوطَّدتْ به الممالكُ، وأمَّنتْ به السبيلُ والمسالكُ، وأقامَ في الناسِ أبلغُ خطيبٍ وأفصحَه، وأنفعَه لهم وأنصَحَه، وواعظًا تشفي مواعظه القلوبَ من السقمِ، وطبيباً يُبرئُ - بإذنِ ربِّه - من أنواعِ الألمِ، يكسر العساكرَ العظيمةَ على أنه الضعيفُ الوحيدُ، ويُخافُ سطوته وبأسه ذو البأس الشديدِ، وبالأقلامِ تدبَّرُ الأقاليمُ، وتُسَاسُ الممالكُ. والقلم لسانُ الضمير، يُناجيه بما استترَ عن الأسماعِ، فيُنسِجُ حُلَّ المعاني في الطرفين فتعودُ أحسنَ من الوَشْيِ المرقومِ، ويُودِعُها حِكْمَه فتصيرُ مواردُ الفهومِ والأقلامِ نظاماً للأفهامِ.

وكما أنَّ اللسانَ بريءُ القلب فالقلم بريءُ اللسان، وتَولُّ الحروف المسموعة عن اللسان كتوالُّ الحروف المكتوبة عن القلم. والقلم بريءُ القلب ورسوله وترجمانه ولسانُه الصامت». التبيان في أيمان القرآن (ص/٣٠٢ - ٣٠٣).

**وانظر** للمزيد: التعريف والإعلام بفضيلة الخطوط والأقلام: للحسن بن محمد الغسال،

طبع الرابطة المحمدية للعلماء، بالمملكة المغربية.

**فائدة:** يكاد يقع الاتفاق بين الأدباء على أن أفضل ما قيل في القلم من الشعر؛ **قول أبي تمام** في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

<b>تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمُفَاصِلُ</b> <b>لَمَا احْتَلَتْ لِلْمُلْكِ تَلَكَ الْمُحَافِلُ</b> <b>وَأَرَى الْجَنَّى أَسْتَارَتُهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ</b> <b>بَأَشَارَهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَربِ وَإِبْلُ!</b> <b>وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَهُ وَهُوَ رَاجِلُ</b> <b>عَلَيْهِ شَعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ</b> <b>لِجَوَاهِرِ تَقْوِيَضِ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ</b> <b>أَعْلَى هِيَ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ سَوَافِلُ</b> <b>ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الْمُلَائِكَةُ الْأَنَامِلُ</b> <b>ضَنِّيًّا، وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ!</b>	<b>لَكَ الْقَلْمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ</b> <b>لَهُ الْخَلْوَاتُ الْلَّاءُ لَوْلَا نَجَّهُهَا</b> <b>لُعَابُ الْأَفَاعِيِّ الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهِ</b> <b>لَهُ رِيقَةُ طَلْلٍ وَلَكَنْ وَقْعَهَا</b> <b>فَصِحْحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَهُ وَهُوَ رَاكِبُ</b> <b>إِذَا مَامَتْنِي الْحَمْسَ الْلَّطَافَ وَأَفْرَغْتُ</b> <b>أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ الرَّمَاحِ، وَفُوَضَتْ</b> <b>إِذَا اسْتَغْزَرَ الْذَّهَنُ الذَّكِيُّ وَأَقْبَلَتْ</b> <b>وَقَدْ رَفَدْتُهُ الْخَنَصِرَانِ وَسَدَّدَتْ</b> <b>رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانِهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ</b>
---	---

**قال الآمدي:** «ما وصف الناسُ القلمَ بأجودَه، ولا أربعَ، ولا أصحَّ معانٍ وألطَفَ من هذا الوصف». الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٤٧/٣).

**وقال أبو الحسن البناوي المالقي:** «وللناس في القلم أمداح ومقاماتٌ ما بين نظمٍ ونشرٍ، والمقدّم قول أبي تمام حبيبٍ في مخاطبته محمد بن عبد الملك». الإكليل في تفضيل النخل (ص/٣٤٥).

**وانظر:** العقد الفريد: ابن عبد ربّه (٤/٢٧٤)، وكنز الكتاب ومنتخب الآداب: للبونسي (١٨٢/١).

**فإن شَقَ عَلَى الْقَارئِ** كتابةً تلك الشوارد في بطاقاتٍ؛ فليصنع للناظائر والمتباهاً فِهِرِسًا، يكتبه في دفتر خاصٌ عنده، ويقيّد في كُلٍّ صفحَةٍ عنوانًا جديداً، فإذا ما وجد معلومةً تتصل بذلك العنوان أشار إليها في تلك الصفحة، ذاكراً: اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة، والطبعَة، وسيجتمع له مع مرور الوقت آلاف المسائل، ونفائس الحصائر، وأول الغيث قَطْرٌ ثُمَّ ينهمِرُ!  
**ويا حَبَّذا** لو كان لكلٍّ فِي دفترٍ مُستقلٍّ، فالحديثُ له دفترٌ، والفقهُ له دفترٌ، والتاريخُ له دفترٌ... وهكذا.

وهذه هي طريقةُ العالِمة بكر أبو زيد رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حدّثني بذلك عن نفسه<sup>(١)</sup>.

**٣- قراءةً تصفحٍ وتتفتيشٍ:** وهذه تكون قراءةً عابرةً، الغرض منها فتّشُ الكتب والدوريات والمجلّات، وتصفحُ أوراقها؛ للوقوف على معالمها الرئيسة، بحيث يطالعُ فيها عناويَنَ الأبواب والفصول والباحث والمطالب، وينظرُ في مقدّماتها وفهارسها.

**قال الشَّيخُ ابْنُ عَقِيلِ الظَّاهِريِّ:** «قراءةً التصفح هذه لن تذهب سدىً؛ لأنَّه سيقى في ذهنك ملامحٌ عامَّةٌ للمباحث التي قرأتها، فترجعُ إليها إذا احتجَتَها»<sup>(٢)</sup>.

(١) وقد أشار إلى ذلك أيضًا في كتابه النفيسي حلية طالب العلم (ص/ ١٧٥) - المطبوع ضمن المجموعة العلمية - **حيث قال:** «اجعل لك (كُناشاً) أو (مُذكَرَةً) لتنقييد الفوائد والفرائد والأبحاث المنتورة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتنقييد ما فيه من ذلك، فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرة، مرتبًا له على الموضوعات، مقيّدًا رأسَ المسألة، باسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد».

(٢) الفنون الصغرى (ص/ ١٨١).

\* احرض على تسجيل الفوائد والشوارد أولاً بأول<sup>(١)</sup>.

لأنَّ (العلم صيدُ، والكتابة قيْدُ)، كما قال سُحْنون بنُ سعيد المالكي<sup>(٢)</sup>.

ولذا جاء في الحديث: «قَيْدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي كيران، قال: سمعتُ الشعبيَّ، يقول: «إذا سمعتَ شيئاً فاكتبه

ولو في الحائط!»<sup>(٤)</sup>.

**وقيل لابن المبارك:** إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعلَ الكلمة التي أتنفعُ

بها لم أسمعها بعد!<sup>(٥)</sup>.

**وقال الحسن بن منصور الجصّاص:** قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إلى متى

يكتبُ الرجلُ الحديثَ؟ قال: حتى يموت!<sup>(٦)</sup>.

**وقال القاضي المعافى بن زكريَا:** «كنتُ منذ سنينَ كثيرةً دعوتُ اللهَ عَزَّوجلَّ

وقلتُ: يا سابقَ الغَوثِ، وقلتُ في وقتٍ آخر: يا سابقَ كُلِّ فَوْتٍ، وكان عندي أنه

(١) هذا العنصر يشمل جميع أنواع القراءة، لكنه أليقُ شيءٍ بقراءة: الجرد والتقطيع، فتفطنْ لهذا هُدْيَتُ الصوابَ.

(٢) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١٥٤ / ١).

(٣) رُوي مرفوعاً وموقوفاً، وصحّ من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ. انظر تخریجه والكلام عليه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني

(٤٠ / ٤٠) رقم (٢٠٢٦).

(٤) رواه زهير بن حرب في العلم (ص / ٣٤)، والدوالي في الكنى والأسماء (٩٣٣ / ٣)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال - رواية ابنه عبد الله - (٢١٦ / ١)، والخطيب في تقدير العلم (ص / ١٠٠).

(٥) شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي (ص / ٦٨).

(٦) المصدر نفسه.

شيء خطأ لي ولم أكن ذاكراً لهذه الرواية ولا عالماً بها في الوقت، فاستحسنست هذه الدعوة ثم وجدتها عندي فيما سمعته وكتبته ورويته. وحكي لي بعض بنى الفرات عن رجلٍ منهم، أو من غيرهم، أنه كان بحضور أبي جعفر الطبرى رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فاستدعاى مِحْبَرَةً وصَحِيفَةً فكتبها، فقيل له: أفي هذه الحال؟! فقال: ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلم حتى يموت!»<sup>(١)</sup>.

وقال بدیع الزمان الهمذانی فی کلامه عن العلم: «وَجَدْتُهُ شَيئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ، وَلَا يُغَرِّسُ إِلَّا فِي النَّفْسِ. وَصَيْدًا لَا يَقْعُ إِلَّا فِي النَّدْرِ، وَلَا يَنْشُبُ إِلَّا فِي الصَّدْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان عبد الله بن المبارك ينشد:

أَيَّهَا الطَّالِبُ عِلْمًا فَخُذِ الْعِلْمَ بِحِلْمٍ وَدَعِ الْبِدَعَةَ مِنْ آثَارِ	إِنِّي حَمَادَ بْنَ زَيْدٍ ثَمَّ قَيْدَ نَدُّ بِقَيْدٍ رِعْمَ رِوبِنْ عَبَيْدٍ
--	--

وَمَا يُنَسِّبُ لِلإِمامِ الشَّافِعِيِّ:  
**الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ**

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي (٢٢٢/٣).

(٢) مقامات بدیع الزمان الهمذانی (المقامة العلمية) (ص/ ٢٤٢).

(٣) الأبيات في التاريخ الكبير: للبخاري (٣/٢٥)، والکامل: لابن عدي (٦/١٧٨)، وذم الكلام وأهله: للهروي (٤/٢٢٠).

**فَمِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَرَالَةً وَتَفَكُّهَا<sup>(١)</sup> بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً!**

ولم أر فيما قرأت؛ مما يحث على انتهاز الفرص، واقتناص القنص، وعدم التعجل، أوفق من هذين البيتين<sup>(٢)</sup>:

اليوم شيءٌ وغداً مثلاً<sup>(٣)</sup>  
من نحب العلم التي تلقي  
وإنما السيلُ اجتماعُ النقطِ!

\*\*\*

\* - بادر إلى تسجيل الخواطر والأفكار التي تمر بذهنك مباشرةً؛ فإنها سر عانٍ ما تتلاشى وتتنسى !

وفي هذا يقول الإمام ابن الجوزي في مقدمة كتابه الماتع «صيد الخاطر»: «لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرّض لها، ثم تعرّض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر؛ لكي لا ينسى. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «قideo العلم بالكتابة».

(١) وردت هذه الكلمة في معظم المصادر: «وتتركها». وفيها خلل من حيث الوزن العروضي.  
**والصواب:** «وتفكها» كما في حاشية إعanaة الطالبين: للبكري (٤/٥).

(٢) البيتان في إرشاد الطالبين: للأفهسي (٧٦٩/٢)، والعقد الشميين: للفاسي (٢٠٦/٢)، وبغية الوعاة: للسيوطى (١٤/١).

وهما لبهاء الدين محمد بن إبراهيم ابن النحاس الحلبي النحوي (ت ٦٩٨ هـ) شيخ الديار المصرية في علم اللسان.

**ومن غرائبه:** أنه لم يتزوج! ولم يأكل العنب قط، قال: لأنّي أحبه، فأثرت أن يكون تصميبي في الجنة!

وكم قد خطر لي شيء، فأتشاغل عن إثباته، فيذهب، فأتأسف عليه! ورأيت من نفسي أنني كلما فتحت بصراً التفكير، سَنَحَ له من عجائب الغيب ما لم يكن في حسابٍ، فانثال عليه من كثيب التفهم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب قيّداً لصيد الخاطر<sup>(١)</sup>.

**وقال العلامة ابن عثيمين:** «هناك فوائد لا تقاد تطرأ على الذهن، أو يندر ذِكرُها والتعرُض لها، أو تكون مُستَجَدةً تحتاج إلى بيان الحكم فيها، فهذه اقتنصها، وقيّدتها بالكتابة، ولا تقل هذه معلومةٌ عندي، ولا حاجة أن أقيّدتها لأنها سُر عانَ ما تُنسى، وكم من فائدةٍ تمرُّ بالإنسان فيقول هذه سهلةٌ ما تحتاج إلى قيدٍ، ثم بعد فترةٍ وجيزةٍ يتذكّرُها ولا يجدُها. لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندرُ وقوعها أو يتجددُ وقوعها»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الأديب الكبير علي الطنطاوي** في تقديمته لكتاب «صيد الخاطر»: «إنَّ الخواطر لا تفتَأِ تمرُّ على الذهن كأنها الطُّيورُ التي تَجُوز سماءَ الحقل، تراها لحظةً ثم تفتقِدُها، فكأنَّك ما رأيتها، فإذا أنتَ اصطدَتها وقيّدَتها ملكَتها أبداً!». ولقد أحسن القائلُ:

قَيْدٌ بِخَطْكَ مَا أَبْدَأْ فِكْرُكَ مِنْ	نتائجٌ تُعِجبُ الْحُذَاقَ وَالْفُضَّلَا
فَمَا نَتَائِجُ فِكْرِ الْمُرءِ بَارِزَةٌ	فِي كُلِّ وَقْتٍ إِذَا مَا شَاءَهَا فَعَلَا <sup>(٣)</sup>

(١) صيد الخاطر (ص / ٣٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦ / ٢١٠).

(٣) حاشية إعانة الطالبين: للبكري (٤ / ٦).

## \* - لِقَيْدِ الصَّدِيدِ وَتَسْجِيلِ الْفَوَائِدِ طُرُقٌ عِدَّةٌ، مِنْهَا:

١- أن يسجّل القارئ في فهرسٍ مستقلٍ المسائل الشوارد التي مررت به. فإنما أن يسجل المسألة كاملةً بنصّها؛ وقد تيسّر الأمر الآن بعد وجود (المكتبة الشاملة)<sup>(١)</sup> ومحركات البحث، والبرامج الكاتوية، فيستطيع القارئ أن يصل للحقيقة بسرعةٍ، ثم ينسخها، ويصلّقها عنده في ملفات (وورد) يُعدّها لذلك.

وإما أن يسجّل عنوانها فقط، وقد تقدم الكلام عن ذلك آنفاً.

(١) كان وجود برامج (المكتبة الشاملة) فتحاً عظيماً على الباحثين والمؤلفين؛ حيث ساعدتهم ذلك كثيراً على إنجاز أبحاثهم ومؤلفاتهم، ولذا قلت فيها:

مِنْ نَعَمِ الْمُقْتِدِرِ الْمَاثِلَةِ:	مَوْسُوعَةُ (المكتبة الشاملة)
فِيهَا أَلْوَافُ الْكُتُبِ قَدِيسَرْتُ	لَكُلِّ مَنْ يَطْلُبُهَا حَاصِلَةٌ
إِذَا اتَّبَرْتُ لِلْبُخْرِيِّ عَنْ كِلْمَةٍ	تَخَالَهُ سَافَاهِمَةُ عَاقِلَةٌ!
تَأْتِيكَ بِالْمَطْلُوبِ فِي لَحْظَةٍ	نَتَاجُّهَا وَافْرَرَةُ هَائِلَةٌ!
بَلْ زَادَتِ الرَّوْعَةُ إِذَا صَبَحْتُ	مَرْبُوْتَةً بِ(الصورة) الْكَامِلَةِ!
قَدْ قَرَّبَتِ لِلْبَاحِثِينَ الْمَدِيِّ	فَأَصَبَحْتُ أَبْحَاثُهُمْ حَافِلَةً
خَاصَّوْغِمَارَ الْبَحْثِ فِي ظَلَّهَا	فَاغْتَنَمَ الْفُرْسَانُ وَالرَّاجِلَةِ!
مَوْسُوعَةٌ صَارَتْ لِأَهْلِ الْحِجَّا	فَرِيْضَةً، لِيَسْتُ لَهُمْ نَافِلَةً!
فَجَمَّلُوا يَا قَوْمُ أَبْحَاثُكُمْ	بِالْبَحْثِ فِي (المكتبة الشاملة)

٢ - وهناك فهرسة يُسجلها على الغلاف الداخلي للكتاب، سواءً أكان في أول الكتاب أم في آخره، ثم يعود إليها بعد ذلك، وهذه الطريقة هي الأكثر رواجاً بين جمهرة القراء والباحثين؛ لأنها الأسرع، ولأنها الأسهل في الرجوع إلى فوائد الكتاب مجموعة في مكان واحد.

وكان شيخنا العلامة حماد الأنصاري رحمه الله يقول: «من عادي إذا قرأت كتاباً من الكتب أن أفرِد ما فيه من الفوائد التي لا يتبعها كل أحد... ومن عادي إذا قرأت كتاباً أن أقيّد فوائده على جلدة الكتاب»<sup>(١)</sup>.

وقد رأيت ذلك على أغلفة كتب الباحثة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله<sup>(٢)</sup>. لكن الإشكال في هذه الطريقة أنها غير مصنفة بحسب الموضوعات، ولذا يحتاج من يريد التأليف في موضوع ما؛ أن يطوف على جميع كتبه؛ ليلتقط منها ما يتعلّق بموضوعه ذاك! وهذا فيه من الصعوبة ما فيه!

اللهم إلا أن ينقل ما في الكتاب من الفوائد ويصنفها بعد الانتهاء من قراءة الكتاب مباشرةً.

\*\*\*

\* - ينبغي للقارئ عدم التسليم بكلّ ما يقرأ، مهما بلغ شأن المؤلّف!  
لأنَّ المؤلّف - مهما بلغ من العلم - ليس معصوماً من الخطأ والخطلل،  
والغفلة والزلل! فكُلّبني آدم خطاء، والكمال لله وحده<sup>(٣)</sup>.

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٤٣٧/١).

(٢) كان ذلك إبان زيارة قدّيماً لفرع مكتبة التي كانت بالمدينة المنورة.

(٣) قال الحافظ الناجي: «روي عن إمام القراء أبي بكر بن مجاهد - وهو مذكور في «طبقات

**ولذا تجد كبار المؤلفين دائمي التصحيح والتصويب لِمَا وَضَعُوهُ فِي كِتَبِهِمْ وَمُؤَلَّفَاتِهِمْ مِنْ آرَاءً وَاجْتِهادِهِاتِ.**

**قال مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ:** «لَوْ عُورِضَ الْكِتَابُ مائةً مَرَّةً مَا كَادَ يَسْلَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ سَقْطٌ، أَوْ قَالَ: حَطَّاً»<sup>(١)</sup>.

**وقال المزنی:** «قَرَأْتُ كِتَابَ «الرسالة» عَلَى الشَّافِعِيِّ ثَمَانِينَ مَرَّةً، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَكَانَ يَقْفُزُ عَلَى حَطَّاً! فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: هِيهَا، أَبْنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ كِتَابٌ صَحِيحًا غَيْرُ كِتَابِهِ»<sup>(٢)</sup>.

**وقال أيضًا:** «لَوْ عُورِضَ كِتَابُ سَبْعِينَ مَرَّةً، لَوْجَدَ فِيهِ حَطَّاً، أَبْنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ كِتَابٌ صَحِيحًا غَيْرُ كِتَابِهِ»<sup>(٣)</sup>.

« أصحابنا الشافعية» - أنه رأى في المنام رب العزة **جل جلاله** فختم عليه حَتَّمتين، فلَحِنَّ في موضعين، فاغتنم، فقال سبحانه: يا ابن مجاهد، الكمال لي، الكمال لي». عجلة الإملاء (١٤٢/١).

(١) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر (١٥٨/١).

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: لعلاء الدين البخاري (٩/١). **وانظر** مناقب الشافعي: للبيهقي (٣٦/٢).

- وفي تفسير الإمام الشافعي (٦٣١/٢) عن ابن أبي حاتم قال: سمعت الربيعَ بنَ سليمان يقول: «قَرَأْتُ كِتَابَ (الرسالة المصرية) عَلَى الشَّافِعِيِّ نِيَّمًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا كَانَ يُصْحِحُهُ، ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي آخِرِهِ: أَبْنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ كِتَابٌ صَحِيحٌ غَيْرَ كِتَابِهِ، وَيَدْلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ الآية.

- وفي عجلة الإملاء: للناجي (١٤١/١): «وروى عنه أيضًا: «كُلُّ كِتَابٍ لَا يَخْلُو مِنْ اخْتِلَافٍ؛ لِلآيَةِ الْمُذَكُورَةِ». هذا كلامُ الشافعِيِّ ونَاهِيَّكَ بِهِ!».

(٣) مُوضِّحُ أوهامِ الجمع والتفرقة: للخطيب البغدادي (٦/١).

**وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل:** عارضت بكتاب لأبي ثلاث عشرة مرةً، فلما كان في الرابعة خرج فيه خطأً! فوضعه من يده ثم قال: «قد أنكرت أنْ يَصِحَّ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّلَهُ»<sup>(١)</sup>.

**وكتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البisanī إلى العمامد الأصفهاني** معتبراً عن كلام استدركه عليه: «إنه قد وقع لي شيءٌ وما أدرى أوقع لك أم لا؟ وها أنا أُخبرُك به، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غدِه: لو غيرَ هذا لكان أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُسْتَحسَنَ. ولو قدمَ هذا لكان أفضل، ولو تركَ هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر!»<sup>(٢)</sup>.

**وقد قيل:** «لا يبعدُ ذو كمالٍ من نقصٍ، ولا يخلو ذو نقصٍ من كمالٍ، فلا يمنعك نقص الكمال من استفادة كلامِه، ولا يُوعِبُك كمال النقص في الميل إلى نقصِه»<sup>(٣)</sup>.

**فإن شَكَ القارئُ في شيءٍ؛ عَرَضَهُ على كلام الأئمَّةِ الآخرينِ، أو سأَلَ عنه العلماءَ، حتَّى يتجلَّى له وجْهُ الصوابِ، ويتحَصَّلَ له بَرْدُ اليقينِ.**

\*\*\*

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر المقوله في: الإعلام بأعلام البلد الحرام: للنهرولي (ص/٤٥٦)، وكشف الظنون: لحاجي خليفة (١/١٤)، وإتحاف السادة المتقيين: للزيدي (١/٤)، وتحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام: للصباغ المكي (١/٥٦)، والجحظة في ذكر الصحاح الستة (ص/٣٢)، وأبجد العلوم: لصديق حسن خان (ص/٥٢).

(٣) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام (١/٥٦).

\* - لا ينبغي ترك الاستفادة من الكتاب بالكلية؛ لوقوع مؤلفه في بعض الأخطاء!

بل عليه أن يستفيد من الكتاب، ويأخذ ما فيه من صواب، ويدع ما فيه من خطأ؛ فالكمال عزيز، والكامل من عدّت سقطاته، والفضل من أحصيَت هفواته<sup>(١)</sup>.

وهذه قاعدةٌ نفيسةٌ زَلَّ بسبب عدم فهمها فئامٌ من الناس، ففاطم خيرٌ كثيُرٌ!

**قال الحافظ الذهبي:** «الكمال عزيز، وإنما يُمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تُدفنُ المحاسنُ لورطةٍ! ولعله رجع عنها»<sup>(٢)</sup>.  
**وقال أيضًا:** «أرني إماماً من الكبار سليمٌ من الخطأ والوهم.  
 فهذا شعبٌ، وهو في الذروة، له أوهامٌ، وكذلك معمرٌ، والأوزاعيُّ

(١) هذه القاعدة تكاد تكون موضع اتفاقٍ بين جماهير العلماء عبر العصور.  
 وممن استشهد بهذا الأصل من العلماء: أبو هلال العسكري في «شرح ما يقع فيه التصحيف» (ص/٦)، والرازي في «مناقب الشافعي» (ص/١٥٨)، والشاعبي في «تيتمة الدهر» (١١١/١) و (٤/٢٥٤)، وابن الشجري في «الأمالي» (٣/٢٦٧)، وابن الأنباري في «نزهة الآباء» (ص/٢٠٣)، وابن الأثير في «اللباب» (٩/١)، وابن القيم في «مدارج السالكين» (٣٩٣/١٠)، والسمين الحلبي في «الدر المصنون» (٥٢٢/٣)، والشاطبي في «المواقفات» (١٣٩/١)، وبرهان الدين الناجي في «عجالات الإماماء» (١٣٩/١)، وغيرهم.

**ولعل أول من قال:** «الكمال من عدّت سقطاته» الأحنف بن قيس، كما في موضع أوهام الجمع والتفرق: للخطيب (١٣/١)، وأخبار النحوين البصريين: للسيرافي (ص/٦١)، ونشر الدر: للرازي (٣٤/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/٢٨٥).

ومالكُ - رحمة الله عليهم - <sup>(١)</sup>.

**وقال عن الإمام ابن خزيمة:** «ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السنة.

وكتابه في (التوحيد) مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة <sup>(٢)</sup>. فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلفُ، فما خاضوا في التأويل،

(١) المصدر نفسه (٦/٣٦).

(٢) **حديث الصورة:** أخرجه البخاري في «صحيحه» ١١/٢ في أول الاستئذان، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أقوام أفتدهم مثل أفتدة الطير، وأحمد: ٢/٣١٥، وابن خزيمة في «التوحيد» ٤٠/٣٩ من طريق معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب، فسلّم على أولئك، نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك، فإنها تحينك وتحيي ذريتك، فقال: السلام عليك. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزاده: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم ينزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».

وآخر جه مسلم (٢٦١٢)/١١٥، وأحمد: ٢/٤٦٣ و٥١٩، وابن خزيمة ص ٣٧ من طريق قتادة، عن أبي أيوب المراغي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته». (من حاشية محقق سير أعلام النبلاء - ط الرسالة - ١٤/٣٧٤).

- **قال الحافظ أبو موسى المديني** في (مناقب الإمام إسماعيل بن محمد التيمي الملقب: بقديمه): «سمعته يقول: «أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة، ولا نطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب».

**قال أبو موسى:** أشار بهذا إلى أنه قَلَ إماماً إلا وله زَلَة، فإذا ترك لأجل زَلَته، ترك كثيرون من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يُفعل». انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٨)، وجواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية: لابن تيمية (ص/١٦٨).

بل آمنوا وَكَفُوا، وفَوَّضُوا عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>(١)</sup>، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهادِهِ - مَعَ صِحَّةِ إِيمَانِهِ، وَتَوْحِيهِ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ - أَهْدَرَنَا، وَبَدَّعْنَا، لَقَلَّ مَنْ يَسْلِمُ مِنَ الائِمَّةِ مَعْنَا، رَحْمَ اللَّهِ الْجَمِيعَ بِمَنْهُ وَكَرْمَهِ<sup>(٢)</sup>.

**وقال الإمام ابن دقيق العيد:** «الْحَكِيمُ مَنْ يُقْرِئُ الْأُمُورَ فِي نَصَابِهَا، وَيُعْطِي كُلَّ طَبَقَةٍ مَا لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهَا.

وَأَمَّا السَّهُوُ وَالْغَلَطُ فَمَا أَمْكَنَ تَأْوِيلُهُ عَلَى شَيْءٍ يُتَوَّلَّ، وَمَا وُجِدَ سِيلٌ وَاضْعُ إِلَى تَوْجِيهِهِ حُمِلَ عَلَى أَحْسَنِ مَحْمَلٍ....

وَلَكِنْ لَا نَجْعَلُ ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى تَرْكِ الصَّوَابِ الْجَمِّ، وَلَا نَسْتَحْلِلُ أَنْ نُقِيمَ فِي حَقِّ الْمُصَنَّفِ شَيْئًا إِلَى ارْتِكَابِ مَرْكَبِ الدَّمَّ. وَالذَّنْبُ الْوَاحِدُ لَا يُهَجِّرُ لِهِ الْحَبِيبُ، وَالرَّوْضَةُ الْحَسَنَاءُ لَا تُتَرَكُ لِمَوْضِعِ قَبْرِ جَدِيبٍ. وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَرْكُ الْمُصَالِحِ الرَّاجِحةِ لِلْمُفَاسِدِ الْمُرْجُوَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَبَآتِ. وَالْكَلَامُ يَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَمَنْ أَسْخَطَهُ تَقْصِيرٌ يَسِيرٌ فَسِيقْفُ عَلَى إِحْسَانٍ كَبِيرٍ فِي رَضَىِ.

وَلَوْ ذَهَبْنَا نَتَرَكُ كُلَّ كِتَابٍ وَقَعَ فِيهِ غَلَطٌ، أَوْ فَرَطَ مِنْ مُصَنَّفِهِ سَهُوًّا أَوْ سَقَطٍ. لَضَاقَ عَلَيْنَا الْمَجَالُ، وَقَصُرَ السِّجَالُ، وَجَحَدْنَا فَضَائِلَ الرِّجَالِ. وَفَاتَنَا فَوَائِدُ تُكَاثِرُ عَدِيدَ الْحَصَاصَ، وَفَقَدْنَا عَوَائِدَ هِيَ أَجَدِي عَلَيْنَا مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَاصَ.

(١) يعني فَوَّضُوا عِلْمَ الْجَنَاحِيَّةِ وَلَيْسَ عِلْمَ الْجَنَاحِيَّةِ فَالْمَعْنَى مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلْفِ الصَّالِحِ.

(٢) المصدر نفسه (١٤ / ٣٧٤ - ٣٧٦).

ولقد نفع الله الأئمة بكتاب طارت كل المطار، وجاءت أجوائز الفَلَوَاتِ وأثباتَ البحار. وما فيها إلا ما وقع فيه عَيْبٌ، وعُرِفَ منه غَلَطٌ بغير شَكٍ ولا رَيْبٍ. ولم يَجعله النَّاسُ سبباً لرفضها وهجرها، ولا توَفَّوا عن الاستضاعة بأنوار الهدایة من أُفقِ فَجْرِها»<sup>(١)</sup>.

**وقال الحافظ ابن حجر:** «لو كان من يَهُم من المصنِّفين يُتركَ لَمَا سَلِمَ أحَد»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الشيخ بكر أبو زيد:** «الآراء المغلوطة لم تكن سبباً في الحرمان من علوم هؤلاء الأجلة، بل ما زالت مناراتٍ يُهتدى بها في أيدي أهل الإسلام، وما زال العلماء على هذا المَشْرُعِ يُنبهون على خطأ الأئمة مع الاستفادة من علمهم وفضلهم، ولو سلكوا مسلك الهَجْر لهَدَّمت أصول وأركان، ولتقلَّصَ ظُلُلُ العلم في الإسلام، وأصبح الاختلاُلُ واضحاً للعيان، والله المستعان»<sup>(٣)</sup>.

**ولعلَّ من أظهر الأمثلة على ذلك كتاب «المحلّي» لابن حزم الظاهري.**  
**فقد قال عنه الحافظ الذهبي:** «بسط لسانه وقلمه، ولم يتأنَّ مع الأئمة في الخطاب، بل فَجَّجَ العبارة، وسَبَّ وجَّدَ، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعةً من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقتْ في وقتٍ، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادةً، وأخذوا

(١) طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي (٩/٢٣٥ - ٢٣٦).

(٢) لسان الميزان (١/٤٠١).

(٣) تصنيف الناس بين الظن واليقين (ص/٩١).

ومؤاخذةً، ورأوا فيها الدّرَّ الثمينَ، ممزوجًا في الرّصْف بالخَرَز المهينِ! فتارةً

يطربون، ومرةً يعجبون، ومن تفرُّده يهزُّون!

**وفي الجملة فالكمال عزيزٌ، وكلُّ أحدٍ يُؤخذُ من قوله ويُترك، إلّا رسول الله**

**ﷺ .. فلا نغلُو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثني عليه قبلنا الكبارُ** <sup>(١)</sup>.

**ومثله:** «مقدمة ابن خلدون» فيها طائفةً من الأغلاط، وكذا كثيرٌ من كتب التفسير، وكتب شروح الأحاديث، وكتب الفقه وأصوله، وكتب اللغة والأدب.

**وهذا الأصل** - بطبعية الحال - مخصوصٌ بكتب أهل السنة وما نَحَا نَحْوها، أمّا المبتدعةُ والصلالُ ومن شاكلَهم، فلا ينبغي الالتفاتُ لشيءٍ من كتبِهم، ففي غيرها العافيةُ والغناءُ!

\*\*\*

\* - لمعرفةِ مراحلِ تطويرِ العلومِ، ونشأتها، وأبرزِ المؤلفاتِ فيها، والتعریفِ بتلك المؤلفاتِ، يرجعُ إلى الدراساتِ الوَصْفِيَّة، وهي الكتبُ التي تعنى بوصفِ العلومِ، ومراحلِ نشأتها، وتاريخِها، وتاريخِ أعمالها.

والتأليفُ في هذا اللونِ من الدراساتِ من أصعبِ الأمور؛ لأنَّ التأليفَ فيه يحتاج إلى استقراءٍ تامٍ للمصنفاتِ في ذلك العلم، ومعرفةٍ دقيقةٍ بروادِه وأعلامِه، مع الإمامِ بقضايا ومسائلِ ذلك العلم.

(١) سيرُ أعلامِ النبلاء (١٨٦ / ١٨٧).

## ومن المؤلفات في هذا اللّون:

- \* الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمد بن الحسن الحجوبي الشاعبي (ت ١٣٧٦ هـ).
- \* بحوث في تاريخ السنة المشرفة: لأستاذنا الدكتور/ أكرم ضياء العمري - حفظه الله تعالى -.
- \* البلاغةُ تطُورٌ وتارِيخٌ: للدكتور/ شوقي ضيف.
- \* نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة: للشيخ محمد الطنطاوي.
- وما شابهها.

**فهذه الكتب** التي تعنى بالدراسة الوصفية للعلم في غاية الأهمية، خصوصاً إذا ما أراد الطالب أن يقرأ في علم ممّا؛ فإنه من المهم أن يقرأ معه كتاباً في نشأة ذلك العلم؛ حتى يجمع بين تاريخ العلم وتطوره، وبين مسائله ومباحثه.



- \* - لمعرفة حجم وقوع الحركة العلمية في فترة زمنية معينة؛ يرجع للكتب المرتبة على الطبقات<sup>(١)</sup>، أو السنين.

**(١) الطبقات:** جمع طبقة، والطبقة في الاصطلاح: جماعة اشتراكوا في السن والإسناد (لقاء المشايخ).

وربما اكتفوا بالاشتراك في التلاقي أو المعاصرة. وهذا الاصطلاح ليس خاصاً بالمحدثين فقط، بل يشمل جميع العلماء المختصين بفن معين: كالقراء، والفقهاء، والنحاة، واللغويين، والأطباء.... وغيرهم.

**لأنَّ هذه الكتب** تُيسِّر السبيل للوصول إلى المطلوب؛ حيث يعتمد الباحث إلى تحديد الفترة الزمنية المراد بحثها من خلال هذه المؤلفات، ثم يقوم بعد ذلك بدراستها واستخلاص التنتائج منها.

فمن الكتب المرتبة على الطبقات: «سير أعلام النبلاء» للذهبي.  
ومن الكتب المرتبة على السنين: «البداية والنهاية» لابن كثير.

\*\*\*

\* - لمعرفة المؤلفات الأصلية في علم مَا، ومدى أهميتها، يُرجع لكتُب المناهج، والموارد<sup>(١)</sup>، فإن فيها فائدةً عظيمةً؛ لا سيما للمتخصصين.  
ففي التفسير مثلاً تُقرأ كتب مناهج المفسّرين، مثل: منهج الطبرى في تفسيره، أو القرطبي، أو ابن كثير. وكلُّها قد كتُبَ فيها.

بل ويشمل كُلَّ من اشتركوا في وصفِ معينٍ: كالصحاببة، والتابعين، وأتباع التابعين... إلخ.  
للعلماء في التأليف في هذا اللون من العلم وفي ترتيب الطبقات طرائقٌ شتَّى، لا تحتمل ذِكرَها هذه الحاشية، فراجعها في مبسوطاتها. ومن ذلك كتاب بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور/ أكرم العُمرَي (ص/ ٧٤ و ١٨٠).

**ومن المؤلفات في الطبقات:** «الطبقات الكبرى» لابن سعد. و«طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي. و«طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني. و«المعين في طبقات المحدثين» للذهبي. و«معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» له أيضًا. و«طبقات الفقهاء للشیرازی». و«طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلْجُل. «ونزهة الألباء في طبقات الأدباء» لابن الأنباري. وغيرها.

**(١) كتب الموارد:** هي الكتب التي تُعنَى بذكر المصادر التي اعتمد عليها عالم مَا من العلماء، سواءً في تأليفه كتاباً معيناً، أو في جميع مؤلفاته.

ومثله الحديثُ، والفقهُ، والتَّوْرِيخُ<sup>(١)</sup>، وسائِرُ العلوم.

**وكذا كتب الموارد، مثلُ:**

- كتاب «موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد»: للدكتور/ أكرم العُمري.
- وكتاب «ابن حجر العسقلاني، مصنفاته، دراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة»: للدكتور/ شاكر محمود عبد المنعم.
- وكتاب «موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق»: للدكتور/ طلال بن سعود الدَّعْجاني.
- وما شابَهَا.

\*\*\*

\* - لمعرفة المعالم الكبرى الأساسية لعلم ما، أو مذهب، أو فرقَةٍ، أو حَرَكةٍ، يُرجعُ إلى الدراسات التي تناولت أبرز الشخصيات المؤثرة فيها.

فمثلاً إذا أردنا معرفة المعالم الكبرى لعلم العروض؛ فإننا نرجع إلى الدراسات التي تناولت أبرز شخصية فيه؛ وهو الخليل بنُ أحمد الفراهيدي رَحْمَةُ اللهُ.

وإذا أردنا معرفة ذلك في الفقه الظاهري؛ رجعنا إلى الدراسات التي تناولت ابن حزم الأندلسي رَحْمَةُ اللهُ.

---

(١) التَّوْرِيخُ: هو التاريخ، وقد سمي الحافظ السخاوي كتابه: «الإعلان بالتوبيخ، لمن ذمَّ أهلَ التَّوْرِيخ».

وإذا أردنا معرفة ذلك في **التأصيل لمنهج السلف**؛ رجعنا للدراسات التي تناولتْ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.  
 وإذا أردنا معرفة ذلك في **علم الاجتماع**؛ رجعنا للدراسات التي تناولتْ ابن خلدون رحمه الله..... وهلمَ جرَّا.

\*\*\*

\* - إذا أردتَ معرفة قوَّةِ عِلْمٍ مَا أو ضعِيفِه؛ فانظر مدى تأثير ذلك العلم في العلوم الأخرى، أو تأثيره بها.

**فإن كان** من الصنف الأول فهو عِلْمٌ قويٌّ، وإن كان من الثاني فهو دون ذلك، وتتفاوتُ قوَّته بعَدَ درجات التأثير والتأثير.

**والمرجع في هذا:** الدراساتُ التي تُجْرِي الموازناتِ بين العلوم، وكذا الدراساتُ التي تبيّن المسائل المشتركةَ بين عِلْمٍ وعِلْمٍ<sup>(١)</sup>.

**فمن العلوم القوية التي أثَّرت في غيرها من العلوم: عِلْمُ مصطلح الحديث.**

فقد أَلْفَ الإمامُ السيوطيُّ كتابَ **«المُزْهِرُ في عِلْمِ اللُّغَةِ وَأَنْواعِهَا»**، وبناءً على علم مصطلح الحديث.

(١) مثل: كتاب **«المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين»**: للدكتور / محمد العروسي عبد القادر.

وكتاب **«المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير»** للدكتور فهد بن مبارك الوهبي.

فهذه الكتبُ تبيّنُ من خلالها مدى التأثير والتأثير بين العِلْمِين.

وكذا كتاب «مُصطلح التارِيخ»؛ لأنَّه رُسْتم، فقد تكلَّم فيه عن علوم الحديث وأثرِها في علم التارِيخ، وكان يرى أنه لا بدَّ من تحكيم قواعد علوم الجرح والتعديل وعلوم الحديث التي وضعها المحدثون في الروايات التارِيخية؛ لكي يتسلَّى معرفة ما هو صحيحٌ من الروايات؛ مما ليس بصحيحٍ<sup>(١)</sup>.

وكتاب «الحاديُث النبويُّ الشريفيُّ وأثرُه في الدراسات اللغوية»؛ للدكتور / محمد ضاري حمادي.

وكتاب «مُصطلح الحديث وأثرُه على الدرس اللغوي عند العرب» للدكتور / شرف الدين علي الراجحي.

\*\*\*

\* - ينبغي الاهتمام بالكتب التي تؤصلُ للعلوم الإسلامية، وتوثق مواردها، وتدفعُ عنها الشُّكوكَ والشُّبهاتِ؛ مما يساهمُ في بثِّ الثقة في نفوس طلاب العلم والناشئة تجاه علومهم الإسلامية.

**ومن المؤلفات في ذلك:**

- كتاب «درء تعارض العقل والنقل»: لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ.

- وكتاب «حجَّيَةُ السنَّة»: للعلامة عبد الغني عبد الخالق رَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ.

- وكتاب «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»: للعلامة محمود شاكر رَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ.

(١) ولأهمية كتابه «مُصطلح التارِيخ» فقد درَّسه الشيخ الألباني رَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ لطلابه قدِيمًا كما جاء في ترجمته، على الرُّغم من أنَّ مؤلِّفَه نصارى!

- وكتاب «المعرفة في الإسلام مصادرُها ومجالاتها»: للدكتور عبد الله بن محمد القرني.  
وما شاكَّها.

\*\*\*

\* - ينبغي لطالب العلم عند قراءته تفسير القرآن الكريم، أن يهتم بالتفاصيل التي تعنى بتحرير المعنى الصحيح للآيات وتبيين المراد منها، وربط بعضها بعض، واستنباط المسائل والأحكام منها.

أما الكتب التي تكتفي بسرد الأقوال والمعاني فحسب دون تحريرٍ وبيانٍ  
فهذه لا غناء فيها لطالب العلم، وجدواها قليلة.

**ومن أفضل الكتب في هذا المنحى:**

تفسير «جامع البيان» للطبرى، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي،  
و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، و«فتح القدير» للشوكانى، و«تيسير الكريم  
الرحمن» للسعدي، الذي أعده خلاصةً كتب التفسير وروحها<sup>(١)</sup>.

(١) جاء في كتاب بهجة المجالس: لابن عبد البر (٣٧/١): روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «العلم أكثر من أن يُحصى، فخذلوا أرواحهم، ودعوا ظروفهم». ولقد أحسن القائل، **وقيل إنه منصور الفقيه**:

قالوا: حُذِّ العينَ من كُلَّ فقلْتُ لهم:  
في العينِ فضلٌ ولكن ناظرُ العينِ  
وربما لم تجده في الألفِ حرفٍ  
حرفانِ في ألف طُومارٍ مُسَوَّدةٍ

فهذه التفاسير مشهورة رائجةً متدوالةً، وهي غزيرة المادة، عميقة التحليل، دقيقة الاستنباط.

\*\*\*

\* - ينبغي لطالب العلم عند دراسة الفقه، أن يهتم بالكتب التي تعنى بالدليل، وتوصل إلى المسائل، وتؤدي الفروع إلى الأصول، وتذكر مأخذ الأدلة.  
وممّن تميّز بهذا المنهج: فقهاء المحدثين<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن الجوزي: «كان المحدثون قد يهموا هم الفقهاء، ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث، والمحدثون لا يعرفون الفقه!». صيد الخاطر (ص / ٤٤٣).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم». مجموع الفتاوى (٤ / ٩٥).

- قال العلامة اللكتوني: «من نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول مُتجلّبًا للاعتراض، يعلم علمًا يقينًا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها، فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإن كلما أ sisir في شعب الاختلاف، أجده قول المحدثين فيه قريباً من الإنصاف، فللهم دارهم، علينا شكرهم، كيف لا، وهم ورثة النبي ﷺ حقاً، ونواب شرعي صدقًا، حشرنا الله في زمرتهم، وأماتنا على حبّهم وسيرتهم» إمام الكلام في القراءة خلف الإمام (ص / ١٥٦).

- قال العلامة الفقيه الدكتور عبد المجيد محمود في أطروحته الفاصلة «الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري» (ص / ٤): «إن المحدثين لم يقتصر نشاطهم على علوم الحديث، بل كان لهم نشاط فقهي ملحوظ، لا يخطئه من يقرأ كتب السنة قراءةً عابرةً، أما من يقرأها قراءةً متأنيةً فاحصنة، فسيلمس هذا النشاط، وتتكشف له أصالحهم ورسوخ أقدامهم في الفقه، وتتجلى له أصولهم ومناهجهم».

- قال في (ص / ٦٤٥) من الكتاب نفسه: «فقة المحدثين ليس فقهاً شكلياً يقصّر اهتمامه على الألفاظ والصور، ولكنه يُضيف إلى ذلك اهتمامه بالبواعث النفسية والمقاصد الدينية، ومدى الملاعنة بين عاقبة الفعل ومقاصد الدين.

فَشَّمِرْ - يا طالب العلم - في تطْلُبِ كتبِهِم ودراستِها عن يَدِ وأيْدِ؛  
فَإِنَّهُمْ هَنَادِسَةٌ<sup>(١)</sup> هَذَا الْأَمْرُ، قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سِيَّاتِي قَوْمٌ  
يُجَادِلُونَكُم بِشُبُّهَاتِ الْقُرْآنِ؛ فَخُذُوهُم بِالْأَحَادِيثِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنْنِ أَعْلَمُ  
بِكِتَابِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أوضحت الموازنةُ بين مذهبِ المحدثين والمذاهبِ الأخرى في هذا الاتجاه أنَّ  
المذهبين الحنفي والشافعي يقفان في الطرف المقابل لمذهب المحدثين.  
وقد درسنا تأثيرَ هذا الاتجاه على سلوكِ المحدثين عند الاستباط، حيث كانوا ورعين  
وحللين. وعلى نظرتهم لموضوعات الفقه حيث أدخلوا فيها أبوابَ العقائدِ والزَّهَدِ  
والأخلاقِ وغيرها، وعلى اهتمامهم بالنباءِ والمقاصدِ ومالاتِ الأفعال، سواءً في الألفاظ  
أو في العقود».

- **وقالُ الشَّيخُ صَالُحُ الْعَصَيْمِي:** «أَعْدَلُ الْمَذَاهِبِ وَأَقْوَاهَا فِي دَقَاقِقِ الْفَقَهِ وَمَسَائِلِهِ مَذَهَبُ  
الْمَحْدُثِينَ؛ لَأَنَّهُمْ نَهَلُوا مِنْ مَعِينِ النَّبُوَّةِ، وَاقْبَسُوا مِنْ مَشْكَاةِ الرِّسَالَةِ، فَعَلَيْهَا وَرَدُوا، وَعَنْهَا  
صَدَرُوا». تذكرةُ الحديسي والمتفقة (ص / ٦).

**(١) الْهَنَادِسَةُ:** جمعُ هِنْدِسٍ. والهِنْدِسُ مِنَ الرِّجَالِ: الْمُجَرَّبُ الْجَيِّدُ النَّاظِرُ.  
**وقال الصَّاغَانِيُّ:** هو الْهِنْدُوسُ، كَفِرْدُوسُ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ هُنْدُوسٌ هَذَا الْأَمْرُ، بِالضَّمِّ، أَيِّ  
الْعَالَمُ بِهِ. وَيُقَالُ: هُمْ هَنَادِسَةٌ هَذَا الْأَمْرُ، أَيِّ الْعُلَمَاءُ بِهِ. تاجُ العروس من جواهر القاموس  
(٤٦ / ٩).

**(٢)** آخرجه الدارمي في السنن (٤٩ / ١)، والأجري في الشريعة (ص / ٧٤، ٤٨، ٥٢)، وابن بطة  
في الإبانة رقم (٨٣، ٨٤، ٧٩٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٣ / ١)،  
وابن أبي زمین في أصول السنة رقم (٧ و ٨)، والأصبغاني في الحجة (٣١٢، ٢٠٥ / ١)،  
وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ١٠١٠ - رقم ١٩٢٧) وغيرهم، من طريق بالفاظ  
متقاربةٍ، وهو صحيحٌ.

**ومرأده ب شبّهات القرآن:** الآياتُ المتشابهاتُ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شُبُّهَاتٌ كَمَا لَا يَخْفَى.  
**وانظر:** المواقفات: للشاطبي (٤ / ٣٢٧).

وإياكَ وكتبَ فقهاءِ الرأيِ - لا سيّما المتأخّرينَ منهم - فإنها مَحْشُوّةٌ  
بالمسائلِ المرجُوحةِ، والأقيسةِ الفاسدةِ، والمخالفاتِ الجمّةِ للنّصوصِ! <sup>(١)</sup>.

**(١) قال الإمام ابن القيم:** «سُنّةُ رسول الله ﷺ أحقُّ أن تُتّبعَ ويتركَ ما خالفها لأجلها، ولا تُتركَ

هي لأجل قولِ أحدٍ كائناً منْ كان.

ولو تركتُ السننُ لخلافِ مَن خالفها لعدمِ بلوغها له، أو لتأوilyها، أو غير ذلك لتركِ سُننٍ  
كثيرةً جدًا، وتركِ الحجّةِ إلى غيرها، وقولُ مَن يُجب اتّباعُه إلى قولِ مَن لا يُجب اتّباعُه،  
وقولُ المعصومِ إلى قولِ غيرِ المعصومِ! وهذه بليّةٌ، نسأل الله العافيةَ منها، وأن لا نلقاه بها  
يومَ القيمة». زاد المعاذ (٥٠٢ / ٥).

**- وقال أيضًا:** «أعلى الهممِ في طلبِ العلمِ، طلبُ علمِ الكتابِ والسنةِ، والفهمِ عن اللهِ  
ورسولِه نفسَ المرادِ، وعلمِ حدودِ المُنْزَلِ.

وأحسنُ هممِ طلّابِ العلمِ، قصرُ همته على تتبعِ شوادِ المسائلِ، وما لم ينزلْ ولا هو واقعُ،  
أو كانت همته معرفةُ الاختلافِ وتتبعُ أقوالِ الناسِ، وليس له همةً إلى معرفةِ الصحيحِ من  
تلك الأقوالِ. وقلَّ أن يتّفعَ واحدٌ من هؤلاءِ بعلمه». الفوائد (ص ١٥٢).

**- وقال الإمام الشوكاني:** إنَّ المتصدِّرَ للتصنيفِ في كتبِ الفقهِ، وإن بلغَ في إتقانِه وإتقانِ  
علمِ الأصولِ وسائرِ الفنونِ الآليةِ إلى حدٍ ينقارضُ عنه الوَصْفُ، إذا لم يُتقنْ علمَ السُّنّةِ،  
ويعرفُ صَحِيحَه من سقِيمِه، ويغُولُ على أهله في إصدارِه وإيرادِه، كانت مصنفاته مبنيةً  
على غيرِ أساسٍ؛ لأنَّ علمَ الفقهِ هو مَاخوذٌ من علمِ السُّنّةِ إلَّا القليلَ منه، وهو ما قد صرَّحَ  
بِحُكْمِه القرآنُ الْكَرِيمُ.

فما يَصْنَعُ ذُو الفنونِ بفنونِه إذا لم يكن عالِمًا بعلمِ الحديثِ، مُتقنًا لهُ، مُعوّلاً علىِ  
المصنفاتِ المدوّنةِ فيه؟!!

وبهذه العلةَ تَجِدُ المصنفينِ في علمِ الفقهِ، يغُولونَ في كثيرِ من المسائلِ علىِ مَحْضِ الرأيِ،  
ويُدُونُونَه في مصنفاتهمِ، وهم لا يَشْعُرونَ أَنَّ في ذلك سُنّةً صحيحةً يَعْرُفُها أقلُّ طالِبٍ لعلمِ  
الحاديِثِ! وقد كثُرَ هذا جِدًا من المشغلينِ بالفقهِ علىِ تفاصُلِ شَرْهِ، وتعاظُمِ ضَرَرِهِ، وجَنَّوا  
علىِ أنفسِهمِ، وعلىِ الشَّريعةِ، وعلىِ المسلمينِ.

وإذا شَكَكْتَ في شيءٍ من هذا؛ فخذْ أَيَّ كتابٍ شِئْتَ من الكتبِ المصنفةِ في الفقهِ، وطالعه  
=

## ومن كُتب هذا اللون التي يوصى بها:

«الموطأ» للإمام مالك، و«الأم» للإمام الشافعي المطّبّي<sup>(١)</sup>، وصحيح البخاري، وسنن الترمذى<sup>(٢)</sup>، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وكتب ابن المنذر، وكتب ابن عبد البر - ولا سيما «التمهيد» - وكتب ابن تيمية، وكتب ابن القيم - ولا سيما «زاد المعاد»، و«تهذيب سنن أبي داود» وإيضاح

تجد الكثير الواسع! أدب الطلب ومتنه الأدب (ص / ١٢٠ - ١٢١).

**وانظر** إشار الإنصال في آثار الخلاف: لسبط بن الجوزي (ص / ٣٤).

**تحذير:** لا يلزم من تنبئه على ما في كتب هؤلاء الفقهاء من المخالفات للنصوص: الواقعة في أصحابها، والقدح فيهم، والتشغيل عليهم - كما قد يظن البعض - فإن هذا فعل الجهلة الأغمار!

بل يجب إجلالهم، وحفظ مكانتهم، والتماس المعاذير لهم، وإعمال ما سطّر شيخ الإسلام في كتابه النفيسي «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» من القواعد والضوابط في حقّهم. والله الهادي.

(١) **قال يحيى بن منصور القاضي:** «سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وقلت له: هل تعرف سُنة رسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يُودعها الشافعى كتابه؟ قال: لا». تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر (٥١ / ٣٧٠).

- **وقال محمد بن عبد الله العمري:** سمعت الجاحظ يقول: «نظرت في كتب هؤلاء البنّعة الذين نبغوا، فلم أر أحسن تأليفاً من المطّبّي، كأنّ فاه نَظَمْ دُرّا إلى دُرّ». الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي (١ / ٢٠٦).

- **وقال يونس بن عبد الأعلى:** «كان ألفاظ الشافعى كُلَّها سُكَّر». المصدر نفسه.

(٢) **قال الدكتور نور الدين عُثُر** عن صحيح البخاري، وسنن الترمذى: «هذا منارة فقه المحدثين». منهجه النقد في علوم الحديث (ص / ٥٣٧).

**بل إنني أقول:** إن «صحيح البخاري» هو في الأصل كتابٌ فقيه؛ ألا تراه يكرر الأحاديث ويقطعها على حسب المعانى الفقهية المستتبطة، حتى لربما كرر الحديث الواحد عشرات المرات من أجل ذلك! فتأمل.

مُشَكِّلاً لِهِ» - وكتب ابن رجب - ولا سيّما «فتح الباري»، و«جامع العلوم والحكم» -، و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني، ونحوها من كتب فقهاء المحدثين.

### ومن الكتب المتأخرة:

كتب الصناعي، كتاب: «سبل السلام».

وكتب الشوكاني: كتاب: «الدراري المضية»، و«نيل الأوطار» - الذي كان لا يفارق العلامة محمد الأمين الشنقيطي حضراً ولا سفراً! -.

وكتب صديق حسن خان، كتاب: «الروضة الندية».

وكتب عبد العزيز بن باز، كشروحاته للكتب الستة وغيرها من كتب الحديث، وشرحه «المنتقى الأخبار»، وحاشيته على: «بلغ المaram»، وما اشتملت عليه فتاواه.

وكتب الألباني، كتاب: «تمام المنة»، و«الثمر المستطاب»، وما أودعه سلسلته: «الصحيحة» و«الضعيفة» من الفقه<sup>(١)</sup>.

وكتب العثيمين، كتاب: «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المaram»، وغيره من كتبه النافعة.

وكذا شروح كتب أحاديث الأحكام، كتاب: «منحة العلام في شرح

(١) **لطيفة:** جاء طالب إلى الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل العماني اليمني وقال له: سمعت أحد مشايخ اليمن يقول عن العلامة الألباني: قد يُحتاج به في الحديث، وهو فيه ليس بعالم بل باحث! ولكنه في الفقه وغيره من العلوم ليس بحاجة!! **فقال الشيخ العماني:** الألباني في الحديث رقم واحد، وفي الفقه رقم اثنين بعد الشوكاني.

**بلغ المرام** للشيخ عبدالله الفوزان، وهو شرح نفيس للغاية.  
وغيرها.

وقد ظهرت كتب معاصرة كثيرة مرتبة على ترتيب كتب الفقه، تعنى بهذا الجانب<sup>(١)</sup>، أرى أن يبدأ الطالب بدراستها أولاً، قبل قراءة الكتب الأصول التي أشرت إليها سابقاً (الموطأ وما بعده). **ومن هذه الكتب:**

- **الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز**: للكتور عبد العظيم بدوي.
- **اللباب في فقه السنة والكتاب**: للشيخ محمد صبحي حلاق.
- **الصحيح فقه السنة**: للشيخ كمال بن السيد سالم، وهو كتاب نفيس، وفيه تحقيق وتحريير بديع<sup>(٢)</sup>.

**(١) تنبية:** هذه المصنفات قطعت الطريق على أولئك الذين يُشكّون في جدوى دراسة الفقه على طريقة المحدثين، بدعوى أن هذا فيه تشتيتاً لذهن الطالب! وأنه مجانب للتأصيل العلمي الدقيق!

وهذا كلُّه غير صحيح؛ فقد أثبتت هذه المؤلفات أنَّ هذا هو الطريق الأمثل والأيسر للدراسة الفقهية؛ حيث تناولت المسائل بدقة بالغة، ونَصَرَتْ من الأقوال ما قام عليه الدليل الصحيح، من غير التفات إلى منْ قال به، كما هو ديدن المقلدة!... إلى غير ذلك من المحسن.

وقد بسطت الكلام على هذه المسألة وغيرها في كتاب مستقلٍ.

**(٢)** صدر الكتاب في أربع مجلدات، كتب المؤلف المجلدات الثلاثة الأولى منه؛ أما المجلد الرابع المستعمل على كتب الحدود، والجنایات والبيوع فليس من تأليفه؛ ولذا جاء دون الثلاثة الأولى بكثير!

ثم إنَّ المؤلف أصدرَ بعد ذلك تتمة الكتاب في مجلد سماه: «كشف الأكنة»، عن بحوثٍ لم تُذكر في (الصحيح فقه السنة)، فجاءَ على نسق مجلداته الأولى في الجودة والاتقان.

- «**تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة**»: للشيخ عادل بن يوسف العزاوي.

- «**الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة**»: للشيخ حسين العوايشة؛ وهو كتاب جيدٌ؛ وفيه سؤالات كثيرة وجّهها المؤلف للشيخ الألباني - وهذه ميزةٌ - إلّا أنَّ معظمَه نقولاتٌ مطولةٌ من المصادر المتداولة المعروفة.

- «**السعى الحيث إلى فقه أهل الحديث**»: للشيخ محمد لقمان السلفي، وهو أجمعُها وأوفاهَا؛ وفيه ما ليس في كتب الفقه الأخرى؛ مثل المسائل المعاصرة والتوازل، وهذا أمرٌ مهمٌ يحمدُ للمؤلف<sup>(١)</sup>.  
**وهذا المسلك** هو الذي سيأخذُ بيد الطالب ويرقّيه في مراقي الفقه شيئاً فشيئاً، حتّى يصلَ به في نهاية المطاف إلى مرتبة الترجيح، ثم الاختيار، ثم الاجتهاد إنْ شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) إلّا أنَّ في الكتاب ركاكةً في الأسلوب؛ فليت المؤلف - وفقه الله - يعيدُ النظرَ في صياغته.

(٢) لكن الوصول إلى مرتبة الاجتهاد يحتاج لأمرِين اثنين ذكرهما العلامة محمد بن الحسن الحجّوي الشعالي (ت ١٣٧٦هـ) في كتابه النفيس الفكر السامي (٤٦١ / ٢)، فقال رحمه الله:  
**الأول**: عزيمةُ الطالب على إدراكها، فإذا عزمَ، ومرنَّ نفسه على استقلال فكره، وشغله بتدبّر كتاب الله وسنة نبيه عليه‌الصلوة‌والسلام، وترك التمرن على كلام المتأخرين الجامدين، وجعل بدأه التمرن على فهم الكتاب والسنة، وكلام أئمة الاجتهاد مثل مالك وأضرابه، كما كان أهلُ القرون الأولى يفعلون، إذ كانوا يتمرنون على فهم البخاري وتراجمه وأحاديثه، وأحاديث مسلم، و«الموطأ»، و«الأم» للشافعي، وفقه أبي حنيفة، ومسند أحمد، وأمثالهم، فإذا رجعنا لما كان عليه المجتهدون في كيفية تربية ملائكتهم صرنا مجتهدين مثّلهم.

\* - ينبغي لطالب العلم أنْ يعتنِي كثيراً بكتب الفتاوى، سواءً للعلماء المتقدّمين، أو المتأخّرين، أو المعاصرِين؛ وذلك لما تشمل عليه من فوائد كثيرةٍ منها:

أنها تحتوي على دقائق المسائل ولطائف الاستنباطات. كما تتضمّنُ كثيراً من أحكام النوازل التي لا تكاد توجّدُ في كتابٍ. كما أنها تُساهم مساهمةً فاعلةً في سدّ التغرات في كتب المسائل.

كذلك فإنها تُعتبرُ مِرآةً لعصر المفتى وأحوال الناس العلمية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية... في ذلك الوقت، وهذا ممّا يغفلُ عنه كثيرٌ من الدارسين والباحثين.

كم أنها تدرّبُ الطالبَ على دقة الاستنباط، وعلى فنّ بناء المسائل بعضها على بعضٍ.

وهي أيضًا ميزانٌ دقيقٌ لتعريف الطالب مرتبتَه من العلم الشرعي؛ ذلك لأنّ طالبَ العلم ينبغي أنْ يختبرَ علمَه بالإجابة على السؤال قبل قراءة جواب

**الأمر الثاني:** رياضَةُ النُّفوس على الأخلاق الفاضلة وتركُ السفافِ، لِتُوجَدَ الخَصلَةُ العزيزةُ، وهي النِّزاهَةُ التي تَحْصُلُ بها الثقةُ العامَّةُ كما كانت حاصلَةً بالمجتهدين، فالذِّي فُقدَ أو كَادَ هو الثقةُ، وعليه فإنما يَعِزُّ وجودُ شرطٍ في الاقتداء لا في الاجتهاد، وهو الأمانةُ التي تنشأ عندها الثقةُ.

**أما شروطُ الاجتهاد**، فليست بصعبَةٍ، ورأى بعضُنا من علماءِ الوقت لا مانعَ مِن توفر تلك الشروطِ فيهم، وفضلَ اللهُ غيرَ مُحَاجَرٍ، بل يجُبُ عليهم رفعُ همّتهم والنهوضُ لإدراكِ هذه المرتبة، ونَفْضُ عُبَارِ الذَّلَّ عن رؤوسِ أهلِ العلم.

وعليك أيها الناظرُ المتعطشُ أن تنظرَ ما كتبه في «إعلام الموقعين» مناظرةً ثمينةً على لسانِ مقلّدٍ ومجتهدٍ وأدلةِهما، فانظرْها واستوعبْها ولا بدَّ؛ لِترشدَ إلى الحقّ».

المفتى، فإنْ وافقَ المفتى في الجواب لكنْ زاد عليه المفتى، فهذا جيدٌ لتحصيل الزيادة. وإنْ وافقَ هو المفتى وزاد عليه، فليشكرِ اللهُ علیٍ هذه النعمة، ويسألَه المزيدَ من فضله. وإنْ أخطأَ في الجواب فعليه أنْ يراجعَ نفسه، ويجدّ ويجهّد في تمتينِ علمِه.



لَكَ فِي الْهُمُومِ سَوْىٌ هُمُومٍ رِّجَالٍ  
سَمِّتِ الْحَقِيقَةَ بِامْتِطَاءِ خَيَالٍ  
دَانَ النَّجَاحُ عَلَتْ مُنْيَ الْأَبْطَالِ  
لِلْأَدْعِيَاءِ وَلَيْسَ لِلْجُهَّالِ  
قَبْلَ التَّمَامِ مَظَنَّةٌ لِّكَمَالٍ  
لِي عَنْ مُشَابِرٍ وَغُرْرٍ فِعَالٍ

خُذْ بِالْعَظِيمِ مِنَ الْأَمْوَارِ وَلَا يَكُنْ  
وَاجْعَلْ خَيَالَكَ سَامِيًّا فَلَطَالَ مَا  
ابْعَدْ مُنَاكَ عَلَى الدَّوَامِ فَكُلَّمَا  
فِي كُلِّ فَنٍ لَيْسَ إِدْرَاكُ الْمَدَى  
كَلَّا، وَلَيْسَتْ فِي تَوَحِّي رَاحَةٍ  
إِنِّي لَا سَتَجْلِي الْفَلَاحَ فَيَنْجَلِي

خليل جبران

# الفصلُ الْيَالِيُّ

أَخَائِرُ الذَّخَائِرِ،  
وَمَنَائِحُ النَّصَائِحِ

**الفصل الثالث**  
**أخائر الذخائر،**  
**ومنائح النصائح**

هذه طائفةٌ من أخاءِرِ الذخائرِ، وَمِنَائِحِ النصائحِ، أَزْفُهَا لَكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ؛  
 لَتَسْتَضِيَءَ بِهَا فِي تَحْصِيلِكَ، وَتَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي تَأْصِيلِكَ. فَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،  
 وَخُذْ بِأَسْبَابِهَا؛ فَإِنَّكَ تُفْلِحُ وَتُنْجِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال أبو الأسود الدؤلي:

فَمَا كُلُّ ذِي نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَةٌ  
 وَمَا كُلُّ مُؤْتِ نُصْحَةٌ بِلَيْبِ  
 فَحُقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بَنِصِيبِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَكُنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَ عَنْدَ وَاحِدٍ

وقال بشّارُ بنُ بُرْدٍ:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمُشُورَةَ فَاسْتَعِنْ  
 بِرَأِيِّ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحةِ حَازِمٍ  
 فَإِنَّ الْخَوَافِيْ قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) الأغانى: للأصفهانى (١٢ / ٣٥٥).

(٢) أدب الدنيا والدين: للماوردي (ص / ٣٠٥).

\* - احرض على استقاء العلم من مصادره الأصلية، ونباعه الصحيحة.  
ولا تأمل بك نفسك ذات اليمين وذات الشمال؛ فتنقطع عن هدفك، وتتنكب عن غايتك! «وقد قيل: من أخذ العلم من عين العلم ثبت. ومن أخذه من جريانه أخذته أمواج الشبه، ومالت به العبارات، واختلفت عليه الأقوال»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - إن تيسرت لك الرحلة في طلب العلم ولقاء الأشياخ - بعد أن تحصل علماء بذلك<sup>(٢)</sup> - فبادر إليها؛ فإنها من سن الأنبياء والطهار، والصحابة الأبرار، والأئمة الأخيار.

قال القرطبي عن قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام: «في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدهن أقطارهم.

وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام. قال البخاري: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث<sup>(٣)</sup>.

(١) مدارج السالكين: لابن القيم (٨/٢).

(٢) كما قال العلوى:

والمضمر لازم مُقْنِي وَتَسْعَدْ وَارْحَلْ إِذَا حَصَّلْتَ عِلْمَ الْبَلْدِ

رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار: للمشاط (ص/٤٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١/١١).

### وتذكّر قول ابن رشيد الفهري<sup>(١)</sup>:

تَغَرَّبُ وَلَا تَجْرِعُ لِفُرْقَةٍ مَوْطِنٍ  
تَفْزُ بِالْمَنْتَى فِي كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجِ  
فَلَوْلَا اغْتَرَابُ الدُّرْ مَا حَلَّ مَفْرِقاً  
وَلَوْلَا اغْتَرَابُ الْمِسْكِ مَا حَلَّ مَفْرِقاً  
وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَرِيَ الْعِلْمَ فِي جُنُوْنٍ وَذُلُّ وَعِفَّةٍ  
وَبُعْدٍ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَهْلِ وَالْوَطْنِ  
فَلَوْ كَانَ كَسْبُ الْعِلْمِ أَسْهَلًا حِرْفَةٍ  
لَمَا كَانَ ذُو جَهْلٍ عَلَى الْأَرْضِ فِي الزَّمْنِ!  
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْعِلْمُ وَالْعُلَمَاءُ مُتَوَافِرِينَ بِبَلْدَكَ، وَلَيْسَ وَرَاءَ الرَّحْلَةِ  
مَطْمُعٌ، فَلَا عَلَيْكَ حِينَئِذٍ أَنْ لَا تَرْحَلَ، قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: «الْمَقْصُودُ فِي  
الرَّحْلَةِ فِي الْحَدِيثِ أَمْرَانٌ».

**أَحَدُهُمَا:** تَحْصِيلُ عِلْمِ الْإِسْنَادِ وَقِدَامِ السَّمَاعِ.

**وَالثَّانِي:** لِقَاءُ الْحَفَاظِ، وَالْمَذَاكِرَةِ لَهُمْ، وَالاستفادةُ عَنْهُمْ. إِذَا كَانَ الْأَمْرَانُ  
مُوْجُودَيْنَ فِي بَلْدِ الطَّالِبِ، وَمَعْدُومَيْنَ فِي غَيْرِهِ، فَلَا فَائِدَةُ فِي الرَّحْلَةِ، وَالْإِقْتِصَارُ  
عَلَى مَا فِي الْبَلْدِ أَوْلَى»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

\* - إِذَا صَعُبَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ الْمَسَائِلِ فَاكْتُبْهُ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ  
عَلَى فَهِيمِ الْمَسَائِلِ وَحَلَّهَا، كَمَا ثَبَّتَ بِالتجْرِيَةِ.

وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَزِيزَةٌ اسْتَفَدْتُُهَا مِنْ بَعْضِ أَشْيَاخِي أَثْنَاءَ الطلبِ، وَجَرَّبْتُُهَا

(١) دَرَّةُ الْحِجَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ: لَابْنِ الْقَاضِيِّ (٩٩/٢).

(٢) الجامع لأخلاق الرواية وأدب السامع (٢٢٣/٢).

فوجدتها صحيحةً.

إِنَّمَا أَشْكَلْتُ عَلَيْكَ مَسْأَلَةً، أَوْ رُمِّتَ حَلَّ مُعْضِلَةً، فَعَلَيْكَ بِكِتابَتِهَا مَرَّةً،  
فَإِنْ تَكَشَّفَتْ لَكَ فِيهَا وِنْعَمْتُ، وَإِلَّا فَكَرَرْتُ كِتابَتَهَا مَرَارًا؛ فَإِنَّهَا تَبْلُجُ لَكَ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ.

\*\*\*

\* - عَوْذُ قَلْمَكَ كِتَابَةُ الْخَوَاطِرِ، وَالْمَذَكُورَاتِ، وَالْتَّجَارِبِ، حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ  
أَسْلُوبُكَ رَكِيْكَا أَوْ الْأَمْر؛ فَإِنَّهُ مَعَ التَّعُودِ وَكَثْرَةِ الْمَمَارِسَةِ سَيَقُولُ أَسْلُوبُكَ  
شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّىٰ تُصْبِحَ كَاتِبًا مُحِيدًا.

**قال الغزالى:** «هَذِهِ الْأَحْوَالُ قَدْ تُكَلِّفُ مَبَادِيهَا ثُمَّ تَتَحَقَّقُ أَوْ أَخْرُوهَا. وَكَيْفَ  
لَا يَكُونَ التَّكْلُفُ سَبِيلًا فِي أَنْ يَصِيرَ الْمُتَكَلِّفُ فِي الْآخِرَةِ طَبَعًا؟!»  
وَكُلُّ مَنْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ أَوْ لَا يَحْفَظُهُ تَكَلُّفًا، وَيَقْرُؤُهُ تَكَلُّفًا مَعَ تَمَامِ التَّأْمِلِ  
وَإِحْضَارِ الذِّهْنِ؛ ثُمَّ يَصِيرُ ذَلِكَ دَيْدَنًا لِلْلِّسَانِ مُطَرِّدًا، حَتَّىٰ يَجْرِيَ بِهِ لِسَانُهُ فِي  
الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا وَهُوَ غَافِلٌ، فَيَقْرَأُ تَمَامَ السُّورَةِ، وَتُثْوَبَ نَفْسُهُ إِلَيْهِ بَعْدِ اِنْتِهَا  
إِلَى آخرها، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي حَالِ غَفْلَتِهِ!

وَكَذَلِكَ الْكَاتِبُ يَكْتُبُ فِي الْأَبْدَاءِ بِجُهْدٍ شَدِيدٍ، ثُمَّ تَتَمَرَّنُ عَلَى الْكِتَابَةِ يَدُهُ،  
فَيَصِيرُ الْكَتَبُ لَهُ طَبَعًا، فَيَكْتُبُ أَوْرَاقًا كَثِيرًا وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ بِالْقَلْبِ بِفَكْرٍ آخَرَ!  
فَجَمِيعُ مَا تَحْتَمِلُهُ النَّفْسُ وَالْجَوَارِحُ مِنَ الصَّفَاتِ لَا سَيِّلٌ إِلَى اِكتِسَابِهِ إِلَّا  
بِالْتَّكْلُفِ وَالتَّصْنِعِ أَوْلًا، ثُمَّ يَصِيرُ بِالْعَادَةِ طَبَعًا، وَهُوَ الْمَرَادُ بِقُولِ بَعْضِهِمْ:

العادة طبيعة خامسة<sup>(١)</sup>.

كما أنّ هذا سيُوسع مدارِكَ، ويحفز ذهنَكَ على التفكير والتأمّل، ويعطيكَ القدرة على توليد المعاني والأفكار.

ومن وصايا شيخ الرّحالين محمد بن ناصر العُبودي للناشئة: اكتب كُلَّ شيءٍ حتى غير المهم؛ فإنك إذا كتبتَ غير المهم، تعودَ قلمُكَ كتابةً المهم<sup>(٢)</sup>.  
وما زال هذا ديدنُ العلماء من قديم؛ فكتابُ «الفنون»<sup>(٣)</sup> الذي أَلَّفَهُ

(١) إحياء علوم الدين (٢/٢٩٦).

(٢) قاله في بعض محاضراته.

(٣) كتابُ «الفنون»: هو أكبر كتابٍ في الدنيا!!

قيل: إنه في مائتي مجلدٍ! وقيل: في أربع مائة مجلدٍ!! وقيل: في ست مائة مجلدٍ!!! وقيل: في ثمان مائة مجلدٍ!!!!

- قال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُ: «هذا الكتابُ مئتا مجلد، وقع لي منه نحو مائة وخمسين مجلداً». ذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب (١/٣٤٤).

قال سبطه: «اختصر منه جدي عشر مجلدات فرقها في تصانيفه». مرآة الزمان (٨/١٥١).

- قال عبد الرزاق الرسوني في «تفسيره»: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السفر الرابع بعد الثلاث مائة من كتاب «الفنون»!. شدرات الذهب: لابن العماد (٦/٦١).

- وقال الذهبي في العبر في خبر من غير (٢/٤٠٠) عنه: «شيخ الحنابلة، وصاحب التصانيف، ومؤلف كتاب «الفنون» الذي يزيد على أربع مائة مجلد!».

وقال في تاريخ الإسلام (٣٥١/٣٥): «لم يصنف في الدنيا أكبرُ منه، حدثني من رأى المجلد الفلافي بعد الأربع مائة، يحكى فيه بحوثاً شريفةً ومنظاراً وتاريخاً ونواراً، وما قد وقع له».

وقال في سير أعلام البلاء (٤٤٥/١٩): «هو أزيدُ من أربع مائة مجلد، حشد فيه كلَّ ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغواصات، وما يسمعه من

=

العجائب والحوادث».

قال محقق «السير»: «وقد طُبع منه جزءٌ في دار المشرق لبنان (سنة ١٩٦٩)، وقع لمحققه تحريراتٌ فاضحةً».

**وقال في معرفة القراء الكبار** (ص/٢٦١): «بلغ أربع مئة وسبعين مجلداً». وكذا ذكر ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء (٥٥٦/١).

- **وفي لسان الميزان لابن حجر** - تحقيق: أبو غدة - (٥٦٤/٥): «يشتمل على ست مئة مجلد أو أكثر! ملأه من دامغاته ومناظراته وملنّقاطاته، طالعت أكثره!».

- **وقال ابن رجب** في ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٤٥): «أخبرني أبو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد، قال: سمعت بعض مشايخنا يقول: هو ثمان مئة مجلدة!».

- **وقال صاحب كشف الظنون** (١٤٤٧/٢): «جمع فيه: أزيد من أربع مئة فن!!». **قلت:** لعل هذا التباهي الكبير في عدد مجلداته؛ راجع إلى تفاوت عمل النسخ في نسخ الكتاب؛ فبعضهم يكتبه بخطٍ دقيقٍ على ورقٍ كبيرٍ، وبعضهم يكتبه بخطٍ كبيرٍ على ورقٍ أقل حجمًا؛ فلذما تفاوت عدد مجلداته! وهذا أمر معلوم عند العارفين بالمخطوطات.

**لطيفة:** قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى ابن عقيل عن نفسه قال: «حججت، فالتققطت عقداً لولٍ في خط أحمر، فإذا شيخ أعمى يئسده، ويبدل لمليقته مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعت، وخرجت إلى الشام، وزرت القدس، وقصدت بغداد، فأوتيت بحلب إلى مسجد وأنا بـدان جائع، فقدموني، فصلحت لهم، فأطعمني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا توفى فصلّينا بـنا هذا الشهر، ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنت، فزوجت بها، فأقمت معها سنة، وأولدتـها ولـذا ذـكرـا، فمرضـتـ في نفـاسـهـاـ، فـتأمـلـتـهاـ يـومـاـ فإـذـاـ فيـ عـقـدـ بـعـيـنهـ بـخـيـطـهـ الأـحـمـرـ! فـقلـتـ لهاـ: لـهـذاـ قـصـةـ، وـحـكـيـتـ لـهـاـ، فـبـكـتـ، وـقـالـتـ: أـنـتـ هـوـ اللهـ! لـقـدـ كانـ أـبـيـ يـبـكيـ، وـيـقـولـ: اللـهـمـ اـرـزـقـ بـتـيـ مـثـلـ الـذـيـ رـدـ الـعـقـدـ عـلـيـ! وـقـدـ اـسـتـجـابـ اللـهـ مـنـهـ، ثـمـ مـاتـ، فـأـخـذـتـ الـعـقـدـ وـالـمـيرـاثـ، وـعـدـتـ إـلـىـ بـغـدـاـ!». تاريخ الإسلام (٣٥٤/٣٥)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (٤٤٩/١٩).

**لطيفة ثانية:** قال ابن الجوزي في ترجمة عبد الله بن المبارك بن الحسن العكبري: «باع ملوكاً له، واشترى كتاب «الفنون» وكتاب «القصوص» لابن عقيل، ووقفهما على المسلمين!». المتنظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٨٧/١٧).

أبو الوفاء بن عقيل الحنبلـي (ت ١٣٥ هـ) هو من هذه البابـة.

**قال ابن الجوزـي عن مؤلفـه ابن عـقـيل:** «كان دائمـاً الاشتغال بالعلم؛ حتى إني رأيت بخطـه: «إني لا يحـل لي أن أضـيع ساعـةً من عمرـي، حتى إذا تعـطل لسانـي عن مذاكرـة ومنظـرة، وبصرـي عن مطالعـة، أعمل فـكري في حال راحتـي وأنا مـُسـتطـرـح، فلا أنهـض إلا وقد خـطـر لي ما أـسـطـرـه، وإنـي لأـجـد من حـرصـي علىـ العلم وأـنـا في عـشـر الشـمـانـين أـشـدـ مما كـنـت أـجـدـه وأـنـا ابنـ عـشـرين!»، وكانـ لهـ الخـاطـرـ العـاطـرـ، والـبـحـثـ عنـ الغـوـامـضـ والـدـقـائـقـ، وجـعـلـ كتابـهـ المـسـمـىـ بـ«الـفـنـونـ» مـنـاظـرـاً لـخـواـطـرـهـ وـوـاقـعـاتـهـ»<sup>(١)</sup>.

**وـأـلـفـ الإمامـ ابنـ الجـوزـيـ** كتابـ «صـيدـ الخـاطـرـ»<sup>(٢)</sup>، وهوـ كـتابـ نـفـيسـ فيـ مـادـتـهـ، قـويـ فيـ أـسـلـوبـهـ، عـمـيقـ فيـ تـحـلـيلـهـ، دـقـيقـ فيـ نـقـدهـ.

**قالـ عنهـ الأـدـيـبـ الـكـبـيرـ عـلـيـ الطـنـطاـويـ رـحـمـهـ اللـهـ** فيـ تـقـديـمـهـ لـلـكـتابـ: «لا تـخلـو نـظـرـةـ فـيهـ منـ موـعـظـةـ أـتـعـظـ بـهـاـ، أوـ فـائـدـةـ أـسـتـفـيـدـهـاـ، أوـ طـرـفـةـ آـسـعـ بـهـاـ. وـفـيهـ - فـوقـ ذـلـكـ - تـحـلـيلـ لـلـنـفـوسـ، وـفـيهـ وـصـفـهـ لـلـمـجـتمـعـ، فيـ أـسـلـوبـ مـبـتـكـرـ، وـطـرـيقـةـ فيـ التـصـنـيفـ لـأـعـرـفـهـاـ لـأـحـدـ مـنـ الـمـصـنـفـينـ».

**ثمـ قالـ عـنـ اـسـمـ الـكـتابـ - (صـيدـ الخـاطـرـ)ـ**ـ: «وـفيـ هـذـا الـاسـمـ توـفـيقـ عـجـيـبـ؛ ذـلـكـ أـنـ الـخـواـطـرـ لـأـتـفـأـ تـمـرـ عـلـىـ الـذـهـنـ كـأـنـهـ الطـيـورـ الـتـيـ تـجـوـزـ

(١) المتـظـمـ فيـ تـارـيخـ الـمـلـوكـ وـالـأـمـمـ (١٨١/١٧).

(٢) أـفـضـلـ نـشـرـةـ رـأـيـهـ لـلـكـتابـ - حتـىـ الـآنـ - هيـ نـشـرـةـ دـارـ ابنـ خـزـيمـةـ، بـعـنـيـةـ الشـيـخـ: عـامـرـ بـنـ عـلـيـ يـاسـيـنـ، فـقـدـ أـجـادـ الشـيـخـ فـيـ خـدـمـةـ الـكـتـابـ تـبـوـيـاـ، وـتـعلـيقـاـ، وـاستـدـراـكـاـ عـلـىـ الـمـؤـلـفـ، فـيـماـ شـطـحـ بـهـ قـلـمـهـ.

سماء الحقل، تراها لحظةً ثم تقتدُّها، فكأنكَ ما رأيتها، فإذا أنتَ اصطدَّتها وقیدَّتها ملكتها أبداً! لذلك جعل المؤلفُ هذا الكتاب قيداً لصيد الخاطر، فكان الاسم نفسه نفحةً من نفحاتِ العبرية!».

**وإنني من بعده أقول :** لم أَرَ في رِحلتي الطويلة مع الكتب كتاباً يُدانيه في قوَّةٍ أَسلوبِه، ولا يُسامِيه في دقةِ تناولِه وعمقِ تحليلِه، فأسلوبُ ابن الجوزيَّ فيه يُعدُّ ضرباً من ضُرُوبِ العبريةِ، والتماَعَةُ من التِّمَاعَاتِ الْأَلْمَعِيَّةِ، بل إنني أزعمُ أنَّ أسلوبَه فيه هو أقصى ما يُمْكِنُ أنْ يصلَ إليه كاتبٌ<sup>(١)</sup>.

(١) سأذكر لك نموذجًا واحدًا فقط من هذه النماذج الباهرة التي تدلّ على متانة أسلوبه وعمقته؛ لتدرك بحديسك، وتُوقن بِتَفْسِيك:

قال ابن الجوزي: «أعظم البلايا: أن يعطيك الله همّة عالیة، ويمنعك من العمل بمقتضها. فيكون من تأثير همتك الألفة من قبول إرفاق الخلق؛ استثنالاً لحمل مبنיהם، ثم يبتليك بالفقر، فتأخذ منهم!»

ويُلطف مزاجك، فلا تقبل من المأكولات ما سهل إحضاره، فتحتاج إلى فضل نفقة، ثم يُقلل رزقك!

ويعلق همتك بالمستحسنات، ويقطع بالفقر السبيل إليهن!

ويربك العلوم في مقام مُعْشوق، ويُضعف بدنك عن الإعادة، ويُخلِّي يديك من المال الذي تُحصل به الكتب!

ويقوّي توكلك إلى درجات العارفين والزهاد، ويحوّجك إلى مخالطة أرباب الدنيا!

وهذا البلاء المبين!

وأما الخسيسُ الهمّة، الذي لا يَسْتَكِفُ من سؤالُ الْخُلْقِ، ولا يَرَى الاستبدالَ بِزُوْجِهِ، ويَكْتُفِي بِسَيِّرِهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَتَوَقُّ إِلَى أَحْوَالِ الْعَارِفِينَ، فَذَاكَ لَا يُؤْلِمُهُ فَقْدُ شَيْءٍ، وَيَرَى  
ما وَجَدَ هُوَ الْغَايَةُ، فَهُوَ يُفْرِحُ فَرَحَ الْأَطْفَالِ بِالرَّخْارِفِ؛ فَمَا أَهُونَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ!  
إِنَّمَا الْبَلَاءُ عَلَى الْعَارِفِ، ذِي الْهِمَّةِ الْعَالِيَّةِ، الَّذِي تَدْعُوهُ هِمَّتُهُ إِلَى جَمِيعِ الْأَضْدَادِ؛ لِلتَّزِيدِ

**وَالْفُلُجُونِيْمِ** كتاب «الفوائد»، وهو كتاب ماتع كاسمه، ملأه مؤلفه بغرر الفوائد، ودرر القلائد.

**وقد قال فيما يتعلّق بالخواطر:** «معلوم أنه لم يعط الإنسان إماتة الخواطر، ولا القوة على قطعها؛ فإنها تهجم عليه هجوم النفس. إلا أنّ قوة الإيمان والعقل تعيّن على قبول أحسنهما، ورضاه به، ومساكته له. وعلى رفع أقبحها، وكراهته له، ونفرته منه..... وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهةً بالرّحا الدائرة التي لا تسكنُ، ولا بدّ لها من شيءٍ تطحّنُه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته.

فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرّحا، ولا تبقى تلك الرّحا معطلةً قطّ، بل لا بدّ لها من شيءٍ يوضع فيها، فمن الناس من تطحّن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحّن رملًا وحصىً وتبناً ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجب والخبز تبيّن له حقيقة طحينه! <sup>(١)</sup>.

من مقام الكمال، وتقصر خطاه عن مدارك مقصوده.

فيما له من حالٍ ينعدُ في طريقه زاد الصابرين!

ولولا حالات غفلةٍ تعرّي هذا المبتلى يعيش بها؛ لكان دوام ملاحظته للمقامات يعمي بصراه، واجتهد في السلوك يُحفي قدمه!

لكن ملاحظات الإمداد له - تارةً يبلغ بعض مراده، وتارةً بالغفلة عما قصد - تهون عليه العيش!

وهذا كلام عزيزٌ، لا يفهمه إلا أربابه، ولا يعلمُ كُنهه إلا أصحابه!». صيد الخاطر (ص/ ٣٢٣ - ٣٢٥).

<sup>(١)</sup> الفوائد (ص/ ١٧٤).

## بل الأعجبُ من هذا:

أنَّ كبارَ العلماء والأدباء قد كتبوا فيما نظنه نحنُ اليومَ تافِهًا، ونحسبُ أنه من التَّرَفِ الْفِكْرِيِّ الممْجُوجِ!

فقد أَلَّفَ الْجَاحِظُ «تفضيل البطن على الظهر»! و «تفضيل النُّطق على الصمت»!<sup>(١)</sup>.

وأَلَّفَ قاضي الجماعة أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الله البُناهِي المالقيُّ  
«المقامة النَّحْلِيَّة»، حيثُ فاضَلَ فيها بين النَّخلة والكرْمة!<sup>(٢)</sup>، وهي التي شرحها في كتابه «الإِكْلِيلُ فِي تفضيل النَّخْلِ».<sup>(٣)</sup>

وأَلَّفَ الحافظُ الذهبيُّ رسالَةً في المُفَاخِرَةِ بين التُّوتِ والمِشْمِشِ!

ومثله محمدُ بنُ عابد الصَّرْخَديُّ.<sup>(٤)</sup>

وأَلَّفَ أبو الحسن عليُّ بنُ محمد المارديني: المَناظِرَةُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالنَّرجِسِ!

وأَلَّفَ عبدُ الباقي بنُ عبدِ المُجِيدِ اليماني: «زَهْرُ الْجِنَانِ»، في المُفَاخِرَةِ بين القنديل والشَّمْعَدَانِ!<sup>(٥)</sup>

(١) نُشرَتْ ضمَّنَ «الرسائل الأدبية» للْجَاحِظِ، الَّذِي طبَعَهُ دارُ مكتبة الهلال، بيروت.

(٢) نُشرَتْ المقامةُ أَكْثَرَ مِنْ مِرَّةٍ، كَانَ أَقْدَمُهَا نَشْرَةُ المستشرقِ الْأَلمَانِيِّ ماركِس جوزيف مولر، الَّذِي نَشَرَهَا سَنَةَ (١٨٦٦) م. ضمَّنَ كَتَابَهُ «مساهماتِ العَربِ الْمَغَارِبِية».

(٣) طبَعَهُ الرابطةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لِلعلماءِ بِالْمَغْرِبِ.

(٤) مِنْ نُسْخَةٍ خطَّيَّةٍ مصوَّرَةٍ في مَرْكَزِ الْمُلْكِ فِيصلِ للبحوثِ والدراساتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِرَقْمٍ (٢٧٧٢٨).

(٥) كشفُ الظُّنُونِ (٩٥٩/٢).

وألف حسين بن مسعود الشافعي: «حديقة البحار، في المفاخرة بين السماء والأرض والليل والنهار»!<sup>(١)</sup>

وألف جماعة في المفاخرة بين السيف والقلم. منهم: محمد بن نباتة الفارقي، وابن الوردي، والقلقشندى، وقال: «قد أكثر الناسُ منها، فمنْ عالٍ وهابٍ، وصاعِدٍ وساقطٍ».<sup>(٢)</sup>

وألف علي بن عثمان التركمانى: «لذة السمع، في المناظرة بين السُّلَاف والشُّمْع»!

وألف الإمام الصناعي: «المفاخرة بين العنب والنخل»!

وألف أحمد بن عبد اللطيف البربرى الحسنى: «المفاخرة بين الماء والهواء»!<sup>(٣)</sup>

وألف محمد بن محمد المبارك، الجزائري (ت ١٣٣٠ هـ) عدّة مؤلفاتٍ في هذا، منها:

«أبهى مقامة، في المفاخرة بين الغربة والإقامة»!

و«غريب الأنباء، في مناظرة الأرض والسماء»!

وحتى الإمام ابن القيم أدى بدلوه في هذا!

فقد ذكر في كتابه مباحث مطولةً فاضل فيها بين الأشياء.

(١) منه نسخة خطية محفوظة في مكتبة رضا - بالهند - رامبور - برقم: ١ / ٥٨٤ (٣٧٥).

(٢) صُبَح الأعشى في صناعة الإنسنا (١٤ / ٢٦٣).

(٣) مطبوعٌ ضمن كتاب «المفاخرات والمناظرات»، بعنوان الدكتور محمد حسان الطيّان، ونشرته دار البشائر الإسلامية.

فَكَبَ فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ التَّرَابِ وَالنَّارِ، وَبَيْنَ الشَّيْخِ وَالشَّابِ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَبَيْنَ الذَّكْرِ وَالْأَنْثَى، وَبَيْنَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَبَيْنَ الْعِنْبِ وَالنَّخْلِ، وَبَيْنَ  
الْعَسْلِ وَالسُّكَّرِ ! وَغَيْرُهَا <sup>(١)</sup>.

أَمَّا الْحَافِظُ السِّيَوْطِيُّ فَلِهِ فِي هَذَا الْبَابِ عَجَائِبُ وَغَرَائِبُ؛ فَقَدْ أَلْفَ  
«الْمُفَاخِرَةَ بَيْنَ الطَّيْلَسَانِ وَالْطَّرَحَةِ» !!

وَأَلْفَ مَقَامَةَ (الرِّيَاحِينَ) ذَكَرَ فِيهَا الْمُفَاخِرَةَ بَيْنَ الرِّيَاحِينَ ! كَالْوَرْدِ،  
وَالنَّرْجِسِ، وَالْيَاسْمِينَ، وَالْبَانِ... إلخ، وَحَكَمَ فِي آخِرِهَا لِلْفَاغِيَةِ <sup>(٢)</sup>.

وَأَلْفَ مَقَامَةَ (الطَّيْبِ) ذَكَرَ فِيهَا مِزَايَا بَعْضِ أَنْوَاعِ الطَّيْبِ ! كَالْمِسْكِ،  
وَالْعَنْبِرِ، وَالْزَّعْفَرَانِ... إلخ.

وَأَلْفَ المَقَامَةَ (الْتَّفَاحِيَّةَ) ذَكَرَ فِيهَا مَنَاقِبَ أَنْوَاعِ مِنَ الْفَواكهِ ! كَالرَّمَانِ،  
وَالْأَتْرَجِ، وَالسَّفِرْجَلِ، وَالْتَّفَاحِ... إلخ.

وَأَلْفَ المَقَامَةَ (الْزَّمَرْدِيَّةَ فِي الْخَضْرَوَاتِ) ذَكَرَ فِيهَا الْمُفَاضَلَةَ بَيْنَ أَنْوَاعِ  
الْخَضْرَوَاتِ ! كَالْقَرْعِ، وَالْهَنْدِبَا، وَالْخَسِّ، وَالْبَامِيَّةِ، وَالْمَلُوكِيَّا... إلخ <sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التقريب لعلوم ابن القيم: لبكر أبو زيد (ص / ٨٢).

(٢) الفاغية: نَوْرُ الْحِنَاءِ، أَوْ يُغْرَسُ غُصْنُ الْحِنَاءِ مَقْلُوبًا، فَيُنْمِرُ رَهْرًا أَطْيَبَ مِنَ الْحِنَاءِ، فَذَلِكَ  
الْفَاغِيَةُ. القاموس المحيط (ص / ١٣٢٢).

وَفِي الْمَعْجمِ الْوَسِيْطِ (٦٩٦ / ٢): الفاغية: نَوْرُ الْحِنَاءِ خَاصَّةٌ وَهُوَ (تَمْرُ الْحِنَاءِ) فِي لُغَةِ  
الْعَامَّةِ.

(٣) وَوَرَدَتْ فِيهَا عَبَارَتُهُ الْجَمِيلَةُ: «عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتُمْ، وَمِنَ الْبَحْرِ لَقَطْتُمْ، وَلَقَدْ أَفْسَطْتُمْ فِي  
سُؤَالِكُمْ وَمَا قَسَطْتُمْ، وَسَأْنِيكُمْ بِمَا يَفْوُقُ حِكْمَةَ بُقَرَاطٍ، مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ وَلَا إِفْرَاطٍ»!

وألف المقامات (الفُسْتِقَيَّة) في البقول والمكسرات! ذكر فيها مزايا الفستق، واللوز، والجوز، والبندق... إلخ.

وألف المقامات (الياقوتية) ذكر فيها المفاحرة بين سبعة من اليواقيت السنية، وهي: الياقوت، واللؤلؤ، والزمرد، والمرجان، والزيرجد، والعقيق، والفيروزج.

### والفائدة من وراء ذلك أمورٌ منها:

تقوية الأسلوب، والتعود على توليد الأفكار، وصقل الذهن؛ حتى ينشط الذهن بعد ذلك لفهم مسائل العلم.

**فينبغي لطالب العلم** أن يختلي بنفسه ولو مرة في الأسبوع؛ يُسجّح خواطره، ويدوّن مشاعره، ويسجل تجاربه؛ إما بشعر إن كان شاعرًا، وإما بشر أدبي مُحلق.

وفيما قاله الشيخ الطلعة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري مراشد سديدة تُوضّح لك هذا المَهْيَع<sup>(١)</sup>.

(١) قال وفته الله وختم له بخير: «طالب العلم في هذه الحياة المحدودة حريص على الاستزادة وإشباع النهم والاستيلاء على المعارف البشرية.

قال أبو عبد الرحمن: وقد جربت في حياتي العلمية طريقة سمححة تعين على التبحر في العلم. ولهذا فأنا حريص على إرشاد أترابي إليها؛ لأنه (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه). فأقول:

يجب أن يحدد طالب العلم لنفسه جلسة يومية خاصة؛ ولكنشرط أن تكون طويلة لا تقل عن ثلاثة ساعات. وكلما زادت فأنعم وأكرم.

**فيوم** يكون للثقافة، وهي الأخذ من كل علم بطرف، وذلك لا يكون إلا بالتصفح العاجل،

\* - إِحْرَضْ عَلَى اقْتِنَاصِ الْفَائِدَةِ الصَّحِيحةِ، وَاقْبَلُهَا مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهَا؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ. وَ«طَالِبُ الْعِلْمِ يَنْتَقِي؛ كَالنَّحْلَةِ تَأْخُذُ مِنْ كَافَةِ الْأَشْجَارِ»<sup>(١)</sup>.

**قال عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «الْعِلْمُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذُوهُ وَلَوْ مِنْ أَيْدِي الْمُسْرِكِينَ، وَلَا يَأْنَفْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْخُذَ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ سَمِعَهَا مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.  
**وقال معاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** «أَحَدُرُكُمْ زَيْغَةُ الْحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قد يَقُولُ كَلْمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلْمَةَ الْحَقِّ. فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ عَمِيرَةَ: مَا يُدْرِيكُنِي - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنَّ الْحَكِيمَ قد يَقُولُ كَلْمَةَ الضَّلَالَةِ، وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قد يَقُولُ كَلْمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: بَلِي، اجْتَنَبْ مِنْ كَلَامِ

=  
والالتقاط السريع.

تَأْخُذُ موسوعةً في علم لا يحتاج إلى حفظٍ أو تأمل من المعارف البشرية البسيطة. كالبداية والنهاية في التاريخ، والأغاني في الأدب... إلخ. فنقرأ الموسوعة الواحدة في ثلاثة جلسات قراءةً تصفح لا قراءةً تمعنٌ.

ويكون همك التقاط النواذر، وجمع الأشباه، والاستدراك، وذلك وفق عملية الكروت المشهورة.....

**وَيَوْمٌ** يكون للتبحر أو التخصص؛ فنفرغ وقتاً وجهداً لبحث مسألة ما، في أي فنٍ، وتحقيقها وتستوفي الأقوال فيها. وبهذا تكون إماماً في هذه المسألة متخصصاً فيها.

**وَيَوْمٌ** ليس للقراءة بل للكتابة، تجلس للتأمل والتفكير، فتسجل خواطرك شرعاً أو نثراً بطريق تفاسيف عقلية، أو توهج عاطفي، أو تهوييم خيالي.

وهذا أحسن منهجه عندي لإشباع النهم العلمي». الفنون الصغرى (ص/١٨١).

(١) فتاوى حديثية: لسعد الحميد (ص/١٤٩).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٢٠٠) رقم (٦٢١).

الحكيم المشهورات التي يُقال ما هذه؟! ولا يُنفي ذلك عنه، فإنه لعله أن يُراجع، وتلقى الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نوراً<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: كان يُقال: «العلم ضالة المؤمن  
يَغْدُو فِي طَلَبِهِ، فَإِذَا أَصَابَ مِنْهُ شَيْئاً حَوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

فيجب أن «نظر إلى ذات القول لا إلى قائله؛ لأن كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلامه عليه السلام، ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيراً، ألا ترى أن ملكرة سبا في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها، لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها: ﴿إِنَّ الْمُؤْكَدَ إِذَا دَخَلُواْ فَرِيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعْزَةً أَهْلِهَا أَذْلَةً﴾ فَقد قال الله تعالى مصدقاً لها في قولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. وقد قال الشاعر:

حُكْمَ الصوابِ إِذَا أَتَى مِنْ ناقصٍ مَا حَطَّ قِيمَتَهُ هَوَانُ الْغَائِصِ <sup>(٤)</sup> بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ <small>عليه السلام</small> قَدْ قَالَ عَنْ شَيْطَانٍ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» <sup>(٥)</sup> ،	لَا تَحْقِرْنَ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوْافِقٌ فَالدُّرُّ وَهُوَ أَعْزَّ شَيْءٍ يُقْتَنَى
--	---

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٦١١) وغيره، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - طبعة السلفية - برقم (٣٦٨٦).

(٣) وفي القصة نفسها قيل سليمان عليه السلام ما جاء به الهدُّد - وهو من أراذل الطير - لـما جاءه بسلطانٍ مبين!

(٤) أضواء البيان: للشنقيطي (٨/١).

(٥) رواه البخاري في الصحيح برقم (٢٣١١) و (٣٢٧٥) و (٥٠١٠) معلقاً مجزوحاً به من

يعني أنّ الأصل في الكذب، لكنه قد يُصدقُ.

**ولذا قال شيخ الإسلام:** «على الإنسان أن يُصدق بالحق الذي يقوله غيره، كما يُصدق بالحق الذي يقوله هو، ليس له أن يؤمِّن بمعنى آية استدل بها، ويردَّ معنى آية استدل بها مُناظِره، ولا أن يقبل الحق من طائفة، ويردَّه من طائفة أخرى.

**ولهذا قال تعالى:** ﴿فَمَنْ أَخْلَمْ مِمَّنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِكُفَّارِينَ ﴾٢٦﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

فدمَّ سبحانه من كَذَّب أو كَذَّب بِحَقِّه، ولم يمدح إلا من صَدَّق وصَدَّق بالحق.

فلو صَدَّقَ الإِنْسَانُ فيما يقوله، ولم يُصدِّق بالحق الذي يقوله غيره، لم يكنْ ممدوحاً، حتى يكونَ ممَّن يجيءُ بالصِّدْقِ ويُصدِّقُ به، فأولئك هم المُتَّقُونَ<sup>(١)</sup>.

والله دَرُّ عَلَيِّ بْنِ فَضَّالِّ الْمَجَاشِعِي حِيثُ يَقُولُ<sup>(٢)</sup>:

**حُذِّرَ الْعِلْمَ عَنْ رَاوِيهِ وَاجْتَلَبَ الْهُدَىٰ وَإِنْ كَانَ رَاوِيهِ أَخْاعَمَلٍ زَارِي**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه ابن بشران في الأمالي برقم (٥٤٦)، والبيهقي في الدعوات الكبير برقم (٤٠٦)، وفي شعب الإيمان برقم (٢١٧٠)، والبغوي في شرح السنة برقم (١١٩٦)، وغيرهم موصولاً.

**قال البغوي:** هذا حديث صحيح.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤٠٤/٨).

(٢) معجم الأدباء: للحموي (٤/١٨٣٦).

**فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَالْتَّخْلِ يَانِعُ** **كُلُّ التَّمَرَ مِنْهُ وَأَثْرُكِ الْعُودَ لِلنَّارِ!**

كما أجاد الشاعر القرموي في تصوير هذا المعنى بقوله<sup>(١)</sup>:

**إِسْتِقْ الْحِكْمَةَ لَا يُشْغِلُكَ مِنْ  
فُشَاعَ الشَّمْسِ يَمْتَصُّ النَّدَى**

1

\* - لا بد لطالب العلم أن يحفظ أصلًا في كل فنٍ؛ ليكونَ عليه المدارُ في جميع مسائل ذلك الفنّ.

وفائدةً ذلك أنَّ جمِيعَ ما سيقرأه بعَد ذلك من شروحٍ وتعليقاتٍ وغيرها سيسْتقرُّ ويرسخُ؛ لأنَّه قد سبقها أصلٌ تُطْبَقُ به وتأوي إلى. [١]

**قال العلامة السعدي:** «الحالۃ التقریبیۃ: أن یجتهد طالب العلم في حفظ مختصر من مختصرات الفن الذي یشتغل فيه. فإن تذرّ أو تعسر عليه حفظه لفظاً، فليکررْه كثيراً، متذمراً لمعانیه، حتى ترسخ معانیه في قلبه. ثم تكون باقی كتب هذا الفن كالتفسیر والتوضیح والتفریع لذلك الأصل الذي عرفه وأدرکه؛ فإن الإنسان إذا حفظ الأصول وصار له ملکة تامة في معرفتها؛ هانت عليه كتب الفن كلها: صغارها وكبارها. ومن ضيغ الأصول حرم الوصول.

فَمَنْ حَرَصَ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا هُوَ، وَاسْتَعَانَ بِاللَّهِ: أَعْانَهُ اللَّهُ، وَبَارَكَ فِي عِلْمِهِ وَطَرِيقِهِ الَّذِي سَلَكَهُ. وَمَنْ سَلَكَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ غَيْرَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: لقبش (ص / ١٢٢).

النافعة: فاتتْ عليه الأوقاتُ، ولم يُدركِ إلا العناَءَ، كما هو معروفُ بالتجربة. والواقعُ يشهدُ به، فإن يَسَرَ اللَّهُ لَهُ مُعْلِمًا يُحسِن طريقةَ التعليم، ومسالكَ التفهيم؛ تمَّ له السبُبُ الموصلُ إلى العلم»<sup>(١)</sup>.

فتَأْمِلُ في هذه الوصيَّة الذهبيَّة من هذا العالمِ الجَهِيدِ، وَعَضَّ عَلَيْها بنواجذك؛ فإنك تَظْفَرُ.

**ولِمَحْمُودِ الْوَرَاقِ:**

الْقَوْلُ مَا صَدَقَهُ الْفَعْلُ      وَالْفَعْلُ مَا صَدَقَهُ الْفَعْلُ  
لَا يَبْتُتُ الْفَرْغُ إِذَا لَمْ يَكُنْ      يَقِلُّهُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَصْلُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

\* - عَوْدْ نفسك على التفكير والنظر في مسائل العلم؛ فإنَّ التَّعُودَ على التَّفَكُّر والنظر يُساعد على تفكيكِ الإشكالاتِ، وَتَشْقِيقِ المَسَائِلِ، وَبِنَاءِ الْعِلْمِ. وكلُّ مسألةٍ لها مَدْخُلٌ يُولَجُ منه لحلّها؛ ولا يتمُّ ذلك إِلا بالنظر الفاحص، والتفكير العميق، فَكُنْ من هذا على ذُكْرٍ؛ فإنه مُجَرَّبٌ.

**قال عبد القاهر الجرجاني:** «اعلم أنه ليس إذا لم تُمْكِنْ معرفةُ الْكُلّ، وجَبَ تركُ النظرِ في الْكُلّ»<sup>(٣)</sup>. وأنَّ تَعْرِفَ الْعِلْمَةَ وَالسَّبَبَ فِيمَا يُمْكِنُكَ معرفةُ ذلك فيه.

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص/٥١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٤٤).

(٣) **فائدة:** لا يجوز إدخالُ (أَلْـ) على (كُلـ) و (بعض)، لأنَّهما معرفتان.

جاء في كتاب المزهر للسيوطى (٢/١٤٩): «في كتاب «ليس» لابن خالويه: العوامُ وكثيرٌ =

وإِنْ قَلَّ، فَتَجْعَلُه شاهدًا فِيمَا لَمْ تَعْرِفْ؛ أَحْرَى مِنْ أَنْ تَسْعُدَ بَابَ الْمَعْرِفَةِ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَأْخُذَهَا عَنِ الْفَهْمِ وَالْتَّفْهُمِ، وَتَعُودَهَا إِلَى الْكَسَلِ وَالْهُوَيْنَا!»<sup>(١)</sup>.

**وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ فَاوَتَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحِيَاتِيَّةِ، لِيَعْظُمَ الْأَجْرُ، وَتَنَمازَ الْمَرَاتِبُ، بَيْنَ مَسَائِلِ الْعِلْمِ نَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْحِيَاتِيَّةِ؛ لِيَعْظُمَ الْأَجْرُ، وَتَنَمازَ الْمَرَاتِبُ، وَتُعْرَفَ الْمَقَامَاتُ، وَيَتَبَيَّنَ الْمَشْمُورُ!**

**قال ابنُ قتيبة:** «وَكُلُّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ: مِنَ الْفَقْهِ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالنَّحْوِ، فَمِنْهُ مَا يَحْلُّ، وَمِنْهُ مَا يَدِقُّ؛ لِيُرْتَقِيَ الْمُتَعَلِّمُ فِيهِ رُتبَةً بَعْدَ رُتبَةٍ، حَتَّى يَبْلُغَ مَنْتَهَاهُ، وَيُدْرِكَ أَقْصَاهُ. وَلِتَكُونَ لِلْعَالَمِ فَضْيَلَةُ النَّظَرِ، وَحُسْنُ الْاسْتِخْرَاجِ، وَلِتَقْعُدَ الْمَثُوبَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى حُسْنِ الْعَنَايَا.

ولو كَانَ كُلُّ فَنٌّ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا وَاحِدًا؛ لَمْ يَكُنْ عَالِمٌ وَلَا مُتَعَلِّمٌ، وَلَا خَفِيَّ ولا جَلِيلٌ؛ لِأَنَّ فَضَائِلَ الْأَشْيَاءِ تُعْرَفُ بِأَضْدَادِهَا، فَالْخَيْرُ يُعْرَفُ بِالشَّرِّ، وَالنَّفْعُ بِالضُّرِّ، وَالْحَلُوُ بِالْمَرَّ، وَالْقَلِيلُ بِالكَثِيرِ، وَالصَّغِيرُ بِالكَبِيرِ، وَالبَاطِنُ بِالظَّاهِرِ. وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَلَامُ صَحَابَتِهِ وَالْتَّابِعِينَ، وَأَشْعَارُ الشَّعْرَاءِ، وَكَلَامُ الْخُطَّابِاءِ، لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ يَأْتِي فِيهِ الْمَعْنَى الْلَّطِيفُ الَّذِي يَتَحَيَّرُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

من الخواص يقولون: **الكلُّ والبعضُ!** وإنما هو كُلُّ وبعْضٌ، لا تدخلهما الألفُ واللامُ؛ لأنهما معرفتان في نية إضافةٍ. وبذلك نزل القرآنُ، وكذلك هو في أشعار القدماء. وحدثنا ابنُ دريدٍ عن أبي حاتِمٍ عن الأصمِيَّ قال: قرأتُ آدَابَ ابنِ المَقْفَعِ فلم أَرَ فِيهَا لِحَنًا إِلَّا قَوْلُهُ: **«الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحاطَ بِالْكُلُّ مِنْهُ، فَاحفظُوا الْبَعْضَ».**

(١) دلائل الإعجاز (ص/٢٩٢).

(٢) تأویل مشکل القرآن (ص/٥٨).

ولقد أحسن من قال:

يَا أَيُّهَا الْدَّارِسُ عِلْمًا أَلَا  
تَلْتَمِسُ الْعَوْنَ عَلَى دَرْسِهِ  
لَنْ تَبْلُغَ الْفَرْعَ الَّذِي رُمْتَهُ  
إِلَّا بِيَحْثِ مِنْكَ عَنْ أُسْهِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

\* - ينبغي لطالب العلم الحريص ألا يستخف بشيء من العلم؛ ظناً منه أنه غير مهم؛ فيتركه زهداً فيه! بل جميع مسائل العلم مهمّة نافعة؛ وإن تفاوتت مراتبها في ذلك.

**فمثلاً: وَفَيَاتُ الْعُلَمَاءِ**، تجد كثيراً من طلاب العلم لا يعرف متى توفّي مشاهيرُ العلماء وكبارُ المصنّفين والمجدّدين! فضلاً عن آحادهم! بل إنّ بعضهم قد يجهل وَفَيَاتُ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَكِبَارِ الصَّحَابَةِ!! وأعرف رجلاً كان مُغرماً بكتاب «فتح الباري» يقرأ فيه ليلاً ونهاراً، فسألته يوماً: متى توفّي الحافظ ابن حجر؟ فتكعكع في الجواب!! وهذا لا يليق بطالب العلم؛ لأنّ هذه المعارف التي يُعدُّها كثيراً من طلبة العلم اليوم من الفضول! كان علماؤنا المتقدّمون يُعدُّونها من المهمّات<sup>(٢)</sup>؛

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٤٠).

(٢) قال ابن عبد البر: «معرفة السير، وأيام الإسلام، وتاريخ أعمال الأنبياء والعلماء، والوقوف على وفاتهم، من علم خاصة أهل العلم، وأنه مما لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك، وأنه مما يلزم من العلم العناية به». الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (٨/٢٨٧).  
وقال ابن الصلاح: «بلغنا عن أبي عبد الله الحميدي الأندلسي أنه قال ما تحرره: ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها:  
العلل، وأحسن كتاب وضع فيه «كتاب الدارقطني».

حتى إنهم ألفوا فيها مؤلفاتٍ خاصةً<sup>(١)</sup>، وأفردوا لها في كتبهم أبواباً مستقلةً<sup>(٢)</sup>.

والمؤلفُ والمختلفُ، وأحسنُ كتابٍ وضع فيه «كتاب ابن ماكولاء». ووفياتُ الشيوخ، وليس فيه كتابٌ.

قلتُ: فيها غيرُ كتابٍ، ولكن من غيرِ استقصاءٍ وتعيمٍ. معرفة أنواع علوم الحديث (ص / ٣٨١).

**وقال ابن قنفذ:** «ومن الكمال معرفة تاريخ موتهم ولادتهم (يعني العلماء)؛ ليتبينَ من سبقَ لمن لحق... واعلم أنَّ معرفة الكتب، وأسماء المؤلفين من الكمال، ومعرفة طبقات الفقهاء في العلم من مهمات الطالب» شرف الطالب في أنسى المطالب (ص / ٢٣٦).

#### (١) مِنْ تِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتِ:

- «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم»: لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان الربيعي (ت ٣٩٧هـ).
- «ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم»: لعبد العزيز بن أحمد بن محمد التميمي (ت ٤٦٦هـ).
- «ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم»: لهبة الله بن أحمد بن محمد الدمشقي، ابن الأكفاني (ت ٥٢٤هـ).
- «وفيات قومٍ من المصريين ونفرٍ سواهم»: لإبراهيم بن سعيد المصري، الجبار (ت ٤٨٢هـ).
- «جزءٌ فيه وفياتٌ جماعيةٌ من المحدثين»: لعبد الرحيم بن علي بن أحمد الأصفهاني (ت ٥٦٦هـ).
- «الوفيات»: لتقى الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ).
- «الوفيات»: لابن قنفذ (ت ٨١٠هـ).
- وكُلُّها - بحمد الله - مطبوعةٌ.

**فائدة: قال الحافظ الذهبي:** «لم يَعْتَنِ (أي يكتب) القدماءُ بضبط الوفيات كما ينبغي، بل اتكلوا على حفظهم، فذهبْتُ وفياتٌ خلقٌ من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبد الله الشافعى، فكتبنا أسماءَهم على الطبقات تقريرًا، ثم اعتنى المتأخرُون بضبط وفيات العلماء وغيرهم، حتى ضبطوا جماعةً فيهم جهالةً بالنسبة إلى معرفتنا لهم، فلهذا حفِظْتُ وفياتٌ خلقٌ من المجهولين، وجُهَلْتُ وفياتٌ أئمَّةٌ من المعروفين! وأيضاً فإنَّ عدَّةَ بلدانٍ لم يقعْ إلينا أخبارُها، إما لكونها لم يُؤرَخْ علماءَها أحدٌ من الحفاظ، أو جُمِعَ لها تاريخٌ ولم يقعْ إلينا». تاريخ الإسلام (١٦/١).

(٢) كما فعل السيوطيُّ مثلًا في كتابه المزهر (٤٦١/٢)، حيثُ أفرد النوع الثامن والأربعين في معرفة المواليد والوفيات.

كما أنّ معرفة الوفيات من أهمّ ما يساعد طلاب العلم على التمييز بين مشتبه الأسماء للعلماء والرواة؛ فربما اشترك شخصان فأكثر في الاسم والكنية، أو الاسم والنسبة، أو الاسم والبلد... إلخ، والذي يرفع اللبس في هذا كله هو معرفة تاريخ الوفاة.

ولمعرفة الوفيات فوائد أخرى<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال المحدثون: إذا استعمل الرُّواةُ الكذبَ، استعملنا لهم التَّاريخَ!  
**ومثله: تواريُّ الحوادث**، لا سيما الكبار منها كالغزوات والفتورات...  
إلخ، حيث يجهل الكثيُّر منهم مُعْظَمَها!

\*\*\*

**\* - من وسائل تحصيل العلم: العمل به، وتعليمه، والتصنيف فيه.**  
قال الوزير ابن هبيرة: «يُحَصَّلُ الْعِلْمُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ:  
**أحدُها: العمل به**; فإنَّ مَنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ التَّكَلُّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى حفظ النحو. ومن سُؤلَ عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع؛ تعلَّمَ.  
**والثانِي: التعليم**; فإنه إذا عَلِمَ النَّاسَ كَانَ أَدْعَى إِلَى تَعْلِيمِه.

(١) **قال السخاوي:** «وكذا يتبيَّنُ بمعرفة الوفيات ما في السندي من انقطاع، أو عَضْلٍ، أو تدليسٍ، أو إرسالٍ ظاهرٍ أو خفيٍّ؛ للوقوف به على أنَّ الراوي لم يعاصرْ مَنْ روَى عنه، أو عاصره ولكنْ لم يلقَه، لكونه في غير بلده وهو لم يرحل إِلَيْها» فتح المغيث (٤/٣١٢).  
**ومن فوائدها أيضًا:** تمييز المؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق من الأسماء والأنساب.  
**انظر:** بحوث في تاريخ السنة المشرفة: لأكرم العمري (ص/١٤٠)، وعلم الرجال نشأته وتطوره: لمحمد بن مطر الزهراني (ص/٢١٥).

**الثالث:** التصنيفُ؛ فإنه يُخرجه إلى البحث، ولا يتمكّن من التصنيف من  
لم يُدِرِكْ غَورَ ذلك العلم الذي صنَّفَ فيه»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - احذِرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ (سُوفَ)؛ فإنَّ (سُوفَ) مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسِ!<sup>(٢)</sup>، وليس  
عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَضْرُّ مِنْهَا!

فتَجِدُ الطَّالِبَ يَقُولُ: سُوفَ أَقْرَأْ! سُوفَ أَحْفَظْ! سُوفَ أَتَفَرَّغْ! وَيَمْضِي  
الْوَقْتُ سَبَهْلَلًا وَلَمَّا يَبْدأْ بَعْدُ! وَاللَّيَالِي تَعْمَلُ عَمَلَهَا كَمَا قَالَ الصَّلَاتَانُ الْعَبْدِيُّ:

**أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ — رَكَرَّ الْغَدَاءِ وَمَرَّ الْعَشِيِّ**

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٥٦).

(٢) جاء في كتاب قصر الأمل: لابن أبي الدنيا (ص/١٤٠) عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «التسويفُ جنُدٌ من جنود إِبْلِيسِ عَظِيمٌ، طالما خَدَعَ به».

- **وعن أبي الجَلْدِ، قال:** «قرأتُ في بعض الكتب: أنَّ سُوفَ جنُدٌ من جُنُودِ إِبْلِيسِ».

- **وقال أبو بكر العدوِي** - رَجُلٌ من قريش - : «كتب رجلٌ من الحكماء إلى أخ له: أخي إِيَاكَ وَتَأْمِيرِ التَّسْوِيفِ عَلَى نَفْسِكَ، وَإِمْكَانِهِ مِنْ قَلْبِكَ؛ فَإِنَّهُ مَحَلُّ الْكَلَالِ، وَمَوْئِلُ الْمَلَالِ، وَبِهِ تُقْطَعُ الْآمَالُ، وَبِهِ تَنْضَيِ الْآجَالُ».

- **وفي اقتضاء العلم العمل:** للخطيب البغدادي (ص/١١٣) عن أبي إِسْحَاقَ، قال: «قيل لرجلٍ من عبد القيسِ: أَوْصِ، قال: احذروا سُوفَ!».

- **وفي حفظ العمر:** لابن الجوزي (ص/٥٨) عن محمد بن أبي توبه، قال: «أقام مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ الصَّلَاةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: تَقْدِمْ. فَقَلَّتْ: إِنْ صَلَيْتُ بِكُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَمْ أَصْلِ بِكُمْ غَيْرَهَا. فَقَالَ مَعْرُوفٌ: وَأَنْتَ تَحْدِثُ نَفْسَكَ أَنْ تَصْلِي صَلَاةً أُخْرَى؟! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ؛ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ».

**وانظر:** صيد الخاطر: لابن الجوزي (ص/٣٣٤).

**إذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى<sup>(١)</sup>**

**وقال الحسن البصري رحمة الله: «يا معاشر الشباب إياكم والتسويف: سوف أفعل، سوف أفعل!»<sup>(٢)</sup>.**

**لذا؛ فإن التسويف من أعظم الآفات في طريق طلب العلم، فاحذر - يا طالب العلم - أشد الحذر، وكُن كما قال القائل:**

**إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً، فماذاك من عمرى!**

**وقال غيره:**

**عليك بأمر اليوم لا تنتظر غداً فمن لغد من حادث بكفيل؟**

**وكان أبو مسلم الخراشاني كثيراً ما ينشد:**

**ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد؛ إن يوم العاجزين غد!**

**وقال السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر: «كانت همته المطالعة والقراءة، والسماع والعبادة، والتصنيف والإفادة، بحيث لم يكن يخلِّي لحظةً من أوقاته عن شيءٍ من ذلك، حتى في حالِ أكلِه وتوجُّهِه وهو سالِكُ، كما حكى لي ذلك بعضُ رُفقيِّه الذين كانوا معه في رحلته، وإذا أراد الله أمراً هيئاً أسبابَه.**  
**وقد سمعته رحمة الله يقول غير مرر: إنني لاتعجبُ ممَّن يجلسُ خالياً عن الاشتغال! هذا أو معناه.**

(١) الحمسة: لأبي تمام (٥٦ / ٢).

(٢) قصر الأمل: لابن أبي الدنيا (ص / ١٤٢).

ويدلُّ على مِصاديق قوله، ما أخبرني به بعض أصحابنا أنه شاهدَه يوماً بالمدرسة الصالحيَّة النجميَّة، وهو جالسٌ في بعض بيتهما، ولم يكن عنده إِذ ذاك شيءٌ مِنَ الكتب، فاستدعى مِنْ بعضِ مَنْ حَضَرَه مُصْحِفًا، فبادرَ لذلك، فأخذَ في التلاوة منه، فمَرَّ فيه على سورةٍ أخطأَ الكاتبُ في عَدٍ آيَها، فكتب مقابلَها بالهامش: الصوابُ كذا، أوْ بُلْ عِدَّتها كذا! فلم يَسْهُلْ به رَحْلَةَ اللَّهِ أَعْلَمَ أن يَجِلسَ بِطَالًا. ولم يُخْلِ المصحفَ مع ذلك - مِنْ فائدةٍ! وهكذا كان دَأْبُه في غالب ما يَقِفُ عليه مِنَ الكتب العِلميَّة والأدبيَّة وغَيْرِها»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

\* - مِنَ المُتَقَرَّرِ في قوانينِ الْطَّلَبِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْوِيَ الْعِلُومَ كُلَّها؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِحُرُّ لَا ساحِلَ لَهُ!<sup>(٢)</sup>

فلو أَنَّ طَالِبَ عِلْمٍ تَرَغَّبَ لِدِرَاسَةِ عِلْمٍ مِنْ عِلُومِ الْمَقَاصِدِ مثلاً عَشَرَ سَنِينَ لِمَا اسْطَاعَ احْتِواهُ، فَكِيفَ بَعْدَهُ عِلُومٌ؟!

ولقد صَدَقَ ابْنُ أَغْنِيَسْ حِيثُ يَقُولُ:

مَا أَكْثَرَ الْعِلْمَ وَمَا أَوْسَعَهُ مَمْنُ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَجْمِعَهُ

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١٧٠ / ١).

(٢) تكلَّمَتُ عن هذا العنصر أيضًا بشيءٍ من التفصيل في كتابي الآخر (الإبداع العلمي)، في الفصل السادس: مُقَوِّماتُ الإِبْدَاعِ العِلْمِيِّ.

**إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ لَهُ طَالِبًا  
مُحَاوِلًا فَالْتِيمَسْنَ أَنْفَعَةً<sup>(١)</sup>**

وقال ابن معطي في مقدمة ألفيته:

وَيَعْدُ فِي الْعِلْمِ جَلِيلُ الْقَدْرِ  
فَابْدأْ بِمَا هُوَ أَهْمَّ فَالْأَهْمَّ  
فَإِنَّ مَنْ يُتَقِّنُ بَعْضَ الْفَنِّ  
يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَغْنِي

وقال الآخر:

مَا حَوَىَ الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ  
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْرٌ زَاهِرٌ  
لَا، وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ!  
فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ<sup>(٢)</sup>

لذا؛ فإن المطلوب من طالب العلم أمران:

**الأول:** أن لا يطمع في احتواء جميع العلوم؛ فإن هذا لا سبيل إليه البته،  
ومن حاول ذلك فشل ولا بد، وانقطع، وكان كالمنبت!

**الثاني:** أن يتخصص ويتمهّر في فن أو فنّين أو ثلاثة، وأيّخذ بنصيبي وطرفٍ من باقي الفنون<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٤٣٧ / ١).

(٢) البيتان منسوبان لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كما في روض الأخيار المنتخب من رباع الأبرار: للأمامي (ص / ٤٦).

وينسبان أيضًا للإمام الشافعي، كما في ديوانه (ص / ١٢٧).

(٣) لأن «القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة، وتتسامم من الفن الواحد» كما قال الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص / ١٣).

**قيل للشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ عَالَمًا؟** قال: «إذا تحقق في علم الدين فعلمته، وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته، فعند ذلك يكون عالماً؛ فإنه قيل لجالينوس: إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة! فقال: إنما المقصود منها واحد، وإنما يجعل معه غيره لتسكن حذته؛ لأن الإفراد قاتل<sup>(١)</sup>!».

**وقال المبرد:** «ينبغي لمن يحب العلم أن يفتئن في كل ما يقدر عليه من العلوم، إلا أنه يكون مفردا غالبا عليه علم منها، يقصده بعينه ويبالغ فيه». قال أبو جعفر النحاس: هذا من أحسن ما سمعت في هذا<sup>(٢)</sup>.

**وقال ابن حزم:** «من اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره؛ أوشك أن يكون صحكة<sup>(٣)</sup>، وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه، أكثر مما

(١) إحياء علوم الدين: للغزالى (٢٦/١).

(٢) الفروع: لابن مقلح (٣٥٧/٢).

(٣) **مَا يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ**؛ قصة لطيفة أوردها الخطيب البغدادي بسنده عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، قال: «وَرَدَ عَلَيْنَا عَامِلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَمْ أَرْ فِي عَمَالِ السُّلْطَانِ بِالْبَصَرَةِ أَبْرَعَ مِنْهُ، فَدَخَلَتْ مُسْلِمًا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَيْ: يَا سِجِّسْتَانِيُّ، مَنْ عَلِمَأْكُمْ بِالْبَصَرَةِ؟».

**قلتُ:** الزِيَادِيُّ أَعْلَمُنَا بِعِلْمِ الْأَصْمَعِيِّ، وَالْمَازِنِيُّ أَعْلَمُنَا بِالنَّحْوِ، وَهَلَالُ الرَّأْيُ أَفْقَهُنَا، وَالشَّاذُوكُونِيُّ مِنْ أَعْلَمِنَا بِالْحَدِيثِ، وَأَنَا - رَحْمَكَ اللَّهُ - أَنْسَبُ إِلَيْهِ عِلْمَ الْقُرْآنِ، وَابْنُ الْكَلْبِيِّ مِنْ أَكْتَبَنَا لِلشَّرْوَطِ، قَالَ لِكَاتِبِهِ: إِذَا كَانَ غَدُّ فَاجْمِعُهُمْ إِلَيَّ قَالَ: فَجَمَعَنَا.

فَقَالَ: أَيُّكُمُ الْمَازِنِيُّ؟ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ: هَا أَنَا ذَا يَرْحِمُكَ اللَّهُ، قَالَ: هَلْ يُجزِئُ فِي كِفَارَةِ الظَّهَارِ عَنْ عَبْدِ أَعْوَرِ؟ فَقَالَ الْمَازِنِيُّ: لَسْتُ صَاحِبَ فَقِهٍ رَحِمَكَ اللَّهُ، أَنَا صَاحِبُ عَرَبِيَّةٍ! فَقَالَ: يَا زِيَادِيُّ، كَيْفَ يُكَتَبُ بَيْنِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ خَالِعَهَا عَلَى الثَّلَاثِ مِنْ صَدَاقَهَا؟ قَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ عِلْمِي، هَذَا مِنْ عِلْمِ هَلَالِ الرَّأْيِ!

أدرك منه؛ لتعلق العلوم بعضها ببعضٍ كما ذكرنا. وأنها درجٌ بعضها إلى بعضٍ كما وصفنا.

ومن طلب الاحتواء على كل علمٍ أو شئَ أن ينقطعَ وينحصرَ، ولا يحصل على شيءٍ، وكان كالمحضر<sup>(١)</sup> إلى غير غايةٍ؛ إذ العمرُ يقصُّ عن ذلك.

وليأخذ من كل علمٍ بنصيبٍ، ومقدار ذلك معرفته بأعراض ذلك العلم فقط، ثم يأخذ مما به ضرورةً إلى ما لا بد له منه كما وصفنا. ثم يعتمد العلم الذي يسبق فيه بطبعه وبقلبه وبحيلته، فيستكثُر منه ما أمكنه، فربما كان ذلك منه في علمين أو ثلاثة أو أكثر، على قدر ركاء فهمه، وقوّة طبعه، وحضور خاطره، وإكبايه على الطلب، وكل ذلك بتيسير الله تعالى؛ فلو بإراده المرء

قال يا هالُ، كم أنسد ابن عون عن الحسن؟، قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني!

قال: يا شاذكوني، مَنْ قرأ: «تثنوني صدورُهم»؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم!

قال: يا أبي حاتم، كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصائص أهل البصرة، وما أصحابهم في الشمرة، وتسأله لهم النّظر والنّظر؟ قال: لست - رحمك الله - صاحب بلاغة وكتاب، أنا صاحب قرآن!

فقال: ما أقبح الرجل يتغطى العلمَ خمسينَ سنةً لا يعرف إلا فناً واحداً! حتى إذا سُئل عن غيره لم يجيء فيه ولم يمُرّ، ولكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سُئل عن كل هذا لأجاب». تاريخ بغداد (٣٤٥ / ١٣).

**وانظر:** نشر الدر في المحاضرات: للرازي (٧٦ / ٥)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي (١٧١ / ٩)، وإنباء الرواة على أنباء النهاة: للفقطي (٢٦٠ / ٢).

**(١) المُحضر:** هو الفرس إذا عدّوا شديداً، من أحضر فهو محضر إذا عدّا. **انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (١ / ٣٩٨)، ومجمع بحار الأنوار: للفتنبي (١ / ٥٣١).

كان، لكنَّ مُنِيَ كُلُّ أحدٍ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ النَّاسِ. وَالْفَهْمُ وَالْعِنَايَةُ مُقْسُومٌ مُنْسَبٌ كِسْمَةِ الْمَالِ وَالْحَالِ: وَالْحَظْرُ مُقْسُومٌ فَأَجْمَلُ فِي الْطَّلْبِ<sup>(١)</sup>.

**وقال ابن الجوزي:** «نظرت إلى علو همتي، فرأيتها عجباً، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقّن أني لا أصل إليه؛ لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فنٍ! هذا أمر يعجز العمر عن بعضه. فإن عرَض لي ذو همة في فنٍ قد بلغ متها، رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعد همته تامةً، مثل المحدث فاته الفقه، والفقية فاته علم الحديث، فلا أرى الرضا بنقصان العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمة!»<sup>(٢)</sup>.

1

\* - تباعد ما استطعتَ عن علم الكلام، والفلسفة، والمنطق، والجدل، وهي ما تسمّى علوم الأوائل. فإنها ليست من علوم أهل الإسلام! وما قد يكونُ فيها من حقٍّ فإنه لا يحتاجُ إليه الذكيُّ، ولا يتتفّعُ به الليلُ! (٣).

(١) رسالة مراتب العلوم (رسائل ابن حزم) (٤ / ٧٧-٧٨).

(٢) صيد الخاطر (ص / ٤٠١).

وقال في المصدر نفسه (ص/٤٦٠): «المُوْفَّقُ مَنْ طَلَبَ الْمِهْمَمَ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَ يَعْجِزُ عَنِ تَحْصِيلِ الْكَلَّ، وَجُمِهُورُ الْعُلُومِ: الْفَقِهُ».

(٣) قال ابن القيم: «زعم أرسطو وأتباعه أنَّ المنطق ميزانُ المعاني، كما أنَّ العروض ميزانُ الشع!»

وقد بينَ نُظَارُ الْإِسْلَامِ فسادَ هذَا الْمِيزَانِ وَعِوْجَاهَ، وَتَعْوِيْجَهَ لِلْعُقُولِ، وَتَخْبِيْطَهَ لِلْأَذْهَانِ.  
وَصَنَّفُوا فِي رَدِّهِ وَتَبَاهِفِهِ كَثِيرًا.

وآخر من صنف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، **الْفَ** في رده وإبطاله كتابين: **كبيراً**، و**صغرياً**، بيّن فيه تناقضه وتهاجمه وفساد كثيير من أوضاعه. ورأيت فيه تصنيفاً لأبي سعيد السيرافي». إغاثة الهافنان (٢٦٠ / ٢).

**- وقال أيضاً:** «أما المنطق فلو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقه؟! وفساده وتناقضه وأصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها الذهن أن يزيغ في فكره.

ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثيير منه للعقل الصريح! وأخبر بعض من كان قد قرأه وعني به أنه لم يزل متعجبًا من فساد أصوله وقواعده، ومبaitها لصريح المعقول، وتضمنها للدعاوى محضية غير مدلولٍ عليها، وتفریقه بين متساوین وجمعه بين مختلفین! فيحكم على الشيء بحكمٍ وعلى نظيره بضد ذلك الحكم! أو يحكم على الشيء بحكمٍ ثم يحكم على مضاده أو مناقضه به.....

وما كان من هوس النفوس بهذه المنزلة فهو بأن يكون جهلاً أولى منه بأن يكون علماً تعلمه فرض كفایة أو فرض عين!

وهذا الشافعی وأحمد وسائر أئمة الإسلام وتصانیفهم، وأئمۃ العربة وتصانیفهم، وأئمۃ التفسیر وتصانیفهم لمن نظر فيها؛ هل رأعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه؟ وهل صح لهم علیهم بدونه أم لا؟ بل هم كانوا أجل قدرًا، وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذه المنشقین!

**وما دخل المنطق على علم إلا أفسدَه وغيره أوضاعه وشوّش قواعده!!**. مفتاح دار السعادة (١ / ٤٨٣ - ٤٨٥).

**- وقال أيضاً:** «المتختلف يقول: معی آلة المنطق، والكلیات الخمس، والمقولات العشر، والمخطلات، والموجهات أهتدی بها!» والرسول يقول: معی كتاب الله، وكلامه، ووحیه. والمتختلف يقول: معی العقل!

والرسول يقول: معی نور خالق العقل، به أهدي وأهتدی. والرسول يقول: قال الله كذا، قال جبريل عن الله كذا.

والمتختلف يقول: قال أفالاطون، قال بقراط، قال أرسطو كذا، قال ابن سينا، قال الفارابی!. الصواعق المرسلة (٣ / ٨٩١).

وَلَهُ دَرُّ الْإِمَامِ الْذَّهَبِيِّ إِذْ يَقُولُ مَحْدُّرًا طَلَابَ الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الْعِلُومِ<sup>(١)</sup>:

أَفِقْ يَا مُعَنَّى بِجَمِيعِ الْحُطَّا  
مِ وَدَرْسِ الْكَلَامِ وَمَمِّنْ يُصَاعِ  
مِ وَجَانِبُ أُنَاسًا عَنِ الْحَقِّ رَاغُوا  
فَمَا فِي مُحَقَّ لِرَأْيِ مَسَاعِ  
(عُلُومِ الْأَوَّلِ) يَوْمًا فَرَاغُ  
قُنُوعًا، فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا بَلَاغُ!

وَلَازِمٌ تِلَاؤَةٌ خَيْرِ الْكَلَاءِ  
وَلَا تُخَدَّعْنَ عَنْ صَحِيحِ الْحَدِيثِ  
وَمَا اللَّقَّيْ وَلِلْبَحْثِ فِي  
بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ فَاسْمَعْ وَعِشْ

وقال عن ابن حزم الظاهري<sup>(٢)</sup>: «ولقد وقفت له على تأليفٍ يُحُضُّ فيه على الاعتناء بالمنطق، ويقدمه على العلوم، فتألمت له؛ فإنه رأس في علوم الإسلام، مُتَبَّحِّرٌ في النقل، عَدِيمُ النظير، على يُبَسِّ فِيهِ، وفَرْطٌ ظاهريٌّ في الفروع لا الأصول»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

**وانظر المناظرة** العجيبة التي جرت بين متّى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين الإمام أبي سعيد السيرافي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات في نقض المنطق وإبطاله، في معجم الأدباء (٢٩٤ - ٨٩٤) وقد فلَّجَ فيها السيرافي بالحجّة وأفحى خصمَه أيّما إفحاماً!

**لطيفة:** قال التّعيميُّ عن ابن الصّلاح: «كان لا يُمْكِنُ أحداً في دمشق من قراءة المنطق والفلسفة، والمملوكُ تُطِيعه في ذلك» الدارس في تاريخ المدارس (٢١/١).

(١) انظر الآيات في: أعيان العصر وأعوان النصر (٤/٢٩٤)، والوافي بالوفيات: للصفدي (٢١٧/٢).

(٢) اسمُه: «التقرير لحدّ المنطق» وهو مطبوعٌ.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٦).

## \* - إِحْدَرْ سُلُوكَ الطَّرِيقَةِ الْأَبُو طِيهِ<sup>(١)</sup> الَّتِي تَقْلِبُ قَوَاعِدَ الْعُلُومِ الْجَلِيلَةَ

(١) نسبةً إلى الشيخ عامر الأبوطي الشافعي (ت ١١٧٣ هـ) عقا الله عنه، ولعله أول من سن هذه الطريقة الممزولة !!

**قال الجبرتي في ترجمته:** شاعر مُفْلِقٌ، هِجَاءُ لَهِبِ شَرَارِهِ مُهْرِقٌ.  
كان يأتي من بلده يزور العلماء والأعيان، وكلما رأى لشاعر قصيدة سائرة قلبها وزنًا وقافيةً إلى الهرزل والطبيخ! فكانوا يتَحَمَّونَ عن ذلك.  
وكان الشيخ الشبراوي يُكِرِّمُهُ ويُكَسِّيهِ ويقول له: يا شيخ عامر؛ لا تُرْفِرْ (من الزَّرْفِ وهو: اللحم، والأطعمة المطبوخة بالدسم) قصيَّتي الفلانية؛ وهذه جائزتك!  
ومن بعده الشيخ الحفنى؛ كان يُكِرِّمُهُ ويُعْدِقُ عليه ويستأنسُ بكلامه.  
وكان شيخاً مُسْنَاً صالحًا، مُكَحَّل العينين دائمًا، عجيبًا في هيئته!  
ومن نظمه: ألفية الطعام على وزن ألفية ابن مالك! وأولها:

يَقُولُ عَامِرٌ هُوَ الْأَبُو طِيهِ أَحْمَدُ رَبِيِّ لَسْتُ بِالْقَنْوَطِ

عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣٠٦ / ١).  
قلتُ: ومنها قوله:

وأَسْ تَعِينُ اللَّهُ فِي الْفَيْ مَا صَادَدُ الْأَكْلَ بِهَا مَحْوَبَةً!

فِيهَا صَنْوُفُ الْأَكْلِ وَالْمَطَاعِمْ لِذَذُ لَكُلِّ جَائِعٍ وَهَائِمٍ

طَعَامُنَا الضَّانِي لِذِي ذَلِكَنَّهُمْ لَهُمَا وَسَمَنَا ثُمَّ خُبْرًا فَالْتَّقِيمْ!

فَإِنَّهَا نَفِيسَةٌ وَالْأَكْلُ عَمَّ

وقوله فيها:

وَالْأَصْلُ فِي الْأَخْبَازِ أَنْ تُقْمَرَا وَجَوَّزُوا التَّقْدِيدَ إِذْ لَا ضَرَرَا

وَامْنَعْهُ حِينَ تَشَوِيَ الْخِرْفَانِ فَإِنَّهُ يُعِيقُ أَكْلَ الضَّانِ

ومن جنس هذا العبث بآلفية ابن مالك، قول بعض الأزهريين:

كَلَامًا لِفَظُّ مَفِيدٌ جَاكَ وَجَعْ! اسْمٌ وَحْرَفٌ ثُمَّ فِعْلٌ يَا جَدْعُ!

وقول الآخر:

وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحْقٌ لِلِّبِنَا وَالْأَصْلُ فِي الْمَجْنُونِ أَنْ يُسَكَّنَا!!

وقول بعضهم - كما في «ملاعة الصيد» لابن عقيل الظاهري (ص/٢٢٦) :-

وَجَوَّزَ وَادْخُولَ لَمْ عَلَى الْمُضِيِّ كَلْمَ دَعَا، وَلَمْ سَعَى، وَلَمْ رَضَيْ!

وَقَدْ تُسَمِّي لِغَةَ الْعَجَاجِيِّ إِنَّهَا وَاضْحَىَ الْمَنْهَاجِ!

وقال آخر وقد أفحش:

تَرْخِيمًا احْذَفْ آخِرَ الْحَوَاشِيِّ كَيْا..... لِمَنْ دَعَا خَرَاشِي!!

- **ومما يلتحق بهذا الباب:** ما ذكروه عن الشيخ القاضي محمد بن إبراهيم الباردي (ت ١٤٠٤ هـ) من أنه كان يحضر في صباح مع زملائه شرح الرحيبة في علم الفرائض عند الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، وكان المكلَّفُ بقراءة الآيات بين يديِّ الشيخ زميل لهم ضرير، وكانوا يلقنون زميلاً لهم الضرير الآيات التي سيقرؤها حتى يحفظوها ثم يقرؤوها على الشيخ في اليوم التالي، وكان للشيخ شاة يُرِيَّها، وكان الطالبُ يتظرون أن يذبحها الشيخ ليطعمُهم من لحمها، ويهابون أن يطلبوا من الشيخ ذبحها، فلما طال عليهم الانتظار، احتال الباردي على حيلةً عجيبةً؛ وهي أنه عندما لقَنَ الضرير هذه الآيات من الرحيبة:

فَإِنْ تَكُنْ مِنْ أَصْلِهَا تَصِحُّ فَتَرْكُ تَطْوِيلِ الْحِسَابِ رِبْخ

فَأَعْطِ كُلَّا سَهْمَهُ مِنْ أَصْلِهَا مُكَمَّلًا، أَوْ عَائِلًا مِنْ عَوْلَهَا

زاد عليها من نظمه بيتهن، أو هم الضرير أنهم من أبيات الرحيبة، وهي:

وَإِنْ تَكُنْ مِنْ صَدْرَهَا تَكُحُّ فَإِنَّ أَوْلَى مَا يَكُونُ الْذَّبْحُ!

**فَأَعْطِ كُلَّا سَهْمَهُ مِنْ لَحْمِهَا!**

يعني الشاة! فقرأهما الضرير على الشيخ ظناً منه أنهما من الرحبية! ففقط الشيخ لمن أرادوا، وضحك، وذبحة وأطعمهم! **وانظر** كتاب: من طرائف العلماء المعاصرین: لعبد الرحمن الرحمة (ص/٦٥).

**لطيفة:** ظهر لي من خلال قراءاتي عن الأنبوطي هذا، أن نظمه جلـه - إن لم يكن كذلك - في المطاعم والمسارب!!  **فمن ذلك قوله:**

**وَخِرْمَانِي عَرْبِنَا يَلْتَمِسُ حَبْ مُكَرَّبْ يُسَمِّي الْكُسْكُسْ!**

**وَقَهْوَتَانِي فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَمَنْ يَزِدْ عَلَيْهِمَا فَقَدْ أَسَا!**

ومن القصائد المشهورة التي رفرها!:

١- لامية العجم للطغرائي، التي مطلعها:

**أَصَالَةُ الرَّأِيِ صَانَتِنِي عَنِ الْخَطَلِ**

حيث قال الأنبوطي:

**أَنَاجِرُ الضَّأْنِ تَرِيقُ مِنَ الْعِلْلِ وَأَصْحُنُ الرَّزْ فِيهَا مِنْتَهِي أَمْلِي!**

**أَكَلِي غَدَاءً وَأَكَلِي فِي الْعَشَاءِ عَلَى حَدْدِ سُوَاءِ إِذَا اللَّحْمُ السَّمِينُ قُلِّي!**

**فِيهَا وَلَا تُنْهِتِي فِيهَا وَلَا جَذَلِي فِيمَ إِلَاقَمَةُ بِالْأَرِيفَ لَا شَبَعِي**

**نَاءِ عَنِ الْأَهْلِ خَالِ الْجَحْوِ مَنْقَبِضُ فَلَا خَلِيلٌ بِدْفَعِ الْجُوعِ يَرْحُمُنِي**

**طَالَ التَّلَهُفُ لِلْمَطَعَومِ وَاشْتَعَلَتْ أَرِيدُ أَكْلًا نَفِيسًا أَسْتَعِنُ بِهِ**

**وَلَا كَرِيمٌ بِلَحْمِ الضَّأْنِ يَسْمَحُ لِي!**

**حُشَاشَتِي بِحَمَامِ الْبَيْتِ حِينَ قُلِّي!**

**عَلَى الْعَبَادَاتِ وَالْمَطْلُوبِ مِنْ عَمَلي!**

## إِلَى ضَرِبِ مِنْ ضُرُوبِ الْهَزْلِ وَالْعَبَثِ وَالْتَّنَدُّرِ!

فَإِنَّ فِي هَذَا هَتْكًا لِحُرْمَةِ الْعِلْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِمُوَاضِعَاتِ الْعُلَمَاءِ، وَتَهْوِيَّنًا لِجَهْوِدِهِمْ فِي تَقْرِيرِ الْفَنُونِ وَتَقْعِيدِ الْعِلُومِ الَّتِي تَعَبُوا فِي تَحْرِيرِهَا وَتَحْبِيرِهَا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ قُرُونٍ!!

**قال ابن الجوزي:** الواجب على العالم صيانة علمه، وإقامته قدر العلم عند العوام. فقد قال بعض السلف: كُنّا نمزحُ ونضحكُ؛ فإذا صرنا يقتدي بنا، فما أَرَاهُ يَسْعُنا ذلِكَ. وقال سفيان الثوري: تعلّموا هذا العلم، واكْظُمُوهُ عليه،

والدُهْرُ يفجع قلبي من مطاعمه      بالعَدْسِ وَالْكَشْكُ وَالبَيْسَارِ وَالبَصْلِ!

**قلتُ: الأناجرُ:** مفرداتها أنجر. وهو وعاء دائري لا عروة له. تكملة المعاجم العربية: لدوزي (١٧٣/١٠).

**والقَشْلُ:** يُكْنَى به عن الفقر، وهي كلمة مصرية عامية مبتذلة. تاج العروس: للزبيدي (٢٥٣/٣٠).

٢ - لامية ابن الوردي التي مطلعها:

اعتزلْ ذكر الأغاني والغَرَّلْ      وُقِلِ الفصلَ وجانبُ من هَرَلْ

فقد زَفَرَها بقوله:

اجتنبْ مَطْعَومَ عَدْسِ وَبَصْلْ      في عَشَاءِ، فَهُوَ لِلْعَقْلِ خَبَلْ!

وعن البَيْسَارِ لَا تَحْفَلْ بِهِ      ثُمَّسِ فِي ضَعْفِ وَسُقْمِ وَعَلَلْ

واحْفَلْ بِالضَّائِنِ إِنْ كَتَ فَتَيَّ

من كَبَابِ وَضُلُوعِ قَدْ زَكْتْ      أَكْلُهَا يَنْفِي عَنِ الْقَلْبِ الْعِلْلَ!

وَلَا تخلِطُوه بِهَزْلٍ فَتُمْجِهُ الْقُلُوبُ <sup>(١)</sup>.

أمّا إن استُخدم النظم العلمي في غرضٍ صحيح، كما فعل جمال الدين ابن نباته، حيث أخذ أكثر أبيات «ملحة الإعراب» للحريري فضمّنها قصيدةً امتدح بها الشيخ علي بن عبد الكافي السُّبْكِي، فلا بأس حينئذ <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

\* - ينبغي المواءمة بين الدروس النّظاميّة والدروس العلميّة الخاصّة أو العامة التي تُقام في المساجد والجّلّق ونحوها، والاستفادة إلى أقصى حدّ منها جميعاً، وعدم المصادمة بينها؛ بحجّة أن هذه أفعى من تلك!

فما زال العلماء وطلّابهم يتّابون دروس العلم في المساجد والجّلّق، وفي المدارس النّظاميّة التي كان يُبيّنها لهم الخلفاء والأمراء <sup>(٣)</sup>، دون أن يحصل

(١) صيد الخاطر (ص / ٣٩١ - ٣٩٢) بتصرّف يسير.

(٢) انظرها بطولها في طبقات الشافعية الكبرى (٩ / ٣٠٠ - ٣٠٧). أولها قوله:

صَرَّفْتُ فَعْلِي فِي الْأَسْنَى وَقَوْلِي بِحَمْدِ ذِي الطَّوْلِ الشَّدِيدِ الْحَوْلِ

وقال في آخرها:

دُونَكَه سَامِعٌ سَوْلَةُ الْأَدَابِ حَلاوةً فِي «مُلْحَّةِ الْإِعْرَابِ»

(٣) كانت المدارس النّظاميّة التي بناها السلاطين والمياسير وغيرهم، وأوقفوها على العلماء وطلّاب العلم، ودفعوا لهم الإعانات والأرزاق أثناء دراستهم وتدریسهم فيها، تماماً الآفاق!

وكان طلّاب العلم يتّناسون على الالتحاق بها، والإعادة فيها - مثلما هي وظيفة (معيده) في الجامعات اليوم! - مع دراستهم في المساجد والجوامع.

بينها صِدامُ علميٌّ كما يحصلُ من بعض طلّاب العلم اليوم! <sup>(٤)</sup>

وكان كبارُ علماء الإسلام من أمثال: ابن الصلاح، والتوزي، والمزي، وابن كثير، والسبكي، والعالائي، يتنافسون على تولي مشيختها، والتدريس فيها.

وحسبك أنْ تعلمَ أنَّ الشیخَ عبدَ القادرَ التُعیمی (ت ٩٢٧ھ) قد ذكر في كتابه: «الدارس في تاريخ المدارس» مئاتِ المدارسِ وذُورِ العلمِ والمعاهدِ التي بناها السلاطينُ والتجارُ والميسير. هنا في دمشقَ وحدها! فما بالك بسائر أصقاع العالم الإسلامي؟!

**(٤)** أليس من السَّداجة تحسُّن بعض الطلاب من الدروس والمحاضرات النَّظامية؛ مع أنَّ ذلك الأستاذَ الذي يُدرِّس في المسجد أو منزله؛ هو نفسه - غالباً - الذي يُدرِّس في المعهد أو في الجامعة؟! فهل يكون هنا بشخصية وهناك بشخصية أخرى؟!

بل إنَّ تحضيرَ الأستاذ للمحاضرة التي يلقاها في المعهد أو في الجامعة؛ أقوى - في الغالب - من تحضيره للدرس الذي يلقاها في المسجد أو في المنزل والذى يكون غالباً من طرف الذهن! وهذا أمرٌ معروفٌ.

كما أنَّ هناك فنوناً كثيرةً تُدرَّسُ في الجامعاتِ والمعاهدِ لا تُدرَّسُ في المساجد. ثم إنَّ هذا العملَ قادرٌ في الإخلاص؛ فما دام أنَّ الطالبَ مقتنعٌ بأنَّ هذه الدروسَ النَّظامية لا تُجدي نفعاً؛ فلماذا يُعبِّ نفَسه بالحضورِ كلَّ يومِ ساعاتٍ وساعاتٍ؟! فليس مقصودُ الطالبِ العلمَ إذن، وإنما مقصودُه تلك الورقةُ التي يستلمُها في آخرِ سنوات الدراسة، التي تُسمى (الشهادة)! وهي شهادةُ زورٍ في حقِّ مَنْ هذا حالُه!!

- ولقد أحسنَ أَحمدُ شوقيَ حيثُ يقول:

أطلُّوا العلمَ لذاتِ العلمِ لا  
لـ هاداتِ وآراءِ آخَرِـ

- وقال إيلاسُ قنصل:

رأيتَ الأمانِ كلهَا في شهادةِ	مديِّدُ الغنى والباءِ بعضُ ثمارِها
فلم تُسعَ للعرفانِ جهَدَكَ، إنما	بذلكَ المسايعي ضارعاً لادخارها
فلا يرتفعُ بالزَّهُو رأسُكَ، فهوَيَ لا	تشارِكُ إلَى عالمَ ما بفَحَارِها

\* - من أعظم المحاذير التي يجب على طالب العلم أن يتجنبها: التّعصب الأعمى للحرّكات والأحزاب والمشايخ، والدخول في الحزبية الضّيقة، والسقوط في حمأة التّبعيّة المطلقة لها دون وعي ولا تبصر.

وليعلم أنه لا يوجد شيء أعظم تفويتاً وتضييعاً للفوائد والأوقات على طالب العلم؛ من هذه الدوائر المغلقة؛ التي يحشر طالب العلم فيها نفسه! مع ما تورث صاحبها من قسوة القلب، وسوء الظنّ، وحبّ الظهور، وأتباع الهوى،

### وكم من شهادات يُفرج جلالها وقيمتها النقش الذي في إطارها!

رباعيات مختارة (ص/ ٣١).

- ولقد بَلَغَنَا من الثقات أنّ طالبًا من طلاب السنة الأخيرة في الجامعة، سأله الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان) عن تعريف شهادة الرُّور، فأجابه الشيخ على البديهة: «هي التي تستحصل عليها بعد شهرين !!». فليت طلاب العلم يَعْوُنَ هذا !!

**ضئيلة = قلت:** ومن شهادات الرُّور في هذا الزمان! إجازة بعض المستغلين بالحديث طلابهم إجازة عامةً بجميع الكتب والمرويات؛ بدعوى تحصيل بركة الإسناد، زعموا! مع أن المُعْجِزَ والمُعْجَزَ له لم يقرأوا على الأشياخ شيئاً منها! أو ربما قرأوا تُنفَّا يسيرةً! وهؤلاء كما قال **الحاكم النسابوري** عن طبقةٍ من المجرورين: «حملهم الجهل والشرء على أن حدثوا بذلك الكتب من كتب مُشتراة، ليس لهم فيها سماع ولا بلاغ، وهم يتوهّمون أنهم في رواياتها صادقون. وهذا النوع مما كثُر في الناس، وتعطاه قومٌ من أكابر العلماء والمعروفين بالصلاح، وكل من طلبه في زماننا عايه!!». المدخل إلى معرفة كتاب الإكيليل (ص/ ١٥٦).

**وقال أبو نصر السجزي:** «سمعت جماعةً من أهل العلم يقولون: قول المحدث: قد أجزت لك أن ترويَّ عنِّي، تقديره: أجزت لك ما لا يجوز في الشرع؛ لأنَّ الشرع لا يُبيح روايةَ ما لم يسمع!». معرفة أنواع علوم الحديث: لابن الصلاح (ص/ ١٥٢).

**وانظر** تحرير علوم الحديث: لعبد الله الجدبي (١٥٣ - ١٥٢/ ١).

وكثرة التعالي، والرغبة في التسلط، والبحث عن الترأس، والاشتغال بما لا ينفع، وشحّن النفوس بالعداوة والبغضاء، والاستهانة بالواقعة في الأعراض والأغراض، إلى غير ذلك من العظام الفظيعة، والمفاسد الشنيعة!!

**ومن وراء ذلك أمران خطيران:**

**أولهما:** أنها تُقلل - إن لم نقل تمنع - الاستفادة من علوم الآخرين (من خارج الحزب أو الطائفة!), وفيهم علماء أجياله، وأساتذة فضلاء.

**وثانيهما:** أنها شغلت الطلاب بالنقاشات والردد العقيمة، التي ضيّعت أوقاتهم، وبددت جهودهم؛ فيما لا طائل من ورائه عند التّحقيق والتّأمل ! ولهذا تجد أدوات الغيبة، والنميمة، والسب، والتبّع، وتصييد العثارات، - ووأسفى - قد فَشَتْ بين طلاب العلم؛ بسبب استفحال هذا الداء الدوي ! حتى صار حال بعضهم كحال سيف الدين السامري إذ قال:

**يا رب مالي غير سب الورى أرجو به الفوز من النار !!**

أو ما جاء في «طلب الجواب بفصل الخطاب» للّمتوبي - كما في الحاوي للفتاوى للسيوطى (٢٨٦/١) - حيث قال عن التّكرور<sup>(١)</sup>: «منهم من حرفته أن يكون نماماً، أو معتاباً، أو مُتجسساً، ومنهم من حرفته معاداة العلماء والأتقياء والصالحين !!».

وفي هؤلاء يصدق ما روى أبو سليمان الخطابي عن سفيان بن عيينة رحمة الله تعالى قال: «ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبهة من بعض البهائم، فِينِهم مَنْ

---

(١) هم قوم يسكنون بلدةً في غرب إفريقيا حول مالي وغانا، في عصر المؤلف.

يُقدِّم إقدامَ الأسد، ومنهم مَنْ يَعْدُو عَدُوَ الذئب، ومنهم مَنْ يَنْبَحُ نَبَاحَ الكلاب، ومنهم من يَنْطَوِس ك فعل الطاوس، ومنهم من يَشْرُه شَرَهُ الخنزير!».

وفي رواية: «منهم من يُشَبِّهُ الخنزير، إذا أُلْقِيَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ الطَّيِّبُ تُرَكَهُ، وإذا قامَ الرَّجُلُ مِنْ رَجِيعِهِ وَلَغَ فِيهِ!»، وكذلك تجد من الأَدْمِينَ مَنْ لَوْ سمعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَمْ يَحْفَظْ مِنْهَا وَاحِدَةً! فإنَّ أَخْطَأَتْ وَاحِدَةً حَفْظَهَا، ولمْ يَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا رَوَاهَا عَنْكَ!! ثمَّ قَالَ: فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنْكَ إِنَّمَا تَعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسَّبَاعَ، فَبَالْغُ فِي الْحَذَارِ وَالْاحْتِرَازِ!».<sup>(١)</sup>

**ويقول الإمام ابن رجب:** «يَأَبِي اللَّهِ الْعِصْمَةَ لِكِتَابٍ غَيْرِ كَتَابِهِ، وَالْمُنْصِفُ مَنْ اغْتَفَرَ قَلِيلًا خَطِيلًا مَرِءٍ فِي كَثِيرٍ صَوَابِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فَأَيْنَ الْعِلْمُ إِذَا؟! وَأَيْنَ آدَابُ الْتَّلَبِ؟! وَأَيْنَ ذُهَبَ بَنَا عَنِ الْمَقْصُودِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ؛ وَهُوَ الْعَمَلُ؟!!

**ومَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْأَلْبَيْرِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ:**

وَإِنْ أُعْطِيْتَ فِيْهِ طُولَ باعِ  
وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَا  
فَلَا تَأْمُنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ  
بِتَوْبِيْخٍ: عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَ؟  
فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهُ حَقًّا  
وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالُ: لَقْدَ رَأَسْتَا!

ولذا، فإنَّ مَنْ وَلَجَ هَذَا الطَّرِيقَ الْمُعْوَجَ لَا يَكَادُ يُرَجِّعُ فَلَاحُهُ، قالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ: سَمِعْتُ أَبَا دَاوِدَ يَقُولُ: «كُنْتُ يَوْمًا بِبَابِ شُعْبَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ

(١) انظر: مفاتيح الغيب: للرازي (١٢/٥٢٦)، والبحر المحيط: لأبي حيان (٤/٥٠٢).

(٢) تقرير القواعد (٤/١١).

مَلَانَ، قَالَ: فَخَرَجَ شُعْبَةُ فَاتَّكَأَ عَلَيَّ، وَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، تُرِئِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ يَخْرُجُونَ مُحَدِّثِينَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: صَدَقْتَ، وَلَا خَمْسَةُ؟ قُلْتُ: خَمْسَةُ؟! قَالَ: نَعَمْ، يَكْتُبُ أَحَدُهُمْ فِي صِغَرِهِ ثُمَّ إِذَا كَبَرَ تَرَكَهُ، وَيَكْتُبُ أَحَدُهُمْ فِي صِغَرِهِ ثُمَّ إِذَا كَبَرَ يَشْتَغِلُ بِالْفَسَادِ! قَالَ: فَجَعَلَ يُرَدِّدُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو دَاؤِدَ: ثُمَّ نَظَرَتْ بَعْدُ، فَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَمْسَةً!!<sup>(١)</sup>.

**قلتُ:** وأيِّ فسادٍ أَعْظَمُ من الاشتغال بالواقعَةِ في العلماء وطلبةِ العلم، والتشغِيب عليهم؟!

**قال العلامة السعدي:** «ولِيَحْذِرُ مِنِ الْإِشْتِغَالِ بِالنَّاسِ، وَالتَّفْتِيشُ عَنِ الْأَهْوَامِ، وَالْعَيْبِ لِهِمْ؛ فَإِنْ ذَلِكَ إِثْمٌ حاضِرٌ، وَالْمُعْصِيَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَعْظَمُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَانَّ غَيْرَهُمْ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَمَنْ كَانَ طَبْعُهُ الشُّرُّ مِنْ غَيْرِهِمْ جَعَلَهُمْ حَجَّةً لَهُ؛ وَلَانَّ الْإِشْتِغَالَ بِالنَّاسِ يُضِيِّعُ الْمُصَالَحَ النَّافِعَةَ وَالْوَقْتَ النَّفِيسَ، وَيُذَهِّبُ بِهِجَّةَ الْعِلْمِ وَنُورَهُ»<sup>(٢)</sup>.

**وقد نبهَ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله على خطورة هذا الأمر في كثيرٍ من كلامهما، وكأنهم يرثونَ ما نعاشه اليومَ رأيَ العينِ!**

**فقال ابن القيم:** «البصير الصادق: يضرُّ في كُلِّ غنِيمَةٍ بِسَهْمٍ، وَيُعاشرُ كُلَّ طائفةٍ عَلَى أَحْسَنِ مَا مَعَهَا. وَلَا يَتَحِيزُ إِلَى طائفةٍ، وَيَنْبَأُ عَنِ الْأُخْرَى بِالْكُلِّيَّةِ: أَنَّ لَا يَكُونُ مَعَهَا شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ. فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الصَّادِقِينَ، وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ كامنةً في النفوس.

(١) الجامع لأخلاق الراغي: للخطيب البغدادي (١١٣/١).

(٢) الفتوى السعدية (ص/٤٦).

**وَلَا أَعْنِي بِذَلِكَ أَصْغَرُهُمْ وَلَكِنِي أُرِيدُ بِهِ الدُّوَيْنِا**

سمع النبي ﷺ في بعض غزواته قائلاً يقول: يا لالمهاجرين، وآخر يقول: يا للأنصار! فقال: «ما بال دعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم؟!».

هذا، وهم اسمان شريفان، سماهم الله بهما في كتابه، فنهاهم عن ذلك. وأرشدهم إلى أن يتدعوا بـ(المسلمين، والمؤمنين، وعباد الله) وهي الدعوى الجامعة، بخلاف المفرقة كـ(الفلانية والفالانية) فالله المستعان.

وقال ﷺ لأبي ذر: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جَاهِلِيَّةٌ». فقال: على كِبَرِ السِّنِّ مني يا رسول الله؟ قال: «نعم».

**فَمَنْ يَأْمُنُ الْقِرَاءَةَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ؟!**<sup>(١)</sup>

(١) يشير ابن القيم هنا إلى البيت المشهور:

**لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينَهُ بَخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمُنُ الْقِرَاءَةَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ؟!**

**أَخْذَتْ بِهَا شَيْئاً طَفِيفًا وَبَعْتَهُ وَالْمَقْصُودُ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبِ الْأَشْعَرِيِّ.**

وبسب ذلك أن شهر بن حوشب هذا جعله يزيد بن المهلب أميناً على خزائنه، فأخذ خريطةً فيها دراهم، فقيل فيه هذا البيت. القصة أخرى لها أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكتني (٢/٣٤٧)، والبيهقي في الخلافيات (١/٤١٨)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٢٣١/٢٣) وغيرهم.

**وَعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرٍ:** «فَرَفَعُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخْذَ خَرِيطَةً، فَسَأَلَهُ يَزِيدُ عَنْهَا، فَأَتَاهُ بِهَا، فَدَعَا يَزِيدُ الَّذِي رَفَعَ عَلَيْهِ فَشَتَمَهُ، وَقَالَ لِشَهْرٍ: هِيَ لَكَ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا!».

ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان، وطعم الصدق واليقين، حتى تخرج  
الجاهلية كلُّها من قلبه.

والله لو تحقق الناسُ في هذا الزمان ذلك من قلبِ رجلٍ لرموه عن قوسٍ  
واحدٍ! وقالوا: هذا مبتدعٌ، ومن دُعَة الْبِدْعَ! فإلى الله المستكفي. وهو المسئولُ  
الصبر، والثبات. فلا بُدّ من لقائه ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْكَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] <sup>(١)</sup>.

**وَأَمَّا شِيفُ الْإِسْلَامِ** فقد حذرَ من ذلك أشدَّ التحذير، في طائفَةٍ كثيرةٍ من  
كلامه الدقيق، وتأصيله العميق، وهذا التحذيرُ للمعلِّمين والمتعلِّمين على  
حدٍ سواءٍ! فتأملُ فيه؛ فإنه في غاية النفاسة.

وسوف أذكر هنا مقتطفاتٍ من كلامه؛ نظراً لكثرته وطوله.

**قال رَحْمَةُ اللَّهِ:** «على المعلم أن ينصح للمتعلم ويجهد في تعليمه، وعلى  
المتعلم أن يعرف حُرْمَةَ أستاذِه ويشكِّر إحسانَه إليه؛ فإنه من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله. ولا يجحد حقَّه، ولا يُنكر معرفَة. وعلى المعلِّمين أن يكونوا  
متعاونين على البر والتقوى كما أمر النبي ﷺ بقوله: «الْمُسْلِمُ أخو الْمُسْلِمِ لَا  
يُؤْذِيه و لَا يَظْلِمُه».

**وقال:** «وليس لأحدٍ من المعلِّمين أن يعتدي على الآخر ولا يؤذيه بقولٍ ولا  
فعلٍ بغير حقٍ؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذَوْنَ أَمْوَالُهُمْ وَأَهْلُهُمْ  
يُغَيِّرُ مَا أَكَتَتْ سَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَّا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وليس لأحدٍ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٠).

أن يعاقب أحداً على غير ظلم، ولا تعدى حدّ، ولا تضييع حقّ، بل لأجل هواه؛ فإن هذا من الظلم الذي حرم اللهُ ورسوله؛ فقد قال تعالى: فيما روى عنه نبيه ﷺ **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسك وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا).**

وإذا جنى شخصٌ فلا يجوز أن يعاقب بغير العقوبة الشرعية، وليس لأحدٍ من المتعلمين والأساتذة أن يعاقبه بما يشاء، وليس لأحدٍ أن يعاونه ولا يوافقه على ذلك، مثلُ أن يأمر بهجر شخصٍ فيهجره بغير ذنبٍ شرعيٍّ. أو يقول: أقعدتُه أو أهدرتُه أو نحو ذلك؛ فإن هذا من جنس ما يفعله القساوسة والرهبان مع النصارى، والحزابون مع اليهود، ومن جنس ما يفعله أئمةُ الضلالة والغواية مع أتباعهم... .

فإذا كان المعلمُ أو الأستاذُ قد أمر بهجر شخصٍ؛ أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك: نظر فيه، فإن كان قد فعل ذنباً شرعياً عُوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنباً شرعياً، لم يُجز أن يُعاقبَ بشيءٍ؛ لأجل غرض المعلمِ أو غيره.

وليس للمعلمين أن يُحِبِّبُوا الناسَ ويُفْعِلُوا ما يُلْقِي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾** [المائدة: ٢].

وليس لأحدٍ منهم أن يأخذ على أحدٍ عهداً بموافقته على كلّ ما يريدُه؛ وموالاةٍ من يُواليه؛ ومعاداةٍ من يُعاديه، بل من فَعَلَ هذا كان من جنسِ (جِنْكِيز خان) وأمثالِه الذين يجعلون من وافقهم صديقاً موالياً، ومن خالفهم عدواً باغياً؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهدُ الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛

وي فعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويحرّموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله.

فإن كان أستاذ أحـد مظلوماً نصرـه، وإن كان ظالـماً لم يعاونـه على الظلم، بل يمنعـه منه؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «انصر أخاك ظالـماً أو مظلومـاً. قيل: يا رسولـ الله، أـنـصرـه مـظـلـومـاً فـكـيف أـنـصرـه ظـالـماً؟! قال: تـمـنـعـه من الـظـلـم؛ فـذـلـك نـصـرـك إـيـاه».

وإذا وقع بين معلـمـ وـمـعـلـمـ، أو تـلمـيـذـ وـتـلـمـيـذـ، أو مـعـلـمـ وـتـلـمـيـذـ، خـصـومـةـ وـمـشـاجـرـةـ، لم يـجـزـ لـأـحـدـ أن يـعـيـنـ أـحـدـهـماـ حتـىـ يـعـلـمـ الـحـقـ. فلا يـعـاـونـهـ بـجـهـلـ ولا بـهـوـيـ، بل يـنـظـرـ فيـ الـأـمـرـ، فإذا تـبـيـنـ لـهـ الـحـقـ أـعـانـ الـمـحـقـ مـنـهـمـاـ عـلـىـ الـمـبـطـلـ، سـوـاءـ كـانـ الـمـحـقـ مـنـ أـصـحـابـ أوـ أـصـحـابـ غـيـرـهـ؛ وـسـوـاءـ كـانـ الـمـبـطـلـ مـنـ أـصـحـابـ أوـ أـصـحـابـ غـيـرـهـ. فـيـكـونـ الـمـقصـودـ عـبـادـةـ اللهـ وـحـدـهـ، وـطـاعـةـ رـسـولـهـ؛ وـاتـّـابـعـ الـحـقـ، وـالـقـيـامـ بـالـقـسـطـ....

وـمـنـ مـاـلـ معـ صـاحـبـهـ - سـوـاءـ كـانـ الـحـقـ لـهـ أوـ عـلـيـهـ - فـقـدـ حـكـمـ بـحـكـمـ الـجـاهـلـيـةـ وـخـرـجـ عنـ حـكـمـ اللهـ وـرـسـولـهـ. وـالـوـاجـبـ عـلـىـ جـمـيـعـهـمـ أـنـ يـكـوـنـواـ يـدـاـ واحدـةـ مـعـ الـمـحـقـ عـلـىـ الـمـبـطـلـ، فـيـكـونـ الـمـعـظـمـ عـنـهـمـ مـنـ عـظـمـهـ اللهـ وـرـسـولـهـ، وـالـمـقـدـمـ عـنـهـمـ مـنـ قـدـمـهـ اللهـ وـرـسـولـهـ، وـالـمـحـبـوبـ عـنـهـمـ مـنـ أـحـبـهـ اللهـ وـرـسـولـهـ، وـالـمـهـاـنـ عـنـهـمـ مـنـ أـهـانـهـ اللهـ وـرـسـولـهـ، بـحـسـبـ مـاـ يـرـضـيـ اللهـ وـرـسـولـهـ لـاـ بـحـسـبـ الـأـهـوـاءـ؛ فـإـنـهـ مـنـ يـطـعـ اللهـ وـرـسـولـهـ فـقـدـ رـشـدـاـ؛ وـمـنـ يـعـصـ اللهـ وـرـسـولـهـ فـإـنـهـ لـاـ يـصـرـ إـلـاـ نـفـسـهـ. فـهـذـاـ هوـ الـأـصـلـ الـذـيـ عـلـيـهـمـ اـعـتـمـادـهـ. وـحـيـثـنـ فـلـاـ حـاجـةـ إـلـىـ تـفـرـقـهـمـ وـتـشـيـعـهـمـ....

و لا يشُدُّ وسْطَه لَا لِمَعْلِمٍ و لَا لِغَيْرِ مُعْلِمٍ؛ فَإِنْ شَدَّ الْوَسْطَ لِشَخْصٍ مَعِينٍ وَانْتَسَابَه إِلَيْهِ - كَمَا ذُكِرَ فِي السُّؤَالِ - : مِنْ بَدَعِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَمِنْ جِنْسِ التَّحَالُفِ الَّذِي كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْعَلُونَهُ؛ وَمِنْ جِنْسِ تَفْرُقِ قَيْسٍ وَيَمِنِ!

فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الشَّدُّ وَالْأَنْتَمَاءُ التَّعَاوُنَ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى؛ فَهَذَا قَدْ أَمْرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، بِدُونِ هَذَا الشَّدِّ. وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ التَّعَاوُنَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ فَهَذَا قَدْ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَمَا قُصِدَ بِهَذَا مِنْ خَيْرٍ فَفِي أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ اسْتَغْنَاءً عَنْ أَمْرِ الْمَعْلَمِينَ، وَمَا قُصِدَ بِهَذَا مِنْ شَرٌّ فَقَدْ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

فَلَيْسَ لِمَعْلِمٍ أَنْ يَحَالِفَ تَلَامِذَتِهِ عَلَى هَذَا، وَلَا لِغَيْرِ الْمَعْلِمِ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدًا مِنْ تَلَامِذَتِهِ لِيُسَبِّوَا إِلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الْبِدْعِيِّ: لَا ابْتِدَاءً وَلَا إِفَادَةً. وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجْحُدْ حَقَّ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِلْأَوَّلِ أَنْ يَمْنَعْ أَحَدًا مِنْ إِفَادَةِ التَّعْلِمِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ لِلثَّانِي أَنْ يَقُولَ: شُدَّدَ لِي، وَانْتَسَبْ لِي دُونَ مَعْلِمِكَ الْأَوَّلِ. بَلْ إِنْ تَعْلَمَ مِنْ اثْنَيْنِ فَإِنَّهُ يَرْاعِي حَقَّ كُلِّ مِنْهُمَا، وَلَا يَتَعَصَّبْ لِلْأَوَّلِ وَلَا لِلثَّانِي. وَإِذَا كَانَ تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ لَهُ أَكْثَرَ؛ كَانَتْ رِعَايَتُهُ لِحَقِّهِ أَكْثَرَ.

وَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَاونُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ بَلْ يَكُونُ كُلُّ شَخْصٍ مَعَ كُلِّ شَخْصٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَكُونُونَ مَعَ أَحَدٍ فِي مُعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بَلْ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الصَّدْقِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَصْرِ الْمُظْلُومِ وَكُلِّ مَا يُحِبِّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَلَا يَتَعَاوَنُونَ لَا عَلَى ظَلْمٍ وَلَا عَصَبَيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا اتِّبَاعِ الْهَوَى

بدون هدئٍ من الله ولا تفرق ولا اختلاف؛ ولا شدّ وسَطٌ لشخصٍ؛ ليتابعه في كلّ شيءٍ، ولا يحالُفه على غير ما أمر الله به ورسوله.

وحيثُنَّ فلا يتقلّل أحدٌ عن أحدٍ إلى أحدٍ؛ ولا يتميّ أحدٌ: لا لقيطاً ولا ثقيلاً ولا غير ذلك من أسماء الجاهلية؛ فإنَّ هذه الأمور إنما ولَّدها كونُ الأستاذ ي يريد أن يُواافقه تلميذه على ما يريد؛ فيوالي من يُواليه؛ ويُعادي من يُعاديه مطلقاً. وهذا حرام؛ ليس لأحدٍ أن يأمر به أحداً؛ ولا يجِب عليه أحداً؛ بل تجمعهم السنة وتفرّقهم البدعة؛ يجتمعهم فعلٌ ما أمر الله به ورسوله، وتُفرّقُ بينهم معصية الله ورسوله، حتى يصير الناس أهل طاعة الله، أو أهل معصية الله، فلا تكون العبادة إلَّا لله ﷺ، ولا الطاعة المطلقة إلَّا له سبحانه ورسوله ﷺ.....

ومن حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويُعادي من عاداه، كان من جنس التّرّ المجاهدين في سبيل الشّيطان. ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عَسْكَر المسلمين؛ بل هؤلاء من عَسْكَر الشّيطان»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

**وبهذه القواعد الجامعية، والكلمات النافعة، أختتم هذا الكتاب، سائلاً المولى جلَّ وعلاً أن ينفع به قارئه وكاتبه، وأن يرفع به باذل العلم وطالبه.**

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٣ - ٢٢).

**وَبَعْدُ:** فهذا:

كتابٌ قد تعبتُ عليهِ دهراً  
وَقَرَّبْتُ الْقَصِيَّ لِطَالِبِي  
وَغُصْتُ عَلَى الْخَبَايَا فِي الزَّوَايا  
وَكُمْ قَدْ رُضِّتُ فِيهِ جِيَادَ فِكْرِي  
إِلَى أَنْ بَلَّغَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ  
فَدُونَكَ كَنْزُ عِلْمٍ لَسْتَ تَلْقَى  
وَثِقْ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ فِي إِنِي  
إِلَهِي اجْعَلْهُ لِي ذُخْرًا وَضَاعِفْ  
وَجْدٌ بِقَبْولِهِ وَاجْعَلْ جَزَائِي  
وَخُضْتُ لِجَمِيعِهِ كُتُبًا عَدِيدَةٍ  
وَقَدْ كَانَتْ مَسَافَتُهُ بَعِيدَةٌ  
فَهَا هِيَ فِيهِ بَارِزَةٌ عَتِيدَةٌ  
وَمَرَّتْ لِي بِهِ مُلَدُّ مَدِيَّةٌ  
مُرَادِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الْمَدِيَّةٌ  
مَدِيَ الأَزْمَانِ فِي الدُّنْيَا نَدِيَّةٌ  
مَنْحُتُ الْعِلْمَ فِيهِ مُسْتَفِيَّةٌ  
ثَوَابِي مِنْ عَطَايَاكَ الْحَمِيَّةٌ  
رَضَاكَ، وَجَنَّةَ الْخُلُدِ الْمَشِيدَةَ<sup>(١)</sup>

والحمدُ لله رب العالمين.



(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر: للعيديروسي (ص/١٢٨).

## فهرس لأهم الصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آثار الشيخ العلّامة عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني: اعتنى به: جماعةٌ من الباحثين، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية: لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيّام، مؤسسة الرسالة، ط ٢١٤١٧ هـ).
- أبو تراب الظاهري، صفحاتٌ من حياته، وتأملاتٌ في أدبه: لعبد الكريم بن عبد الله العبد الظاهري، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٩ هـ.
- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م.
- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالى، دار المعرفة، بيروت.

- **أدب الدنيا والدين**: لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط١٤٠٨ هـ.
- **أدب الطلب ومتاهي الأرب**: لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: يوسف بدبو وحسن سويدان، دار اليمامة، دمشق بيروت، ط١٤٢١ هـ.
- **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤ م.
- **أعيان العصر وأعوان النصر**: لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقيد السماع**: لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط الثانية (١٣٩٨ هـ).
- **إنباء الرواة على أنباء النهاة**: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف الققطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١٤٠٦ هـ.
- **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: أحمد ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة وبيروت، ط ١ (١٤١٠ هـ).
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: لمحمد بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، الربيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهدایة.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ.
- **تاريخ بغداد**: لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- **تاريخ دمشق**: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.

- **تاریخ علماء الأندلس**: لعبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة وبيروت، ط ٢ (١٤١٠ هـ).
- **البيان في أیمان القرآن**: لابن القیم الجوزیة، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطی، دار عالم الفوائد، مکة المکرمة، ط ٣، ١٤٣٨ هـ.
- **تحت رایة القرآن**: لمصطفی صادق الرافعی، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٧ (١٣٩٤ هـ).
- **تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی**: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارکفوري، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطیف، دار الفکر، ط ٣ (١٣٩٩ هـ).
- **تدريب الراوی في شرح تقریب النواوی**: لعبد الرحمن بن أبي بکر السیوطی، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **تذكرة الحفاظ**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمی، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **التذكرة الحمدونیة**: لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادی، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.
- **تذكرة السامع والمتكلم**: لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الکنانی، تحقيق: محمد هاشم الندوی، رمادي للنشر، ط ١ (١٤١٥ هـ).

- **التراتيب الإدارية:** لعبد الحفيظ الكتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **تعليم المتعلم طريق التعلم:** لبرهان الدين الزرنوجي، تحقيق: صالح الخيمي ونذير حمدان، ط ٢، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- **تقيد العلم:** لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، ط ٢، دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤ م.
- **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح:** لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩ هـ.
- **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد:** لمحمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- **تهذيب الأسماء واللغات:** لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. توزيع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- **تهذيب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزبيق، وعادل مرشد، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦ هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: لجمال الدين يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤١٣ هـ.
- **تهذيب اللغة**: لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهرمي، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- **الجامع الصحيح**: لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار طوق النجاة. الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- **الجامع الصحيح**: لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **جامع بيان العلم وفضله**: ليوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤١٩ هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣ هـ.
- **الجرح والتعديل**: لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي، الرازى ابن أبي حاتم، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد

الدكن – الهند، تصوير دار إحياء التراث العربي – بيروت، عن الطبعة الأولى، ١٣٧١ هـ.

- **جمهرة أشعار العرب:** لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ٤٤٠٤ هـ.

- **الحاوي للفتاوى:** للسيوطى، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٢ هـ).

- **الحديث والمحدثون:** لمحمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت، ٤٤٠٤ هـ.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ.

- **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:** لعبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (١٣٨٢ هـ).

- **خزانة الأدب وغاية الأرب:** لعلي بن عبد الله الحموي، تحقيق: عصام شعيبتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١٩٨٧ م.

- **خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول:** لأبي شامة المقدسي، تحقيق: جمال عزّون، مكتبة أصوات السلف، ط ١، ١٤٢٤ هـ.

- **دُرّة الحِجَال في أسماء الرجال:** لأحمد بن محمد المكناسي، الشهير بابن القاضي. تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة.

- **دُرّة الغواص في محاضرة الخواص**: لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي، تحقيق: محمد أبو الأజفان، وعثمان بطيخ، دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس.
- **الدُرّر السَّنَّيَةُ في نظم السِّيرَةِ الزَّكِيَّةِ**: لزَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْحَسِينِ الْعَرَاقِيِّ، اعْتَنَى بِهَا: مُنْصُورُ الْعَتِيقِيُّ، طَبَعَ وزَارَةُ الْأَوْقَافِ بِالْكُوِيْتِ، ٢٠٠٤ م.
- **الدُرّر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.
- **دلائل الإعجاز**: لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخاجي، ط ٢ (١٤١٠ هـ).
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الذخيرة**: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: محمد حجي وأخرين، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
- **الذيل على طبقات الحنابلة**: لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- **رفع الأستار عن مُحيَا مخدّرات طَلْعَةِ الْأَنوارِ**: لحسن بن محمد المشاط، تحقيق: محمد طاهر نور ولی، المكتبة المکیة، ط ١، ١٤٣١ هـ.

- **روح المعانى**: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ.
- **سنن أبي داود**: لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزّت عبيد الدعاس، وعادل السيد، الطبعة الأولى، دار الحديث، بيروت، ١٣٩٣ هـ.
- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة، بيروت.
- **السيف المسلول على من سبّ الرسول**: لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكى، تحقيق: إياد أحمد الغوج، دار الفتح (عمان - الأردن)، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- **الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح**: لبرهان الدين الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: لنشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله. الناشر: دار الفكر المعاصر

(بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ.
- **صيد الخاطر:** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط ١٤١٨ هـ.
- **الضوء الّامع لأهل القرن التاسع:** لشمس الدين السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **طبقات الحنابلة:** لأبي الحسين بن أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- **طبقات الشافعية الكبرى:** لتابع الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار هجر، مصر، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- **طبقات المفسّرين:** لمحمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥ هـ.
- **الطرّاز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:** ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوى الطالبى، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

- **العين**: للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **الغنية**، فهرست شيوخ القاضي عياض: لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ماهر زهير حرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٤٠٢ هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم الخضر و محمد آل فهيد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- **الفروع**: لمحمد بن مفلح بن مفرج، شمس الدين المقدسي الصالحي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: لمحمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الشعاليي الجعفري الفاسي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- **الفنون الصغرى**: لأبي عبد الرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري، منشورات نادي الطائف الأدبي، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨ (١٤٢٦ هـ).

- **الكامل في ضعفاء الرجال**: لعبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- **باب التأويل في معاني التنزيل**: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن. تصحیح: محمد على شاهین، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ.
- **المبسوط**: لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- **المجرورين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي، البُستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـ.
- **مجموع الفتاوى**: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤١٥ هـ).
- **المجموع شرح المهدّب**: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر.
- **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**: جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الشريا، الطبعة الأخيرة - ١٤١٣ هـ.

- **المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري**: لعبد الأول بن حماد الأنصاري، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- **المحدث الفاصل**: للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط ٣ (١٤٠٤ هـ).
- **مدارج السالكين**: لابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٩٢ هـ).
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**: لإبراهيم بن يوسف الوهراني، المعروف بابن قرقوط، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ.
- **معجم الأدباء**: للياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٩٩٣ م).
- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦ هـ.
- **معرفة القراء الكبار**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤٠٨ هـ).

- **معرفة علوم الحديث**: لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: معظم حسين، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٣٩٧ هـ.
- **المعيد في أدب المفید والمستفید**: لعبد الباسط بن موسى بن محمد بن إسماعيل العلموي، تحقيق: الدكتور مروان العطيه، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- **مفتاح دار السعادة**: لابن القيم الجوزية. تحقيق: علي بن حسن الحلبي. دار ابن عفان، الخبر، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- **المنار المنيف**: لابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢ (١٤٠٣ هـ).
- **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: خانجي وحمدان، بيروت، ط ٢.
- **مناقب الشافعی**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البهقی، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ١ (١٣٩٠ هـ).
- **المتنظم في تاريخ الملوك والأمم**: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- **من مؤلفات ابن سينا الطبية**: تحقيق: محمد زهير البابا، منشورات جامعة حلب (١٤٠٤ هـ).

- **منهج السنة النبوية: لأحمد بن عبد العلّيم بن تيمية الحراني، تحقيق:**  
د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى،  
١٤٠٦ هـ.
- **المنهج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: لأبي زكريا يحيى بن شرف**  
النwoي، تحقيق: خليل شيخا، دار المعرفة، بيروت، ط٧ (١٤٢١ هـ).
- **الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير**  
بالشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر،  
١٤١٧ هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،  
تحقيق: علي محمد مغوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.
- **نشر الدرّ:** لأبي سعد منصور بن الحسين الراري الآبي، تحقيق: خالد  
عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة  
الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** لجمال الدين أبي المحاسن  
يوسف بن تغري بردي الأتابكي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد  
القومي، دار الكتب، مصر.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء:** لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن  
الأباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣  
(١٤٠٥ هـ).

- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**: لمحي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- **وفيات الأعيان**: لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلْكَان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٣٩٧ هـ).
- **يتيمة الدهر**: لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي، دار الكتب العلمية، ط١ (١٣٩٩ هـ).



## فِهْرُسُ المَوَاضِيعِ وَالْفَوَائِدِ

### المقدمة

فضل العلم وأهمية التأصيل لقضاياها ص ٥ - تشعب الفنون وتشعّبها ص ٦ - أهمية الحديث عن التأصيل العلمي ص ٧ - سبب ضياع الأوقات عند كثيير من طلاب العلم اليوم ص ٧ - واجب العلماء تجاه طلاب العلم ص ٨ - أسباب عدم إتقان العلم كما يراها ابن بدران ص ٩ - تيسّر وسائل التعليم وكثرتها لدى طلاب العلم في هذا العصر ص ١٢ - عنایة الأسلاف ببيان قواعد تحصيل العلم ومناهج الطلب ص ١٣ - نماذج فريدة لعنایة العلماء بالعلم والاشغال به (حاشية) ص ١٣ - شروط إتقان العلم عند العلماء (حاشية) ص ١٥ - سبب النبوغ المبكر عند علمائنا السابقين وتأهّلهم قبل العشرين ! ص ١٧ - ذكر طائفه ممن ألف قبل العشرين ! ص ١٧ - مسألة بیوع الآجال فيها ثمانون ألف وجه ! ص ٢١ - أنماط الحياة العلمية والعملية لدى العلماء المتقدمين ص ٢١ - إيقاظ مهّم عن «أمر هام» (حاشية) ص ٢٢ - فصول الكتاب ص ٢٤ .

### الفصل الأول

#### أقسام العلوم

**القسم الأول: علوم المقاصد أو (الغاية)** ص ٢٨ - أنواع علوم المقاصد الثلاثة ص ٢٨ - المراد بالفقه في اصطلاح المتأخّرين ص ٢٨ - إلماعة عمّا قاله الشعراء في مدح الفقه (حاشية) ص ٢٨ - أقسام علم الآداب الشرعية ص ٣٠ - المراد بالفقه في اصطلاح المتقدمين ص ٣٠ - طرق دراسة علوم

.٣٢ المقاصد ص

**القسم الثاني: علوم الوسائل أو (الألة)** ص ٣٣ - أصول علوم الوسائل  
ص ٣٤ .

**القسم الثالث: العلوم المساعدة** ص ٣٥ - تقسيمات أخرى للعلوم  
(حاشية) ص ٣٥ - إيقاظ وتفريغ فيهما الجواب عن إشكالين كبيرين ص ٣٦  
- أقسام السيرة النبوية ص ٣٧ .

### الفَصْلُ الثَّانِي

#### طُرُقُ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ

الطرق التي توصل إلى تحصيل العلوم ص ٤١ - إضاءة مهمة عن جدلية  
تلازم الحفظ والفهم (حاشية) ص ٤١ - أقسام الفنون بالنسبة للحفظ والفهم  
ص ٤٣ .

#### المبحث الأول

##### طريق الحفظ

أسباب الكلام على الحفظ أولاً ص ٤٦ - حفظ العلم من خصائص هذه  
الأمة ص ٤٧ - الحفظ حال الكبار ص ٤٨ - لفتة عن أهمية حفظ العلم في  
الصغر (حاشية) ص ٤٨ - ذكر بعض من طلب العلم بأخرة ص ٤٩ -  
اختلاف الناس في موهبة الحفظ ص ٥٠ - نماذج كثيرة لسرعة الحفظ لدى  
طائفة من العلماء ص ٥١ - قصة عجيبة في قوة حفظ أبي العلاء المعربي  
(حاشية) ص ٥٥ - أهمية مراعاة الناحية النفسية في الحفظ ص ٥٦ - معایب

طريقة الذي يحفظُ من الكتاب مباشرةً، أو يُسجّل شيئاً كثيراً من المحفوظ ص ٥٦ - طريقة العلماء الراسخين في الحفظ ص ٥٧ - نماذج كثيرة لأعداد ما كان يحفظه الحفاظُ من الحديث (حاشية) ص ٥٧ - من قواعد الحفاظ ص ٥٩ - طريقة الحفظ في (المَحْضَرَة) ص ٥٩ - إبطال مزاعم المهوّنين من فائدة الحفظ ص ٥٩ - أقسام العلوم بحسب الثبات والتتطور ص ٦٠ - التعريفُ الأوّلُ لاسم الجهاز المعروف بالكمبيوتر (حاشية) ص ٦٠ - ذِكرُ بعضِ المنظومات البدعية في علم الطب (حاشية) ص ٦١ - أهميّة حفظِ وإتقانِ علوم الآلة ص ٦٥ - سُبُّ الحفظِ للفهم ص ٦٥ - مكانة الحفظِ عند الغربيّين ص ٦٦ - نبذة عن اللورد ماكولي البريطاني صاحبُ سياسة تغريب الهند المسلمة في العصر الحديث ص ٦٦ - إمامَة الحفاظ وذكرُ ما يؤيّدُه من الشواهد ص ٦٧ - آفاتُ الكتب عند ابن دوست ص ٦٨ - قِصّةُ الغزالِي مع اللصوص! (حاشية) ص ٦٨ - الصُّولِي أعلمُ الناس خزانة! ص ٦٩ - توضيّحُ مراد ابن خلدون من ذمه مختصرات العلوم ص ٧٠ - شواهدُ على غلبةِ الفنون على أشعارِ أصحابها! ص ٧١ - تعريفُ (التوجيه) عند البلاغيين (حاشية) ص ٧٢ - أفضلُ أوقاتِ الحفظ ص ٧٣.

### أنواع المحفوظات

أنواع المحفوظات العلميّة ص ٧٥ - أنواعُ ما يُحفظُ من النظم ص ٧٥.

### أولاً: حفظ القرآن الكريم

أهمية حفظ القرآن الكريم والبداية به أولاً ص ٧٥ - البدء بحفظ القرآن

عند السلف ص ٧٧ - قواعد ينبغي مراجعتها لمن أراد حفظ القرآن الكريم  
 ص ٨٠ - تعريف الذاكرة التصويرية والقراءة التصويرية (حاشية) ص ٨١ -  
 التنبيه على طرفيتين حستين لحفظ القرآن وأسباب ذلك ص ٨٢ - شبهة  
 إبليسية وجوابها! ص ٨٣ - ضعف الأحاديث الواردة في توعّد من نسي شيئاً  
 من القرآن ص ٨٤.

### **ثانياً: حفظ السنة النبوية**

أهمية حفظ السنة النبوية ص ٨٥ - أسباب صعوبة حفظ الحديث  
 الشريف ص ٨٥ - خريدة للحاكم النيسابوري مع بديع الزمان الهمذاني  
 صاحب المقامات (حاشية) ص ٨٦ - أنواع علوم الحديث ص ٨٦ - أفضل  
 طريقة لحفظ الحديث الشريف ص ٨٨ - معنى إدمان قراءة الأحاديث  
 ص ٨٨ - طريقة العلماء المتقدمين في كثرة تكرار القراءة والنَّسخ لكتب  
 الحديث ص ٨٩ - أهمية المذكرة مع الأقران ص ٩١ - من عجائب  
 المذكريات مذكرة الطبراني والجعابي (حاشية) ص ٩٢ - أهمية قراءة شروح  
 الحديث في تثبيت الحفظ ص ٩٣ - كُتب السنة التي ينصح الطالب بإدمان  
 مطالعتها ص ٩٣.

**أقسام المادة المراد حفظها من الحديث** ص ٩٣ - **الأول:** حفظ أصل من  
 الأصول ص ٩٣ - **الثاني:** حفظ مختصر من المختصرات المعتمدة لكتاب  
 من الكتب الأصول ص ٩٣ - **الثالث:** حفظ كتاب جامع لعدة أصول ص ٩٤  
 - أهمية كتاب «جامع الأصول» لابن الأثير ص ٩٤ - **الرابع:** حفظ كتاب

جامع للأحاديث، غير مقيّد بكتابٍ ص ٩٦ - **الخامس:** حفظ كتابٍ مختصرٍ في نوع معينٍ من السنة ص ٩٦.

### **ثالثاً: النظم التعليمي**

**النظم التعليمي وأقسامه** ص ٩٧ - **أ - المنظومات العلمية** ص ٩٧ -

أهمية المنظومات العلمية ص ٩٧ - أسباب تقديم المتن المنظوم على المتن المنشور في الحفظ ص ٩٨ - كلام ابن رشيق القيرواني عن أنواع الكلام عند العرب (حاشية) ص ٩٨ - شواهد كثيرة على تقديم النظم على التشر في حفظ العلوم والفنون ص ١٠٠ - قواعد مهمة في حفظ المنظومات ص ١٠٢ - (١)

البداية في الحفظ بالأهم فالمهم ص ١٠٢ - (٢) ضبط المتن ضبطاً صحيحاً متقدماً ص ١٠٣ - (٣) استظهار المتن كاملاً ص ١٠٣ - (٤) نسخ القدر المراد حفظه في بطاقاتٍ ص ١٠٤ - تنبية مهم (حاشية) ص ١٠٤ - (٥)

عدم خلط المتن المراد حفظه بشرح ص ١٠٥ - قصة لطيفة في تقليل كمية المحفوظ لأجل الاتقان ص ١٠٦ - لطيفة عن الأجهزة اللوحية (تابلت)

(حاشية) ص ١٠٦ - طريقة أصحاب (المقارئ) في حفظ الألفيات ص ١٠٦

- (٦) التكرار الكبير للمتن المراد حفظه ص ١٠٧ - نماذج لكثره تكرار الدرس عند العلماء ص ١٠٨ - لفتة لابن الجوزي عن أهمية تكرار العلم

ص ١٠٩ - (٧) ضرورة اتخاذ المشارك في الحفظ ص ١١٠ - (٨) كثرة المراجعة للمحفوظ لئلا يتفلت ص ١١٠ - نماذج لكثره مراجعة المحفوظ عند العلماء ص ١١١ - (٩) عدم الانشغال بحفظ مقدمات المنظومات

إذا كانت طويلةً ص ١١٢ - (١٠) العمل عند الاحتياط في اختيار المتن ص ١١٢ - معنى قولهم: شاعر حماسي (حاشية) ص ١١٣ - قصة لطيفة في التفاؤل (حاشية) ص ١١٣ - أمور ينبغي مراعاتها عند المفاضلة بين المتون ص ١١٥ - طريقة حفظ المنظومات ص ١١٦ - أقسام المنظومات من حيث النوع ص ١١٦ - طريقة جيدة لترسيخ الحفظ ص ١١٦ - تعريف التضمين في الشعر عند العروضيين، وبيان أنواعه (حاشية) ص ١١٧ - أقسام المنظومات من حيث الكلمة ص ١١٨ .

### **أشهر المنظومات في العلوم والفنون**

**١- المنظومات في العقيدة** ص ١٢٠ - طريقة الشيخ: حافظ الحكمي في التأليف (حاشية) ص ١٢١ - أهمية (القصيدة النونية) لابن القيم ومكانتها في علم المعتقد ص ١٢٢ .

**٢- المنظومات في علم الفقه** ص ١٢٣ - ضرورة الاعتناء بالمتون الفقهية التي تُعنى بالدليل وتُبُدِّي التقليد ص ١٢٤ - أهمية منظومة «السبيل السوية لغِيَةِ السُّنَنِ الْمَرْوِيَّةِ»: للشيخ حافظ الحكمي ص ١٢٤ - **المنظومات في علم الفرائض** ص ١٢٥ .

**٣- المنظومات في الآداب الشرعية** ص ١٢٧ - أقسام المنظومات في الآداب الشرعية ص ١٢٧ - شيخ معاصر ينظم في آداب طلب العلم (١١٤٥) بيتاً !! ص ١٢٨ .

**٤- المنظومات في علوم القرآن وأصول التفسير** ص ١٢٨ - أصناف المنظومات في علوم القرآن ص ١٢٨ .

**٥- المنظوماتُ في علم القراءات** ص ١٣٠ - نبذة عن مكانة علم القراءات بين العلوم ص ١٣٠ - أهمية الشاطبية في علم القراءات ص ١٣١ - كائنةٌ غريبةٌ وقعتْ لأحد أساتذة علم القراءات في المسجد النبوي! (حاشية) ص ١٣١ - نموذجٌ من شدّة تعقيد الفاظ «الدّرّة المُضيّة» لابن الجوزي (حاشية) ص ١٣٢ - التنبيه على صحة جمٍع (عنوان) على (عناوين) (حاشية) ص ١٣٣.

**٦- المنظوماتُ في فن التجويد** ص ١٣٤ - نبذة موجزة عن أهمية فن التجويد ص ١٣٤ - حكم قراءة القرآن بالتجويد (حاشية) ص ١٣٥ - التعريف بحساب الجمل (حاشية) ص ١٣٧ .

**٧- المنظوماتُ في علم مصطلح الحديث** ص ١٣٨ - الإمام الصناعي ينظم (٢٠٠) بيتٍ في يوم واحدٍ! ص ١٣٩ - أهمية ألفية العراقي في الفن ص ١٤١ - الموازنة بين ألفية العراقي والسيوطى في مصطلح الحديث ص ١٤٢ - السيوطى ينظم ألفيته في مصطلح الحديث في خمسة أيام!! ص ١٤٢ .

**٨- المنظوماتُ في السيرة النبوية والتاريخ** ص ١٤٣ - ما جاء عن السلف في الاهتمام بالسيرة والمعازى (حاشية) ص ١٤٣ - تفننُ العلماء في نظم السيرة النبوية ص ١٤٣ - أهم ما ينبغي الاعتناء به من التاريخ ص ١٤٤ - أهم المنظوماتِ في السيرة والمعازى والتاريخ ص ١٤٤ - ابن الجوزي ينظم أكثر من (٥٠٠) بيتٍ في يوم واحد!! ص ١٤٦ - الحافظ العراقي يُملي ألفيته في

. ١٤٧ السيرة في الروضة الشريفة ص

**٩- المنظوماتُ في علم أصول الفقه** ص ١٤٨ - نبذة عن أهمية علم أصول الفقه ص ١٤٨ - بيان حال أُلفيَّة (مَرَاقِي السُّعُود) والموازنة بينها وبين (الكوكب الساطع) ص ١٥٠ .

**١٠- المنظوماتُ في القواعد الفقهية** ص ١٥١ - نبذة عن أهمية القواعد الفقهية لطالب العلم والعالم والمفتى ص ١٥١ - مدارُ الفقهِ كُلُّهُ عَلَى خمسِ قواعد! ص ١٥١ .

**١١- المنظوماتُ في علم النحو** ص ١٥٤ - نبذة عن شرف علم النحو ص ١٥٤ - عدد علوم العربية وأنواعها منتشرةً ومنظومةً (حاشية) ص ١٥٤ - تقريرُ أنَّ علوم اللغة العربية من العلوم الشرعية ص ١٥٨ - من ألطاف ما قيل في الحث على تعلُّم النحو ص ١٥٩ - قصةٌ لطيفةٌ في تخريج مسألةٍ في الفقه على علم النحو! (حاشية) ص ١٥٩ - التحذير من مقوله: (سَكْنٌ تسلُّم)! (حاشية) ص ١٦٠ - نماذج لطيفة من منظومة «ملحة الإعراب» (حاشية) ص ١٦٢ - أهمية أُلفيَّة ابن مالك في الفن ص ١٦٥ - السيوطي ينظم أُلفيَّته في النحو في ثلاثة أيام !! ص ١٦٦ .

**١٢- المنظوماتُ في علم الصرف** ص ١٦٧ - نبذة موجزة عن مكانة علم الصرف بين العلوم ص ١٦٧ - قصستان لطيفتان وقعتا للمشتغلين بعلم الصرف! (حاشية) ص ١٦٩ - فائدةٌ مهمَّةٌ في طريقة كتابةِ اسم (الرحمٰن) (حاشية) ص ١٧٠ .

**١٣ - المنظوماتُ في علم البلاغة** ص ١٧١ - نُبذةٌ عن أهمية علم البلاغة  
 ص ١٧١ - كيف تكون بليغاً ص ١٧٢ - السيوطي ينظمُ ألفيته في البلاغة في  
 يومين !! ص ١٧٤ - منزلة السيوطي العلمية (حاشية) ص ١٧٤ .

**١٤ - المنظوماتُ في اللغة واللسان العربي** ص ١٧٦ - أهمية العناية  
 بكتب اللغة لطالب العلم، والاستكثار من حفظ مفرداتها ص ١٧٦ - أهمية  
 كتاب «الفصيح» لشلب في اللغة ص ١٧٨ - لمحّةٌ عن كتب المثلّاث  
 وأهميّتها في اللغة ص ١٨٠ .

**بـ - الضوابطُ العلميةُ للمسائل الجزئية** ص ١٨٢ - النوع الأول من  
 الضوابط: (منظوماتٌ كاملةٌ) وذكر نماذج لها ص ١٨٢ - النوع الثاني من  
 الضوابط: نظمُ المسألة في عددٍ من الأبيات وذكر أمثلةٍ لها ص ١٨٣ -  
 الدّنوشري نظمَ اللغاتِ الثمانِ عشرة في كلمة (اسم) في بيتٍ واحدٍ! ص ١٨٤  
 - بيتان من الشّعر جمعتْ أسماءً بحور الشّعر الثمانية عشرَ مع أوزانها !!  
 (حاشية) ص ١٨٤ .

#### رابعاً: الشعرُ البديع

نبذةٌ عن أهمية حفظِ أشعارِ العرب لطالب العلم ص ١٨٥ - كلامٌ متينٌ  
 للنويري عن أهمية حفظ أشعار العرب وقراءةِ شروحها (حاشية) ص ١٨٦ -  
 أهمية الشعر ومكانته عند العرب ص ١٨٧ - الشعر من خصائص لغة العرب  
 (حاشية) ص ١٨٧ - ذكرُ نماذجٍ كثيرةٍ لمن كانوا يستظهرون دواوينَ الشعر  
 وفيها عجائٌ وغرائبٌ (حاشية) ص ١٨٩ - ذكر بعض أفضل كتب

المختارات الشعرية ص ١٩٢ - القصائد المرشحة للحفظ ص ١٩٢ - أفضل الكتب الأدبية ص ١٩٣ .

### المبحث الثاني

#### طريق الفهم

ذِكْرُ القواعد التي تساعد على فهم العلم ص ١٩٧ :

**أولاً:** التَّصوُّرُ الْجَيِّدُ لِلْفَنِّ قَبْلَ الدُّخُولِ فِيهِ ص ١٩٧ - الأمور التي تساعد على تصوّر الفن ص ١٩٨ - عمل الجداول وتشجير المسائل ص ١٩٨ - تقسيم الفن إلى عدّة أقسام ص ١٩٨ - التَّفَرِيقُ بَيْنَ مِبَادِئِ الْفَنِّ وَمَقَاصِدِهِ ص ١٩٩ - دراسة مراحل تطور الفن وما أَلْفَ فِيهِ ص ١٩٩ - **ثانيًا:** حُسْنُ اختيار الشِّيخِ الَّذِي يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمَ ص ١٩٩ - أَخْذُ الْعِلْمَ عَنِ الْأَكَابِرِ ص ٢٠٠ - أهميّةُ الْخِبْرَةِ وَالْذُوقِ الْعِلْمِيِّ عِنْدَ مَنْ يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمَ ص ٢٠٢ - «زِيدُ قَائِمٌ» فِيهَا مِئَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ مَبْحَثًا! (حاشية) ص ٢٠٢ - التماسُ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ فِي الْمَعْلُومَيْنِ ص ٢٠٣ - أَخْذُ عَنْ كُلِّ شِيخِ الْفَنِّ الَّذِي يُحْسِنُ ص ٢٠٤ - الدراسةُ عَلَى الشِّيخِ الْكِتَابِ الَّذِي أَتَقَنََهُ ص ٢٠٥ - **ثالثًا:** اختيار الشرح المناسب لمستوى الطالب ص ٢٠٦ - **رابعًا:** وضع برنامج يومي محدّد يحافظ عليه الطالب ص ٢٠٦ - **خامسًا:** الاستعانة بالكتب والأطروحات العلمية المعاصرة ص ٢٠٦ - **سادسًا:** عدم تضييع الوقت في الاشتغال بتحليل الفاظ المؤلف ص ٢٠٧ - **سابعًا:** عدم تضييع الوقت في الاشتغال بحفظ القائل في كل مسألة ص ٢٠٧ - **ثامنًا:** الإقبال على الفن الذي

**ترغبة النفس وتهواه ص ٢٠٧ - تاسعاً:** الإكثار من زيارة العلماء، والقرب منهم ص ٢٠٨ - **عاشرًا:** تدارس المسائل مع القرآن ص ٢٠٩ - نقولات جمّة عن أهمية مذكرة القرآن ص ٢١٠ - **حادي عشر:** كتابة ما يحرر من المسائل والمطالب فور فهمها ص ٢١١ - **ثاني عشر:** نظم المسائل لمن كانت عنده الملائكة ص ٢١٢ - **ثالث عشر:** تحضير الطالب للدرس قبل الذهاب إليه ص ٢١٢ - **رابع عشر:** تجنب دراسة فنّين في وقت واحد ما يمكن ص ٢١٤ - **خامس عشر:** العناية التامة بالقراءة ص ٢١٥ - نموذجان لمتقدّم ومعاصر في كثرة القراءة ص ٢١٧ - ابن الجوزي يقرأ في شبابه أكثر من عشرين ألف مجلد!! ص ٢١٧ - أبو تراب الظاهري يقرأ نحو ثمانية آلاف كتاب ويحفظ أربعين ألف مادة في اللغة!! ص ٢١٧ - مدح الشخص بسعة الاطلاع، وذمه بقلة الاطلاع ص ٢١٨ .

### المبحث الثالث

#### أصول في المطالعة المفيدة

أهمية القراءة لطالب العلم ص ٢٢٢ - السبب في عدم إقبال طلاب العلم على القراءة ص ٢٢٣ - اجعل القراءة هي الأصل في حياتك ص ٢٢٤ - ذكر نماذج كثيرة لشغف العلماء بالمطالعة ص ٢٢٤ - إضمّن عدم العود إلى قراءة الكتاب مرّة ثانيةً ص ٢٢٧ - البدء بالأهم فالمهم فيما يقرأ ص ٢٢٨ - فائدة عن كلمة (إيش) ص ٢٢٨ - **كتاب العلم الأعظم: هو القرآن الكريم** ص ٢٣٠ - بركة القرآن على من أكثر تلاوته ص ٢٣٣ - لزوم التدبر في قراءة

القرآن ص ٢٣٥ - فاردةٌ في فضل الاشتغال بالقرآن (حاشية) ص ٢٣٦ - العناية التامة بمطالعة كتب السلف ص ٢٣٧ - أول مكتبةٌ عامةٌ بالرياض (حاشية) ص ٢٣٨ - التحذير من كتب المبتدعة ص ٢٣٩ - الضابط في جواز قراءة كتب أهل الفضلال ص ٢٤٢ - خوفُ السلف من سماع الشبهات (حاشية) ص ٢٤٢ - أهمية قراءة كتب الشروح والحواشي لطالب العلم ص ٢٤٤ - أفضل أنواع القراءة وأعظمها رُسوخاً ص ٢٤٥ - مدارس القراءة ص ٢٤٥ - قصةٌ لطيفةٌ عن ولع الشيخ الألباني بالبحث والكتب حتى في النوم !! (حاشية) ص ٢٤٥ - تنويرٌ حول أهمية كتب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى لطلاب العلم في هذا العصر (حاشية) ص ٢٤٧ - أحوال الكتب من حيث القراءة ص ٢٤٨ - نبذةٌ عن تصنيف ديوبي العشري للمكتبات (حاشية) ص ٢٤٨ - فائدةٌ مهمةٌ عن كتب المعلمات (حاشية) ص ٢٤٩ - الحرصن على تكوين مكتبةٍ جامعةٍ، تضمُّ جميعَ الفنون والمعارف ص ٢٥٠ - متنزّهات القلوب ! ص ٢٥١ - منْ باع كتابه فنِدِم ! ص ٢٥٢ - العناية بكتب الأدب ص ٢٥٤ - أهمية القراءة المبرمجة ص ٢٥٦ - الاستراحة من القراءة بالقراءة ! ص ٢٥٧ - تنويرٌ طريفٌ (حاشية) ص ٢٥٧ - تفسير معنى الإحماص في مجالس العلم (حاشية) ص ٢٥٨ - استجمامُ العلماء في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية بعلم الفرائض والحساب ! ص ٢٦١ - ابن فرحون جعل إجماع النفس في الألغاز الفقهية ص ٢٦٢ - أهمية مناقشة القارئ ما يقرأ ص ٢٦٣ - تكرارٌ قراءةِ الكتاب المقرؤِ أولى من قراءةِ كتابٍ جديدٍ

ص ٢٦٤ - المزني يقرأ «الرسالة» للإمام الشافعي خمساً مئة مرة!! ص ٢٦٤ -  
 المنهج المقترن في قراءة كتب الثقافة العامة ص ٢٦٦ - تحصيل العلم من  
 أقرب طريق ص ٢٦٦ - ضرورة أن يعيش الطالب عصره العلمي ص ٢٦٨ -  
 نبذة عن مذهب الحداثة، والسبب في إخراجه! (حاشية) ص ٢٦٨ - العناية  
 الفائقة بقراءة كتب معاجم الفنون ص ٢٧١ - بعض مزايا كتب معاجم الفنون  
 ص ٢٧١ - نماذج لبعض كتب معاجم الفنون ص ٢٧٢ - العناية بكتب  
 المعلمات (الموسوعات) ص ٢٧٢ - أقسام كتب المعلمات ص ٢٧٢ -  
 نماذج لبعض كتب المعلمات ص ٢٧٣ - الاهتمام بكتب المصادر الأصلية  
 (الأممات) ص ٢٧٤ - فائدة عن الكلمة (الأممات) (حاشية) ص ٢٧٤ - عدم  
 الاستكثار من الكتب الصغار (الكتيبات) ص ٢٧٥ - العناية بقراءة الكتب  
 التي تناولت موضوع العلم وذكر نماذج منها ص ٢٧٦ - حُسْنُ اختيارِ  
 المكانِ والزمانِ المناسبينِ للقراءة ص ٢٧٧ - تعليقة عن صفاء الزمان  
 والمكان (حاشية) ص ٢٧٧ - جنان الأرض الأربع عند ياقوت! (حاشية)  
 ص ٢٧٨ - الاهتمام بالدوريات والمجلات العلمية المحكمة ص ٢٧٩ -  
 الاهتمام بالأطاريح الجامعية ص ٢٨٠ - أهم أنواع القراءة ص ٢٨١ - أهمية  
 تدوين العلم في جُزازات ص ٢٨١ - غيّض من فوائد القلم ص ٢٨٢ - أحسنُ  
 قصيدة قيلت في القلم (حاشية) ص ٢٨٣ - طريقة فهرسة النظائر في الدفاتر  
 ص ٢٨٤ - الحرص على تسجيل الفوائد أولًا بأول ص ٢٨٥ - المبادرة إلى  
 تسجيل الخواطر والأفكار ص ٢٨٧ - طُرُقُ تسجيل الفوائد ص ٢٨٩ -

قصيدة في مدح برنامج المكتبة الشاملة (حاشية) ص ٢٨٩ - عدم التسليم بكل مقرؤٍ ص ٢٩٠ - ضرورة المراجعة والمعارضة للكتب ص ٢٩١ - التحذير من ترك الاستفادة من الكتاب بالكلية؛ لوقوع مؤلفه في بعض الأخطاء ص ٢٩٣ - حائل كتاب «المحلّي» لابن حزم ص ٢٩٦ - أهمية الدراسات الوصفية في معرفة مراحل تطوير العلوم ص ٢٩٧ - ذكر بعض المؤلفات في هذا اللون ص ٢٩٨ - طريقة التعرُّف على حجم وقوّة الحركة العلميّة في فترة زمنيّة معينٍ ص ٢٩٨ - التعريف بعلم الطبقات وكتبها (حاشية) ص ٢٩٨ - طرق معرفة المؤلفات الأصيلة في شتى العلوم ص ٢٩٩ - طرق معرفة المعالم الكبرى الأساسية للعلوم وغيرها ص ٣٠٠ - المقياس لمعرفة قوّة علمٍ ما أو ضعفه ص ٣٠١ - ضرورة الاهتمام بالكتب التي تؤصل للعلوم الإسلامية ص ٣٠٢ - طريقة قراءة علم التفسير ص ٣٠٣ - **الطريقة المُثلى لقراءة الفقه** ص ٣٠٤ - نقل مهم عن العالمة الفقيه عبد المجيد محمود في بيان مكانة فقهاء أهل الحديث (حاشية) ص ٣٠٤ - فائدة عن معنى كلمة هنادسة (حاشية) ص ٣٠٥ - ذكر بعض كتب فقهاء أهل الحديث المتقدمة والمتأخرة والمعاصرة ص ٣٠٧ - العناية بكتب فتاوى العلماء ص ٣١١.

### الفصل الثالث

#### **أَخَاهُ الدَّخَائِرُ، وَمَنَائِعُ النَّصَائِحِ**

أهمية هذا الفصل لطالب العلم ص ٣١٥ - أخذ العلم من مصادره

الأصلية ص ٣١٦ - أهمية الرّحلّة في طلب العلم للقاء الأشياخ ص ٣١٦ - كتابة المسألة طريق لفهّمها ص ٣١٧ - تعويذ القلم على كتابة الخواطر والتجارب والمذكرات ص ٣١٨ - نبذة عن أكبر كتاب في الدنيا! (حاشية) ص ٣١٩ - قصة لطيفة عن عاقبة الورع الحميّدة (حاشية) ص ٣٢٠ - نفاسة كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص ٣٢١ - سوق نموذج من كتاب «صيد الخاطر» (حاشية) ص ٣٢٢ - كتب لطيفة ألفها العلماء تنشيطاً للذهن وتمريناً للقلم! ص ٣٢٤ - الحافظ السيوطي يؤلّف مقامات غريبة! ص ٣٢٦ - الفائدة من مثل هذه المؤلفات ص ٣٢٧ - منهج أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري المقترن لإشباع النّهم العلمي (حاشية) ص ٣٢٧ - ضرورة قبول الحقّ من كلّ أحد ص ٣٢٨ - أهمية حفظ أصلٍ في كلّ فنٌ ص ٣٣١ - تعويذ النفس على التفكّر والتبصر في مسائل العلم ص ٣٣٢ - فائدة في عدم جواز دخولِ (أَلْ) على كلّ وبعضٍ (حاشية) ص ٣٣٢ - التنبية على عدم الاستخفاف بشيءٍ من العلم ص ٣٣٤ - أهمية معرفة وفّيات العلماء، وتوارييخ الحوادث ص ٣٣٤ - ذكرُ طرفٍ من وسائلِ تحصيلِ العلم ص ٣٣٦ - التحذيرُ من التسويف في طلبِ العلم ص ٣٣٧ - نموذجٌ من همةِ الحافظ ابن حجر في استغلالِ وقته ص ٣٣٨ - التنبية على سعةِ العلم وأنه بحر لا ساحل له، والمطلوب حيال ذلك ص ٣٣٩ - قصة لطيفة في ابتئاس من لم يأخذ من كل علمٍ بطرفٍ (حاشية) ص ٣٤١ - التحذير الشديدُ من علم الكلام والفلسفة والمنطق والجدل ص ٣٤٣ - نقولاتٌ مهمّةٌ عن ابن القيم في التحذير من علم

المنطق (حاشية) ص ٣٤٣ - التحذير من سلوك الطريقة الأنبوطية في التهكم بقواعد العلوم، وذكر بعض النماذج من ذلك ص ٣٤٦ - أهمية الموائمة بين الدروسِ النظاميةِ والدروسِ العلميةِ الخاصةِ ص ٣٥٠ - نبذةٌ عن المدارسِ النظاميةِ التي بناها السلاطينُ وغيرُهم (حاشية) ص ٣٥٠ - دفعُ بعضِ التلبيسات عن جدوئي الدراساتِ النظاميةِ (حاشية) ص ٣٥١ - التحذير الشديدُ من الحزبيةِ المقيتةِ! ص ٣٥٢ - بعضُ المساوىَ التي حصلت من وراءِ هذهِ الحزبياتِ ص ٣٥٢ - قواعدُ مهمةٌ لابن القيم في موضوعِ الحزبيةِ والتحزبِ ص ٣٥٥ - قواعدُ مهمةٌ لشيخِ الإسلام في الموضوع نفسهِ ص ٣٥٧.

### فهرسُ أهمِّ المصادرِ والمراجع

ص ٣٦٣

### فهرسُ المواضيعِ والفوائدِ

ص ٣٧٩

